

تأليس إبليس

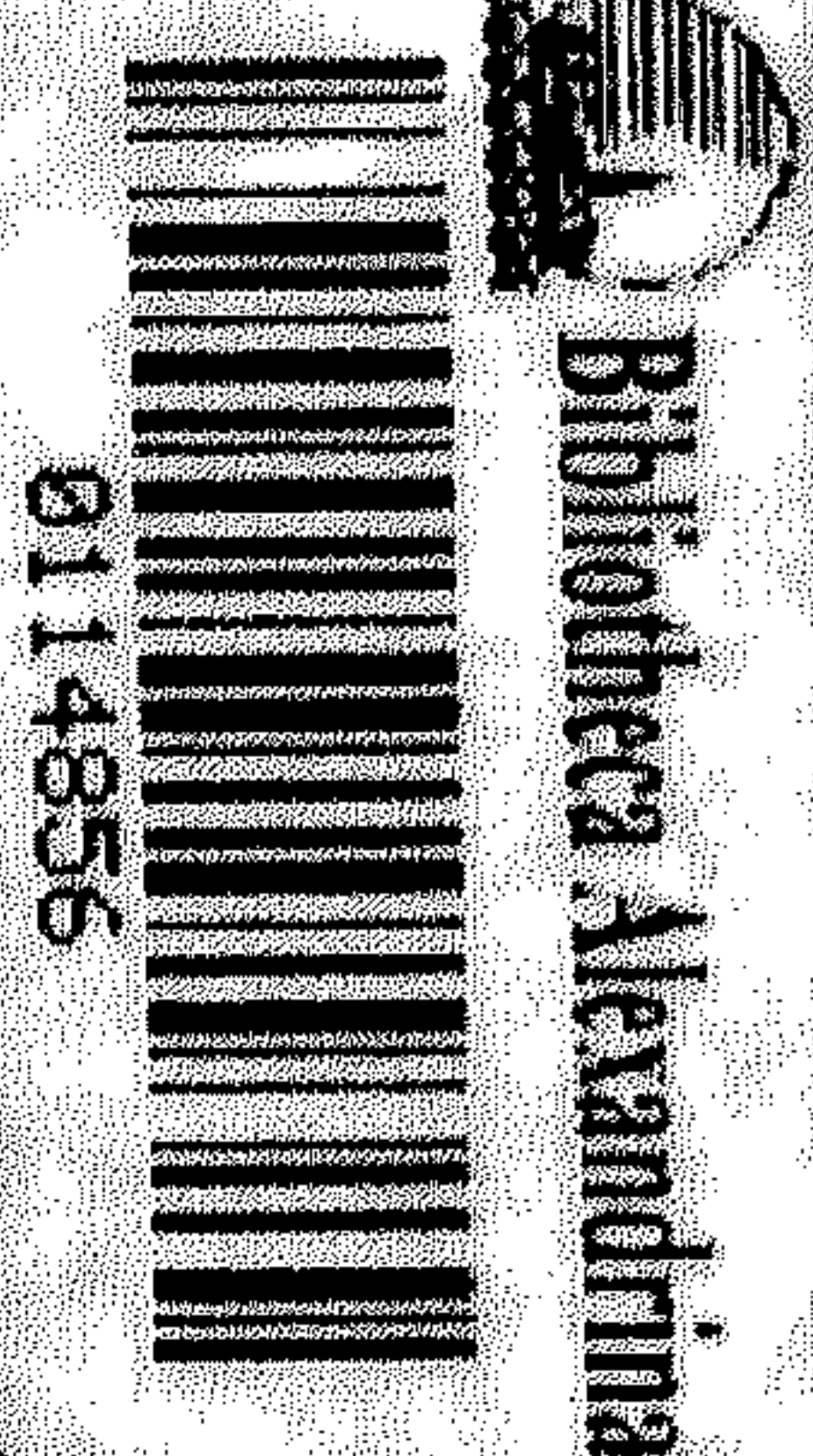
تأليف

أبي الفرج بن محمد البغدادي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ



مكتبة النور الاسلامي
الاسماعيلية. ١١ / ٢٤٥٠ / ٦٤



تَالِيسُ ابْلِيسُ

تأليف

أبي الفرج بن الحزري البغدادي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى سلم ميزان العدل إلى أكف ذوى الألباب . وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين بالثواب والعقاب . وأنزل عليهم الكتب مبيّنة للخطأ والصواب وجعل الشرائع كاملة لا نقص فيها ولا عاب . أحمدُهُ حمدَ من يعلمُ أنه مسبب الأسباب . وأشهد بوحدانيته شهادةً مخلص في نيته غير مرتاب . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله ، وقد سدّل الكفر على وجه الإيمان الحجاب . فنسخ الظلام بنور الهدى وكشف النقاب . وبيّن للناس ما أنزل إليهم ، وأوضح مشكلات الكتاب . وتركهم على المحجة البيضاء لا سرب فيها ولا سرايب . فصلى الله عليه وعلى جميع الآل وكل الأصحاب . وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الحشر والحساب . وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد: فإن أعظم النعم على الإنسان العقل ، لأنه الآلة فى معرفة الإله سبحانه والسبب الذى يتوصل به إلى تصديق الرسل ، إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد ، بعثت الرسل وأنزلت الكتب ، فمثال الشرع الشمس ، ومثال العقل العين ، فإذا فتحت وكانت سليمة رأت الشمس . ولما ثبت عند العقل أقوال الأنبياء الصادقة بدلائل المعجزات الخارقة ، سلم إليهم واعتمد فيما يخفى عنه عليهم .

ولما أنعم الله على هذا العالم الإنسى بالعقل افتحه الله ببوة أبيهم آدم - عليه السلام - فكان يعلمهم عن وحى الله عز وجل فكانوا على الصواب إلى أن انفرض قابيل بهواه فقتل أخاه ثم تشعبت الأهواء بالناس فشردتهم فى بيداء الضلال حتى عبدوا الأصنام واختلّفوا فى العقائد والأفعال ، اختلافًا خالفوا فيه الرسل والعقول اتباعاً لأهوائهم ، وميلاً إلى عاداتهم ، وتقليداً لكبرائهم ، فصدق عليهم إبليسُ ظنهُ فأتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين .



فصل

واعلم أن الانبياء جاءوا بالبيان الكافي، قابلوا الأمراض بالدواء الشافي، وتوافقوا على منهاج لم يختلف. فأقبل الشيطان يخلط بالبيان شبهاً، وبالذواء سماً، وبالسبيل الواضح جرماً مضللاً، وما زال يلعب بالعقول إلا أن فرق الجاهلية في مذاهب سخيفة، وبدع قبيحة، فأصبحوا يعبدون الأصنام في البيت الحرام، ويحرمون السائبة والبحيرة والوصيلة والحام. ويرون وأد البنات ويمنعونهن الميراث، إلى غير ذلك من الضلال الذي سوله لهم إبليس. فابتعث الله سبحانه وتعالى محمداً ﷺ، فرفع المقابح، وشرع المصالح. فسار أصحابه معه وبعده في ضوء نوره، سالمين من العدو وغروره. فما انسلخ نهار وجودهم. أقبلت أغباش الظلمات، فعادت الأهواء تنشئ بدعاً، وتضيق سبيلاً ما زال متسعاً، ففرق الأكثرون دينهم وكانوا شيعاً، ونهض إبليس يلبس ويزخرف ويفرق ويؤلف وإنما يصح له التلصص في ليل الجهل. فلو قد طلع عليه صبح العلم افتضح.

قرأت أن أحذر من مكايده، وأدل على مصايده. فإن في تعريف الشر تحذيراً عن الوقوع فيه. ففي الصحيحين في حديث حذيفة قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر. مخافة أن يدركني وقد أخبرنا أبو البركات سعد الله ابن علي البزاز قال أخبرنا أحمد ابن علي الطريثي قال أخبرنا هبة الله بن حسن الطبري قال أخبرنا محمد بن أحمد بن سهل قال محمد بن أحمد بن الحسن قال حدثنا بشر بن موسى قال حدثنا عبيد بن يعيش قال حدثنا يونس بن بكير قال حدثنا محمد بن إسحق عن الحسن أو الحسين بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: والله ما أظن علي ظهر الأرض اليوم أحداً أحب إلى الشيطان هلاكاً مني. فقيل وكيف؟ فقال: والله إنه ليحدث البدعة في مشرق أو مغرب فيحملها الرجل إلى فإذا انتهت إلى قمعتها بالسنة فترد عليه كما أخرجها.

فصل

وقد وضعت هذا الكتاب محذراً من فتنة، ومخوفاً من محنة، وكاشفاً عن مستوره، وفاضحاً له في خفى غروره. والله المعين بجوده. كل صادق في مقصوده.

وقد قسمته ثلاثة عشر باباً ينكشف بمجموعها تليسه، ويتبين للفظن بفهمها تدليسه، فمن انتهض عزمه للعمل بها ضج منه إبليسه. والله موفقى فيما قصدت، وملهمى للصواب فيما أردت.

. . .

الباب الأول

الأمر بلزوم السنة والجماعة

أخبرنا هبة الله بن محمدنا الحسن بن علي التيمي نا أحمد بن جعفر بن حمدان ثنا عبد الله بن أحمد حدثني أبي عن ابن إسحق نا ابن المبارك ثنا محمد بن سوقة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما خطب بالجابية فقال: قام فينا رسول الله ﷺ فقال: «من أراد منكم بحبوحه الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد» أخبرنا أحمد وحدثنا جرير عن عبد الملك ابن عمير عن جابر ابن سمرة، قال: خطب عمر الناس بالجابية، فقال إن رسول الله ﷺ قام فى مثل مقامى هذا، فقال «من أحب منكم أن ينال بحبوحه الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد» قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح. أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ ويحيى على المدينى نا أبو محمد الصريفينى نا أبو بكر محمد بن الحسن بن عبدان ثنا أبو محمد ابن صاعد ثنا سعيد بن يحيى الأموى ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبى النجود عن زر عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أراد بحبوحه الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد» حدثنا عبد الأول بن عيسى نا أبو القصارين يحيى ثنا أبو الحسن على بن عبد العزيز أنبأنا أبو عبيد نا النضر بن اسماعيل عن محمد بن سوقة عن عبد الله بن دينار عن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يسكن بحبوحه الجنة فليلزم الجماعة. فإن الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد» أخبرنا عبد الأول نا أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الفارسى نا عبد الرحمن ابن أبى شريح ثنا ابن صاعد ثنا إبراهيم بن سعد الجوهري ثنا أبو معاوية عن يزيد بن مردان بن عمار عن زياد ابن علاقة عن عرجفة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يد الله مع الجماعة، والشيطان من يخالف الجماعة». أخبرنا محمد بن عمر الأرموى والحسين بن على المقرئ نا عبد

الصمد بن المأمون نا علي بن عمر الدارقطني ثنا أبو جعفر أحمد بن إسحق بن البهلول حدثني أبي ثنا محمد بن يعلى ثنا سلمان العامري عن الشيباني عن زياد بن علاقة عن أسامة ابن شريك، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يد الله مع الجماعة، فإذا شد الشاذ منهم اختطفته الشياطين كما يختطف الذئب الشاة من الغنم. أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد حدثني أبي أنبأنا أسود بن عامر ثنا أبو بكر عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله، قال: خط رسول الله ﷺ خطأ بيده، ثم قال: هذا سبيل الله مستقيماً. قال ثم خط عن يمينه وشماله ثم قال: هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ «وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل. وبالإسناد قال أحمد وثنا روح ثنا سعيد عن قتادة قال ثنا العلاء بن زياد عن معاذ بن جبل رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم، يأخذ الشاة القاصية والناحية، فأياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعمامة والمسجد. حدثنا أحمد ثنا أبو اليمان ثنا ابن عياش عن أبي البحتري بن عبيد ابن سليمان عن أبيه عن أبي ذر عن النبي ﷺ أنه قال: «اثنان خير من واحد، وثلاثة خير من اثنين، وأربعة خير من ثلاثة. فعليكم بالجماعة فإن الله عز وجل لم يجمع أمتي إلا على الهدى».

أخبرنا عبد الملك بن القاسم الكروخي قال أخبرنا أبو عامر الأزدي وأبو بكر العروجي قالا أخبرنا الحراجي قال أخبرنا المحبوبي ثنا الترمذي ثنا محمود بن غيلان ثنا أبو داود الحفري عن سفیان عن عبد الرحمن بن زياد الإفريقي عن عبد الله بن يزيد عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على أمتي كما أتى على بنى إسرائيل، حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية، لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بنى إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال ما أنا عليه وأصحابي. قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه. وروى أبو داود في سننه من حديث معاوية بن أبي

سفيان، أنه قام فقال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة وهي الجماعة وإنه سيخرج من أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه .

أخبرنا أبو البركات بن علي البزار نا أحمد بن علي الطريثي نا هبة الله ابن الحسين الحافظ نا محمد بن الحسين الفارسي نا يوسف بن يعقوب بن إسحق ثنا العلاء بن سالم ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش بن مالك بن الحارث عن عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله، قال: الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة. أخبرنا عبد الوهاب ابن المبارك نا أحمد ابن الحداد نا أبو نعيم الحافظ ثنا محمد بن أحمد بن الحسين ثنا بشر بن موسى ثنا محمد بن سعيد ثنا ابن المبارك عن الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب، قال: عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ليس من عبد على سبيل وسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار. وإن اقتصاداً في سبيل وسنة، خير من اجتهاد في إخلاف. أخبرنا سعد الله ابن علي نا الطريثي نا هبة الله بن الحسين نا عبد الواحد بن عبد العزيز نا محمد ابن أحمد الشرقى ثنا عثمان ابن أيوب إسحق بن إبراهيم المروزي. قال ثنا أبو إسحاق الأقرع قال: سمعت الحسن بن أبي جعفر يذكر عن أبي الصهباء عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: النظر إلى الرجل من أهل السنة يدعو إلى السنة وينهى عن البدعة عبادة. أخبرنا محمد بن أبي القاسم قال: نا أحمد بن أحمد أبو نعيم الأصب هانى ثنا محمد بن أحمد بن الحسن ثنا بشر ابن موسى ثنا الحميدى قال أنبأنا سفيان ابن عيينة، قال: سمعت عاصماً الأحول يحدث عن أبي العالية، قال: عليكم بالأمر الأول الذي كانوا عليه قبل أن يفترقوا - قال عاصم فحدثت به الحسن، فقال: قد نصحك والله صدقك .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا أحمد بن أحمد قال نا أحمد بن عبد الله الحافظ أنبأنا محمد بن أحمد بن الحسن أنبأنا بشر بن موسى نا معاوية بن

عمرو أبو إسحاق الفزاري . قال : قال الأوزاعي « اصبر نفسك على السنة »
وقف حيث وقف القوم ، وقل بما قالوا ما ، وكف عما كفوا عنه ، واسلك
سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم . أخبرنا محمد بن أبي القاسم
نا أحمد بن أحمد نا أحمد بن عبد الله الحافظ أنبأنا محمد بن عبد الله بن
أسلم أنبأنا محمد بن منصور الهروي ثنا عبد الله بن عروة ، قال سمعت
يوسف بن موسى القطان يحدث عن الأوزاعي ، قال : رأيت رب العزة في
المنام ، فقال لي يا عبد الرحمن ، أنت الذي تأمر بالمعروف وتنهى عن
المنكر ، فقلت : بفضلك يا رب . وقلت يا رب أمتني على الإسلام ، فقال :
وعلى السنة . أخبرنا محمد ابن أبي القاسم أنبأنا أحمد بن أحمد نا أحمد
ابن عبد الله الحافظ ثنا إبراهيم بن أبي عبد الله ثنا محمد بن إسحاق
سمعت أبا همام السكوني يقول : حدثني أبي قال : سمعت سفيان يقول :
لا يقبل قول إلا بعمل ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية ، ولا يستقيم قول
وعمل ونية إلا بموافقة السنة . أخبرنا محمد نا أحمد نا أبو نعيم أنبأنا
محمد ابن علي ثنا عمرو بن عبدوية ثنا أحمد بن إسحاق ثنا عبد الرحمن
ابن عفان قال ثنا يوسف بن أسباط . قال قال سفيان : يا يوسف إذا بلغك
عن رجل بالمشرق أنه صاحب سنة فابعث إليه بالسلام ، وإذا بلغك عن
آخر بالمغرب أنه صاحب سنة فابعث إليه بالسلام . فقد قل أهل السنة
والجماعة . أخبرنا سعد الله بن علي نا أحمد بن علي الطريثي نا هبة الله
ابن الحسين الطبري نا محمد بن عبد الرحمن نا البغوي نا محمد بن زياد
البلدي ثنا أبو أسامة عن حماد بن يزيد قال أيوب : إني لأخبر بموت
الرجل من أهل السنة فكأنى أفقد بعض أعضائي . وبه قال الطبري وأخبرنا
الحسين بن أحمد ثنا عبد الله اليزدجردي ثنا عبد الله بن وهب ثنا إسماعيل
ابن أبي خالد قال ثنا أيوب بن سويد عن عبد الله بن شوذب عن أيوب .
قال : قال : إن من سعادة الحدث والأعجمي أن يوفقهما الله تعالى لعالم
من أهل السنة .

قال الطبري وأخبرنا أحمد بن محمد بن حنون ثنا جعفر بن محمد بن
نضير ثنا أحمد بن محمد بن مسروق ثنا محمد بن هارون أبو نشيط ثنا أبو

عمير بن النحاس ثنا ضمرة عن ابن شوذب. قال: إن من نعمة الله على الشاب إذا نسك، أن يؤاخي صاحب سنة يحمله عليها. قال الطبري وأخبرنا عيسى بن علي ثنا البغوي ثنا محمد ابن هارون ثنا سعيد بن شبيب، قال: سمعت يوسف بن أسباط، يقول: كان أبي قدريا وأخوالى روافض فأنقذنى الله بسفيان. قال الطبري وأخبرنا أحمد بن محمد بن حفص نا عبد الله عدى ثنى أحمد بن العباس الهاشمى ثنا محمد بن عبد الأعلى. قال: سمعت معتمر بن سليمان يقول: دخلت على أبى وأنا منكسر فقال لى مالك ؟ قلت مات صديق لى فقال: مات على السنة ؟ قلت: نعم ! قال تحزن عليه. قال الطبري وأخبرنا أحمد بن عبد الله نا محمد بن الحسين ثنا أحمد بن زهير ثنا يعقوب بن كعب ثنا عبدة ثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان الثوري، قال: « استوصوا بأهل السنة خيراً، فإنهم غرباء ». أخبرنا أبو منصور ابن حيرون نا إسماعيل بن أبى الفضل الإسماعيلى نا حمزة بن يوسف السهمى نا عبد الله بن على الحافظ نا أبو عوانة ثنا جعفر ابن عبدالواحد قال: قال لنا ابن أبى بكر بن عياش: السنة فى الإسلام، أعز من الإسلام فى سائر الأديان .

سمعت أبا عبد الله الحسين بن على المقرئ يقول: سمعت أبا محمد عبد الله ابن عطاء يقول: سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الاسكندراني يقول: سمعت أبا منصور محمد الأزدي يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن محمد بن فراشة يقول: سمعت أحمد بن منصور يقول: سمعت الحسن بن محمد الطبري يقول: سمعت محمد ابن المغيرة يقول: سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: سمعت الشافعى يقول: إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث، فكأنى رأيت رجلاً من أصحاب النبى ﷺ . أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا أحمد أبو نعيم أخبرنى جعفر الخلدى فى كتابه، قال سمعت الجنيد يقول: الطرق كلها مسدودة على الخلق، إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ واتبع سنته ولزم طريقته، فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه . أخبرنا عمر بن ظفر نا جعفر ابن محمد نا عبد العزيز بن على الأرجى نا على بن عبد الله بن جهضم نا محمد بن حبان، قال:

سمعت حامد بن إبراهيم يقول قال الجنيد بن محمد: الطريق إلى الله عز وجل مسدودة على خلق الله تعالى، إلا على المقتفين آثار رسول الله ﷺ والتابعين لسننه. كما قال الله عز وجل: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة».

....

الباب الثاني

في ذم البدع والمبتدعين

أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين الشيباني قال: أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن المذهب نا أبو بكر أحمد بن حمدان نا أبو عبد الله بن حنبل قال: أخبرني أبي ثنا يزيد عن إبراهيم بن سعد أخبرني أبي وأخبرنا أبو غالب محمد بن الحسن الماوردي وأبو سعد البغدادي قالانا نا المطهر بن عبد الواحد نا أبو جعفر أحمد بن محمد المرزيان نا محمد بن إبراهيم الحروري ثنا لوين ثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن القاسم بن محمد عن عائشة رضی الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « من أحدث في أمرنا ما ليس فيه فهو رد » أخبرنا موهوب بن أحمد نا علي ابن أحمد البصري ثنا محمد ابن عبد الرحمن المخلص ثنا عبد الله بن محمد البغوي ثنا أحمد بن إبراهيم الموصلي وإسحاق بن إبراهيم المروري قالانا ثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن القاسم بن محمد عن عائشة. قالت: قال رسول الله ﷺ: « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » قال البغوي وحدثنا عبد الأعلى بن حماد ثنا عبد العزيز عن عبد الواحد بن أبي عون عن سعد ابن إبراهيم عن القاسم عن عائشة رضی الله عنها. أن النبي ﷺ قال: « من فعل أمراً ليس عليه أمرنا فهو رد » أخرجاه في الصحيحين. أخبرنا هبة الله ابن محمد نا الحسين ابن علي نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبي ثنا هشيم عن حصين بن عبد الرحمن ومغيرة الضبي عن مجاهد عن عبد الله ابن عمر عن النبي ﷺ، أنه قال: « من رغب عن سنتي فليس مني ». انفرد بإخراجه البخاري. أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر نا عبد الله ابن أحمد حدثني أبي ثنا الوليد بن مسلم ثنا ثور بن يزيد ثنا خالد بن معدان حدثني عبد الرحمن ابن عمرو السلمى وحجر بن حجر. قالانا: أتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه ﴿ ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه ﴾. فسلمنا وقلنا أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين.

فقال عرباض: صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلّت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا، فقال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدا حبشياً، فإنه من يعش بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة». قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر ابن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبي ثنا عبد الله بن الوليد ثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل وعن ابن مسعود، قال قال رسول الله ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض، وليختلجن رجال دوني، فأقول يا رب أصحابي، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» أخرجاه في الصحيحين. أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا أحمد ابن محمد نا أبو نعيم ثنا أحمد بن إسحاق شيئاً عبد الله بن سليمان ثنا محمد بن يحيى ثنا محمد بن كثير عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن عبد الله بن محرر قال: يذهب الدين سنة سنة كما يذهب الحبل قوة قوة. أخبرنا إسماعيل بن أحمد نا عمر بن عبد الله البقال نا أبو الحسين بن بشر نا ثنا عثمان بن أحمد الدقاق ثنا حنبل قال: حدثني أبو عبد الله يعني أحمد بن حنبل ثنا عبد الرزاق ثنا معمر. قال. كان طاوس جالساً وعنده ابنه. فجاء رجل من المعتزلة فتكلم في شيء فأدخل طاوس إصبعيه في أذنيه. وقال: يا بني ادخل أصبعك في أذنك حتى لا تسمع من قوله شيئاً فإن هذا القلب ضعيف. ثم قال: أي بني أسدد فما زال يقول أسدد حتى قام الآخر. قال حنبل وحدثنا محمد بن داود ثنا عيسى بن علي الضبي. قال: كان رجل معنا يختلف إلى إبراهيم. فبلغ إبراهيم أنه قد دخل في الإرجاء فقال له إبراهيم إذا قمت من عندنا فلا تعد. قال حنبل وحدثنا محمد بن داود الحدائي، قال: قلت لفيان بن عيينة: إن هذا يتكلم في القدر - يعني إبراهيم بن أبي يحيى - فقال سفيان: عرفوا الناس أمره وسلوا الله لي العافية. قال حنبل وحدثنا سعدوية ثنا صالح المري. قال: دخل رجل

على ابن سيرين وأنا شاهد، ففتح باباً من أبواب القدر فتكلم فيه . فقال
ابن سيرين: إما أن تقوم وإما أن تقوم . أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن
عبد الباقي قالوا نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا عبد الله بن محمد
بن جعفر ثنا أبو بكر بن راشد ثنا إبراهيم بن سعيد ابن عامر عن سلام بن
أبي مطيع . قال: قال رجل من أهل الأهواء لأيوب أكلمك بكلمة ؟ قال:
لا ولا نصف كلمة . قال ابن راشد وحدثنا أبو سعيد الأشج ثنا يحيى بن
يمان عن مخلد بن حسين عن هشام بن حسان عن أيوب السختياني قال:
ما ازداد صاحب بدعة اجتهاداً إلا ازداد من الله عز وجل بعداً . أخبرنا أبو
البركات بن علي البزاز نا الطريثي نا هبة الله بن الحصين نا عيسى بن
علي نا البغوي نا أبو سعيد الأشج نا يحيى بن اليمان قال سمعت سفيان
الثوري قال البدعة أحب إلى إبليس من المعصية . المعصية يثاب منها
والبدعة لا يثاب منها أخبرنا ابن أبي القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم
الحافظ ثنا سليمان بن أحمد ثنا الحسين بن علي ثنا محمود بن غيلان ثنا
مؤمل ابن اسماعيل . قال: مات عبد العزيز بن أبي داود وكنت في جنازته
حتى وضع عند باب الصفا فصف الناس وجاء الثوري . فقال الناس: جاء
الثوري - فجاء حتى خرق الصفوف والناس ينظرون إليه فجاوز الجنازة
ولم يصل عليه لأنه كان يرمى بالإرجاء . أخبرنا المبارك بن أحمد
الأنصاري نا عبد الله بن أحمد السمرقندي نا أحمد بن ثابت أحمد بن
روح النهرواني ثنا طلحة بن أحمد الصوفي ثنا محمد بن أحمد أبي
مهزول قال سمعت أحمد بن عبد الله يقول: سمعت شعيب بن حرب
يقول: سمعت سفيان الثوري يقول: من سمع من مبتدع لم ينفعه الله بما
سمع ومن صافحه فقد نقض الإسلام عروة عروة . أخبرنا محمد بن ناصر
نا أحمد بن أحمد نا أحمد بن عبد الله الأصفهاني ثنا اسماعيل بن أحمد
نا عبد الله بن محمد ثنا سعيد الكريري . قال: مرض سليمان التيمي فبكى
في مرضه بكاءً شديداً فقليل له ما يبكيك ؟ أتجزع من الموت ؟ قال: لا
ولكني مررت على قدرى فسلمت عليه فأخاف أن يحاسبني ربي عليه .
أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ويحيى بن علي قالوا: أخبرنا أبو محمد
الصريفيني نا أبو بكر بن عبدان نا محمد بن الحسين البائع ثنى أبي ثنا

محمد بن بكر قال: سمعت فضيل بن عياض يقول: من جلس إلى صاحب بدعة فاحذروه. أخبرنا ابن عبد الباقي نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم ثنا سليمان بن أحمد ثنا محمد بن النضر عبد الصمد ثنا عبد الصمد ابن يزيد، قال: سمعت فضيل بن عياض يقول: من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه. أخبرنا محمد ابن عبد الباقي نا أحمد بن عبد الله الحافظ نا محمد بن علي ثنا عبد الصمد. قال سمعت الفضيل بن عياض يقول: إذا رأيت مبدعاً في طريق فخذ في طريق آخر. ولا يرفع لصاحب البدعة إلى الله عز وجل عمل، ومن أعان صاحب بدعة فقد أعان علي هدم الإسلام. وسمعت رجلاً يقول للفضيل من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها ومن جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة، وإذا علم الله عز وجل من رجل أنه مبغض لصاحب بدعة رجوت أن يغفر الله له سيئاته.

قال المصنف: وقد روى بعض هذا الكلام مرفوعاً وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: «من قر صاحب بدعة فقد أعان علي هدم الإسلام». وقال محمد بن النضر الحارثي: من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة نزعته منه العصمة ووكل إلى نفسه. وقال إبراهيم سمعت أبا جعفر محمد بن عبد الله القابني يقول: سمعت علي بن عيسى يقول: سمعت محمد بن إسحاق يقول: سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: قال صاحبنا - يعني الليث بن سعد - لو رأيت صاحب بدعة يمشي على الماء ما قبلته. فقال الشافعي: إنه ما قصر لو رأته يمشي على الهواء ما قبلته. وعن بشر بن الحارث أنه قال: جاء موت هذا الذي يقال له المريسي وأنا في السوق فلولا أن الموضع ليس موضع سجود لسجدت شكراً - الحمد لله الذي أماته. هكذا قولوا.

قال المصنف: حدثت عن أبي بكر الخلال عن المروزي عن محمد بن سهل البخاري قال: كنا عند القرباني فجعل يذكر أهل البدع فقال له رجل لو حدثنا كان أعجب إلينا فغضب وقال كلامي في أهل البدع أحب إلي من عبادة ستين سنة.

فصل

فإن قال قائل قد مدحت السنة وذمت البدعة، فما السنة وما البدعة
فإننا نرى أن كل مبتدع في زعمنا يزعم أنه من أهل السنة.

(فالجواب) أن السنة في اللغة الطريق. ولأربب في أن أهل النقل والأثر
المتبعين آثار رسول الله ﷺ وآثار أصحابه هم أهل السنة لأنهم على
تلك الطريق التي لم يحدث فيها حادث: وإنما وقعت الحوادث والبدع بعد
رسول الله ﷺ وأصحابه.

والبدعة: عبارة عن فعل لم يكن فابتدع والأغلب في المبتدعات أنها
تصادم الشريعة بالمخالفة وتوجب التعاطي عليها بزيادة أو نقصان. فإن
ابتدع شيء لا يخالف الشريعة ولا يوجب التعاطي عليها فقد كان جمهور
السلف يكرهونه وكانوا ينفرون من كل مبتدع وإن كان جائزاً حفظاً للأصل
وهو الاتباع. وقد قال زيد بن ثابت لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما،
حين قالوا له أجمع القرآن: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟
وأخبرنا محمد بن علي بن أبي عمر قال أخبرنا علي بن الحسين ابن شاذان
نا أبو سهل نا أحمد البرني ثنا أبو حذيفة ثنا سفيان عن ابن عجلان عن
عبد الله بن أبي سلمة، أن سعد بن مالك سمع رجلاً يقول: لبيك ذا
المعارج. فقال: ما كنا نقول هذا على عهد رسول الله ﷺ. وأخبرنا
محمد بن أبي القاسم بإسناد يرفعه إلى أبي البحتري. قال: أخبر رجل
عبد الله بن مسعود أن قوماً يجلسون في المسجد بعد المغرب فيهم رجل
يقول كبروا الله كذا وكذا. وسبحوا الله كذا وكذا. واحمدوا الله كذا
وكذا. قال عبد الله: فإذا رأيتمهم فعلوا ذلك فأتني فأخبرني بمجلسهم
فأتاهم فجلس فلما سمع ما يقولون قام فأتى ابن مسعود فجاء. وكان
رجلاً حديداً. فقال: أنا عبد الله بن مسعود والله الذي لا إله غيره لقد
جئتم ببدعة ظلماً ولقد فضلتهم أصحاب محمد ﷺ علماً. فقال عمرو
بن عتبة: استغفر الله. فقال عليكم بالطريق فالزموه ولئن أخذتم يميناً
وشمالاً لتضلن ضلالاً بعيداً أنبأنا أبو بكر ابن أبي طاهر عن أبي محمد
الجوهري عن أبي عمر بن أبي حياة ثنا أحمد بن معروف ثنا الحسين بن

فهم ثنا محمد بن سعد ثنا محمد بن عبدالله الأنصاري ثنا ابن عوف، قال: كنا عند إبراهيم النخعي فجاء رجل فقال: يا أبا عمران ادع الله أن يشفيني فرأيت أنه كرهه كراهية شديدة حتى عرفنا كراهية ذلك في وجهه. وذكر إبراهيم السنة فرغب فيها وذكر ما أحدثه الناس فكرهه. وقال فيه: أخبرنا المحمدان: ابن ناصر، وابن عبد الباقي نا أحمد نا أبو نعيم سمعت محمد ابن إبراهيم يقول: سمعت محمد بن ريان يقول: سمعت ذا النون - وجاءه أصحاب الحديث فسألوه عن الخطرات والوساوس - فقال: أنا لا أتكلم في شيء من هذا فإن هذا محدث، سلوني عن شيء في الصلاة أو الحديث. ورأى ذو النون على خفاً أحمر فقال: انزعها يا بني فإنه شهرة، ما لبسه رسول الله ﷺ، إنما لبس خفين أسودين ساذجين.

فصل

قال الشيخ أبر الفرج رحمه الله. قد بينا أن القوم كانوا يتحذرون من كل بدعة وإن لم يكن بها بأس لئلا يحدثوا ما لم يكن وقد جرت محدثات لا تصادم الشريعة ولا يتعاطى عليها فلم يروا بفعلها بأساً كما روى أن الناس كانوا يصلون في رمضان وحدانا وكان الرجل يصلي فيصلى بصلاته الجماعة فجمعهم عمر ابن الخطاب على أبي بن كعب رضى الله عنهما فلما خرج فرأهم قال: نعمت البدعة هذه لأن صلاة الجماعة مشرعة. وإنما قال الحسن في القصص: نعمت البدعة، كم من أخ يستفاد، ودعوة مستجابة. لأن الوعظ مشروع ومتى أسند المحدث إلى أصل مشروع لم يذم. فأما إذا كانت البدعة كالتمم فقد اعتقد نقص الشريعة. وإن كانت مضادة فهي أعظم. فقد بان بما ذكرنا أن أهل السنة هم المتبعون وأن أهل البدعة هم المظهرون شيئاً لم يكن قبل ولا مستند له ولهذا استتروا ببدعتهم. ولم يكتف أهل السنة مذهبهم فكلمتهم ظاهرة ومذهبهم مشهور والعاقبة لهم. أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن ابن على التميمي نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد قال ثنى أبي ثنا يعلى ابن عبيد ثنا اسماعيل عن قيس عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يزال ناس من أمتي ظاهرين حتى يأتهم

أمر الله وهم ظاهرون « فى الصحيحين . أخبرنا هبة الله الحسن بن على نا ابن ملك ثنا عبد اللع بن أحمد ثنى أبى قال ثنا يوسف ثنا حماد ابن يزيد عن أيوب عن أبى قلابة عن أبى أسماء عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك » انفرد به مسلم . وقد روى هذا المعنى عن النبى ﷺ معاوية وجابر بن عبد الله وقره أخبرنا الكروخى نا النورجى والأردى قالا نا الحراجى ثنا المحبوى ثنا الترمذى قال: قال محمد بن اسماعيل، قال على بن المدينى: هم أصحاب الحديث .

فصل

فى بيان انقسام أهل البدع

أخبرنا عبد الملك الكروخى نا أبو عامر الأزدي وأبو بكر النورجى قالا نا الحراجى ثنا المحبوى ثنا الترمذى ثنا الحسين بن حريث ثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: « تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو ثنتين وسبعين، والنصارى مثل ذلك وتفرقت أمتى على ثلاث وسبعين فرقة » قال الترمذى: هذا حديث صحيح .

قال المصنف: وقد ذكرنا هذا الحديث فى الباب الذى قبله وفيه: كلهم فى النار إلا ملة واحدة، قالوا من هى يا رسول الله؟ قال ما أنا عليه وأصحابى. أخبرنا ابن الحسين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر نا عبد الله ابن أحمد قال: ثنى أبى ثنا حسن ابن لهيعة ثنا خالد بن يزيد عن سعيد ابن أبى هلال عن أنس ابن مالك رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: إن بنى إسرائيل تفرقت إحدى وسبعين فرقة فهلكت سبعون فرقة وخلصت فرقة واحدة. وإن أمتى ستفترق على اثنين وسبعين فرقة، يهلك إحدى وسبعون وتخلص فرقة. قالوا يا رسول الله. ما تلك الفرقة؟ قال الجماعة. قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله: فإن قيل، وهل هذه الفرق معروفة؟ فالجواب، إنا نعرف الافتراق وأصول الفرق وإن كل طائفة من الفرق قد انقسمت إلى فرق وإن لم نحط بأسماء تلك الفرق ومذاهبها،

وقد ظهر لنا من أصول الفرق الحزبية والقدرية، والجهمية، والمرجئة، والرافضة، والجبرية: وقد قال بعض أهل العلم: أصل الفرق الضالة هذه الفرق الست، وقد انقسمت كل فرقة منها على اثنتي عشرة فرقة، فصارت اثنتين وسبعين فرقة .

وانقسمت الحزبية: اثنتي عشرة فرقة: فأولهم الأزرقية قالوا: لانعلم أحداً مؤمناً وكفروا أهل القبلة إلا من دان بقولهم والأباضية قالوا: من أخذ بقولنا فهو مؤمن، ومن أعرض عنه فهو منافق والشعلبية قالوا: إن الله لم يقض ولم يقدر، والحازمية قالوا: ما ندرى ما الإيمان، والخلق كلهم معذورون، والخلفية زعموا أن من ترك الجهاد من ذكر أو أنثى فقد كفر. والمكرمية قالوا: ليس لأحد أن يمس أحد لأنه لا يعرف الطاهر من النجس، ولا أن يؤاكله حتى يتوب ويغتسل، والكنزية قالوا: لا ينبغي لأحد أن يعطى ماله أحداً لأنه ربما لم يكن مستحقاً بل يكتزه في الأرض حتى يظهر أهل الحق، والشمرانية قالوا: لا بأس بمس النساء الأجانب لأنهن رياحين، والأخنسية قالوا: لا يلحق الميت بعد موته خير ولا شر والمحكمية قالوا: إن من حاكم إلى مخلوق فهو كافر، والمعتزلة من الحزبية قالوا: اشتبه علينا أمر على ومعاوية فنحن نتبرأ من الفريقين، والميمونية قالوا: لا إمام إلا برضا أهل محبتنا .

وانقسمت القدرية: اثنتي عشرة فرقة: الأحمرية وهي التي زعمت أن شرط العدل من الله أن يملك عباده أمورهم ويحول بينهم وبين معاصيهم، والثنوية وهي التي زعمت أن الخير من الله والشر من إبليس، والمعتزلة هم الذين قالوا بخلق القرآن وجحدوا الرؤية، والكيسانية هم الذين قالوا لا ندرى هذه الأفعال من الله أم من العباد ولا نعلم أيثاب الناس بعد الموت أو يعاقبون، والشيطانية قالوا إن الله لم يخلق شيطاناً، والشريكية قالوا إن السيئات كلها مقدره إلا الكفر، والوهمية قالوا: ليس لأفعال الخلق وكلامهم ذات ولا للحسنة والسيئة ذات، والراوندية قالوا: كل كتاب أنزل من الله فالعمل به حق ناسخاً كان أو منسوخاً، والبترية زعموا أن من عصى ثم تاب لم تقبل توبته، والناكثية زعموا أن من نكث ببيعة رسول الله

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلا إثم عليه والقاسطية فضلوا طلب الدنيا على الزهد فيها
والنظامية تبعوا إبراهيم النظام في قوله من زعم أن الله شيء فهو كافر.
وانقسمت الجهمية: اثنتى عشرة فرقة: المعطلة زعموا أن كل ما ية
عليه وهم الإنسان فهو مخلوق، ومن ادعى أن الله يرى فهو كافر
والمريسية قالوا: أكثر صفات الله مخلوقة، والملتزمة جعلوا البارى سبحا
وتعالى في كل مكان. والواردية قالوا: لا يدخل النار من عرف ربه وم
دخلها لم يخرج منها أبداً، والزنادقة قالوا: ليس لأحد أن يثبت لنفسه ر
لأن الإثبات لا يكون إلا بعد إدراك الحواس وما يدرك فليس بإله وما ا
يدرك، لا يثبت والحرقية زعموا أن الكافر تحرقه النار مرة واحدة ثم يبقو
محترقاً أبداً لا يجد حر النار، والمخلوقية زعموا أن القرآن مخلوق
والفانية زعموا أن الجنة والنار تفتيان، ومنهم من قال أنهما لا تخلو
والمغيرية جحدوا الرسل فقالوا إنما هم حكام، والواقفية قالوا: لا نقول إلا
القرآن مخلوق ولا غير مخلوق، والقبرية ينكرون عذاب القبر والشفاعة.
واللفظية قالوا لفظنا بالقرآن مخلوق.

وانقسمت المرجئة: اثنتى عشرة فرقة: التاركية قالوا: ليس لله عز وجل
على خلقه فريضة سوى الإيمان به فمن آمن به وعرفه فليفعل ما شاء،
والسائبية قالوا: إن الله تعالى سيب خلقه ليعملوا ما شاءوا، والراجيا
قالوا: لا نسمى الطائع طائعاً ولا العاص عاصياً لأننا لا ندرى ما له عند
الله، والشاكية قالوا: إن الطاعات ليست من الإيمان، والبيهسية قالوا:
الإيمان علم ومن لا يعلم الحق من الباطل والحلال من الحرام فهو كافر،
والمنقوصية قالوا: الإيمان لا يزيد ولا ينقص والمستثنية نفوا الاستثناء في
الإيمان، والمشبه يقولون لله بصر كبصرى ويد كيدى، والحشوية جعلو
حكم الأحاديث كلها واحداً فعندهم إن تارك النفل كتارك الفرص،
والظاهرية هم الذين نفوا القياس والبدعية أول من ابتدع الأحداث في هذه
الامة.

وانقسمت الرافضة: اثنتا عشرة فرقة العلوية قالوا: إن الرسالة كانت
إلى عليّ وإن جبريل أخطأ والأمرية قالوا إن علياً شريك محمد ﷺ في

أمره، والشيعية قالوا: إن علياً رضى الله عنه وصى رسول الله ﷺ ووليه من بعده وأن الأمة كفرت بمبايعة غيره، والإسحاقية قالوا: إن النبوة متصلة إلى يوم القيامة وكل من يعلم علم أهل البيت فهو نبي، وإن الناووسية قالوا: إن علياً أفضل الأمة فمن فضل غيره عليه فقد كفر، والأمامية قالوا: لا يمكن أن تكون الدنيا بغير إمام من ولد الحسين وإن الإمام يعلمه جبرائيل فإذا مات بدل مكانه مثله، واليزيدية قالوا: إن ولد الحسين كلهم أئمة في الصلوات فمتى وجد منهم أحد لم تجز الصلاة بخلف غيره برهم. وفاجرهم، والعباسية زعموا أن العباس كان أولى بالخلافة من غيره، والمتناسخة قالوا: إن الأرواح تتناسخ فمتى كان محسناً خرجت روحه فدخلت في خلق تسعد بعيشه، ومن كان مسيئاً دخلت روحه في خلق تشقى بعيشه، والرجعية زعموا أن علياً وأصحابه يرجعون إلى الدنيا وينتقمون من أعدائهم، واللاعنية الذين يلعنون عثمان وطلحة والزبير ومعاوية وأبا موسى وعائشة وغيرهم رضى الله عنهم، والمتربصة تشبهوا بزى النساك ونصبوا في كل عنصر رجلاً ينسبون الأمر إليه يزعمون أنه مهدي هذه الأمة فإذا مات نصبوا رجلاً آخر .

وانقسمت الجبرية: اثنتي عشرة فرقة منهم: المضطربة قالوا لا فعل لآدمي بل الله عز وجل يفعل الكل، والإفعالية قالوا: لنا أفعال ولكن لا استطاعة لنا فيها وإنما نحن كالبهائم نقاد بالحبل، والمفروغية قالوا: كل الأشياء قد خلقت والآن لا يخلق شيء، والنجارية زعمت أن الله يعذب الناس على فعله لا على فعلهم، والمتانية قالوا: عليك بما خطر بقلبك فافعل ما توسمت به الخير والكسبية قالوا: لا يكسب العبد ثواباً ولا عقاباً، والسابقية قالوا: من شاء فليعمل ومن شاء لا يعمل فإن السعيد لا تضره ذنوبه والشقى لا ينفعه بر، والحبية قالوا: من شرب كأس محبة الله عز وجل سقطت عنه الأركان والقيام بها، والخوفية قالوا: إن من أحب الله سبحانه وتعالى لم يسعه أن يخافه لأن الحبيب لا يخاف حبيبه والفكرية، قالوا: إن من ازداد علماً سقط عنه بقدر ذلك من العبادة، والخسية قالوا: الدنيا بين العبادسواء لا تفاضل بينهم فيما ورثهم أبوهم آدم، والمعية قالوا: منا الفعل ولنا الاستطاعة .

الباب الثالث

فى التحذير من فتن إبليس ومكايده

قال الشيخ أبو الفرج رحمة الله عليه : اعلم أن الأدمى لما خلق ركب فيه الهوى والشهوة ليجتلب بذلك ما ينفعه . ووضع فيه الغضب ليدفع به ما يؤذيه .

وأعطى العقل كالمؤدب يأمره بالعدل فيما يجتلب ويجتنب ، وخلق الشيطان محرصاً له على الإسراف فى اجتلابه واجتنابه ، فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذى قد أبان عداوته من زمن آدم عليه الصلاة والسلام وقد بذل عمره ونفسه فى فساد أحوال بنى آدم . قد أمر الله تعالى بالخذر مه فقال سبحانه وتعالى : ﴿ لا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدوٌ مبين إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ وقال تعالى ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ﴾ وقال تعالى : ﴿ ويريد الشيطان أن يضلكم ضلالاً بعيداً ﴾ وقال : ﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾ وقال تعالى : ﴿ إنه عدو مضل مبين ﴾ وقال : ﴿ إن الشيطان لكم عدوٌ فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ وقال تعالى : ﴿ ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ . وفى القرآن من هذا كثير .

فصل

قال الشيخ أبو الفرج رحمة الله : وينبغى أن تعلم أن إبليس الذى شغله التليس أول ما التبس عليه الأمر فأعرض عن النص الصريح على السجود فأخذ يفاضل بين الأصول فقال : ﴿ خلقتنى من نار وخلقته من طين ﴾ ثم أردف ذلك بالاعتراض على الملك الحكيم ، فقال . ﴿ رأيته هذا الذى كرمته على ﴾ والمعنى أخبرنى لم كرمته على ، غرر ذلك الاعتراض أن

الذى فعلته ليس بحكمة ثم أتبع تلك بالكبر فقال: ﴿أنا خير منه﴾ . ثم امتنع عن السجود فأهان نفسه التى أراد تعظيمها باللعنة والعقاب .

فمتى سول للإنسان أمراً فينبغى أن يحذر منه أشد الحذر وليقل له حين أمره إياه بالسوء إنما تريد بما تأمر به نصحى ببلوغى شهوتى . وكيف يتضح صواب النصيح للغير لمن لا ينصح نفسه ثم كيف أثق بنصيحة عدو فانصرف فما فى لقولك منفذ فلا يبقى إلا أنه يستعين بالنفس لأنه يحث على هواها فليستحضر العقل إلى بيت الفكر فى عواقب الذنب لعل مدد توفيق يبعث جند عزمته فيهن عسكر الهوى والنفس .

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك نا عاصم بن الحسن نا أبو عمر بن مهدى ثنا الحسين ابن اسماعيل ثنا زكريا بن يحيى ثنا شامة بن سوار ثنا المغيرة عن مطرف ابن الشخير عن عياض بن حمار قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس إن الله تعالى أمرنى أعلمكم ما جهلتم مما علمنى فى يومى هذا إن كل مال نحلته عبدى فهو له حلال، وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم فأتتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم، وأمرتهم أن لا يشركوا بى ما لم أنزل به سلطاناً، وإن الله تعالى نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب.

إخبرنا ابن الحصين قال: أخبرنا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله ابن أحمد ثنا أبى ثنا يحيى بن سعيد ثنا هشام ثنا قتادة عن مطرف عن عياض ابن حمار . أن النبى ﷺ خطب ذات يوم فقال فى خطبته: إن ربى - إلى آخر الحديث المتقدم .

أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبى ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن أبى سفيان عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجرى أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال فيدنيه أو قال فيلتزمه ويقول نعم أنت وبه قال أحمد وحدثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن أبى الزبير عن جابر رضى الله عنه يرفعه قال: إن إبليس قد يئس أن يعبد المصلون

ولكن فى التحريش بينهم قال المصنف: انفرد به البخارى والذى قبله مسلم وفى لفظ حديثه « قد آيس أن يعبه المصلون فى جزيرة العرب » .

أنبأنا اسماعيل السمرقندى نا عاصم بن الحسن نا ابن بشر نا ابن صفوان نا أبو بكر القرشى ثنى الحسين بن السكن ثنا المعلى بن أسد ثنى عدى بن أبى عمارة ثنا زياد النميرى عن أنس بن مالك رضى الله عنه يرفعه، قال إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فإن ذكر الله خنس . وإن نسى الله التقم قلبه .

أخبرنا محمد بن أبى منصور نا عبد القادر نا الحسن بن على التميمى نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبى ثنا عبد الرحمن عن حماد ابن سلمة عن عطاء ابن السائب عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود رضى الله عنه، قال: إن الشيطان طاف بأهل مجلس الذكر ليفتنهم فلم يستطع أن يفرق بينهم، فأتى حلقة يذكرون الدنيا فأغرى بينهم حتى اقتتلوا فقام أهل الذكر فحجزوا بينهم ففرقوا . قال عبد الله وحدثنى على بن مسلم ثنا سيار ثنا حبان الحريرى ثنا سويد القناوى عن قتاده رضى الله عنه قال: إن لإبليس شيطاناً يقال له قبقب يجمه أربعين سنة فإذا دخل الغلام فى هذا الطريق قال له دونك إنما كنت أجمك لمثل هذا أجلب عليه وافتنه

قال سيار: وحدثنا جعفر ثنا ثابت السنانى رضى الله عنه قال: بلغنا أن إبليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شئ، فقال يحيى: يا إبليس ما هذه المعاليق التى أرى عليك؟ قال: هذه الشهوات التى أصيد بهن ابن آدم، قال: فهل لى فيها من شئ، قال: ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وثقلناك عن الذكر، قال: فهل غير ذلك؟ قال: لا والله، قال لله على أن لا أملاً بطنى من طعام أبداً، قال إبليس: والله على أن لا أنصح مسلماً أبداً . قال عبد الله بن أحمد ثنا أبى ثنا وكيع ثنا الأعمش عن حثيمة عن الحارث بن قيس رضى الله عنه. قال: إذا أتاك الشيطان وأنت تصلى فقال إنك ترائى فزدها طولاً .

أنبأنا إسماعيل السمرقندى نا عاصم بن الحسن نا على بن محمد نا أبو على ابن صفوان نا أبو بكر بن عبيد نا عبد الرحمن بن يونس نا سفيان بن

عيينة . قال : سمع عمرو بن دينار عروة بن عامر سمع عبيد بن رفاعه
 يبلغ به النبي ﷺ يقول : كان راهب في بني إسرائيل فأخذ الشيطان
 جارية فخنقها وألقى في قلوب أهلها أن دواءها عند الراهب ، فأتى بها
 الراهب فأبى أن يقبلها فما زالوا به حتى قبلها فكانت عنده فاتاه الشيطان
 فسول له إيقاع الفعل بها فأحبها - ثم أتاه فقال له الآن تفتضح يأتيك
 أهلها فاقتلها فإن أتوك فقل ماتت ، فقتلها ودفنها ، فأتى الشيطان أهلها
 فوسوس لهم وألقى في قلوبهم أنه أحبها ثم قتلها ودفنها فاتاه أهلها
 يسألونه عنها ، فقال : ماتت فأخذوه فاتاه الشيطان . فقال : أنا الذي ضربتها
 وخنقتها وأنا الذي ألقى في قلوب أهلها وأنا الذي أوقعتك في هذا
 فأطعنى تنج ، اسجد لى سجدين ، فهو الذي قال عز وجل : ﴿ كمثل
 الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف
 الله رب العالمين ﴾ . وقد روى هذا الحديث على صفة أخرى عن
 وهب بن منبه رضى الله عنه : أن عابداً كان في بني إسرائيل وكان من
 أعبد أهل زمانه ، وكان في زمانه ثلاثة إخوة لهم أخت وكانت بكرأ ليس
 لهم أخت غيرها . فخرج البعث على ثلاثهم فلم يدروا عند من يخلفون
 أختهم ولا من يأمنون عليها ولا عند من يضعونها : قال : فأجمع رأيهم
 على أن يخلفوها عند عابد بني إسرائيل . وكان ثقة في أنفسهم ، فاتوه
 فسألوه أن يخلفوها عنده فتكون في كنفه وجواره إلى أن يرجعوا من
 غزاتهم فأبى ذلك وتعوذ بالله عز وجل منهم ومن أختهم قال : فلم يزالوا
 به حتى أطاعهم فقال أنزلوها في بيت حذاء صومعتي ، قال : فأنزلوها في
 ذلك البيت ثم انطلقوا وتركوها ، فمكثت في جوار ذلك العابد زماناً ينزل
 إليها بالطعام من صومعته فيضعه عند باب الصومعة ثم يغلق بابه ويصعد
 إلى صومعته ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من الطعام
 قال : فتلطف له الشيطان فلم يزل يرغبه في الخير ويعظم عليه خروج
 الجارية من بيتها نهاراً ويخوفه من أن يراها أحد فيعلقها فلو مشيت
 بطعامها حتى تضعه على باب بيتها كان أعظم لأجرك قال : فلم يزل به
 حتى مشى إليها بطعامها ووضعها على باب بيتها ولم يكلمها ، قال : فلبث
 على هذه الحالة زماناً . ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير والأجر وحضه

عليه، وقال: لو كنت تمشى إليها بطعامها حتى تضعه في بيتها كان أعظم لأجرك، قال: فلم يزل به حتى مشى إليها بالطعام ثم وضعه في بيتها فلبث على ذلك زماناً ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير والأجر وحضبه عليه، فقال: لو كنت تكلمها وتحدثها فتأنس بحديثك فإنها قد استوحشت وحشة شديدة، قال: فلم يزل حتى حدثها زماناً يطلع إليها من فوق صومعته، قال: ثم أتاه إبليس بعد ذلك فقال: لو كنت تنزل إليها فتقعد على باب صومعتك وتحدثها وتقعد هي على باب بيتها فتحدثك كان أنس لها، فلم يزل به حتى أنزله وأجلسه على باب صومعته يحدثها وتحدثه وتخرج الجارية من بيتها حتى تقعد على باب بيتها، قال: فلبثا زماناً يتحدثان، ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير والثواب فيما يصنع بها وقال: لو خرجت من باب صومعتك ثم جلست قريباً من باب بيتها فحدثتها كان أنس لها، فلم يزل به حتى فعل، قال فلبثا زماناً. ثم جاءه إبليس فرغبه في الخير وفيما له عند الله سبحانه وتعالى من حسن الثواب فيما يصنع بها. وقال له: لو دنوت منها وجلست عند باب بيتها فحدثتها ولم تخرج من بيتها ففعل فكان ينزل من صومعته فيقف على باب بيتها فيحدثها، فلبثا على ذلك حيناً. ثم جاءه إبليس. فقال: لو دخلت البيت معها فحدثتها ولم تتركها تبرز وجهها لأحد كان أحسن بك، فلم يزل به حتى دخل البيت فجعل يحدثها نهارها كله فإذا مضى النهار صعد إلى صومعته، قال: ثم أتاه إبليس بعد ذلك فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد على فخذها وقبلها، فلم يزل إبليس يحسنها في عينه ويسول له حتى وقع عليها فأحبها، فولدت له غلاماً فجاء إبليس فقال: أرايت إن جاء أخوة الجارية وقد ولدت منك كيف تصنع لا آمن أن تفتضح أو يفضحوك فاعمد إلى ابنها فاذبحه وادفنه فإنها ستكتم ذلك عليك مخافة إخوتها أن يطلعوا على ما صنعت بها ففعل فقال له: أتراها تكتم إخوتها ما صنعت بها وقتلت ابنها، قال: خذها واذبحها وادفنها مع ابنها فلم يزل به حتى ذبحها وألقاها في الحفرة مع ابنها وأطبق عليهما صخرة عظيمة وسوى عليهما وصعد إلى صومعته يتعبد فيها فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث حتى أقبل إخوتها من الغزو، فجاءوا فسألوه عنها فنعاهوا لهم

وترحم عليها وبكاها، وقال: كانت خير امرأة وهذا قبرها فانظروا إليه، فأتى إخوتها القبر فبكوا أختهم وترحموا عليها فأقاموا على قبرها أباماً ثم انصرفوا إلى أهاليهم، فلما جن عليهم الليل وأخذوا مضاجعهم جاءهم الشيطان في النوم على صورة رجل مسافر قبدأ بأكبرهم فسأله عن أختهم فأخبره بقول العابد وموتها وترحمه عليها وكيف أراهم موضع قبرها فكذبه الشيطان، وقال: لم يصدقكم أمر أختكم إنه قد أحبل أختكم وولدت منه غلاماً فذبحه وذبحها معه فرعاً منكم وألقاهما في حفيرة احتفرها خلف باب البيت الذي كانت فيه عن يمين من دخله فانطلقوا فأدخلوا البيت الذي كانت فيه عن يمين من دخله فإنكم ستجدونهما كما أخبرتكم هناك جميعاً، وأتى الأوسط في منامه فقال له مثل ذلك، ثم أتى أصغرهم فقال له مثل ذلك، فلما استيقظ القوم متعجبين بما رأى كل واحد منهم، فأقبل بعضهم على بعض يقول كل واحد منهم لقد رأيت الليلة عجباً فأخبر بعضهم بعضاً بما رأى، فقال كبيرهم هذا حلم ليس بشئ فامضوا بنا ودعوا هذا عنكم قال أصغرهم والله لا أمضى حتى أتى إلى هذا المكان فانظر فيه، قال: فانطلقوا جميعاً حتى أتوا البيت الذي كانت فيه أختهم ففتحو الباب وبحثوا الموضع الذي وصف لهم في منامهم فوجدوا أختهم وابنها مذبحين في الحفيرة كما قيل لهم، فسألوا عنها العابد فصدق قول إبليس فيما صعب بهما، فاستعدوا عليه ملكهم فأنزل من صومعته وقدم ليصلب فلما أوثقوه على الخشبة أتاه الشيطان، فقال له قد علمت أنى أنا صاحبك الذي فتتك بالمرأة حتى أحبلتها وذبحتها وابنها فإن أنت أطعتنى اليوم وكفرت بالله الذى خلقتك وصورك خلصتك بما أنت فيه، قال: فكفر العابد فلما كفر بالله تعالى خلى الشيطان بينه وبين أصحابه فصلبوه، قال: ففيه نزلت هذه الآية ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك﴾ - إلى قوله - ﴿جزاء الظالمين﴾ وقد تقدم ذكرها

أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم نا أبو بكر الأجرى ثنا عبد الله بن محمد العطينى ثنا إبراهيم بن الجنيد ثنى محمد بن الحسين ثنا بشر بن محمد بن أبان ثنى الحسين بن عبد الله بن مسلم

القرشى عن وهب بن منبه رضى الله عنه، قال: كان راهب فى صومعته فى زمن المسيح عليه السلام فأراده إبليس فلم يقدر عليه فأتاه بكل رائدة فلم يقدر عليه . فأتاه متشبهها بالمسيح . فناداه: أيها الراهب أشرف على أكلمك، قال: انطلق لشأنك فلست أرد ما مضى من عمرى فقال: أشرف على فانا المسيح فقال إن كنت المسيح فما لى إليك حاجة، ألسنت قد أمرتنا بالعبادة ووعدتنا القيامة انطلق لشأنك فلا حاجة لى فيك فانطلق اللعين عنه وتركه .

أبنا اسماعيل بن أحمد نا عاصم بن الحسن نا على بن محمد بن بشر نا أبو على البردعى ثنا أبو بكر القرشى ثنا أبو عبدالله محمد بن موسى الحرشى ثنا جعفر بن سليمان ثنا عمرو بن دينار ثنا سالم بن عبدالله رضى الله عنه عن أبيه قال: لما ركب نوح عليه السلام فى السفينة رأى فيها شيخاً لم يعرفه فقال له نوح: ما أدخلك، قال دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معى وأبدانهم معك، فقال له نوح عليه السلام اخرج يا عدو الله، فقال إبليس خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك بأثنتين فأوحى الله تبارك وتعالى إلى نوح عليه الصلاة والسلام أنه لا حاجة لك إلى ثلاث، مره يحدثك بالاثنتين فقال بهما أهلك الناس وهما لا يكذبان: الحسد والحرص فبالحسد لعنت وجعلت شيطاناً رجيماً، وبالحرص أبيع لأدم الجنة كلها فأصبت حاجتى منه فاخرج من الجنة، قال ولقى إبليس موسى عليه السلام، فقال: يا موسى أنت الذى اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليماً، وأنا من خلق الله تعالى أذنبت وأريد أن أتوب فاشفع لى إلى ربه عز وجل أن يتوب على، فدعا موسى ربه فقيل يا موسى قد قضيت حاجتك، فلقى موسى إبليس فقال له قد أمرت أن تسجد لقبر آدم ويتاب عليك، فاستكبر وغضب وقال: لم أسجد له حياً وأسجد له ميتاً، ثم قال إبليس: يا موسى إن لك حقاً بما شفعت إلى ربك فاذكرنى عند ثلاث لا أهلك فيهن أذكرنى حين تغضب فانا وحى فى قلبك وعينى فى عينك وأجرى منك مجرى الدم واذكرنى حين تلقى الزحف فأذكره ولده وزوجه وأهله حتى يولى . وإياك أن تجالس امرأة

ليست بذات محرم فإبى رسولها إليك ورسولك إليها . قال القرشى وحدثنا أبو حفص الصفار ثنا جعفر بن سليمان ثنا شعبة عن علي بن يزيد عن سعيد بن المسيب رضى الله عنه قال ما بعث الله نبياً إلا لم يأمن إبليس أن يهلكه بالنساء: قال القرشى وثنى القاسم ابن هاشم عن ابراهيم ابن الأشعث عن فضيل بن عياض: قال حدثني بعض أشياخنا أن إبليس لعنه الله جاء إلى موسى عليها الصلاة والسلام وهو يناجى ربه تعالى، فقال له الملك: ويحك ما ترجو منه وهو على هذه الحالة يناجى ربه، قال: أرجو منه ما رجوت من أبيه آدم وهو فى الجنة . قال القرشى وثنا أحمد بن عبي الأعلى الشيبانى ثنا فرج بن فضالة عن عبد الرحمن بن زياد رضى الله عنه: بينما موسى عليه السلام جالس فى بعض مجالسه إذ أقبل إبليس وعليه برنس له يتلون فيه ألواناً فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه وقال له السلام عليك يا موسى: فقال له موسى عليه السلام، من أنت: قال أنا إبليس، قال فلا حياك الله ما جاء بك؟ قال: جئت لأسلم عليك لمتزلتك عند الله تعالى ومكانك منه قال: فما الذى رأته عليك، قال: به أختطف قلوب بن آدم، قال: فما الذى إذا صنعه الإنسان استحوذت عليه، قال إذا أعجبتة نفسه، واستكثر عمله. ونسى ذنوبه. وأحذرک ثلاثاً:

لا تخلون بامرأة لا تحمل لك قط، فإنه ما خلا رجل بامرأة لا تحمل له إلا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أفتته بها .

ولا تعاهد الله عهداً إلا وفيت به، فإنه ما عاهد الله أحد إلا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أحول بينه وبين الوفاء به .

ولا تخرجن صدقة إلا أمضيتها فإنه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها إلا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أحول بينه وبين إخراجها، ثم ولى وهو يقول: يا ويله ثلاثاً علم موسى ما يحذر به بنى آدم .

قال القرشى: وحدثنى محمد بن إدريس ثنا أحمد بن يونس ثنا ثنا حسن بن صالح قال: سمعت أن الشيطان قال للمرأة أنت نصف جندى وأنت سهمى الذى أرمى به، فلا أخطئ وأنت موضع سرى وأنت رسولى

فى حاجتى .

قال القرشى: وحدثنا إسحاق بن إبراهيم ثنى هشام بن يوسف بن عقيل بن معقل بن أخى وهب بن منبه قال: سمعت وهباً يقول: قال راهب للشيطان وقد بدا له أى أخلاق بنى آدم أعون لك عليهم. قال الحدة إن العبد إذا كان حديداً قلبناه كما يقرب الصبيان الكرة .

قال القرشى: وحدثنا سعيد بن سليمان الواسطى عن سليمان بن المغيرة عن ثابت رضى الله عنه قال: لما بعث النبى ﷺ جعل إبليس لعنه الله يرسل شياطينه إلى أصحاب النبى ﷺ فيجيئون إليه بصحفهم ليس فيها شئ فيقول لهم ما لكم لا تصيبون منهم شيئاً، فقالوا: ما صحبتنا قوماً مثل هؤلاء فقال رويداً بهم فعسى أن تفتح لهم الدنيا، هنالك تصيبون حاجتكم منهم .

قال القرشى: وأخبرنا أحمد بن جميل المروزى نا ابن المبارك نا سفيان عن عطاء بن السائب عن أبى عبدالرحمن السلمى عن أبى موسى قال: إذا أصبح إبليس بث جنوده فى الأرض فيقول من أضل مسلماً البسته التاج. فيقول له القائل لم أرل بفلان حتى طلق امرأته، قال يوشك أن يتزوج . ويقول آخر لم أرل بفلان حتى عوق، قال يوشك أن يير . ويقول آخر لم أرل بفلان حتى زنى، قال أنت . ويقول آخر لم أرل بفلان حتى شرب الخمر، قال أنت، قال: ويقول آخر لم أرل بفلان حتى قتل، فيقول: أنت أنت .

قال القرشى: وسمعت سعيد بن سليمان يحدث عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال: كانت شجرة تعبد من دون الله فجاء إليها رجل فقال لأقطعن هذه الشجرة، فجاء ليقطعها غضباً لله فلقه إبليس فى صورة إنسان، فقال: ما تريد؟ قال أريد أن أقطع هذه الشجرة التى تعبد من دون الله . قال إذا أنت لم تعبدها فما يضرك من عبدها؟ قال لأقطعنها . فقال له الشيطان هل لك فيما هو خير لك لا تقطعها ولك ديناران كل يوم إذا أصبحت عند وصادتك . قال فمن أين لى ذلك؟ قال: أنا لك، فرجع فأصبح فوجد دينارين عند وصادته ثم أصبح بعد ذلك فلم يجد شيئاً، فقام

غضباً فتمثل له الشيطان فى صورته وقال ما تريد ؟ قال أريد قطع هذه الشجرة التى تعبد من دون الله تعالى قال كذبت مالك إلى ذلك من سبيل : فذهب ليقطعها فضرب به الأرض وخنقه حتى كاد يقتله قال أتدرى من أنا أنا الشيطان، جئت أول مرة غضباً فلم يكن لى عليك سبيل، فخدعتك بالدينارين فتركتها فلما جئت غضباً للدينارين سلطت عليك .

قال القرشى : وحدثنا بشر بنى الوليد الكندى ثنا محمد بنى طلحة عن زيد ابن مجاهد قال : لإبليس خمسة من ولده قد جعل كل واحد منهم على شئ من أمره، ثم سماهم : فذكر ثبر، والأعور، ومسوط، وداسم، وزكنبور، فأما ثبر، فهو صاحب المصبيات الذى يأمر بالشبور وشق الجيوب ولطم الحدود ودعوة الجاهلية، وأما الأعور، فهو صاحب الزنا الذى يأمر به ويزينه، وأما مسوط فهو صاحب الكذب الذى يسمع فيلقى الرجل فيغبره بالخبر، فيذهب الرجل إلى القوم فيقول لهم قد رأيت رجلاً أعرف وجهه ولا أدرى ما اسمه حدثنى بكذا وكذا، وأما داسم، فهو الذى يدخل مع الرجل إلى أهلة ليريه العيب فيهم ويغضبه عليهم، وأما زكنبور، فهو صاحب السوق الذى يركز رايته فى السوق .

أخبرنا محمد بن القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم ثنا إبراهيم بن عبد الله ثنا محمد بن إسحاق ثنا اسماعيل بن أبى الحارث ثنا سنيد عن مخلد بن الحسين قال : ما ندب الله العباد إلى شئ إلا اعترض فيه إبليس بأمرين ما يبالي بأيهما ظفر :

إما غلوا فيه وإما تقصيراً عنه . وبالإسناد قال محمد بن إسحاق وثنا قتيبة ابن سعيد ثنا ابن لهيعة عن ابى قابيل سمعت حياة بن شراحيل يقول : سمعت عبد الله بن عمر يقول : إن إبليس موثق فى الأرض السفلى، فإذا هو تحرك كان كل شرفى الأرض بين اثنين فصاعداً من تحركه .

قال الشيخ : أبو الفرج رحمه الله، قلت : وفتن الشيطان ومكايدته فى غضون هذا الكتاب منها ما يليق بكل موضع منه إن شاء الله تعالى : ولكثرة فتن الشيطان وتشبيثها بالقلوب عزت السلامة . فإن من يدع إلى ما

يحث عليه الطبع كمداد سفينة منحدره فيا سرعة انحدارها، ولما ركب الهوى في هاروت وماروت لم يستمسكا، فإذا رأت الملائكة مؤمناً قد مات على الإيمان تعجبت من سلامته .

وأخبرنا محمد بن أبي منصور نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن علي التميمي ثنا أبو بكر بن حمدان ثنا عبد الله بن أحمد ثنا ابن سريج: ثنا عبدة بن عبد الواحد عن مالك بن مغول عن ابن عبد العزيز بن ربيع قال: إذا عرج بروح المؤمن إلى السماء قالت الملائكة سبحان الذي نجا هذا العبد من الشيطان، يا ويحه كيف نجا .

ذكر الإعلام بأن مع كل إنسان شيطاناً

أخبرنا أبو الحصين الشيباني نا أبو علي المذهب نا أبو بكر بن حمدان ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا أبي ثنا هارون ثنا عبد الله بن مهيب أخبرني أبو صخر عن ابن قسيط أنه حدثه عن عروة بن الزبير حدثه أن عائشة زوج النبي ﷺ حدثته أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً قالت فغرت عليه فجاء فرأى ما أصنع، فقال، مالك يا عائشة أغرت؟، فقلت: ومالي لا يغار مثلى على مثلك؟ فقال: أو قد جاءك شيطان؟ قالت: يا رسول الله أو معي شيطان؟ قال نعم، قلت: ومع كل إنسان؟ قال نعم، قلت: ومعك يا رسول الله؟ قال نعم، ولكن ربي عز وجل أعانني عليه حتى أسلم: انفرد به مسلم، ويجيء بلفظ آخر: أعانني عليه فأسلم . قال الخطابي: عامة الرواة يقولون: فأسلم على مذهب الفعل الماضي إلا سفيان ابن عيينة يقول فأسلم من شره وكان يقول الشيطان لا يسلم . قال الشيخ: وقول ابن عيينة حسن وهو يظهر أثر المجاهدة لمخالفة الشيطان إلا أن حديث ابن مسعود كأنه يرد قول ابن عيينة، وهو ما أخبرنا به ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبي ثنا يحيى عن سفيان ثنا منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن ابن مسعود يرفعه ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن من الملائكة، قالوا وإياك يا رسول الله . قال: وإياي، ولكن الله عز وجل أعانني عليه فلا يأمرني إلا بحق: وفي رواية فلا يأمرني إلا بخير . انفرد

به مسلم . واسم أبى الجعد رافع وظاهره إسلام الشياطين ، ويحتمل القول الآخر .

بيان أن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم

أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على نا أحمد بن جعفر نا عبد الله ابن أحمد ثنى أبى ثنى عبد الرزاق ثنى معمر عن الزهرى عن على بن الحسين عن صفية بنت حبي زوج النبي ﷺ ، قالت : كان رسول الله ﷺ معتكفاً فأتته أزوره ليلاً فحدثته ثم قمت لأنقلب فقام معى ليقلبنى وكان مسكنها فى دار أسامة بن زيد، فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا رسول الله ﷺ أسرعا، فقال النبي ﷺ : « على رسلكما إنها صفية بنت حبي » فقالا : سبحان الله يا رسول الله ! قال : « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ، وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شراً أو قال شيئاً » الحديث فى الصحيحين . قال الخطابى : وفى هذا الحديث من العلم استحباب أن يحذر الإنسان من كل أمر من المكروه مما تجرى به الظنون ، ويخطر بالقلوب ، وأن يطلب السلامة من الناس بإظهار البراءة من الريب ، ويحكى فى هذا عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال : خاف النبي ﷺ أن يقع فى قلوبهما شئ من أمر فيكفرا ، وإنما قاله ﷺ شفقة منه عليهما لا على نفسه .

ذكر التعوذ من الشيطان الرجيم

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله : قد أمر الله تعالى بالتعوذ من الشيطان الرجيم عند التلاوة فقال تعالى : ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ ، وعند السحر ، فقال : ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ إلى آخر السورة . فإذا أمر بالبحرز من شره فى هذين الأمرين فكيف فى غيرهما .

أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنى سيار ثنى أبو التياح ، قال : قلت لعبد الرحمن بن حنيش : أدركت النبي ﷺ ؟ قال : نعم ، قلت : كيف صنع رسول الله ﷺ ليلة كادته الشياطين ؟ فقال : إن الشياطين تحدت تلك الليلة

على رسول الله ﷺ من الأودية والشعاب وفيهم شيطان بيده شعلة نار يريد أن يحرق بها وجه رسول الله ﷺ . فهبط إليه جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد قل، قال: أما قول؟ قال: قل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذراً وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن، قال: فطفئت نارهم، وهزمهم الله تعالى.

أبنا اسماعيل بن أحمد السمرقندي نا عاصم بن الحسن نا أبو الحسين ابن بشر نا ابن صفوان ثنا أبو بكر القرشي حدثني أبو سلمة المخزومي ثنا ابن أبي فديك عن الضحاك بن عثمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول: من خلقتك؟ فيقول الله تبارك وتعالى، فيقول: فمن خلق الله، فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل آمنت بالله ورسوله فإن ذلك يذهب عنه». قال القرشي ثنا هناد بن السرى ثنا أبو الأحوص عن عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن ابن مسعود رضي الله عنه يرفعه، قال: إن للشيطان لمة يابن آدم، وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فأيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فأيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد من ذلك شيئاً فليعلم أنه من الله فليحمد الله . ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان ثم قرأ ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾ الآية.

قال الشيخ رحمه الله: وقد رواه جرير عن عطاء فوقفه على ابن مسعود. أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبي ثنا عبد الرزاق نا سفيان عن منصور عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين فيقول: أعيدكما بكلمات الله التامة، ومن كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة . ثم يقول «هكذا كان أبي إبراهيم ﷺ يعوذ اسماعيل وإسحاق» أخرجاه في الصحيحين. قال أبو بكر بن الأثباري الهامة واحد الهوام، ويقال . هي كل نسمة تهم بسوء واللامة الملمة وإنما قال لامة ليوافق لفظ هامة فيكون ذلك أخف على

اللسان .

أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار نا إبراهيم بن عمر
البرمكى نا أبو الحسن عبد الله بن إبراهيم الزينبي ثنا محمد بن خلف ثنا
عبد الله بن محمد ثنا فضيل بن عبد الوهاب ثنا جعفر بن سليمان عن
ثابت قال: قال مطرف: نظرت فإذا ابن آدم ملقى بين يدي الله عز وجل
وبين إبليس فمن شاء أن يعصمه عصمه، وإن تركه ذهب به إبليس
(وحتى) عن بعض السلف أنه قال لتلميذه. ما تصنع بالشیطان إذا سول
لك الخطايا؟ قال: أجاهده، قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده، قال: فإن
عاد؟ قال أجاهده، قال هذا يطول أرأيت إن مررت بغنم فنبحك كلبها أو
منعك من العبور ما تصنع؟ قال: أكابده وأرده جهدي، قال هذا يطول
عليك، ولكن استعن بصاحب الغنم يكفه عنك .

قال الشيخ رحمه الله: واعلم أن مثل إبليس مع المتقى والمخلط كرجل
جالس بين يديه طعام، فمر به كلب فقال له اخسأ فذهب فمر بآخر بين
يديه طعام ولحم فكلما أحساه لم يبرح، فالأول مثل المتقى يمر به الشيطان
فيكفيه في طرده الذكر، والثاني مثل المخلط لا يفارقه الشيطان لمكان
تخليطه، نعوذ بالله من الشيطان .

.....

الباب الرابع

فى معنى التلبس والغرور

قال المصنف: التلبس إظهار الباطل فى صورة الحق، والغرور نوع جهل يوجب اعتقاد الفاسد صحيحاً والردى جيداً: وسببه وجود شبهة أوجبت ذلك وإنما يدخل إبليس على الناس بقدر ما يمكنه منهم ويقل على مقدار يقظتهم وغفلتهم وجهلهم وعلمهم، واعلم أن القلب كالحصن، وعلى ذلك الحصن سور، وللصور أبواب، وفيه ثلم وساكنه العقل، والملائكة تتردد إلى ذلك الحصن، وإلى جانبه ربض فيه الهوى والشياطين تختلف إلى ذلك الربض من غير مانع، والحرب قائم بين أهل الحصن وأهل الربض والشياطين لا تزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارس والعبور من بعض الثلم. فينبغى للحارس أن يعرف جميع أبواب الحصن الذى قد وكل بحفظه وجميع الثلم، وأن لا يفتر عن الحراسة لحظة. فإن العدو ما يفتر. قال رجل للحسن البصرى: أينام إبليس؟ قال: لو نام لوجدنا راحة، وهذا الحصن مستنير بالذكر مشرق بالإيمان، وفيه مرآة صقيلة يتراءى فيها صور كل ما يمر به، فأول ما يفعل الشيطان فى الربض إكثار الدخان فتسود حيطان الحصن، وتصدا المرأة وكمال الفكر يرد الدخان، وصقل الذكر يجلو المرأة، وللعدو حملات فتارة يحمل فيدخل الحصن، فيكر عليه الحارس فيخرج، وربما دخل فعاث وربما أقام لغفلة الحارس، وربما ركدت الريح الطاردة للدخان فتسود حيطان الحصن وتصدا المرأة فيمر الشيطان ولا يدرى به، وربما جرح الحارس لغفلته وأسر واستخدم وأقيم يستنبط الحيل فى موافقة الهوى ومساعدته، وربما صار كالفقيه فى الشر، قال بعض السلف: رأيت الشيطان فقال لى قد كنت ألقى الناس فأعلمهم فصرت ألقاهم فأتعلم منهم. وربما هجم الشيطان على الذكى الفطن ومعه عروس الهوى قد جلاها فيتشاغل الفطن بالنظر إليها فيستأسره، وأقوى القيد الذى يوثق به الأسرى الجهل، وأوسطه فى القوة الهوى، وأضعفه الغفلة، وما درع الإيمان على المؤمن، فإن نبل

العدو لا يقع فى مقتل .

أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ نا أبو حمد بن حيان ثنا أحمد بن محمد بن يعقوب ثنا محمد بن يوسف الجوهري ثنا أبو غسان النهدي قال: سمعت الحسن بن صالح رحمه الله يقول: إن الشيطان ليفتح للعبد تسعة وتسعين باباً من الخير يريد به باباً من الشر . أنبأنا على بن عبد الله نا محمد بن محمد النديم نا عمى عبد الواحد بن أحمد ثنى أبى أحمد بن الحسين العدل ثنا أبو جعفر محمد بن صالح ثنا حيان بن الفلس الجمانى ثنا حماد بن شعيب عن الأعمش قال: حدثنا رجل كان يكلم الجن، قالوا: ليس علينا أشد ممن يتبع السنة، وأما أصحاب الأهواء، فإننا نلعب لهم لعباً .

.....

الباب الخامس

فى ذكر تلبسه فى العقائد والديانات

ذكر تلبسه على السوفسطائية

قال الشيخ: هؤلاء قوم ينسبون إلى رجل يقال له سوفسطا: زعموا أن الأشياء لا حقيقة لها وأن ما يستبعده يجوز أن يكون على ما نشأه، ويجوز أن يكون على غير ما نشأه. وقد رد العلماء عليهم، بأن قالوا لمقالتكم هذه حقيقة أم لا؟ فإن قلتم لا حقيقة لها وجوزتم عليها البطلان فكيف يجوز أن تدعو إلا ما لا حقيقة له؟ فكأنكم تقرون بهذا القول أنه لا يحل قبول قولكم، وإن قلتم لها حقيقة، فقد تركتم مذهبكم. وقد ذكر مذهب هؤلاء أبو محمد الحسن بن موسى النوبختى فى كتاب الآراء والديانات، فقال: رأيت كثيراً من المتكلمين قد غلطوا فى أمر هؤلاء غلطاً بيناً. لأنهم ناظروهم وجادلوهم وراموا بالحجاج والمناظرة الرد عليه وهم لم يثبتوا حقيقة ولا أقروا بمشاهدة، فكيف تكلم من يقول: لا أدري أيكلمنى أم لا؟ وكيف تناظر من يزعم أنه لا يدري أموجود هو أم معدوم؟ وكيف تخاطب من يدعى أن المخاطبة بمنزلة السكوت فى الإبانة وأن الصحيح بمنزلة الفاسد؟ قال: ثم إنه إنما يناظر من يقر بضرورة أو يعترف بأمر فيجعل ما يقر سبباً إلى تصحيح ما يجحده. فأما من لا يقر بذلك فمجادلته مطروحة. قال الشيخ: وقد رد هذا الكلام أبو الوفاء بن عقيل فقال: إن أقواماً قالوا كيف نكلم هؤلاء وغاية ما يمكن المجادل أن يقرب المعقول إلى المحسوس ويستشهد بالشاهد فيستدل به على الغائب وهؤلاء لا يقولون بالمحسوسات فبم يكلمون؟ قال: وهذا كلام ضيق العطن، ولا ينبغى أن يؤس من معالجة هؤلاء فإن ما اعتراهم ليس بأكثر من الوسواس ولا ينبغى أن يضيق عطنا عن معالجتهم فإنهم قوم أخرجتهم عوارض انحراف مزاج وما مثلنا ومثلهم إلا كرجل رزق ولداً أحول فلا يزال يرى القمر بصورة قمرين، حتى إنه لم يشك أن فى السماء قمرين: فقال له أبوه القمر واحد، وإنما السوء فى عينيك، غض عينك

الحولاء وانظر، فلما فعل قال: أرى قمراً واحداً لأنى عصبت إحدى
عيناى فغاب أحدهما فجاء من هذا القول شبهة ثانية، فقال له أبوه: إن
كان ذلك كما ذكرت فغض الصحيحة فعل فرأى قمرين، فعلم صحة ما
قاله أبوه .

أنبأنا محمد بن ناصر نا الحسن بن أحمد بن البنا ثنا ابن دودان نا أبو
عبد الله المرزنانى ثنى أبو عبد الله الحكيمى ثنى يموت بن المزرع ثنى
محمد بن عيسى النظام قال: مات ابن لصالح بن عبد القدوس فمضى إليه
أبو الهذيل ومعه النظام وهو غلام حدث كالمتوجع له . قرآه منحرفاً فقال
له أبو الهذيل: لا أعرف لجزعك وجهاً إذا كان الناس عندك كالزرع، فقال
له صالح يا أبا الهذيل، إنما أجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك، فقال
له أبو الهذيل: وما كتاب الشكوك، قال: هو كتاب وضعت من قرآه يشك
فيما قد كان حتى يتوهم أنه لم يكن، وفيما لم يكن حتى يظن أنه قد
كان، فقال له النظام: فشك أنت فى موت إبنك واعمل على أنه لم
يمت، وإن كان قد مات فشك أيضاً فى أنه قد قرأ الكتاب وإن كان لم
يقرأه . وحكى أبو القاسم البلخى أن رجلاً من السوفسطائية كان يختلف
إلى بعض المتكلمين فأتاه مرة فناظره فأمر المتكلم بأخذ دابته فلما خرج لم
يرها فرجع فقال: سرقت دابتي . فقال ويحك لعلك لم تأت راكباً، قال:
بلى، قال: فكر، قال: هذا أمر أتيقنه . فجعل يقول له: تذكر، فقال:
ويحك ويحك ما هذا موضع تذكر، أنا لا أشك أننى جئت راكباً، قال:
فكيف تدعى أنه لاحقيقة لشيء وأن حال اليقظان كحال النائم ؟ فوجم
السوفسطائى ورجع عن مذهبه .

فصل

قال النوبختى قد رعمما فرقة من المتجاهلين أنه ليس للأشياء حقيقة
واحدة فى نفسها، بل حقيقتها عند كل قوم على حسب ما يعتقد فيها،
فإن العسل يجده صاحب المرة الصفراء مرأ ، ويجده غيره حلواً . قالوا
وكذلك العالم هو قديم عند من اعتقد قدمه، محدث عند من اعتقد

حدوثة . واللون جسم عند من اعتقده جسماً، وعرض عند من اعتقده عرضاً . قالوا فلو توهمنا عدم المعتقدين وقف الأمر على وجود من يعتقد . وهؤلاء من جنس السوفسطائية فيقال لهم أقولكم صحيح ؟ فسيقولون هو صحيح عندنا، باطل عند خصمنا . قلنا دعواكم صحة قولكم مردودة وإقراركم بأن مذهبكم عند خصمكم باطل شاهد عليكم ومن شهد على قولهم بالبطلان من وجه فقد كفى خصمه بتبيين فساد مذهبه، وبما يقال لهم: أثبتون للمشاهدة حقيقة ؟ فإن قالوا لا، لحقوا بالأولين، وإن قالوا حقيقتها على حسب الاعتقاد فقد نفوا عنها الحقيقة في نفسها وصار الكلام معهم كالكلام مع الأولين .

فصل

قال النوبختي . ومن هؤلاء من قال: إن العالم في ذوب وسيلان قالوا ولا يمكن الإنسان أن يتفكر في الشيء الواحد مرتين لتغير الأشياء دائماً فيقال لهم: كيف علم هذا وقد أنكرتم ثبوت ما يوجب العلم، وربما كان أحدكم الذي يجيبه الآن غير الذي كلمه .

ذكر تليسه على الدهرية

قال المصنف: قد أوهم إبليس خلقاً كثيراً أنه لا إله ولا صانع . وأن هذه الأشياء كانت بلا مكون، وهؤلاء لما لم يدركوا الصانع بالحس ولم يستعملوا في معرفته العقل جحدوه . وهل يشك ذو عقل في وجود صانع، فإن الإنسان لو مر بقاع ليس فيه بنيان ثم عاد فرأى حائطاً مبنياً علم أنه لا بد له من بائ بناه، فهذا المهاد الموضوع، وهذا السقف المرفوع، وهذه الأبنية العجيبة والقوانين الجارية على وجه الحكمة، أما تدل على صانع، وما أحسن ما قال العرب: إن البعرة تدل على البعير، فهيكل علوى بهه اللطافة، ومركز سفلى بهذه الكثافة أما يدلان على اللطيف ؟ ثم لو تأمل الإنسان نفسه لكفت دليلاً، ولشفت غليلاً فإن في هذا الجسد من الحكم ما لا يسع ذكره في كتاب، ومن تأمل تحديد الأسنان لتقطع، وتقريض الأضراس لتطحن، واللسان يقلب الممضوغ وتسلط الكبد على الطعام ينضجه، ثم ينفذ إلى كل جارحة قدر ما تحتاج إليه من الغذاء،

وهذه الأصابع التي هيئت فيها العقد لتطوى وتفتح، فيمكن العمل بها، ولم تجوف لكثرة عملها إذ لو جوفت لصدمها الشيء القوي فكسرها، وجعل بعضها أطول من بعض لتستوى إذا ضمت، وأخفى في البدن ما فيه قوامه، وهي النفس التي إذا ذهبت فسد العقل الذي يرشد إلى المصالح، وكل شيء من هذه الأشياء ينادى أفي الله شك؟ وإنما يخبط الجاحد لأنه طلبه من حيث الحس، ومن الناس من جحده، لأنه لما أثبت وجوده من حيث الجملة لم يدركه من حيث التفصيل فجحد أصل الوجود، ولو عمل هذا فكره لعلم أن لنا أشياء لا تدرك إلا جملة كالنفس والعقل، ولم يمتنع أحد من إثبات وجودهما، وهل الغاية إلا إثبات الخلق جملة، وكيف يقال كيف هو أو ما هو ولا كيفية له ولا ماهية. ومن الأدلة القطعية على وجوده أن العالم حادث بدليل أنه لا يخلو من الحوادث وكل ما لا ينفك عن الحوادث حادث ولا بد لحدوث هذا الحادث من مسبب وهو الخالق سبحانه. وللملحددين اعتراض يتناولون به على قولنا: لا بد للصنعة من صانع فيقولون إنما تعلقتم في هذا بالشاهد وإليه نقاضيكم فنقول كما أنه لا بد للصنعة من صانع فلا بد للصورة الواقعة من الصانع من مادة تقع الصورة فيها كالخشب لصورة الباب والحديد لصورة الفأس. قالوا فدليلكم الذي تثبتون به الصانع يوجب قدم العالم، فالواجب أنه لا حاجة بنا إلى مادة بل نقول إن الصانع اخترع الأشياء اختراعاً فإننا نعلم أن الصور والأشكال المتجددة في الجسم كصورة الدولاب ليس لها مادة، وقد اخترعها ولا بد لها من مصور فقد أريناكم صورة وهي شيء جاءت لا من شيء ولا يمكنكم أن ترون صنعة جاءت لا من صانع.

ذكر تلبسه على الطبائعين

قال المصنف: لما رأى إبليس قلة موافقته على جحد الصانع لكون العقول شاهدة بأنه لا بد للمصنوع من صانع حسن لأقوام أن هذه المخلوقات فعل الطبيعة وقال ما من شيء يخلق إلا من اجتماع الطبائع الأربع فيه، فدل على أنها الفاعلة، وجواب هذا، نقول اجتماع الطبائع دليل على وجودها لا على فعلها ثم قد ثبت أن الطبائع لا تفعل إلا باجتماعها وامتزاجها، وذلك يخالف طبيعتها، فدل على أنها مقهورة.

وقد سلموا أنها ليست بحية ولا عالمة ولا قادرة ومعلوم أن الفعل المنسق المنتظم لا يكون إلا من عالم حكيم، فكيف يفعل من ليس عالماً وليس قادراً، فإن قالوا ولو كان الفعل حكيماً لم يقع فى بنائه خلل، ولا وجدت هذه الحيوانات المضرة فعلم أنه بالطبع . قلنا ينقلب هذا عليكم بما صدر منه من الأمور المنتظمة المحكمة التى لا يجوز أن يصدر مثلها عن طبع . فأما الخلل المشار إليه فيمكن أن يكون للابتلاء والردع والعقوبة، أو فى طيه منافع لا نعلمها ثم أين فعل الطبيعة من شمس تطلع فى نسيان على أنواع من الحبوب فترطب الحصرم والخلالة وتنشف البيرة وتبيسها ولو فعلت طبعاً لأبيست الكل أو رطبتة فلم يبق إلا أن الفاعل المختار استعملها بالمشيئة فى يبس هذه للدخار، والنضج فى هذه للتناول، والعجب أن الذى أوصل إليها اليبس فى أكنة لا يلقى جرمها والذى رطبها يلقى جرمها، ثم إنها تبيض ورد الخشخاش وتحمّر الشقائق وتحمض الرمان وتحلى العنب، والماء واحد، وقد أشار المولى إلى هذا بقوله «تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل» .

ذكر تليسه على الثوية

وهم قوم قالوا صانع العالم اثنان: ففاعل الخير نور، وفاعل الشر ظلمة، وهما قديمان لم يزالا قوين حساسين، سميعين بصيرين، وهما مختلفان فى النفس والصورة، متضادان فى الفعل والتدبير، فجوهر النور فاضل حسن نير صاف نقى طيب الريح حسن المنظر، ونفسه نفس خيره كريمة حكيمة نفاعه منها الخير واللذة والسرور والصلاح، وليس فيها شئ من الضرر ولا من الشر وجوهر الظلمة على ضد ذلك من الكدر والنقص وفتن الريح وقبح المنظر ونفسه نفس شريرة بخيلة سفيهة منتنة ضارة منها الشر والفساد. كذا حكاه النوبختى عنهم، قال: وزعم بعضهم أن النور لم يزل فوق الظلمة. وقال بعضهم: بل كل واحد إلى جانب الآخر. وقال أكثرهم: النور لم يزل مرتفعاً فى ناحية الشمال، والظلمة منحطة فى ناحية الجنوب، ولم يزل كل واحد منهما مبانياً لصاحبه، قال النوبختى: وزعموا أن كل واحد منهما له أجناس خمسة، أربعة منها أبدان وخامس هو

الروح، وأبدان النور أربعة: النار والريح، والتراب، والماء، وروحه الشبح، ولم تنزل تتحرك في هذه الأبدان، وأبدان الظلمة أربعة: الحريق، والظلمة، والسّموم، والضباب، وروحها الدخان وسموا أبدان النور ملائكة، وسموا أبدان الظلمة شياطين وعفاريت . وبعضهم يقول الظلمة تتوالد شياطين والنور يتوالد ملائكة، وأن النور لا يقدر على الشر ولا يجوز منه، والظلمة لا تقدر على الخير ولا تجوز منه. وذكر لهم مذاهب مختلفة فيما يتعلق بالنور والظلمة. ومذاهب سخيفة. فمنها أنه فرض عليهم ألا يدخرون إلا قوت يوم، وقال بعضهم: على الإنسان صوم ربع العمر، وترك الكذب والبخل والسحر، وعبادة الأوثان والزنى والسرقة، وأن لا يؤذى ذا روح، في مذاهب طريفة اخترعوها بواقعاتهم الباردة. وذكر يحيى بن بشر النهاوندي أن قوماً منهم يقال لهم (الديصانية) زعموا أن طبيعة العالم كانت طينة خشنة وكانت تحاكي جسم البارئ الذي هو النور زماناً، فتأذى بها، فلما طال عليه ذلك قصد تنحيته عنه فتوحد فيها واختلط بها فتركب منها هذا العالم النوري والظلمي، فما كان من جهة الصلاح فمن النور، وما كان من جهة الفساد فمن الظلمة، وهؤلاء يغتالون الناس ويخنتونهم ويزعمون أنهم يخلصون بذلك النور من الظلمة، مذاهب سخيفة، والذي حملهم على هذا أنهم رأوا في العالم شراً واختلافاً، فقالوا لا يكون من أصل واحد شيان مختلفان: كما لا يكون من النار التبريد والتسخين، وقد رد العلماء عليهم في قولهم إن الصانع اثنان، فقالوا: لو كان اثنين لم يخل أن يكونا قادرين، أو عاجزين، أو أحدهما قادر والثاني عاجز، لا يجوز أن يكونا عاجزين لأن العجز يمنع ثبوت الألوهية، ولا يجوز أن يكون أحدهما عاجزاً، فبقي أن يقال هما قادران، فتصور أن أحدهما يريد تحريك هذا الجسم في حالة يريد الآخر فيها تسكينه، ومن المحال وجود ما يريدانه، فإن تم مراد أحدهما ثبت عجز الآخر، وردوا عليهم في قولهم: إن النور يفعل الخير، والظلمة تفعل الشر، فإنه لو هرب مظلوم فاستتر بالظلمة فهذا خير قد صدر من شر ولا ينبغي مد النفس في الكلام مع هؤلاء فإن مذهبهم خرافات .

ذكر تليسه على الفلاسفة وتابعيهم

إنما تمكن إبليس من التليسه على الفلاسفة من جهة أنهم انفردوا بأرائهم وعقولهم. وتكلموا بمقتضى ظنونهم من غير التفات إلى الأنبياء. فمنهم من قال بقول الدهرية أن لا صانع للعالم، حكاه النوبختي وغيره عنهم. وحكى النهاوندي أن أرسطاطاليس وأصحابه زعموا أن الأرض كوكب في جوف هذا الفلك وأن في كل كوكب عوالم كما في هذا الأرض وأنهاراً وأشجاراً وأنكروا الصانع وأكثرهم أثبت علة قديمة للعالم ثم قال بقدم العالم، وأنه لم يزل موجوداً مع الله تعالى ومعلولاً له ومساوياً غير متأخر عنه بالزمان مساواة المعلول للعلة والنور للشمس بالذات والرتبة لا بالزمان، فيقال لهم لم أنكرتم أن يكون العالم حادثاً بإرادة قديمة اقتضت وجوده في الوقت الذي وجد فيه؟ فإن قالوا فهذا يوجب أن يكون بين وجود الباري وبين المخلوقات زمان. قلنا الزمان مخلوق وليس قبل الزمان زمان. ثم يقال لهم: كان الحق سبحانه وتعالى قادراً على أن يجعل سمك الفلك الأعلى أكثر مما هو بذراع أو أقل مما هو بذراع. فإن قالوا لا يمكن فهو تعجيز، ولأن مالا يمكن أكبر منه ولا أصغر فوجوده على ما هو عليه واجب لا يمكن، والواجب يستغنى عن علة وقد ستروا مذهبهم بأن قالوا الله عز وجل صانع العالم، وهذا تجوز عندهم لا حقيقة. لأن الفاعل يريد لما يفعله وعندهم أن العالم ظهر ضرورياً لا أن الله فعله، ومن مذاهبتهم أن العالم باق أبداً كما لا بداية لوجوده فلا نهاية، قالوا لأنه معلول علة قديمة. وكان المعلول مع العلة، ومتى كان العالم ممكن الوجود لم يكن قديماً ولا معلولاً. وقد قال جالينوس لو كانت الشمس مثلاً تقبل الانعدام لظهر فيها ذبول في هذه المدة الطويلة فيقال له قد يفسد الشيء بنفسه بغتة لا بالذبول، ثم من أين له أنها لا تذبل؟ فإنها عندهم بمقدار الأرض مائة وسبعين مرة أو نحو ذلك، فلو نقص منها مقدار جبل لم يبن ذلك للحس، ثم نحن نعلم أن الذهب والياقوت يقبلان الفساد وقد يبقيان سنين ولا يحس نقصانهما، وإنما الإيجاد والإعدام بإرادة القادر والقادر لا يتغير في نفسه ولا تحدث له صفة

وإنما يتغير الفعل بإرادة قديمة .

فصل

وحكى النوبختى فى كتاب الآراء والديانات أن سقراط كان يزعم أن أصول الأشياء ثلاثة: علة فاعله، والعنصر، والصورة. قال: والله تعالى هو الفعال والعنصر هو الموضوع الأول للكون والفساد، والصورة جوهر للجسم، وقال آخر منهم: الله هو العلة الفاعلة. والعنصر المنفعل، وقال آخر منهم العقل رتب الأشياء هذا الترتيب، وقال آخر منهم بل الطبيعة فعلته .

وحكى يحيى بن بشير بن عمير النهاوندى أن قوماً من الفلاسفة قالوا لما شاهدنا العالم مجتمعاً ومتفرقاً ومتحركاً وساكناً علمنا أنه محدث ولا بد له من محدث ثم رأينا أن الإنسان يقع فى الماء ولا بحسن السباحة فيستغيث بذلك الصانع المدبر فلا يغيثه، أو فى النار فعلمنا أن ذلك الصانع معدوم. قال واختلف هؤلاء فى عدم الصانع المدبر على ثلاث فرق: فرقة زعمت أنه لما أكمل العالم استحسنه فخشى أن يزيد فيه أو ينقص منه فيفسد، فأهلك نفسه وخلا منه العالم، وبقيت الأحكام تجري بين حيواناته ومصنوعاته على ما اتفق، وقالت الفرقة الثانية: بل ظهر فى ذات البارى تولول، فلم يزل تنجذب قوته ونوره حتى صارت القوة والنور فى ذلك التولول وهو العالم، وساء بور البارى وكان الباقي منه سنور .

وزعموا أنه سيجذب النور من العالم إليه حتى يعود كما كان، ولضعفه عن مخلوقاته أهمل أمرهم فشاع الجور .

وقالت الفرقة الثالثة: بل البارى لما أتقن العالم تفرقت أجزاءه فيه فكل قوته فى العالم فهى من جوهر اللاهوتية. قال الشيخ رحمه الله: هذا الذى ذكره النهاوندى نقلته من نسخة بالنظامية قد كتبت منذ مائتين وعشرين سنة، ولولا أنه قد قيل ونقل فى ذكره بيان ما قد فعل إبليس فى تليسه، لكان الأولى الإضراب عن ذكره تعظيماً لله عز وجل أن يذكر بمثل هذا، ولكن قد بينا وجه الفائدة فى ذكره .

فصل

وقد ذهب أكثر الفلاسفة إلى أن الله تعالى لا يعلم شيئاً، وإنما يعلم نفسه، وقد ثبت أن المخلوق يعلم نفسه ويعلم خالقه، فقد زادت مرتبة المخلوق على رتبة الخالق .

قال المصنف: وهذا أظهر فضيحة من أن يتكلم عليه، فانظر إلى ما رينه إبليس لهؤلاء احمقاء مع ادعائهم كمال العقل، وقد خالفهم أبو علي بن سينا في هذا فقال بل يعلم نفسه، ويعلم الأشياء الكلية ولا يعلم الجزئيات، وتلقف هذا المذهب منهم المعتزلة، وكأنهم استكثروا المعلومات، فالحمد لله الذي جعلنا ممن ينقى عن الله الجهل والنقص، ونؤمن بقوله ﴿ألا يعلم من خلق﴾ وقوله: ﴿ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها﴾ وذهبوا إلى أن علم الله وقدرته هو ذاته، وفراراً من أن يثبتوا قديمين، وجوابهم أن يقال إنما هو قديم موجود واحد موصوف بصفات الكمال .

فصل

قال المصنف: وقد أنكرت الفلاسفة بعث الأجساد ورد الأرواح إلى الأبدان ووجود جنة ونار جسمانيين وزعموا أن تلك أمثلة ضربت لعوام الناس ليفهموا الثواب والعقاب والروحانيين، وزعموا أن النفس تبقى بعد الموت بقاء سرمدياً أبداً، إما فى لذة لا توصف وهى الأنفس الكاملة، أو ألم لا يوصف وهى النفوس المتلوثة، وقد تتفاوت درجات الألم على مقادير الناس، وقد ينمحي عن بعضها الألم ويزول، فيقال لهم نحن لا ننكر وجود النفس بعد الموت، ولذلك سمى عودها إعادة، ولا أن لها نعيماً وشقاء، ولكن ما المانع من حشر الأجسام؟ ولم ننكر اللذات والآلام الجسمانية فى الجنة والنار، وقد جاء الشرع بذلك فنحن نؤمن بالجمع بين السعادتين، وبين الشقاوتين الروحانية والجسمانية، وأما الحقائق فى مقام الأمثال فتحكم بلا دليل، فإن قالوا الأبدان تنحل وتؤكل وتستحيل. قلنا القدرة لا يقف بين يديها شئ، على أن الإنسان إنسان بنفسه. فلو صنع له البدن من تراب غير التراب الذى خلق منه لم يخرج

عن كونه هو هو، كما أنه تتبدل أجزاؤه من الصغر إلى الكبر وبالهبال
والسمن فإن قالوا لم يكن البدن بدأ حتى يرقى من حالة إلى حالة إلى أن
صار لحماً وعروفاً قلنا قدرة الله سبحانه وتعالى لا تقف على المفهوم
المشاهد ثم قد أخبرنا نبينا ﷺ أن الأجسام تنبت فى القبور قبل العث،
وأخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي البزار أبو محمد الجوهري نا عمر بن
محمد بن الزيات ثنا قاسم بن زكريا المطرز ثنا أبو كريب ثنا أبو معاوية عن
الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : ما
بين النفختين أربعون، قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال أبيت، قالوا
أربعون شهراً؟ قال أبيت، قالوا أربعون سنة، قال أبيت، قال ثم ينزل الله
ماء من السماء فينبتون كما ينبت البقل، قال وليس من الإنسان شئ إلا
يلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب، منه خلق ومنه يركب الخلق يوم
القيامة، أخرجاه فى الصحيحين .

فصل

وقد لبس إبليس على أقوام من أهل ملتنا فدخل عليهم من باب قوة
ذكائهم وفطنتهم فأراهم أن الصواب اتباع الفلاسفة لكونهم حكماء قد
صدرت منهم أفعال وأقوال دلت على نهاية الذكاء وكمال الفطنة كما ينقل
من حكمة سقراط وأبقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس وجالينوس وهؤلاء
كانت لهم علوم هندسية ومنطقية وطبيعية واستخرجوا بفطنتهم أموراً خفية
إلا أنهم لما تكلموا فى دالالهايات خلطوا ولذلك اختلفوا فيها ولم يختلفوا
فى الحسيات والهندسيات، وقد ذكرنا جنس تخليطهم فى معتقداتهم.
وسبب تخليطهم أن قوى البشر لا تدرك العلوم إلا جملة والرجوع فيها
إلى الشرائع (وقد حكى) لهؤلاء المتأخرين فى أمتنا أن أولئك الحكماء
كانوا ينكرون الصانع ويدفعون الشرائع ويعتقدونها نواميس وحيلاً فصدقوا
فىما حكى لهم عنهم ورفضوا شعار الدين وأهملوا الصلوات ولابسوا
المحذورات واستهانوا بحدود الشرع وخلعوا ربة الإسلام فاليهود
والنصارى أعذر منهم لكونهم متمسكين بشرائع دلت عليها معجزات،
والمبتدعة فى الدين أعذر منهم لأنهم يدعون النظر فى الأدلة وهؤلاء لا

مستند لكفرهم إلا عليهم بأن الفلاسفة كانوا حكماء أتراهم ما علموا أن الأنبياء كانوا حكماء وزيادة (وما قد حكى) لهؤلاء الفلاسفة من جحد الصانع محال: فإن أكثر القوم يثبتون الصانع ولا ينكرون النبوات وإنما أهملوا النظر فيها وشد منهم قليل فتبعوا الدهرية الذين فسدت أفهامهم بالمرّة وقد رأينا من المتفلسفة من أمتنا جماعة لم يكسبهم التفلسف إلا التحير فلا هم يعملون بمقتضاه ولا بمقتضى الإسلام بل فيهم من يصوم رمضان ويصلى ثم يأخذ في الاعتراض على الخالق وعلى النبوات ويتكلم في إنكار بعث الأجساد ولا يكاد يرى منهم أحد إلا ضربه الفقر فأضربه فهو عامة زمانه في تسخط على الأقدار والاعتراض على المقدر حتى قال لى بعضهم أنا لا أخاصم إلا من فوق الفلك وكان يقول أشعاراً كثيرة في هذا المعنى فمنهم قوله في صفة الدنيا قال:

أتراها صنعة من غير صانع أم تراها رمية من رام
وقوله :

وا حيرتا من وجود ما تقدمه منا اختيار ولا علم فيقتبس
كأنه في عماء ما يخلصنا منه ذكاء ولا عقل ولا شرس
ونحن في ظلمة ما إن لها قمر فيها يضى ولا شمس ولا قبس
مدلهين حيارى قد تكفنا جهل يجهمنا في وجهه عبس
فالفعل فيه بلا ريب ولا عمل ولا قول فيه كلام كله هوس

فصل

ولما كانت الفلاسفة قريباً من زمان شريعتنا والرهينة كذلك مدّ بعض أهل ملتنا يده إلى التمسك بهذه وبعضهم مدّ يده إلى التمسك بهذه فترى كثيراً من الحمقى إذا نظروا في باب الاعتقاد تفلسفوا وإذا نظروا في باب التزهّد ترهبوا فنسأل الله ثباتاً على ملتنا وسلامة من عدونا أنه ولى الإجابة .

ذكر تلبسه على أصحاب الهياكل

وهم قوم يقولون أن لكل روحانى من الروحانيات العارضة هيكلاً أعنى

جرماً من الأجرام السماوية هو هيكله ونسبته إلى الروحاني المختص به نسبة أبداننا إلى أرواحنا فيكرن هو مدبره والمتصرف فيه فمن جملة الهياكل العلوية السيارات والثوابت، قالوا: ولا سبيل لها إلى الروحاني بعينه. فيتقرب إلى هيكله بكل عبادة وقربان.

وقال آخرون منهم لكل هيكل سماوي شخص من الأشخاص السفلية على صورته وجوهره فعمل هؤلاء الصور ونحتوا الأصنام وبنوا لها بيوتاً.

وقد ذكر يحيى بن بشر النهاوندى أن قوماً قالوا الكواكب السبعة وهى زحل، والمشتري والمريخ، والشمس، والزهرة، وعطارد، والقمر. هى المدبرات لهذا العالم وهى تصدر عن أمر الملائ الأعلى. ونصبوا لها الأصنام على صورتها، وقربوا لكل واحد منها ما يشبهه من الحيوان. فجعلوا لزحل جسماً عظيماً من الأنك أعمى يقرب إليه بشور حسن يؤتى به إلى بيت تحته محفور وفوقه الدرابزين من حديد على تلك الحفرة فيضرب الثور حتى يدخل البيت ويمشى على ذلك الدرابزين من الحديد فتغوص رجلاه ويدها هنالك ثم توقد تحته النار حتى يحترق. ويقول له المقربون مقدس أنت أيها الإله الأعمى المطبوع على الشر الذى لا يفعل خيراً قربنا لك ما يشبهك فتقبل منا وأكفنا شرك وشر أرواحك الخبيثة: ويقربون للمشتري صبياً طفلاً وذلك أنهم يشترون جارية ليطأها السدنة للأصنام السبعة فتحمل وتترك حتى تضع ويأتون بها والصبى على يدها ابن ثمانية أيام فينخسونه بالمسلى والإبر وهو ييكى على يد أمه فيقولون له أيها الرب الخير الذى لا يعرف الشر قد قربنا لك من لم يعرف الشر يجانسك فى الطبيعة فتقبل قرباننا وارزقنا خبيرك وخير أرواحك الخيرة ويقربون للمريخ رجلاً أشقر أبيض الرأس من الشقرة يأتون به فيدخلون فى حوض عظيم ويشدون قيوده إلى أوتاد فى قعر الحوض ويملأون الحوض ريتاً حتى يبقى الرجل قائماً فيه إلى حلقه ويخلطون بالزيت الأدوية المقوية للعصب والمعفنة للحم حتى إذا دار عليه الحول بعد أن يغذى بالأغذية المعفنة للحم والجلد قبضوا على رأسه فملخوا عصبه من جلده ولفوه تحت رأسه وأتوا به إلى صنمهم الذى هو على صورة المريخ فقالوا أيها الإله الشرير ذو

الفتن والجوائح قربنا إليك ما يشبهك فتقبل قرباننا واكفنا شرك وشر
أرواحك الخبيثة الشريرة. ويزعمون أن الرأس تبقى فيه الحياة سبعة أيام
وتكلمهم بعلم ما يصيبهم تلك السنة من خير وشر ويقربون للشمس تلك
المرأة التي قتلوا ولدها للمشتري ويطوفون بصورة الشمس ويقولون مسبحة
مهلة أنت أيتها الآلهة النورانية قربنا إليك ما يشبهك فتقبلي قرباننا
وارزقنا من خيرك وأعيذنا من شرك. ويقربون للزهرة عجزاً شمطاء
ماجنة يقدمونها بين يديها وينادون حولها أيتها الآلهة الماجنة أتيناك بقربان
بياضه كبياضك ومجانتك كمجانتك وظرفه كظرفك فتقبليها منا. ثم يأتون
بالحطب فيجعلونه حول العجوز ويضرمون فيه النار إلى أن تحترق فيحثون
رمادها في وجه الصنم .

ويقربون لعطارد شاباً أسمر حاسبا كاتباً متأدباً يأتون به بحيلة وكذلك
يفعلون بالكل يخدعونهم وينجونهم ويسقونهم أدوية تزيل العقل وتخرس
الأسنة فيقدمون هذا الشاب إلى صنم عطارد ويقولون أيها الرب الظريف
أتيناك بشخص ظريف وبطبعك اهتدينا فتقبل منا ثم ينشر الشاب نصفين
ويربع ويجعل على أربع خشبات حوله ويضرم كل خشبة النار حتى تحترق
ويحترق الربع معها ويحثون رماده في وجهه .

ويقربون للقمر رجلاً آدم كبير الوجه ويقولون له يا بريد الآلهة وخفيف
الأجرام العلوية .

ذكر تليسه على عباد الأصنام

قال المصنف: كل محنة لبس بها إبليس على الناس فسببها الميل إلى
الحس والأعراض عن مقتضى العقل ولما كان الحس يأنس بالمثل دعا إبليس
لعنه الله خلقاً كثيراً إلى عبادة الصور وأبطل عند هؤلاء عمل العقل بالمرّة.
فمنهم من حسن له أنها الآلهة وحدها ومنهم من وجد فيه قليل فطنة فعلم
أنه لا يوافق على هذا فزين له أن عبادة هذه تقرب إلى الخالق فقالوا ما
نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله رضى .

ذكر بداية تليسه على عباد الأصنام

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو الجعفر

ابن أحمد بن السلم نا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباتى نا أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله الجوهرى ثنا أبو على الحسن بن عليل العنزى: ثنا أبو الحسن على ابن الصياح بن الفرات قال أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي قال أخبرنى أبى قال أول ما عبدت الأصنام كان آدم عليه السلام لما مات جعله بنو شيث بن آدم فى مغارة فى الجبل الذى أهبط عليه آدم بأرض الهند ويقال للجبل بوذ وهو أنصب جبل فى الأرض. قال هشام فأخبرنى أبى عن أبى الصالح عن ابن عباس رضى الله عنهما فكان بنو شيث بن آدم عليه الصلاة والسلام يأتون جسد آدم فى المغارة فيعظمونه ويترحمون عليه فقال رجل من بنى قابيل يا بنى قابيل إن لبنى شيث دواراً يدورون حوله ويعظمونه وليس لكم شئ فنحت لهم صنماً فكان أول من عملها قال: وأخبرنى أبى أنه كان ود. وسواع. ويعوق. ويعوق. ونسر. قوماً صالحين فماتوا فى شهر فجزع عليهم أقاربهم فقال رجل من بنى قابيل يا قوم هل لكم أن تعمل لكم خمسة أصنام على صورهم غير أنى لا أقدر أن أجعل فيها أرواحاً، فقالوا نعم. فنحت لهم خمسة أصنام على صورهم ونصبها لهم فكان الرجل منهم يأتى أخاه وعمه وابن عمه فيعظمه ويسعى حوله حتى ذهب ذلك القرن الأول. وعملت على عهد يزد بن مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم ثم جاء قرن آخر فعظموهم أشد تعظيم من القرن الأول. ثم جاء من بعدهم القرن الثالث فقالوا. ما عظم الأولون هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله عز وجل، فعبدوهم وعظموا أمرهم واشتد كفرهم فبعث الله سبحانه وتعالى إليهم إدريس عليه الصلاة والسلام فدعاهم فكذبوه فرفعه الله مكاناً علياً، ولم يزل أمرهم يشتد فيما قال الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس حتى أدرك نوح فبعثه الله نبياً وهو يومئذ ابن أربعمائة وثمانين سنة فدعاهم إلى عبادة الله عز وجل مائة وعشرين سنة فعصوه وكذبوه فأمره الله تعالى أن يصنع الفلك فعملها وفرغ منها وركبها وهو ابن ستمائة سنة وغرق من غرق ومكث بعد ذلك ثلاثمائة سنة وخمسين سنة، فكان بين آدم ونوح ألفاً سنة ومائتا سنة فأهبط الماء هذه الأصنام من أرض إلى أرض حتى قذفها إلى أرض جدة فلما نضبت الماء

بقيت على الشط فسفت الريح عليها حتى وارتها .

قال الكلبي : وكان عمرو بن لحي كاهناً وكان يكنى أبا ثمامة له رثى من الجن . فقال له عجل المسير والظعن من تهامة ، بالسعد والسلامة ، ائت صفا جده ، تجد فيها أصناماً معدة . فأوردها نهامة ولا تهب ، ثم ادع العرب إلى عبادتها تجب . فأتى نهر جدة فاستثارها ثم حملها حتى ورد بها تهامة وحضر الحج فدعا العرب إلى عبادتها قاطبة ، فأجابه عوف بن عذرة ابن زيد اللات فدفع إليه ودأ فحمله فكان بوادي القرى بدومة الجندل وسمى إبنه عبد ود فهو أول من سمي به . وجعل عوف ابنه عامراً سادناً له فلم يزل بنوه يدينون به حتى جاء الله بالإسلام .

قال الكلبي : حدثني مالك بن حارثة أنه رأى ودأ . قال وكان أبي يبعثني باللبن إليه ويقول اسق إلهك فأشربته . قال : ثم رأيت خالد بن الوليد بعد كسره فجعله جذاذاً وكان رسول الله ﷺ بعثه من غزوة تبوك لهدمه فحالت بينه وبين هدمه بنو عبد ود وبنو عامر فقاتلهم فقتلهم وهدمه وكسره وقتل يومئذ رجلاً من بني عبد ود يقال له قطن بن سريح فأقبلت أمه (وهو مقتول) وهي تقول :

ألا تلك المودة لا تدوم ولا يبقى على الدهر النعيم
ولا يبقى على الحدثان عفر له أم بشهاقه رؤوم
ثم قالت :

يا جامعاً جامع الأحشاء والكبد يا ليت أمك لم تولد ولم تلد
ثم أكبت عليه فشبهت وماتت .

قال الكلبي : فقلت لمالك بن حارثة صف لي ودأ حتى كأني أنظر إليه . قال : كان تمثال رجل أعظم ما يكون من الرجال قد دبر أي نفس ، عليه حلتان متزر بحلة مرتد بأخرى ، عليه سيف قد تقلده وتنكب قوساً وبين يديه حربة فيها لواء ووفضة فيها نبل يعنى جعبتها .

قال : وأجابت عمرو بن لحي مضر بن نزار إلى رجل من هذيل يقال له الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر سواعاً ،

وكان بأرض يقال لها رهاط من بطن نخلة يعبده من يليه من مضر. فقال
رجل من العرب :

تراهم حول قبلتهم عكوفاً كما عكفت هذيل على سواع
يظن حياته صرعى لديه غنائم من ذخائر كل راعى
وأجابته مذحج فدفع إلى أنعم بن عمرو المرادى يغوث، وكان بأكمة
باليمن تعبده مذحج ومن والها .

وأجابته همدان فيدفع إلى مالك بن مرثد بن جشم يغوث، وكان بقرية
يقال لها جوان تعبده همدان ومن والها من اليمن .

وأجابته حمير فدفع إلى رجل من ذى رعين يقال له معدى كرب نسرأ
وكان بموضع من أرض سبأ يقال له بلخع تعبده حمير ومن والها. فلم
يزالوا يعبدونه حتى هودهم ذو نواس ولم تزل هذه الأصنام تعبد حتى
بعث الله محمداً ﷺ فأمر بهدمها .

قال ابن هشام : وحدثنا الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضى
الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : رفعت لى النار فرأيت عمرو ابن
لحى قصيراً أحمر أزرق يجرقصبه فى النار قلت من هذا قيل هذا عمرو
ابن لحي أول من بحر البحيرة ووصل الوصيلة وسيب السائبة وحمى الحام
وغير دين اسماعيل ودعا العرب إلى عبادة الأوثان. قال هشام وحدثنى
أبى وغيره أن اسماعيل عليه الصلاة والسلام لما سكن مكة ولد له فيها
أولاد فكثروا حتى ملؤا مكة ونفوا من كان بها من العماليق ضاقت عليهم
مكة ووقعت بينهم الحروب والعداوات فأخرج بعضهم بعضاً ففلسحوا فى
البلاد والتمسوا المعاش فكان الذى حملهم على عبادة الأوثان والحجارة أنه
كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجراً من حجارة الحرم
تعظيماً للحرم وصيانة لمكة فحيث ما حلوا وضعوه وطافوا به كطواقهم
بالكعبة تيمناً منهم وصيانة للحرم وحباً له وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة
ويحجون ويعتمرون على أثر إبراهيم واسماعيل ثم عبدوا ما استحسنوا
ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام غيره
فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم واستخرجوا ما

كان يعبد قوم نوح وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم واسماعيل يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف بعرفة والمزدلفة وإهداء البدن والإهلال بالحج والعمرة وكانت نزار تقول إذا ما أهلت (لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك) .

وكان أول من غير دين اسماعيل ونصب الأوثان وثيب السائبة ووصل الوصيعة عمرو ابن ربيعة وهو لحي بن حارثة وهو أبو خزاعة وكانت أم عمرو بن لحي فهيرة بنت عامر ابن الحارث وكان الحارث هو الذي يلي أمر الكعبة فلما بلغا عمرو بن لحي نازعه في الولاية وقتل جرهم بن اسماعيل فظفر بهم وأجلاهم عن الكعبة ونفاهم من بلاد مكة وتولى حجابة البيت من بعدهم ثم أنه مرض مرضاً شديداً فقيل له أن بالبلقاء من أرض الشام حمة إن أتيتها برئت فأتاها فاستحم بها فبرأ ووجد أهلها يعبدون الأصنام فقال ما هذه فقالوا نستسقى بها المطر ونستنصر بها على العدو فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة واتخذت العرب الأصنام .

وكان أقدمها مناة وكان منصوباً على ساحل البحر من ناحية الملك بقديد بين مكة والمدينة وكانت العرب جميعاً تعظمه والأوس والخزرج ومن نزل المدينة ومكة وما والاها ويذبحون له ويهدون له .

قال هشام: وحدثنا رجل من قريش عن أبي عبيدة بن عبيد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عامر بن ياسر قال: كانت الأوس والخزرج ومن يأخذ مأخذهم من العرب من أهل يثرب وغيرها يحجون فيقفون مع الناس المواقف كلها ولا يحلقون رؤسهم فإذا نفروا أتوه فحلقوا عنده رؤوسهم وأقاموا عنده لا يرون لحجهم تماماً إلا بذلك وكانت مناة لهذيل وخزاعة فبعث رسول الله ﷺ علياً رضي الله عنه فهدمها عام الفتح .

ثم اتخذوا اللات بالطائف وهي أحدث من مناة وكانت صخرة مرتفعة وكانت سدنتها من ثقيف وكانوا قد بنوا عليها بناء وكانت قريش وجميع العرب تعظماً وكانت العرب تسمى زيد اللات وتيم اللات وكانت في

موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم فلم يزالوا كذلك حتى أسلمت
ثقيف فبعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار .
ثم اتخذوا العزى وهى أحدث من اللات اتخذها ظالم بن أسعد وكانت
بوادى نخلة الشامية فوق ذات عرق وبنوا عليها بيتاً وكانوا يسمعون منه
الصوت .

قال هشام: وحدثني أبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله
عنهما قال: كانت العزى شيطانة تأتى ثلاث سمرات بطن نخلة فلما افتتح
رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد فقال ائت بطن نخلة فإنك
تجد ثلاث سمرات فاعتضد الأولى فأتاها فعضدها . فلما جاء إليه قال:
هل رأيت شيئاً؟ قال لا . قال فاعتضد الثانية فأتاها فعضدها . ثم أتى
النبي ﷺ . فقال: هل رأيت شيئاً قال لا قال فاعتضد الثالثة فأتاها فإذا
هو بجنية نافشة شعرها واضعه يديها على عاتقها تصر بأنيابها وخلفها ديبة
السلمى وكان سادنها .

فقال خالد :

يا عز كفرانك لا سبحانك أنى رأيت الله قد أهانك

ثم ضربها ففلق رأسها فإذا هى حممة ثم عضد الشجرة وقتل ديبة
السادن ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال تلك العزى ولا عزى بعدها
للعرب .

قال هشام: وكان لقريش أصنام فى جوف الكعبة وحولها وأعظمها
عندهم هبل . وكان فيما بلغنى من عقيق أحمر على صورة الإنسان
مكسور اليد اليمنى أدركته قريش كذلك فجعلوا له يداً من ذهب . وكان
أول من نصبه خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وكان فى جوف الكعبة
وكان قدامة سبعة أقدح مكتوب فى أحدها صريح وفى الآخر ملصق فإذا
شكوا فى مولود أهدوا له هدية ثم ضربوا بالقدح فإن خرج صريح الحقوه
وإن خرج ملصقاً دفعوه . وكانوا إذا اختصموا فى أمر أو أرادوا سفراً أو
عملاً أتوه فاستقسموا بالقداح عنده . وهو الذى قال له أبو سفيان يوم
أحد: أعلى هبل أى علا دينك؟ فقال رسول الله ﷺ لأصحابه « ألا

تجيبونه « فقالوا وما نقول . قال «قولوا الله أعلى وأجل» (١) وكان لهم أساف ونائلة قال هشام فحدث الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن أساف من جرهم يقال له أساف بن يعلى ونائلة بنت زيد من جرهم وكان يتعشقا في أرض اليمن فأقبلا حجاجاً فدخلوا البيت فوجدوا غفلة من الناس وخلوة من البيت ففجر بها في البيت فمسخا فأصبحوا فوجدوهما ممسوخين فأخرجوهما فوضعهما موضعهما فعبدتها جزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب . قال هشام لما مسخا حجرتين وضعا عند البيت ليقظ الناس بهما فلما طال مكثهما وعبدت الأصنام عبداً معها . وكان أحدهما ملصقاً بالكعبة والآخر في موضع زمزم فنقلت قريش الذي كان ملصقاً بالكعبة إلى الآخر فكانوا ينحرون ويذبحون عندهما .

وكان من تلك الأصنام ذو الخلصة وكان مروة بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج وكانت بتبالة مكة والمدينة على مسيرة سبع ليال من مكة وكانت تعظمها وتهدي لها خثعم وبجيلة . فقال رسول الله ﷺ لجرير رضى الله عنه : إلا تكفى ذا الخلصة فوجهه إليه فسار بأحمر فقابلته خثعم وباهله فظفر بهم وهدم بنيان ذي الخلصة وأضرم فيه النار وذو الخلصة اليوم عتبة باب مسجد تبالة .

وكان لدوس صنم يقال له ذو الكفين . فلما أسلموا بعث رسول الله ﷺ الطفيل بن عمرو فحرقه .

وكان لبني الحارث بن يشكر صنم يقال له ذو الثرى .

وكان لقضاة والخم وجدام وعاملة وغطقان صنم فيمشارف الشام يقال له الأقيصر .

وكان لمزينة صنم يقال له فهم وبه كانت تسمى عبد فهم .

وكان لعنزة صنم يقال له سعيرو كان لطىء صنم يقال له الفليس . وكان لأهل كل واد مكة صنم في دارهم يعبدونه فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به وإذا قدم من سفره كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به . ، منهم من اتخذ بيتاً ومن لم يكن له صنم ولا بيت نصب حجراً مما استحس ثم طاف به وسموها الأنصاب . وكان

الرجل إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتخذها رباً وجعله ثلاثة الأثافي لقدره فإذا ارتحل تركه. فإذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك ولما ظهر رسول الله ﷺ على مكة دخل المسجد والأصنام منصوبة حول الكعبة فجعل يطعن بسية قوسه في عيونها ووجوهها ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ثم أمر بها فكفئت على وجوهها ثم أخرجت من المسجد فحرقت. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: في زمان يزد برد عبادت الأصنام ورجع من رجوع عن الإسلام.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد نا عمر بن عبيد الله نا أبو الحسين بن بشران نا عثمان بن أحمد الدقاق ثنا جميل ثنا حسن الربيع ثنا مهدي بن ميمون. قال سمعت أبا رجاء العطاردي يقول: لما بعث رسول الله ﷺ فسمعنا به لحقنا بمسيلمة الكذاب، ولحقنا بالنار، وكنا نعبد الحجر في الجاهلية فإذا وجدنا حجراً هو أحسن منه تلقى ذلك ونأخذه وإذا لم نجد حجراً جمعنا حثية من تراب ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه ثم طفنا به. أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد نا أحمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم أحمد بن عبد الله نا أبو حامد بن جبلة نا أبو عباس السراج نا أحمد بن الحسن بن خراش نا مسلم بن إبراهيم نا عمارة المعولى. قال سمعت أبا رجاء العطاردي يقول: كنا نعمد إلى الرمل فنجمعه فنحلب عليه فنعبده. وكنا نعمد إلى الحجر الأبيض فنعبده زماناً ثم نلقيه. أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت نا عبد العزيز بن علي الوراق نا أحمد بن إبراهيم نا يوسف بن يعقوب النيسابوري نا أبو بكر ابن أبي شيبة نا يزيد بن هارون نا الحجاج بن أبي زئب. قال سمعت أبا عثمان النهدي قال: كنا في الجاهلية نعبد حجراً فسمعنا منادياً ينادي يا أهل الرحال إن ربكم قد هلك فالتمسوا لكم رباً غيره. قال: فخرجنا على كل صعب وذلول فبينما نحن كذلك نطلب، إذا نحن بمناد ينادي إنا قد وجدنا ربكم أو شبهه قال: فجئنا فإذا حجر فنحرنه عليه الجزر. أنبأنا محمد بن أبي طاهر نا أبو إسحاق البرمكي نا أبو عمر ابن حيويه نا أحمد بن معروف نا الحسين بن الفهم نا محمد بن سعد نا محمد ابن عمرو ثنى الحجاج بن صفوان عن ابن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن عمرو بن عبسة قال: كنت امرأ

من يعبد الحجارة فينزل الحى ليس معهم آلهة فيخرج الحى منهم فيأتى بأربع أحجار. فينصب ثلاثة لقدره ويجعل أحسنها إلهاً يعبد. ثم لعله يجد ما هو أحسن منه قبل أن يرتحل فيتركه ويأخذ غيره. أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك نسا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو الحسن العتيقى نا عثمان ابن عمرو بن الميثاب نا أبو محمد عبد الله بن سليمان الفامى ثنى أبو الفضل محمد بن أبى هارون الوراق ثنا الحسن بن عبد العزيز الجروى عن شيخ من ساكنى مكة. قال: سئل سفيان بن عيينة كيف عبت العرب الحجارة والأصنام. فقال أصل عبادتهم الحجارة أنهم قالوا البيت حجر فحيث ما نصبنا حجراً فهو بمنزلة البيت. وقال أبو معشر: كان كثير من أهل الهند يعتقد الربوبية ويقولون بأن لله تعالى ملائكة إلا أنهم يعتقدونه صورة كأحسن الصور وأن الملائكة أجسام حسان وأنه سبحانه وتعالى وملائكته محتجبون بالسماء فاتخذوا أصناماً على صورة الله سبحانه عندهم وعلى صور الملائكة فعبدوها وقربوا لها لموضع المشابهة على زعمهم. وقيل لبعضهم: أن الملائكة والكواكب والأفلاك أقرب الأجسام إلى الخالق فعظموها وقربوا لها ثم عملوا الأصنام.

وبنى جماعة من القدماء بيوتاً كانت للأصنام فمنها بيت على رأس جبل بأصبهان كانت فيه أنام أخرجها كوشتاسب لما تمجس وجعله بيت نار. والبيت الثانى والثالث فى أرض الهند. والرابع بمدينة بلخ بناه بنو شهب ظهر الإسلام خربه أهل بلخ. والخامس بيت بصنعاء بناه الضحاك على اسم الزهرة فخربه عثمان بن عفان رضى الله عنه. والسادس بناه قابوس الملك على اسم الشمس بمدينة فرغانة فخربه المعتصم.

وذكر يحيى بن بشير بن عمير النهاوندى: أن شريعة الهند وضعها لهم رجل برهمى، ووضع لهم أصناماً وجعل لهم أعظم بيوتهم بيتاً بالميلتان. (وهى مدينة من مداين السند). وجعل فيهم صنمهم الأعظم الذى هو كصورة الهولى الأكبر. وهذه المدينة فتحت فى أيام الحجاج وأرادوا قلع الصنم فقبل لهم: إن تركتموه ولم تقلعوه جعلنا لكم ثلث ما يجتمع له من مال. فأمر عبد الملك بن مروان بتركه فالهند تحج إليه من ألفى فرسخ

ولابد للحاج أن يحمل معه دراهم على قدر ما يمكنه من مائة إلى عشرة آلاف لا يكون أقل من هذا ولا أكثر ومن لم يحمل معه ذلك لم يتم حجه . فيلقية في صندوق عظيم هناك ويطوفون بالصنم . فإذا ذهبوا قسم ذلك المال فثلثه للمسلمين وثلثه لعمارة المدينة وحصونها وثلثه لسدنة الصنم ومصالحه .

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله : فانظر كيف تلاعب الشيطان بهؤلاء وذهب بعقولهم ففتحوا بأيديهم ما عبده وما أحسن ما عاب الحق سبحانه وتعالى أصنامهم فقال : ﴿ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها ﴾ وكانت الإشارة إلى العباد أى أنتم تمشون وتبطشون وتبصرون وتسمعون والأصنام عاجزة عن ذلك وهى جماد وهم حيوان فكيف عبد التام الناقص . ولو تفكروا لعلموا أن الإله يصنع الأشياء ولا يصنع ، ويجمع ليس بمجموع ، وتقوم الأشياء به ولا يقوم بها ، وإنما ينبغى للإنسان أن يعبد من صنعه لا ما صنعه . وما خيل إليهم أن الأصنام تشفع فخيال ليس فيه شبهة ينطق بها .

ذكر تليسه على عابدى النار والشمس والقمر

قال المصنف : قد لبس إبليس على جماعة فحسن لهم عبادة النار وقالوا هى الجوهر الذى لا يستغنى العالم عنه ومن ههنا زين عبادة الشمس . وذكر أبو جعفر بن جرير الطبرى : أنه لما قتل قابيل هايل وهرب من أبيه إلى اليمن أتاه إبليس . فقال له : إن هايل إنما قبل قربانه وأكلته النار لأنه كان يخدم النار ويعبدها فانصب أنت ناراً تكون لك ولعقبك . فبنى بيت نار فهو أول من نصب النار وعبدها ، قال الجاحظ : وجاء زرادشت من باخ وهو صاحب المجوس فادعى أن الوحي ينزل إليه على جبل سيلان فدعى أهل تلك النواحي الباردة الذين لا يعرفون إلا البرد وجعل الوعيد يتضاعف البرد ، وأقر بأنه لم يبعث إلا إلى الجبال فقط وشرع لأصحابه التوضأ بالأبوال وغشيان الأمهات ، وتعظيم النيران ، مع أمور سمجة . قال ومن قال زرادشت كان الله وحده ، فلما طالت وحدته فكر فتولد من فكرته إبليس . فلما مثل بين يديه وأراد قتله امتنع منه فلما رأى امتناعه

ودعه إلى مدة .

قال الشيخ أبو الفرج رحمه الله : وقد بنى عابدوا النار لها بيوتاً كثيرة . فأول من رسم لها بيتاً أفريدون فاتخذ لها بيتاً بطرسوس وآخر ببخارى . واتخذ لها بهمن بسجستان . واتخذ لها أبو قباد بيتاً بناحية بخارى . وبنيت بعد ذلك بيوت كثيرة لها . وقد كان زرادشت وضع ناراً زعم أنها جاءت من السماء فأكلت قربانهم . وذلك أنه بنى بيتاً وجعل فى وسطه مرآة ولف القربان فى حطب وطرح عليه الكبريت فلما استوت الشمس فى كبد السماء قابلت كوة قد جعلها فى ذلك البيت فدخل شعاع الشمس فوقع على المرآة فانعكس على الحطب فوقعت فيه النار . فقال لا تطعموها هذه النار .

فصل

قال المصنف : وقد حسن إبليس لعنه الله لأقوام عبادة القمر ولآخرين عبادة النجوم . قال ابن قتيبة وكان قوم فى الجاهلية عبدوا الشعرى العبور وفتنوا بهم . وكان أبو كبشة الذى كان المشركون ينسبون إليه رسول الله ﷺ أول من عبدها . وقال قطعت السماء عرضاً ولم يقطع السماء عرضاً غيرها وعبدها وخالف قريشاً فلما بعث رسول الله ﷺ ودعا إلى عبادة الله وترك الأوثان قالوا هذا ابن أبى كبشة أى شبيهه ومثله فى الخلاف كما قالت بنو إسرائيل لمريم يا أخت هارون أى يا شبيهة هارن فى الصلاح وهما شعريان إحداهما هذه والشعرى الأخرى هى الغميصاء وهى تقابلها وبينها المجرة - والغميصاء من الذراع فى جبهة الأسد وتلك فى الجوزاء .

وزين إبليس لعنه الله لآخرين عبادة الملائكة وقالوا : هى بنات الله تعالى . تعالى الله عن ذلك . وزين لآخرين عبادة الخيل والبقر . وكان السامرى من قوم يعبدون البقر فلهدا ضاغ عجلاً . وجاء فى التعبير أن فرعون كان يعبد تيسا وليس فى هؤلاء من أعمل فكره ولا استعمل عقله فى تدبير ما يفعل نسأل الله السلامة فى الدنيا والآخرة

ذكر تلبيسه على الجاهلية

قال المصنف : ذكرنا كيف لبس عليهم فى عبادة الأصنام . ومن أقبح

تليسه عليهم في ذلك تقليد الآباء من غير نظر في دليل كما قال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا آَلَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ المعنى أتبعوهم أيضاً .

وقد لبس إبليس على طائفة منهم فقالوا بمذاهب الدهرية وأنكروا الخالق وجحدوا البعث، وهؤلاء الذين قال الله سبحانه فيهم: ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَى وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ . وعلى آخرين منهم: فأقروا بالخالق لكنهم جحدوا الرسل والبعث . وعلى آخرين منهم: فزعموا أن الملائكة بنات الله، وأمال مذهب آخرين منهم إلى مذهب اليهود وآخرين إلى مذهب المجوس، وكان في بني تميم منم زرارة ابن جديس التميمي وابنه حاجب .

وعمن كان يقر بالخالق والابتداء والإعادة والثواب والعقاب عبد المطلب ابن هاشم، وزيد بن عمرو بن نفيل، وقس بن ساعدة، وعامر بن الظرب، وكان عبد المطلب إذا رأى ظالماً لم تصبه عقوبة . قال تالله إن وراء هذا الدار لداراً يجزى فيها المحسن والمسيء . ومنهم زهير بن أبي سلمى وهو القائل :

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

ثم أسلم ومنهم زيد الفوارس بن حصن، ومنهم القلمس بن أمية الكنانى كان يخطب بفناء الكعبة وكانت العرب لا تصدر عن مواسمها حتى يعظها ويوصيها فقال يوماً: يا معشر العرب أطيعوني ترشدوا قالوا: وما ذاك قال: إنكم تفردتم بالهة شتى إني لأعلم ما الله بكل هذا راض وأن الله رب هذه الآلهة وأنه ليحب أن يعبد وحده . فتفرقت عنه العرب لذلك ولم يسمعوا مواعظه . وكان فيهم قوم يقولون من مات فربطت على قبره دابته وتركت حتى تموت حشر عليها ومن لم يفعل ذلك حشر ماشياً وعمن قاله عمرو زيد الكلبي .

قال المصنف: وأكثر هؤلاء لم يزل عن الشرك وإنما تمسك منهم بالتوحيد ورفض الأصنام القليل كقس بن ساعده وزيد وما زالت الجاهلية تبتدع البدع الكثيرة . فمنها النسئ وهو تحريم الشهر الحرام وتحليل الشهر

الحرام وذلك أن العرب كانت قد تمسكت من ملة إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه بتحريم الأشهر الأربعة فإذا احتاجوا إلى تحليل المحرم للحرب أخرجوا تحريمه إلى صفر ثم يحتاجون إلى صفر ثم كذلك حتى تتدافع السنة. وإذا حجوا قالوا: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك. ومنها توريث الذكر دون الأنثى. ومنها أن أحدهم كان إذا مات ورث نكاح زوجته أقرب الناس إليه ومنها البحيرة وهي الناقة تلد خمسة أبطن فإن كان الخامس أنثى شقوا أذنها وحرمت على النساء. والسائبة من الأنعام كانوا يسيبونها ولا يركبون لها ظهراً ولا يحلبون لها لبناً. والوصيلة الشاة تلد سبعة أبطن فإن كان السابع ذكراً أو أنثى قالوا وصلت أخاها فلا تذبح وتكون منافعها للرجال دون النساء فإذا ماتت اشترك فيها الرجال والنساء. والحام الفحل يتنج من ظهر عشرة أبطن فيقولون قد حمى ظهره فيسيبونه لأصنامهم ولا يحمل عليه ثم يقولون أن الله عز وجل أمرنا بهذا فذلك معنى قوله تعالى: ﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب ﴾. ثم الله عز وجل رد عليهم فيما حرموه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام فيما أحلوه بقولهم ﴿ خالصة لذكورنا ومجرم على أزواجنا ﴾ قال الله تعالى: ﴿ قل الذكركم حرم أم الأنثيين ﴾ المعنى إن كان الله تعالى حرم الذكركم فكل الذكور حرام وإن كان حرم الأنثيين فكل الإناث حرام وإن كان حرم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين فإنها تشتمل على الذكور والإناث فيكون كل جنين حراماً. وزيّن لهم إبليس قتل أولادهم فالإنسان منهم يقتل ابنته ويغذو كلبه. ومن جملة ما لبس عليهم إبليس أنهم قالوا لو شاء الله ما أشركنا أى لو لم يرض شركنا لحال بيننا وبينه فتعلقوا بالمشيئة وتركوا الأمر ومشية الله نعم الكائنات وأمره لا يعم مراداته فليس لأحد أن يتعلق بالمشيئة بعد ورود الأمر ومذاهبهم السخيفة التي ابتعدوها كثيراً لا يصلح تضييع الزمان بذكرها ولا هي مما يحتاج إلى تكلف ردها .

ذكر تلبس إبليس على جاحدى النبوات

قال المصنف: قد لبس إبليس على البراهمة والهندوس وغيرهم فزين لهم جحد النبوات ليسد طريق ما يصل من الإله. وقد اختلف أهل الهند فمهم دهرية ومهم ثنوية ومنهم على مذاهب البراهمة ومنهم من يعتقد نبوة آدم وإبراهيم فقط وقد حكى أبو محمد النوبختي فى كتاب الآراء والديانات أن قوماً من الهند من البراهمة أثبتوا الخالق والرسول والجنة والنار، وزعموا أن رسولهم ملك أتاهم فى صورة البشر من غير كتاب له أربعة أيد وإثنا عشر رأساً من ذلك رأس إنسان ورأس أسد ورأس فرس ورأس فيل ورأس نختير وغير ذلك من رؤوس الحيوانات وأنه أمرهم بتعظيم النار ونهاهم عن القتل والذباح إلا ما كان للنار ونهاهم عن الكذب وشرب الخمر وأباح لهم الزنا وأمرهم أن يعبدوا البقر ومن ارتد منهم ثم رجع حلقوا رأسه ولحيته وحاجبيه وأشفار عينيه ثم يذهب فيسجد للبقر فى هذيانات يضيع الزمان بذكرها .

قال المصنف: وقد ألقى إبليس إلى البراهمة ست شبهات :

(الشبهة الأولى) : استبعاد اطلاع بعضهم على ما خفى عن بعض فقالوا: ﴿ ما هذا إلا بشر مثلكم ﴾ والمعنى كيف اطلع على ما خفى عنكم . وجواب هذه الشبهة أنهم لو ناطقوا العقول لأجازت اختيار شخص بشخص لخصائص يعلو بها جنسه فيصلح بتلك الخصائص لتلقف الوحي إذ ليس كل أحد يصلح لذلك وقد علم الكل أن الله سبحانه وتعالى ركب الأمزجة متفاوتة وأخرج إلى الوجود أدوية تقاوم ما يعرض من الفساد البدنى فإذا أمد النبات والأحجار بخواص لإصلاح أبدان خلقت للفناء ههنا وللبقاء فى دار الآخرة لم يبعد أن يخص شخصاً بالحكمة البالغة والدعاية إليه إصلاحاً لمن يفسد فى العالم بسوء الأخلاق والأفعال ومعلوم أن المخالفين لا يستنكرون أن يختص أقوام بالحكمة ليسكنوا فورات الطباع الشريرة بالموعظة فكيف ينكرون أمداد البارى سبحانه بعض الناس برسائل ومصالح ووصايا يصلح بها العالم ويطيب أخلاقهم ويقوم بها سياستهم وقد أشار عز وجل إلى ذلك فى قوله عز وجل: ﴿ أكان للناس

عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس ﴿ .

(الشبهة الثانية) : قالوا هلا أرسل ملكاً فإن الملائكة إليه أقرب ومن الشك فيهم أبعد والأدميون يحبون الرياسة على جنسهم فيوقع هذا شكاً وجواب هذا من ثلاثة أوجه : أحدهما أن في قوى الملائكة قلب الجبال والصخور فلا يمكن إظهار معجزة تدل على صدقهم لأن المعجزة ما خرقت العادة وهذه العادة الملائكة وإنما المعجزات الظاهرة ما ظهرت على يد بشر ضعيف ليكون دليلاً على صدقه . والثاني : أن الجنس أميل فصح أن يرسل إليهم من جنسهم لئلا ينفروا وليعقلوا عنه ثم تخصيص ذلك الجنس بما عجز عنه جنسه على صدقه : والثالث أنه ليس في قوى البشر رؤية الملك وإنما الله تعالى يقوى الأنبياء بما يرزقهم من إدراك الملائكة ولهذا قال الله تعالى : ﴿ ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً ﴾ أى لينظروا إليه ويأنسوا به ويفهموا عنه ثم قال ﴿ وللبسنا عليهم ما يلبسون ﴾ أى لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكوا فلا يدرون أملك هو أم آدمي ؟ .

(الشبهة الثالثة) : قالوا نرى ما تدعيه الأنبياء من علم الغيب والمعجزات وما يلقي إليهم من الوحي يظهر جنسه على الكهنة والسحرة فلم يبق لنا دليل نفرق به بين الصحيح والفساد . والجواب أن نقول : أن الله تبارك وتعالى بين الحجج ثم بث الشبهة وكلف العقول الفرق فلا يقدر ساحر أن يحي ميتاً ولا أن يخرج من عصا حيا وأما الكاهن فقد يصيب ويخطئ بخلاف النبوة التي لا خطأ فيها بوجه .

(الشبهة الرابعة) : قالوا لا يخلوا ما أن تجيء الأنبياء بما يوافق العقل أو بما يخالفه فإن جاءوا بما يخالفه لم يقبل وإن جاءوا بما يوافقه فالعقل يغني عنه . والجواب أن نقول : قد ثبت أن كثيراً من الناس يعجزون عن سياسات الدنيا حتى يحتاجون إلى متمم كالحكماء والسلاطين فكيف بالأمور الإلهية والأخروية .

(الشبهة الخامسة) : قالوا قد جاءت الشرائع ينشر منها العقل فكيف يجوز أن تكون صحيحة من ذلك إيلام الحيوان . والجواب أن العقل ينكر

إيلام الحيوان بعضه لبعض فأما إذا حكم الخالق بالإيلام لم يبق للعقل اعتراض وبيان ذلك أن العقل قد عرف حكمة الخالق سبحانه وتعالى وأنه لا خلل فيها ولا نقص فأوجبت عليه هذه المعرفة التسليم لما خفى عنه ومتى اشتبه علينا أمر في فرع لم يجز أن نحكم على الأصل بالبطلان ثم قد ظهرت حكمة ذلك فأنا نعلم أن الحيوان يفضل على الجماد ثم الناطق أفضل مما ليس بناطق بما أوتى من الفهم والفتنة والقوى النظرية والعملية وحاجة هذا الناطق إلى إبقاء فهمه ولا يقوم في إبقاء القوى مقام اللحم شئ ولا يستطرف تناول القوى الضعيف وما فيه فائدة عظيمة لما قلت فائدته. وإنما خلق الحيوان البهيم للحيوان الكريم فلو لم يذبح لكثير وضاق به المرعى ومات فيتأذى الحيوان الكريم بجيفته فلم يكن لإيجاده فائدة. وأما ألم الذبح فإنه يستر وقد قيل أنه لا يوجد أصلاً لأن الحساس للألم أغشية الدماغ لأن فيه الأعضاء الحساسة ولذلك إذا أصابها آفة من صرع أو سكتة لم يحس الإنسان بألم فإذا قطعت الأوداج سريعاً لم يصل ألم الجسم إلى محل الحس ولهذا قال عليه السلام: « إذا ذبح أحدكم فليحد شفرته وليرح ذبيحته ».

(الشبهة السادسة): قالوا ربما يكون أهل الشرائع قد ظفروا بخواص من حجارة وخشب. والجواب أن هذا الكلام ينبغي أن يستحى من إيراده فإنه لم يبق شئ من العقاقير إلا وقد وضحت خواصها وبان سترها فلو ظفر واحد منهم بشئ وأظهر خاصيته لوقع الإنكار من العلماء بتلك الخواص وقالوا هذا ليس منك إنما هذه خاصية في هذا. ثم إن المعجزات ليست نوعاً واحداً بل هي بين صخرة خرجت منها ناقة وعصا انقلبت حية وحجر تفجر عيوناً وهذا القرآن الذي له منذ نزل دون الستمائة سنة فالأسماع تدركه والأفكار تتدبره والتحدى به على الدوام ولم يقدر أحد على مد أناة منه فأين هذا والخاصة والسحر والشعبذة .

قال أبو الوفاء على بن عقيل رضى الله عنه: صبئت قلوب أهل الإلحاد لانتشار كلمة الحق وثبوت الشرائع بين الخلق والامثال لأوامرها كإبن الراوندى ومن شاكله كإبن العلاء. ثم مع ذلك لا يرون لمقاتلهم نباهة ولا

أثراً بل الجوامع تتدفق رحاماً والأذانات تملأ أسماعهم بالتعظيم لشان
النبى ﷺ والإقرار بما جاء به . وإنفاق الأموال والأنفس فى الحج مع
ركوب الأخطار ومعاناة الأسفار ومفارقة الأهل والأولاد . فجعل بعضهم
يندس فى أهل النقل فيضع المفاصد على الأسانيد ويضع السير والأخبار
وبعضهم يروى ما يقارب المعجزات من ذكر خواص فى أحجار وخوارق
العادات فى بعض البلاد وأخبار عن الغيوب عن كثير من الكهنة والمنجمين
ويبالغ فى تقرير ذلك حتى قالوا أن سطيحاً قال فى الخبيء الذى خبيء له :
حبة بر ، فى إحليل مهر . والأسود كان يعظ ويقول الشئ قبل كونه .
وهنا اليوم معزومون يكلمون الجنى الذى فى باطن المجنون فيكلمهم بما
كان ويكون وما شاكل ذلك من الخرافات فمن رأى مثل هذا قال بقلة عقله
وقلة تلمحه لقصد هؤلاء الملحدة وهل ما جاءت به النبوات إلا مقارب
هذا ، وليس قول الكاهن . حبة بر فى إحليل مهر ، وقد أخفيت كل
الإخفاء بأكثر من قوله . ﴿ وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ﴾
وهل بقى لهذا وقع فى القلوب وهذا التقويم ينطق بالمنع من الركوب اليوم
وهل ترك تلمح هذا إلا النبى والله ما قصدوا بذلك إلا قصداً ولمحوا إلا
لمحاً جلياً فقالوا تعالوا نكثر الجولان فى البلاد والأشخاص والنجوم
والخواص فلا يخلو مع الكثرة من مصادفة الاتفاق لواحدة من هذه .
فيصدق بها الكل ويبطل أن يكون ما جاء به الأنبياء خرقاً للعادات . ثم
دس قوم من الصوفية أن فلاناً أهوى بإنائه إلى دجلة فامتلاً ذهباً فصار هذا
كالعادة بطريق الكرامات من المتصوفين . وبطريق العادات فى حق
المنجمين . وبطريق الخواص فى حق الطباعين . وبطريق الكهانة فى حق
المعزمين . والعرافين فأى حكم بقى لقول عيسى عليه السلام . ﴿ وأنبئكم
بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ﴾ . وأى خرق بقى للعادات وهل
العادات إلا استمرار الوجود . وكثرة الحصول . فإذا نبههم العاقل المتدين
على ما فى هذا من الفساد قال الصوفى : أتنكر كرامات الأولياء ، وقال
أهل الخواص : أتنكر المغناطيس الذى يجذب الحديد والنعامة تبلى النار
فتسكت عن جحد ما لم يكن لأجل ما كان فويل للحق معهم هذا
والباطنية من جانب والمنجمون من جانب مع أرباب المناصب لا يحلون

ولا يعقدون إلا بقولهم فسبحان من يحفظ هذه الملة ويعلى كلمتها حتى أن كل الطوائف تحت قهرها إقبالاً من الله عز وجل على حراسة النبوات وقمعاً لأهل المحال .

فصل

ومن الهند البراهمة قوم قد حسن لهم إبليس أن يتقربوا بإحراق نفوسهم فيحفر للإنسان منهم أخدود وتجتمع الناس فيجئ مضمخاً بالخلوق والطيب وتضرب المعارف والطبول والصنوج ويقولون طوبى لهذه النفس التي تعلق إلى الجنة ويقول هو ليكن هذا القربان مقبولاً ويكون ثواب الجنة ثم يلقي نفسه في الأخدود فيحترق فإن هرب نابذوه ونفوه وتبرأوا منه حتى يعود ومنهم من يحمى له الصخر فلا يزال يلزم صخرة صخرة حتى يثقب جوفه ويخرج معاه فيموت ومنهم من يقف قريباً من النار إلى أن يسيل ودكه فيسقط . ومنهم من يقطع من ساقه وفخذه قطعاً ويلقيها إلى النار والناس يزكونه ويمدحونه ويسألون مثل مرتبته حتى يموت : ومنهم من يقف في أختاء البقر إلى ساقه ويشعل النار فيحترق . ومنهم من يعيد الماء ويقول هو حياة كل شئ فيسجد له . ومنهم من يجهز له أخدود قريب من الماء فيقع في الأخدود حتى إذا التهب قام فانغمس في الماء ثم رجع إلى الأخدود حتى يموت فإن مات وهو بينهما حزن أهله وقالوا حرم الجنة وإن مات في أحدهما شهدوا له بالجنة . ومنهم من يزهق نفسه بالجوع والعطش فيسقط أولاً عن المشى ثم عن الجلوس ثم ينقطع كلامه ثم تبطل حواسه ثم تبطل حركته ثم يخمد . ومنهم من يهيم في الأرض حتى يموت : ومنهم من يغرق نفسه في النهر . ومنهم من لا يأتي النساء ولا يوارى إلى العورة ولهم جبل شاهق تحته شجرة وعندها رجل بيده كتاب يقرأ فيه يقول : طوبى لمن ارتقى هذا الجبل وبعج بطنه وأخرج أمعائه بيده . ومنهم من يأخذ الصخور فيرض بها جسده حتى يموت : والناس يقولون طوبى لك وعندهم نهران فيخرج أقوام من عبادهم يوم عيدهم وهناك رجال فيأخذون ما على العباد من الثياب ويبطحونهم فيقطعونهم نصفين ثم يلقون أحد النصفين في نهر والنصف الآخر في نهر ويزعمون أنهما

يجريان إلى الجنة . ومنهم من يخرج إلى براح ومعه جماعة يدعون له ويهتونه بنيته فإذا أضجر جلس وجمع له سباع الطير من كل جهة فيتجرد من ثيابه ثم يمتد والناس ينظرون إليه فتبتدره الطير فتأكله فإذا تفرقت الطير جاءت الجماعة فأخذوا عظامه وأحرقوها وتبركوا بها، فى أفعال طويلة قد ذكرها أبو محمد النوبختى يضيع الزمان فى كتابتها والعجب أن الهند قوم تؤخذ الحكمة عنهم ويؤخذ عنهم دقائق الحكمة وتلهم دقائق الأعمال فسبحان من أعمى قلوبهم حتى قادهم إبليس هذا المقاد قال : وفيهم من يزعم أن الجنة ثتان وثلاثون مرتبة وأن مكث أهل الجنة فى أدنى مرتبة منها أربع مائة ألف سنة وثلاثة وثلاثون ألف سنة وستمائة وعشرون سنة وكل مرتبة أضعاف ما دونها ، وأن النار اثنتان وثلاثون مرتبة منها ست عشر مرتبة فيها الزمهرير وصنوف عذابه وست عشرة مرتبة فيها الحريق وصنوف عذابه .

ذكر تليسه على اليهود

قال المصنف : قد لبس عليهم فى أشياء كثيرة نذكر منها نبذة ليستدل بها على تلك . فمن ذلك تشبيههم الخالق بالخلق ولو كان تشبيههم حقاً لجار عليه ما يجور عليهم وحكى أبو عبد الله بن حامد من أصحابنا . أن اليهود تزعم أن الإله المعبود رجل من نور على كرسى من نور على رأسه تاج من نور وله أعضاء كما للآدميين ومن ذلك قولهم عزيز بن الله ولو فهموا أن حقيقة النبوة لا تكون إلا بالتبويض والخلق ليس بذى أبعاض لأنه ليس بمؤلف لم يثبتوا بنوة . ثم أن الولد فى معنى الوالد وقد كان عزيز لا يقوم إلا بالطعام والإله من قامت به الأشياء لا من قام بها والذى دعاهم إلى هذا مع جهلهم بالحقائق أنهم رأوه قد عاد بعد الموت وقرأ السورة من حفظه فتكلموا بذلك من ظنونهم الفاسدة ويدل على أن القوم كانوا فى بعد من الذهن أنهم لما رأوا أثر القدرة فى فرق البحر لهم ثم مروا على أصنام طلبوا مثلها فقالوا ﴿ اجعل لنا آلهة كما لهم آلهة ﴾ فلما رجرهم موسى عن ذلك بقى فى نفوسهم فظهر المستور بعبادتهم المعجل والذى حملهم على هذا شيان ، أحدهما جهلهم بالخالق والثانى أنهم أرادوا ما

يسكن إليه الحس لغلبة الحس عليهم وبعد العقل عنهم ولولا جهلهم بالمعبود ما اجترءوا عليه بالكلمات القبيحة كقولهم ﴿ إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ وقولهم ﴿ يد الله مغلولة ﴾ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ومن تليسه عليهم أنهم قالوا: لا يجوز نسخ الشرائع . وقد علموا أن من دين آدم جواز نكاح الأخوات، وذوات المحارم، والعمل فى يوم السبت، ثم نسخ ذلك بشريعة موسى قالوا إذا أمر الله عز وجل بشئ كان حكمه فلا يجوز تغييره . قلت: قد يكون التغيير فى بعض الأوقات حكمة فإن قلب الأدمى من صحة إلى مرض ومن مرض إلى موت كله حكمة وقد حظر عليكم العمل يوم السبت وأطلق لكم العمل يوم الأحد وهذا من جنس ما أنكرتم وقد أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه ثم نهاه عن ذلك .

ومن تليسه عليهم أنهم قالوا: ﴿ لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة ﴾ وهى الأيام التى عبد فيها العجل وفضائحهم كثيرة ثم حملهم إبليس على العناد المحض فجحدوا ما كان فى كتابهم من صفة نبينا ﷺ وغيروا ذلك وقد أمروا أن يؤمنوا به ورضوا بعذاب الآخرة فعلموا أنهم عاندوا وجهالهم قلدوا ثم العجب أنهم غيروا ما أمروا به وحرفوا ودانوا بما يريدون فأين العبودية ممن يترك الأمر ويعمل بالهوى ثم إنهم كانوا يخالفون موسى ويعيبونه حتى قالوا أنه آدر واتهموه بقتل هارون واتهموا داود بزوجة أوريا .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي البزار الحسن بن على الجوهري نا أبو عمر ابن حياة نا ابن معروف نا الحارث بن أبى أسامة ثنا محمد بن سعد نا على بن محمد عن على بن مجاهد عن محمد بن إسحاق عن سالم مولى عبد الله بن مطيع عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: أتى رسول الله ﷺ بيت المدارس فقال أخرجوا إلى أعلمكم فخرج إليه عبد الله بن صوريا فخلا به فناشده الله بدينه وبما أنعم الله عليهم وأطعمهم من المن والسلوى وظللهم به من الغمام أتعلمون أنى رسول الله ؟ . قال: اللهم نعم . وأن القوم ليعرفوا ما أعرف وإن صفتك ونعتك لمين فى التوراة ولكنهم

حسدوك. قال: فما يمنعك أنت. قال: أكره خلاف قومي وعسى أن يتبعوك ويسلموا فأسلم.

أخبرنا هبة الله بن محمد بن عبد الواحد قال: أخبرنا الحسن بن علي قال أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان قال ثنا عبد الله بن أحمد قال حدثني أبي قال ثنا يعقوب قال ثنا أبي عن ابن إسحاق قال حدثني صالح بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد عن سلمة بن سبلامة بن وقش. قال: كان لنا جار من اليهود في بني عبد الأشهل فخرج علينا يوماً من بيته قبل مبعث النبي ﷺ حتى وقف على مجلس بني عبد الأشهل قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث من فيهم سنا على بردة مضطجماً فيها بفناء أهلى فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار لقوم أهل شرك وأصحاب أوثان لا يرون بعثاً كائناً بعد الموت. فقال له ويحك: يا فلان أترى هذا كائناً أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم قال نعم والذي يحلف به يود أحدهم أن له لحظة من تلك النار بأعظم تنور في الدار يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبقونه عليه وأن ينجو من تلك النار غداً قال له ويحك وما آية ذلك قال نبى مبعوث من نحو هذه البلاد وأشار بيده نحو مكة واليمن قالوا ومتى نراه قال فنظر إلى وأنا من أحدثهم سنا أن يستنقذ هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله ﷺ وهو حى بين أظهرنا فأما به وكفر به بغياً وحسداً فقلنا له ويلك يا فلان ألسنت الذى قلت لنا فيه ما قلت قال بلى ولكن ليس به .

ذكر تليسه على النصارى

قال المصنف: تليسه عليهم كثير فمن ذلك أن إبليس أوهمهم أن الخالق سبحانه جوهر فقال اليعقوبية أصحاب يعقوب والملكية أهل دين الملك والنسطورية أصحاب نسطورس: أن الله جوهر واحد أقانيم ثلاثة فهو واحد فى الجوهرية ثلاثة فى الأتومية فأحد الأقانيم عندهم الأب والآخر الإبن والآخر روح القدس فبعضهم يقول: الأقانيم خواص. وبعضهم يقول: صفات وبعضهم يقول أشخاص وهؤلاء قد نسوا أنه لو كان الإله

جوهراً لجاز عليه ما يجوز على الجواهر من التحيز بمكان والتحرك والسكون والأوان ثم سول لبعضهم أن المسيح هو الله . قال أبو محمد النوبختي زعمت الملكية واليعقوبية أن الذي ولدته مريم هو الإله وسول الشيطان لبعضهم أن المسيح هو ابن الله وقال بعضهم المسيح جوهران أحدهما قديم والآخر محدث ومع قولهم هذا فى المسيح يقرون بحاجته إلى الطعام ولا يختلفون فى هذا وفى أنه صلب ولم يقدر على الدفع عن نفسه ويقولون إنما فعل هذا بالناسوت فهلا دفع عن الناسوت ما فيه من اللاهوت . ثم لبس عليهم أمر نبينا محمد ﷺ حتى جعلوه بعد ذكره فى الإنجيل ومن الكتابيين من يقول عن نبينا أنه نبي إلا أنه مبعوث إلى العرب خاصة وهذا تليس من إبليس استغفلهم فيه لأنه متى ثبت أنه نبي فالنبي لا يكذب وقد قال بعثت إلى الناس كافة وقد كتب إلى قيصر وكسرى وسائر ملوك الأعاجم .

ومن تليس إبليس على اليهود والنصارى

أنهم قالوا لا يعذبنا الله لأجل أسلافنا فمننا الأولياء والأنبياء فأخبرنا الله عز وجل عنهم بذلك : ﴿ نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ . أى منا ابنه عزيز وعيسى . وكشف هذا التليس إن كان شخص مطالب بحق الله عليه فلا يدفعه عنه دو قرابته ولو تعدت المحبة شخصاً إلى غيره لموضع القرابة لتعدى البعض وقد قال نبينا ﷺ لا بنته فاطمة لا أغنى عنك من الله شيئاً (١) وإنما فضل المحبوب بالتقوى فمن عدمها عدم المحبة ثم أن محبة الله عز وجل للعبد ليست بشغف كمحبة الأدميين بعضهم بعضاً إذ لو كانت كذلك لكان الأمر يحتمل .

ذكر تليسه على الصابئين

قال المصنف: أصل هذه الكلمة أعنى الصابئين من قولهم صبأت إذا خرجت من شئ إلى شئ وصبأت النجوم إذا ظهرت وصبأ به إذا خرج والصابئون الخارجون من دين إلى دين وللعلماء فى مذاهبه عشرة أقوال: أحدها أنهم قوم بين النصارى والمجوس رواه سالم عن سعيد بن جبير وليث عن مجاهد والثانى: أنهم بين اليهود والمجوس رواه ابن أبى نجیح

عن مجاهد: والثالث: أنهم بين اليهود والنصارى. رواه القاسم بن أبى
بزة عن مجاهد. والرابع: أنهم صنف من النصارى ألين قولاً منهم رواه
أبو صالح عن ابن عباس. والخامس: أنهم قوم من المشركين لا كتاب لهم
رواه القاسم أيضاً عن مجاهد. والسادس: أنهم كالمجوس قاله الحسن.
والسابع: أنهما فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور قاله أبو العالية.
والثامن أنهم قوم يصلون إلى القبلة ويعبدون والملائكة ويقرؤون الزبور قاله
قتادة ومقاتل: والتاسع: أنهم طائفة من أهل الكتاب قاله السدى.
والعاشر: أنهم كانوا يقولون لا إله إلا الله وليس لهم عمل ولا كتاب ولا
نبي إلا قول لا إله إلا الله قاله ابن زيد. قال المصنف: هذه أقوال المفسرين
مثل ابن عباس والقاسم والحسن وغيرهم فأما المتكلمون فقالوا مذهب
الصائبين مختلف فيه فمنهم من يقول أن هناك هيولى كان لم يزل يصنع
العالم من ذلك الهيولى وقال أكثرهم العالم ليس بمحدث وسموا الكواكب
ملائكة وسموها قوم منهم آلهة وعبدوها وبنوا لها بيوت عبادات وهم
يدعون أن بيت الله الحرام واحد منها وهو بيت رحل وزعم بعضهم أنه لا
يوصف الله عز وجل إلا بالنفى دون الإثبات ويقال ليس بمحدث ولا
موات ولا جاهل ولا عاجز قالوا لثلاث يقع تشبيه ولهم تعبدات فى شرائع
منها أنهم زعموا أن عليهم ثلاث صلوات فى كل يوم أولها ثمان ركعات
وثلاث سجودات فى كل ركعة وانقضاء وقتها عند طلوع الشمس والثانى
خمس ركعات والثالثة كذلك وعليهم صيام شهر أوله الثمان ليال يمضين
من آذار وسبعة أيام أولها النسخ ييقين من كانون الأول وسبعة أيام أولها
الثمان ليال يمضين من شباط ويختمون صيامهم بالصدقة والذبايح وحرموا
لحم الجزور فى خرافات يضيع الزمان بذكرها وزعموا أن الأرواح الخيرة
تصعد إلى الكواكب الثابتة وإلى الضياء وأن الشريرة تنزل إلى أسفل
الأرضين وإلى الظلمة. وبعضهم يقول هذا العالم لا يفنى وأن الثواب
والعقاب فى التناسخ ومثل هذه المذاهب لا يحتاج إلى تكلف فى ردها إذ
هى دعاوى بلا دليل وقد حسن إبليس لأقوام من الصائبين أنهم رأوا
الكمال فى تحصيل مناسبة بينهم وبين الروحانيات العلوية باستعمال
الطهارات وقوانين ودعوات واشتغلوا بالتنجيم والتسخير وقالوا لا بد من

متوسط بين الله وبين خلقه فى تعريف المعارف والإرشاد للمصالح إلا أن ذلك المتوسط ينبغى أن يكون روحانياً لا جسمانياً قالوا نحن نحصل لأنفسنا مناسبة قدسية بيننا وبينه فيكون ذلك وسيلة لنا إليه وهؤلاء لا ينكرون بعث الأجساد .

ذكر تليس إبليس على المجوس

قال يحيى بن بشر عمير النهاوندى: كان أول ملوك المجوس كومرث فجاءهم بدينهم ثم تتابع مدعو الثبوة فيهم حتى اشتهر بها زرادشت وكانوا يقولون أن الله تعالى عن ذلك شخص روحانى ظهر فظهرت معه الأشياء روحانية تامة فقال لا يتهياً لغيرى أن يتدع مثل هذه التى ابتدعتها فتولد من فكرته هذه ظلمة إذ كان فيها جحود لقدرة غيره فقامت الظلمة تغاليه . وكان مما سنه زرادشت عبادة النار ولاصلاة إلى الشمس يتأولون فيها أنها ملكة العالم وهى التى تأتى بالنهار وتذهب بالليل وتحبى النبات والحيوانات وترد الحرارة إلى أجسادها . وكانوا لا يدفنون موتاهم فى الأرض تعظيماً لها ويقولون أنها نشوء الحيوانات فلا نقدرها وكانوا لا يغسلون بالماء تعظيماً له وقالوا لأن به حياة كل شئ إلا أن يستعملوا قبله بول البقر ونحوه ولا ييزقون فيه ولا يرون قتل الحيوانات ولا ذبحها وكانوا يغسلون وجوههم ببول البقر تبركاً به وإذا كان عتيقاً كان أكثر ويستحلون فروج الأمهات قالوا الإبن أحرى بتسكين شهوة أمه وإذا مات الزوج فإبته أولى بالمرأة فإن لم يكن له إبن اكرى رجل من مال الميت ويجيزون للرجل أن يتزوج بمائة وألف وإذا أرادت الحائض أن تغتسل دفعت ديناراً إلى الموبذ ويحملها إلى بيت النار ويقيمها على أربع وينظفها بسبابته وأظهر هذا الأمر مزدك فى أيام قباد وأباح النساء لكل من شاء ونكح نساء قباد لتقتدى به العامة فيفعلون فى النساء مثله فلما بلغ إلى أم أنوشروان قال لقباد أخرجها إلى فإنك إن معتنى شهوتى لم يتم إيمانك فهم بإخراجها فجعل أنوشروان يبكى بين يدى مزدك ويقبل رجله بين يدى أبيه قباد ويسأله أن يهب له أمه فقال قباد لمزدك أأست تزعم أن المؤمن لا ينبغى أن يرد عن شهوته قال بلى قال فلم ترد أنوشروان عن شهوته قال قد وهبتها له ثم

أطلق للناس فى أكل الميتة فلما ولى أنوشروان أفنى المزدكية هو ومن أقوال المعجوس أن الأرض لا نهاية لها من أسفلها وأن السماء جلد من جلود الشياطين والرعد إنما هو حركة خرخرة العفاريت المحبوسة فى الأفلاك المأسورة فى حرب والجبال من عظامهم والبحر من أبوالهم ودمائهم (ونبغ للمجوس) رجل فى زمان انتقال دولة بنى أمية إلى بنى العباس واستغوى خلقاً وجرت له قصص يطول الأمر بذكرها فهو آخر من ظهر للمجوس وذكر بعض العلماء أنه كان للمجوس كتب يدرسونها وأنهم أحدثوا ديناً فرفعت كتبهم .

ومن أظرف تليس إبليس عليهم . أنهم رأوا فى الأفعال خيراً وشرأ فسول لهم أن فاعل الخير لا يفعل الشر فأثبتوا إلهين وقالوا أحدهما نور حكيم لا يفعل إلا الخير والآخر شيطان هو ظلمة لا يفعل إلا الشر على نحو ما ذكرنا عن الثوية .

قال المصنف : وقد سبق ذكر شبههم وجوابها . وقال بعضهم البارى قديم فلا يكون منه إلا الخير والشيطان محدث فلا يكون منه إلا الشر فيقال لهم إذا أقررتم أن النور خلق الشيطان فقد خلق رأس الشر وزعم بعضهم أن الخالق هو النور ففكر فكرة رديئة فقال أخاف أن يحدث فى ملكى من يضادنى وكانت فكرته رديئة فحدث منها إبليس فرضى إبليس أن ينسب إلى الرداءة بعد إثبات أنه شريك وحكى النوبختى أن بعضهم قال أن الخالق شك فى شئ فكان الشيطان من ذلك الشك : قال وزعم بعضهم أن الإله والشيطان جسمان قديمان كان بينهما فضاء وكانت الدنيا سليمة من آفة والشيطان بمعزل عنها فاحتال إبليس حتى خرق السماء بجنوده وهرب الرب عز وجل من فعلتهم وتقدس عن قولهم فاتبعوا إبليس حتى حاصره وحاربه ثلاثة آلاف سنة لاهو يصل إليه ولا الرب عز وجل يدفعه ثم يصالحه على أن يكون إبليس وجنوده فى الدنيا سبعة آلاف سنة ورأى الرب أن الصلاح فى احتمال مكروه إبليس إلى أن ينقضى الشرط فالناس فى بلايا إلى انقضائه ثم يعودون إلى النعيم وشرط إبليس عليه أن يمكنه من أشياء رديئة فوضعها فى هذا العالم وأنهما لما فرغا من

شرطهما أشهدا عدلين ودفعا سيفيهما إلى العدلين وقال من نكث فاقتلاه
فى هذيانات كثيرة يضيع الوقت لذكرها فتكبتها لذلك ونذكر ما انتهى
تلبس إبليس إليه ما أثرتنا ذكر شئ من هذا الخليط (والعجب) أنهم
يجعلون الخالق خيراً ثم يجعلون أنه حدثت منه فكرة رديئة فعلى قولهم
يجوز أن تحدث من فكرة إبليس ملك ثم يقال لهم يجوز أن يفى الشيطان
بما ضمن: فإن قالوا لا قيل لهم فلا يليق بالحكمة استبقاؤه وإن قالوا نعم
فقد أقروا بوجود الوفاء المحمود من الشرير: وكيف أطاع الشيطان العدلين
وقد عصى ربه وكيف يجوز الافتيات على الإله: وهذه الخرافات لولا
التفرج فيما صنعه إبليس بالعقول ما كان لذكرها فائدة ولا معنى .

ذكر تلبس إبليس على المنجمين وأصحاب الفلك

قال أبو محمد النوبختى ذهب قوم إلى أن الفلك قديم لا صانع له:
وحكى جالينوس عن قوم أنهم قالوا زحل وحده قديم. وزعم قوم أن
الفلك طبيعة خالصة ليست فيها حرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يبوسة
وليس بخفيف ولا ثقيل. وكان بعضهم يرى أن الفلك جوهر نارى وأنه
اختطف من الأرض بقوة دورانه وقال بعضهم الكواكب من جسم تشابه
الحجارة: وقال بعضهم هى من غيم تطفأ كل يوم وتستنير بالليل مثل
الفحم يشتعل وينطفئ. وقال بعضهم جسم القمر مركب من نار
وهوى. وقال آخرون الفلك من الماء والريح والنار وأنه بمنزلة الكرة وأنه
يتحرك بحركتين من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق قالوا
وزحل يدور الفلك فى نحو من ثلاثين سنة والمشتري فى نحو من اثنتى
عشرة سنة والمريخ فى نحو من ستين والشمس والزهرة وعطارد فى سنة
والقمر فى ثلاثين يوماً: وقال بعضهم أفلاك الكواكب سبع فالذى يلينا
فلك القمر ثم فلك عطارد ثم فلك الزهرة ثم فلك الشمس ثم فلك المريخ
ثم فلك المشتري ثم فلك زحل ثم فلك الكواكب الثابتة: واختلفوا فى
مقادير أجرام الكواكب فقال أكثر الفلاسفة أعظمها جرمة الشمس وهو نحو
من مائة ستة وستين مرة مثل الأرض. والكواكب الثابتة مقدار كل واحد
منها نحو أربعة وتسعين مرة مثل الأرض. والمشتري نحو من اثنتين

وثمانين مرة مثل الأرض والمريخ نحو من مرة ونصف مثل الأرض . قالوا
ومن كل موضع من أعلى الفلك إلى أن يعود إليه مائة ألف فرسخ وألف
فرسخ وأربعة وستون فرخساً . وقال بعضهم الفلك حى والسماء حيوان
وفى كل كوكب نفس قال قدماء الفلاسفة النجوم تفعل الخير والشر وتمنع
على حسب طبائعها من الصعود والنحوس وتؤثر فى النفوس وإنها حية
فعالة .

ذكر تليس إبليس على جاحدى البعث

قال المصنف: قد لبس على خلق كثير فجحدوا البعث واستهولوا
الإعادة بعد البلاء وأقام لهم شبهتين إحداهما أنه أراهم ضعف المادة
والثانية اختلاط الأجزاء المتفرقة فى أعماق الأرض قالوا وقد يأكل الحيوان
الحيوان فكيف يتهاى إعادته وقد حكى القرآن شبهتهم فقال تعالى فى
الأولى: ﴿ أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون
هيات هيات لما توعدون ﴾ .

وقال فى الثانية: ﴿ إذا ضللنا فى الأرض ءإنا لفى خلق جديد ﴾ .
وهذا كان مذهب أكثر الجاهلية قال قائلهم :

يخبرنا الرسول بأنا سنحى وكيف حياة أصداء وهام

وقال آخر: (هو أبو العلاء المعرى) .

حياة ثم موت ثم بعث حديث خرافة يا أم عمرو

(والجواب) عن شبهتهم الأولى: أن ضعف المادة فى الثانى وهو
التراب يدفعه كون البداية من نطفة ومضغة وعلقة: ثم أصل الأدميين وهو
آدم من تراب على أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق شيئاً مستحسناً إلا من
مادة سخيصة . فإنه أخرج هذا الأدمى من نطفة ، والطاووس من البيضة
المدررة والطرفة الخضراء من الحبة العفنة فالنظر ينبغى أن يكون إلى قوة
الفاعل وقدرته لا إلى ضعف المواد . وبالنظر إلى قدرته يحصل جواب
الشبهة الثانية ثم قد أرانا كالأتمودج فى جمع التمزق وإن سحالة الذهب
المتفرقة فى التراب الكثير إذا ألقى عليها قليل من رثبق اجتمع الذهب مع
تبدده فكيف بالقدرة الإلهية التى من تأثيرها خلق كل شىء على

أنا لو قدرنا أن نحيل هذا التراب ما استحالت إليه الأبدان لم يصر بنفسه لأن الآدمي بنفسه لا يبدنه فإنه ينحل ويسمن ويهزل ويتغير من صغر إلى كبر وهو هو: ومن أعجب الأدلة على البعث أن الله عز وجل قد أظهر على يدي أنبياءه ما هو أعظم من البعث وهو قلب العصا حية حيواناً وأخرج ناقة من صخرة وأظهر حقيقة البعث على يدي عيسى صلوات الله وسلامه عليه.

قال المصنف: وقد زدنا هذا شرحاً في الرد على الفلاسفة .

فصل

وقد لبس إبليس على أقوام شاهدوا قدرة الخالق سبحانه وتعالى ثم اعترضت لهم الشبهتان اللتان ذكرناهما فترددوا في البعث فقال قائلهم ﴿ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً﴾ وقال العاص بن وائل ﴿لأوتين مالا وولداً﴾ . وإنما قالوا هذا لموضع شكهم وقد لبس إبليس عليهم في ذلك . فقالوا: إن كان بعث فنحن على خير: لأن من أنعم علينا في الدنيا بالمال لا يمنعنا في الآخرة .

قال المصنف: وهذا غلط منهم لأنه لم لا يجوز أن يكون الإعطاء استدراجاً أو عقوبة والإنسان قد يحى ولده ويطلق في الشهوات عبده .

ذكر تليسه على القائلين بالتناسخ

قال المصنف: وقد لبس إبليس على أقوام فقالوا بالتناسخ وأن أرواح أهل الخير إذا خرجت دخلت في أبدان خيرة فاستراحت وأرواح أهل الشر إذا خرجت تدخل في أبدان شريرة فيتحمل عليها المشاق وهذا المذهب ظهر في زمان فرعون موسى (وذكر أبو القاسم البلخي) أن أرباب التناسخ لما رأوا ألم الأطفال والسباع والبهائم استحال عندهم أن يكون ألمها يمتحن به غيرها أو ليتعوض أو لا لمعنى أكثر من أنها مملوكة فصح عندهم أن ذلك لذنوب سلفت منها قبل تلك الحال (وذكر يحيى بن بشر بن عمير النهاوندي) أن الهند يقولون الطبائع أربع هيولى مركبة ونفس وعقل وهيولى مرسله .

فالركبة هي الرب الأصغر والنفس هي الهيولى الأصغر والعقل الرب الأكبر والهيولى هو أيضاً أكبر وأن النفس إذا فارقت الدنيا صارت إلى الرب الأصغر وهو الهيولى المركبة فإن كانت محسنة صافية قبلها في طبعه فصفاها حتى يخرجها إلى الهيولى الأصغر وهو النفس حتى تصير إلى الرب الأكبر فيتخلصه إلى الهيولى المركب الأكبر. فإن كان محسناً تام الإحسان أقام عنده في العالم البسيط وإن كان محسناً غير تام أعاده إلى الرب الأكبر ثم يعيده الرب الأكبر إلى الهيولى الأصغر ثم يعيده الهيولى الأصغر إلى الرب الأصغر فيخرجه مارجاً لشعاع الشمس حتى ينتهي إلى بقلة خسيصة يأكلها الإنسان فيتحول إنساناً ويولد ثانية في العالم وهكذا تكون حاله في كل مودة يموتها. (وأما المسيئون) فإنهم إذا بلغت نفوسهم إلى الهيولى الأصغر انعكست فصارت حشائش تأكلها البهائم فتصير الروح في بهيمة ثم تنسخ من بهيمة في أخرى عند موت تلك البهيمة فلا يزال منسوخاً متردداً في العلل: ويعود كل ألف سنة إلى صورة الإنس. فإن أحسن في صورة الإنس لحق بالمحسنين .

قال المصنف: قلت فانظر إلى هذه التليسات التي رتبها لهم إبليس على ما عن له لا يستند إلى شيء. أنبأنا محمد بن أبي طاهر البزار قال أنبأنا علي بن المحسن عن أبيه قال حدثني أبو الحسن علي بن نظيف المتكلم قال كان يحضر معنا ببغداد شيخ الأمامية يعرف بأبي بكر بن الفلاس فحدثنا أنه دخل على بعض من كان يعرفه بالتشيع ثم صار يقول بمذهب التناسخ قال فوجدته بين يديه سنور أسود وهو يمسحها ويحك بين عينيها ورأيتها وعينها تدمع كما جرت عادة السنائر بذلك وهو يبكي بكاءً شديداً فقلت له لم تبك فقال ويحك أما ترى هذه السنور تبكي كلما مسحتها هذه أمي لا شك وإنما تبكي من رؤيتها إلى حسرة قال وأخذ يخاطبها خطاب من عنده أنها تفهم منه وجعلت السنور تصيح قليلاً قليلاً فقلت له فهي تفهم عنك ما تخاطبها به فقال: نعم فقلت: أتفهم أنت صياحها قال: لا قلت: فأنت المنسوخ وهي الإنسان .

ذكر تلييس إبليس على أمتنا في العقائد والديانات

قال المصنف: دخل إبليس على هذه الأمة في عقائدها من طريقين: أحدهما التقليد للآباء والأسلاف. والثاني: الخوض فيما لا يدرك غوره ويعجز الخائض عن الوصول إلى عمقه فأوقع أصحاب هذا القسم في فنون من التخليط فأما الطريق الأول فإن إبليس زين للمقلدين أن الأدلة قد تشبهه والصواب قد يخفى والتقليد سليم: وقد ضل في هذا الطريق خلق كثير وبه هلاك عامة الناس فإن اليهود والنصارى قلدوا آباءهم وعلماءهم فضلوا وكذلك أهل الجاهلية واعلم أن العلة التي بها مدحوا التقليد بها يذم لأنه إذا كانت الأدلة تشبهه والصواب يخفى وجب هجر التقليد لئلا يوقع في ضلال. وقد ذم الله سبحانه وتعالى الواقفين مع تقليد آباءهم وأسلافهم فقال عز وجل: ﴿ بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون . قل أولو جنتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ﴾ المعنى أتبعونهم وقد قال عز وجل: ﴿ أنهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون ﴾ .

قال المصنف: اعلم أن المقلد على غير ثقة فيما قلد فيه وفي التقليد إبطال منفعة العقل لأنه إنما خلق للتأمل والتدبر. وقبيح بمن أعطى شمعة يستضيء بها أن يطفئها ويمشى في الظلمة. واعلم أن عموم أصحاب المذاهب يعظم في قلوبهم الشخص فيتبعون قوله من غير تدبر بما قال: وهذا عين الضلال لأن النظر ينبغي أن يكون إلى القول لا إلى القائل كما قال على رضي الله عنه للحارث بن حوط وقد قال له أتظن أن طلحة والزبير كانا على باطل فقال له يا حارث أنه ملبوس عليك إن الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف أهله. وكان أحمد بن حنبل يقول: من ضيق علم الرجل أن يقلد في اعتقاده رجلاً، ولهذا أخذ أحمد بن حنبل يقول: ريد في الجحد وترك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه « فإن قال قائل « فالعوام لا يعرفون الدليل فكيف لا يقلدون فالجواب - إن دليل الاعتقاد ظاهر على ما أشرنا إليه في ذكر الدهرية ومثل ذلك لا يخفى على عاقل وأما الفروع فإنها لما كثرت حوادثها واعتاص على العامي

عرفانها وقرب لها أمر الخطأ فيها كان أصلح ما يفعله العامي لمن قد سبر ونظر إلا أن اجتهاد العامي في اختيار من يقلده .

قال المصنف: وأما الطريق الثاني: فإن إبليس لما تمكن فورطهم في التقليد وساقهم سوق البهائم . ثم رأى خلقاً وفطنة فاستغواهم على قدر تمكنه منهم فمنهم من قبح عند التقليد وأمره بالنظر ثم استغوى كلا من هؤلاء بفن فمنا الوقوف مع ظواهر الشرائع عجز . فساقهم الفلاسفة ولم يزا أخرجهم عن الإسلام وقد سبق ذكرهم في الرد على الف هؤلاء من حسن له أن لا يعتقد إلا ما أدركته حواسه .

بالحواس علمتم صحة قولكم فإن قالوا نعم كابروا لأن حواس قالوا إذ ما يدرك بالحواس لا يقع فيه خلاف وإن قالوا بناقضوا قولهم: ومنهم من نفره إبليس عن التقليد وحسن علم الكلام والنظر في أوضاع الفلاسفة ليخرج بزعمه عن وقد تنوعت أحوال المتكلمين وأفضى الكلام بأكثرهم وبعضهم إلى الإلحاد ولم تسكت القدماء من فقهاء هذه الأ عجزاً ولكنهم رأوا أنه لا يشفى غليلاً ثم يرد الصحيح عليا ونهوا عن الخوض فيه . حتى قال الشافعي رحمه الله: لإر بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر فو وإذا سمعت الرجل يقول الإسم هو المسمى أو غير المسمى أهل الكلام ولا دين له . قال وحكى في علماء الكلام أن ي ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال هذا جزاء من ترك وأخذ في الكلام: وقال أحمد بن حنبل لا يفلح صاحب ك الكلام رنادقة .

قال المصنف: قلت وكيف لا يذم الكلام وقد أفضى بال قالوا إن الله عز وجل يعلم جمل الأشياء ولا يعلم تفاصيله بن صفوان علم الله وقدرته وحياته محدثة . وقال أبو محمد جهم أنه قال إن الله عز وجل ليس بشيء . وقال أبو علي

هاشم ومن تابعهما من البصريين المعدوم شئ وذات ونفس وجوهر وبياض وصفرة وحمرة وإن الباري سبحانه وتعالى لا يقدر على جعل الذات ذاتاً ولا العرص عرضاً ولا الجوهر جوهرأ وإنما هو قادر على إخراج الذات من العدم إلى الوجود. وحكى القاضى أبو يعلى فى كتاب المقتبس قال: قال لى العلاف المعتزلى لنعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أمر لا يوصف الله بالقدرة على دفعه ولا تصح الرغبة حيثئذ إليه ولا الرهبة منه لأنه لا يقدر إذ ذاك على خير ولا شر ولا نفع ولا ضرر. قال ويبقى أهل الجنة جموداً سكوتاً لا يفضون بكلمة ولا يتحركون ولا يقدرون هم ولا ربهم على فعل شئ من ذلك. لأن الحوادث كلها لا بد لها من آخر تنتهى إليه لا يكون بعده شئ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

قال المصنف: قلت وذكر أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمد البلخى فى كتاب المقالات. إن أبا الهذيل إسمه محمد بن الهذيل العلاف وهو من أهل البصرة من عبد القيس مولى لهم وانفرد بأن قال أهل الجنة تنقضى حركاتهم فيصيرون إلى سكون دائم وأن لما يقدر الله عليه نهاية لو خرج إلى الفعل ولن يخرج استحال أن يوصف الله عز وجل بالقدرة على غيره. وكان يقول إن علم الله هو الله وإن قدرة الله هى الله. وقال أبو هاشم من تاب عن كل شئ إلا أنه شرب جرعة من خمر فإنه يعذب عذاب أهل الكفر أبداً. وقال النظام أن الله عز وجل لا يقدر على شئ من الشر وإن إبليس يقدر على الخير والشر. وقال هشام القوطى أن الله لا يوصف بأنه عالم لم يزل وقال بعض المعتزلة يجوز على الله سبحانه وتعالى الكذب إلا أنه لم يقع منه. وقالت المجيرة لا قدر لآدمى بل هو كالجماد مسلوب الاختيار والفعل. وقالت المرجئة أن من أقر بالشهادتين وأتى بكل المعاصى لم يدخل النار أصلاً وخالفوا الأحاديث الصحاح فى إخراج الموحدين من النار قال ابن عقيل ما أشبه أن يكون واضح الأرجاء رنديقاً فإن صلاح العالم بإثبات الوعيد واعتقاد الجزاء فالمرجئة لما لم يمكنهم جحد الصانع لما فيه من نفور الناس ومخالفة العقل أسقطوا فائدة الإثبات وهى الخشية والمراقبة وهدموا سياسة الشرع فهم شر طائفة على

الإسلام .

قال المصنف: قلت وتبع أبو عبد الله بن كرام فاختر من المذاهب أردأها ومن الأحاديث أضعفها ومال إلى التشبيه وأجار حلول الحوادث في ذات الباري سبحانه وتعالى . وقال إن الله لا يقدر على إعادة الأجسام والجواهر إنما يقدر على ابتدائها . قالت السالمية إن الله عز وجل يتجلى يوم القيامة لكل شئ في معناه فيراه الآدمى آدمياً . والجنى جنياً . وقالوا الله سر لو أظهره لبطل التدبير .

قال المصنف: قلت أعوذ بالله من نظر وعلوم أوجبت هذه المذاهب القبيحة: وقد زعم أرباب الكلام أنه لا يتم الإيمان إلا بمعرفة ما رتبوه وهؤلاء على الخطاء لأن الرسول ﷺ أمر بالإيمان ولم يأمر يبحث المتكلمين ودرجة الصحابة الذين شهد لهم الشارع بأنهم خير الناس على ذلك . وقد ورد ذم الكلام على ما قد أشرنا إليه . وقد نقل إلينا أقلام منطقي المتكلمين عما كانوا عليه لما رأوا من قبح غوائله .

فأخبرنا أبو منصور القزاز أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت نا أبو منصور محمد بن عيسى بن عبد العزيز البزار ثنا صالح الوفاة بن أحمد بن محمد الحافظ ثنا أحمد بن عبيد الله بن إبراهيم ثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث قال سمعت أحمد بن سنان قال . كان الوليد بن أبان الكرابيسي خالي فلما حضرته الوفاة قال لبنيه: تعلمون أحداً أعلم بالكلام مني؟ قالوا: لا قال: فتتهمونني قالوا: لا قال فإني أوصيكم أتقبلون قالوا نعم قال عليكم بما عليه أصحاب الحديث فإني رأيت الحق معهم . وكان أبو المعالي الجويني يقول لقد جلّت أهل الإسلام جولة وعلومهم ركبت البحر الأعظم وغصت في الذي نهوا عنه كل ذلك في طلب الحق وهرباً من التقليد والآن فقد رجعت عن الكل إلى كلمة الحق عليكم بدين العجائز فإن لم يدركني الحق بلطيف بره فأموت على دين العجائز ويختم عاقبة أمري عند الرحيل بكلمة الإخلاص فالويل لابن الجويني . وكان يقول لأصحابه . يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما تشاغلتم به . وقال أبو الوفاء ابن عقيل لبعض أصحابه أنا أقطع

أن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض فإن رضيت أن تكون مثلهم فكن وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت. قال وقد أفضى الكلام بأهله إلى الشكوك وكثير منهم إلى الإلحاد تشم روائح الإلحاد من فلتات كلام المتكلمين وأصل ذلك أنهم ما قنعوا بما قنعت به الشرائع وطلبوا الحقائق وليس في قوة العقل إدراك ما عند الله من الحكمة التي انفرد بها ولا أخرج الباري من علمه لخلقه ما علمه هو من حقائق الأمور. قال: وقد بالغت في الأول طول عمري ثم عدت القهقري إلى مذهب الكتب وإنما قالوا أن مذهب العجائز أسلم لأنهم لما انتهوا إلى غاية التدقيق في النظر لم يشهدوا ما ينفي العقل من التعليلات والتأويلات فوقفوا مع مراسم الشرع وجنبوا عن القول بالتعليل وأذعن العقل بأن فوقه حكمة إلهية فسلم. وبيان هذا أن نقول أحب أن يعرف أراد أن يذكر فيقول قائل هل شغف باتصال النفع هل دعاه داع إلى إفاضة الإحسان: ومعلوم أن للداعي عوارض على الذات وتطلبات من النفس وما تعقل ذلك إلا الذات يدخل عليها داخل من شوق إلى تحصيل ما لم يكن لها وهي محتاجة فإذا وجد ذلك العرض سكن الشغف وقر الداعي وذلك الحاصل يسمى غنى والقديم لم يزل موصوفاً بالغسنى منعوتاً بالاستقلال بذاته الغنية عن استزادة أو عارض ثم إذا نظرنا في إنعامه رأيناه مشحوناً بالنقص والآلام وأذى الحيوانات فإذا رام العقل أن يعلل بالإنعام جاء تحقيق النظر فرأى أن الفاعل قادر على الصفاء ولا صفاء ورآه منزهاً بأدلة العقل عن البخل الموجب لمنع ما يقدر على تحصيله. وعن العجز عن دفع ما يعرض لهذه الموجودات من الفساد فإذا عجز عن التعليل كان التسليم أولى: وإنما الفساد من أن الخلق اقتضاؤه الفوائد ودفع المضار على مقتضى قدرته: ولو مزجوا في ذلك العلم بأنه الحكيم لاقتضت نفوسهم له التسليم بحسب حكيمته فعاشوا في بحبوحة التفويض بلا اعتراض.

فصل

وقد وقف أقوام مع الظواهر فحملوها على مقتضى الحس فقال بعضهم

إن الله جسم تعالى الله عن ذلك: وهذا مذهب هشام بن الحكم وعلى بن منصور ومحمد ابن الخليل ويونس بن عبد الرحمن. ثم اختلفوا فقال بعضهم جسم كالأجسام. ومنهم من قال لا كالأجسام. ثم اختلفوا فمنهم من قال هو نور ومنهم من قال هو على هيئة السبيكة البيضاء. هكذا كان يقول هشام بن الحكم، كان يقول إن الإله سبعة أشبار بشبر نفسه ﴿تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً﴾ وأنه يرى ما تحت الثرى بشعاع متصل منه قلت ما أعجب إلا من حده سبعة أشبار حتى علمت أنه جعله كالآدميين والآدمي طوله سبعة أشبار بشبر نفسه وذكر أبو محمد النوبختي عن الجاحظ عن النظام أن هشام بن عبد الحكم قال في التشبيه في سنة واحدة خمسة أقاويل قطع في آخرها أن معبوده أشبر نفسه سبعة أشبار: فإن قوماً قالوا إنه على هيئة السبيكة وأن قوماً قالوا هو على هيئة البلورة الصافية المستوية الاستدارة التي من حيث أيتها رأيتها على هيئة واحدة وقال هشام: هو متناهي الذات حتى قال إن الجبل أكبر منه قال وله ماهية يعلمها هو.

قال المصنف: وهذا يلزمه أن يكون له كيفية أيضاً وذلك ينقض القول بالتوحيد وقد استقر أن الماهية لا تكون إلا لمن كان ذا جنس وله نظائر فيحتاج أن يفرد منها ويبان عنها والحق سبحانه ليس بذى جنس ولا مثل له ولا يجوز أن يوصف بأن ذاته أرادته ومتناهيه لأعلى معنى أنه ذاهب في الجهات بلا نهاية: إنما المراد أنه ليس بجسم ولا جوهر فنلزمه النهاية قال النوبختي وقد حكى كثير من المتكلمين أن مقاتل بن سليمان ونعيم بن حماد وداود الحواري يقولون إن الله صورة وأعضاء.

قال المصنف: أترى هؤلاء كيف يشبتون له القدم دون الآدميين ولم لا يجوز عليه عندهم ما يجوز على الآدميين من مرض أو تلف: ثم يقال لكل من ادعى التجسيم بأى دليل أثبت حدث الأجسام فبدلك بذلك على أن الإله هو الذي اعتقدته جسماً محدثاً غير قديم ومن قول المجسمة أن الله عز وجل يجوز أن يمس ويلمس: فيقال له يجوز على قولكم أن يمس ويلمس ويعانق وقال بعضهم أنه جسم هو فضاء والأجسام كلها فيه. وكان

بيان بن سمعان يزعم أن معبوده نور كله وأنه على صورة رجل وأنه يهلك جميع أعضائه إلا وجهه فقتله خالد ابن عبد الله وكان المغيرة بن سعد العجلي يزعم أن معبوده رجل من نور على رأسه تاج من نور وله أعضاء وقلب تنبع منه الحكمة وأعضاؤه على صورة حروف الهجاء .

وكان هذا يقول بإمامة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن وكان زرارة ابن أعين يقول . لم يكن الباري قادراً حياً عالماً في الأزل حتى خلق لنفسه هذه الصفات تعالى الله عن ذلك . وقال داود الخوارى هو جسم لحم ودم وله جوارح وأعضاء وهو أجوف من فمه إلى صدره ومصمت ما سوى ذلك : ومن الواقمين مع الحس أقوام قالوا هو على العرش بذاته على وجه المماسه فإذا نزل انتقل وتحرك وجعلوا لذاته نهاية وهؤلاء قد أوجبوا عليه المساحة والمقدار واستدلوا على أنه على العرش بذاته بقول النبي ﷺ ينزل الله إلى سماء الدنيا : قالوا ولا ينزل إلا من هو فوق . وهؤلاء حملوا نزوله على الأمر الحسى الذى يوصف به الأجسام : و هؤلاء المشبهة الذين حملوا الصفات على مقتضى الحس وقد ذكرنا جمهور كلامهم فى كتابنا المسمى بمنهاج الوصول إلى علم الأصول . وربما تخيل بعض المشبهة فى رؤية الحق يوم القيامة لما يراه فى الأشخاص فيمثله شخصاً يزيد حسنه على كل حسن : فتراه يتنفس من الشقوق إليه ويمثل الزيادة فيزداد توقه ويتصور رفع الحجاب فيقلق ويتذكر الرؤية فيغشى عليه . ويسمع فى الحديث أنه يدنى عبده المؤمن إليه فيتخايل القرب الذاتى كما يجالس الجنس وهذا كله جهل بالموصوف . ومن الناس من يقول لله وجه هو صفة زائدة على صفة ذاته لقوله عز وجل ﴿ ويبقى وجه ربك ﴾ وله يد وله أصبع لقول رسول الله ﷺ «يضع السموات على أصبع» (١) وله قدم إلى غير ذلك مما تضمنته الأخبار وهذا كله إنما استخرجوه من مفهوم الحس : وإنما الصواب قراءة الآيات والأحاديث من غير تفسير ولا كلام فيها وما يؤمن هؤلاء أن يكون المراد بالوجه الذات لا إنه صفة زائدة وعلى هذا فسر الآية المحققون فقالوا ويبقى ربك وقالوا فى قوله : ﴿يريدون وجه ﴾ يريدونه وما يؤمنهم أن يكون أراد بقوله قلوب العباد بين

إصبعيه أن الأصبع لما كانت هي المقابلة للشئ وأن ما بين الإصبعين يتصرف فيها صاحبها كيف شاء ذكر ذلك لا أن ثم صفة رائدة. قال المصنف: والذي أراه السكوت عن هذا التفسير أيضاً إلا أنه يجوز أن يكون مراداً ولا يجوز أن يكون ثم ذات تقبل التجزىء والانقسام ومن أعجب أحوال الظاهرية قول السالمية أن الميت يأكل فى القبر ويشرب وينكح لأنهم سمعوا بنعيم ولم يعرفوا من النعيم إلا هذا ولو قنعوا بما ورد فى الآثار من إن أرواح المؤمنين وتجعل فى حواصل طير تأكل من شجر الجنة. لسلّموا لكنهم أضافوا ذلك إلى الجسد قال ابن عقيل: ولهذا المذهب مرض يضاهى الاستشعار الواقع للجاهلية وما كانوا يقولونه فى الهام والصداء والمكالمة لهؤلاء ينبغى أن تكون على سبيل المداراه لاستشعارهم لا على وجه المناظرة فإن المقاومة تفسدهم. وإنما لبس إبليس على هؤلاء لتركهم البحث عن تأويل المطابق لأدلة الشرع والعقل. فإنه لما ورد النعيم والعذاب للميت علم أن الإضافة حصلت إلى الأجساد والقبور تعريفاً كأنه يقول صاحب هذا القبر الروح التى كانت فى هذا الجسد منعمة بنعيم الجنة معذبة بعذاب النار.

فصل

قال المصنف: فإن قال قائل قد عبد طريق المقلدين فى الأصول وطريق المتكلمين فما الطريق السليم من تلبيس إبليس. فالجواب أنه ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابه وتابعيهم بإحسان من إثبات الخالق سبحانه وإثبات صفاته على ما وردت به الآيات والأخبار من غير تفسير ولا بحث عما ليس فى قوة البشر إدراكه وأن القرآن كلام الله غير مخلوق. قال على كرم الله وجهه: والله ما حكمت مخلوقاً إنما حكمت القرآن وإنه المسموع قوله عز وجل ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ وأنه فى المصاحف لقوله عز وجل ﴿فى رق منشور﴾ ولا نتعدى مضمون الآيات ولا نتكلم فى ذلك برأينا. ولقد كان أحمد بن حنبل ينهى أن يقول الرجل لفظى بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق لئلا يخرج عن الاتباع للسلف إلى حدث.

والعجب ممن يدعى اتباع هذا الإمام ثم يتكلم فى المسائل المحدثه .
أخبرنا سعد الله بن على البزار نا أبو بكر الطرايى نا هبة الله بن الحسن
الطبرى أبو حامد أحمد بن أبى طاهر الفقيه نا عمر بن أحمد الواعظ ثنا
محمد بن هارون الحضرمى ثنا القاسم بن العباس الشيبانى ثنا سفيان بن
عيينة عن عمرو بن دينار قال أدركت تسعة من أصحاب رسول الله ﷺ
يقولون من قال أن القرآن مخلوق فهو كافر . وقال مالك بن أنس من قال
القرآن مخلوق فاستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه . أخبرنا أبو البركات
بن على البزار نا أحمد بن على الطرايى نا هبة الله الطبرى ثنا محمد بن
أحمد القاسم ثنا أحمد بن عثمان ثنا محمد ابن ماهان ثنا عبد الرحمن بن
مهدى عن سفيان عن جعفر بن برقان إن عمر بن عبد العزيز قال لرجل
فسأله عن الأهواء فقال عليك بدين الصبى فى الكتاب والإعرابى واله عما
سواهما قال ابن مهدى وثنا عبد الله بن المبارك عن الأوزاعى قال : قال
عمر بن عبد العزيز إذا رأيت قوماً يتتاجون فى دينهم بشئ دون العامة
فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة .

أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا أحمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا
محمد بن أحمد ابن الحسن ثنا بشر بن موسى ثنا خلاد بن يحيى عن
سفيان الثورى : قال بلغنى عن عمر أنه كتب إلى بعض عماله «أوصيك
بتقوى الله عز وجل ، واتباع سنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
وسلم ، وترك ما أحدث المحدثون بعده بما قد كفوا مؤنته» واعلم أن من
سن السنن قد علم ما فى خلافتها من الخطأ والزلل والتعمق فإن السابقين
الماضين عن علم توقفوا وتبصر ناقد قد كفوا . وفى رواية أخرى عن عمر .
وأنهم كانوا على كشف الأمور أقوى وما أحدث إلا من اتبع غير سبيلهم
ورغب بنفسه عنهم لقد قصر دونهم أقوام فخفوه وطمح عنهم آخرون
فعلوه .

أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا أحمد بن أحمد نا أحمد بن عبد الله
الحافظ ثنا سليمان ابن أحمد ثنا بشر بن موسى ثنا عبد الصمد بن حسان
قال سمعت سفيان الثورى يقول عليكم بما عليه الحمالون والنساء فى

البيوت والصبيان في الكتاب من الإقراء والعمل .

قال المصنف: فإن قال قائل هذا مقام عجر لا مقام الرجال فقد أسلفنا جواب هذا . وقلنا إن الوقوف على العمل ضرورة لأن بلوغ ما يشفى العقل من التعليل لم يدركه من غاص من المتكلمين في البحار فلذلك أمروا بالوقوف على الساحل كما ذكرنا عنهم .

ذكر تلبيس إبليس على الخوارج

قال المصنف: أول الخوارج وأقبحهم حالة ذو الخويصرة أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر نا عبد الله ثنى أبي ثنا محمد بن فضيل نا عمارة ابن القعقاع عن ابن أبي يعمر عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: بعث على رضى الله عنه من اليمن إلى رسول الله ﷺ بذهبة في أديم مقروظ لم تخلص من ترابها فقسمها رسول الله ﷺ بين أربعة بين زيد الخليل والأقرع بن حابس وعيينة بن حصن وعلقمة بن علاثة أو عامر بن الطفيل شك عمارة فوجد من ذلك بعض أصحابه والأنصار وغيرهم فقال رسول الله ﷺ ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً ثم أتاه رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناتئ الجبهة كث اللحية مشمر الأزار مخلوق الرأس فقال اتق الله يا رسول الله فرفع رأسه إليه فقال ويحك أليس أحق الناس أن يتقى الله أنا ثم أدبر فقال خالد يا رسول الله ألا أضرب عنقه فقال رسول الله ﷺ فلعله يكون يصلى فقال إنه ربُّ مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه فقال رسول الله ﷺ إنى لم أوامر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم ثم نظر إليه النبي ﷺ وهو مقف فقال إنه سيخرج من ضئضى هذا قوم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية .

قال المصنف: هذا الرجل يقال له ذو الخويصرة التميمي وفي لفظ أنه قال له أعدل فقال ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل فهذا أول خارجي خرج في الإسلام وآفته أنه رضى برأى نفسه ولو وقف لعلم أنه لا رأى فوق رأى رسول الله ﷺ وأتباع هذا الرجل هم الذين قاتلوا على بن أبي

طالب كرم الله وجهه . وذلك أنه لما طالت الحرب بين معاوية وعلى رضى الله عنهما رفع أصحاب معاوية المصاحف ودعوا أصحاب على إلى ما فيها وقال : تبعثون منكم رجلاً ونبعث منا رجلاً . ثم نأخذ عليهما أن يعملوا بما فى كتاب الله عز وجل فقال أناس : قد رضينا فبعثوا عمرو بن العاص فقال أصحاب على ابعت أبا موسى فقال على لا أرى أن أولى أبا موسى : هذا ابن عباس قالوا لا نريد رجلاً منك فبعث أبا موسى وأخر القضاء إلى رمضان فقال عروة بن أذينة تحكمون فى أمر الله الرجال لا حكم إلا الله ، ورجع علي من صفين فدخل الكوفة ولم تدخل معه الخوارج فأتوا حروراء . فنزل بها منهم اثنا عشر ألفاً وقالوا لا حكم إلا الله وكان ذلك أول ظهورهم ونادى مناديتهم أن أمير القتال شبيب بن ربيع التميمي وأمير الصلاة عبد الله بن الكوا الشكري . وكانت الخوارج تتعبد إلا أن اعتقادهم أنهم أعلم من على ابن أبي طالب كرم الله وجهه وهذا مرض صعب .

أخبرنا اسماعيل بن أحمد نا محمد بن هبة الله الطبرى نا محمد بن الحسين بن الفضل نا عبد الله بن جعفر بن درستوية نا يعقوب بن سفيان ثنى موسى بن مسعود ثنا عكرمة بن عمار عن سماك بن رميل قال : قال عبد الله بن عباس أنه لما اعتزلت الخوارج دخلوا داراً وهم ستة آلاف وأجمعوا على أن يخرجوا على بن أبي طالب فكان لا يزال يجيئ إنسان فيقول يا أمير المؤمنين إن القوم خارجون عليك فيقول دعوهم فإنى لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسوف يفعلون . فلما كان ذات يوم أتته قبل صلاة الظهر فقلت له يا أمير المؤمنين أبرد بالصلاة لعلى أدخل على هؤلاء القوم فأكلهم . فقال إنى أخاف عليك . فقلت كلا وكنت رجلاً حسن الخلق لا أؤذى أحداً فأذن لى فلبست حلة من أحسن ما يكون من اليمن وترجلت فدخلت عليهم نصف النهار فدخلت على قوم لم أر قط أشد منهم اجتهاداً . جباههم قرحة من السجود وأياديتهم كأنها ثفن الإبل . وعليهم قمص مرحضة مشمرين مسهمة وجوههم من السهر فسلمت عليهم فقالوا مرحباً بابن عباس ما جاء بك . فقلت أتيتكم من عند المهاجرين والأنصار ومن عند صهر رسول الله ﷺ وعليهم نزل القرآن

وهم أعلم بتأويله منكم . فقالت طائفة منهم لا تخاصموا قريشاً فإن الله عز وجل يقول : ﴿ بل هم قوم خصمون ﴾ فقال اثنان أو ثلاثة لنكلمنه : فقلت هاتوا ما نقيتم على صهر رسول الله ﷺ والمهاجرين والأنصار وعليهم نزل القرآن وليس فيكم منهم أحد : وهم أعلم بتأويله . قالوا ثلاثاً . قلت هاتوا . قالوا أما إحداهن فإنه حكم الرجال في أمر الله . وقد قال الله عز وجل : ﴿ إن الحكم إلا لله ﴾ فما شأن الرجال والحكم بعد قول الله عز وجل . فقلت هذه واحدة وماذا . قالوا وأما الثانية فإنه قاتل وقتل ولم يسب ولم يغنم فإن كانوا مؤمنين فلم حل لنا قتالهم وقتلهم ولم يحل سيئهم قلت وأما الثالثة قالوا فإنه محا عن نفسه أمير المؤمنين فإنه إن لم يكن أمير المؤمنين فإنه لأمر الكافرين . قلت هل عندكم غير هذا ؟ قالوا كفانا هذا . قلت لهم أما قولكم حكم الرجال في أمر الله أنا أقرأ عليكم في كتاب الله ما ينقض هذا . فإذا نقض قولكم أترجعون ؟ قالوا نعم . قلت فإن الله قد صير من حكمه إلى الرجال في ربع درهم ثمن أرنب وتلى هذه الآية ﴿ لا تقتلوا الصيد وأنت حرم ﴾ إلى آخر الآية وفي المرأة وزوجها ﴿ فإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها ﴾ إلى آخر الآية فنشدتكم بالله هل تعلمون حكم الرجال في إصلاح ذات بينهم وفي حقن دماءهم أفضل أم حكمهم في أرنب ويضع امرأة فأيهما ترون أفضل . قالوا بل هذه . قلت خرجت من هذه . قالوا نعم . قلت وأما قولكم قاتل ولم يسب ولم يغنم فتسبون أمكم عائشة رضي الله تعالى عنها . فوالله لئن قلت لئن قاتلتم ليست بأمننا لقد خرجتم من الإسلام . ووالله لئن قلت لئن قاتلتم ليست بأمننا لقد خرجتم من غيرها لقد خرجتم من الإسلام . فأنتم بين ضلالتين لأن الله عز وجل قال ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ﴾ أخرجت من هذه ؟ قالوا نعم . قلت وأما قولكم محا عن نفسه أمير المؤمنين فأنا آتيكم بمن ترضون أن النبي ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين أبا سفيان ابن حرب وسهيل بن عمرو . فقال لعلي رضي الله عنه أكتب لهم كتاباً فكتب لهم على .

هذا ما اصطلاح عليه محمد رسول الله فقال المشركون : والله ما نعلم

أنك رسول الله لو نعلم أنك رسول الله ما قتلناك فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم اللهم إنك تعلم أنى رسول الله امح يا على . اكتب هذا ما اصطلح عليه محمد ابن عبد الله فوالله لرسول الله خير من على وقد محا نفسه قال فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فقتلوا . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت نا ولاد بن على الكوفى نا محمد بن على بن دحيم الشيبانى ثنا أحمد بن حازم ثنا أحمد ابن عبد الرحمن يعنى ابن أبى ليلى ثنا سعيد بن جثيم عن القعقاع بن عمارة عن أبى الخليل عن أبى الشائعة عن جندب الأزدى . قال لما عدلنا إلى الخوارج ونحن مع على ابن أبى طالب كرم الله وجهه قال فانهتينا إلى معسكرهم فإذا لهم دوى كدوى النحل من قراءة القرآن .

قال المصنف: وفى رواية أخرى أن علياً رضى الله عنه لما حكم آتاه من الخوارج زرعه ابن البرج الطائى وحرقوقص بن زهير السعدى فدخلا عليه فقالا له لا حكم إلا لله . فقال على لا حكم إلا لله فقال له حرقوقص تب من خطيئتك وارجع عن قضيتنا واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا ولئن لم تدع تحكيم الرجال فى كتاب الله عز وجل لأقاتلنك أطلب بذلك وجه الله واجتمعت الخوارج فى منزل عبد الله بن وهب الراسى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ما ينبغى لقوم يؤمنون بالرحمن وينسبون إلى حكم القرآن أن تكون هذه الدنيا التى إيثارها عناء أثر عنده من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والقول بالحق فاخرجوا بنا . فكتب إليهم على بن أبى طالب كرم الله وجهه . أما بعد فإن هذين الرجلين اللذين ارتضيا حكمين فقد خالفا كتاب الله واتبعا أهواءهما ونحن على الأمر الأول . فكتبوا إليها إنك لم تغضب لربك وإنما غضبت لنفسك فإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك . وإلا فقدنا بذلك على سواء والسلام ولقى الخوارج فى طريقهم عبد الله بن خباب فقالوا هل سمعت من أبىك حديثاً تحدته عن رسول الله ﷺ تحدثناه قال نعم سمعت أبى يحدث عن رسول الله ﷺ أنه ذكر فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشى والماشى فيها خير من السالمى فإن

على رضى الله عنه . فقد قال ذو الخويرة لرسول الله ﷺ أعدل فما عدلت وما كان إبليس ليتهدى إلى هذه المخارى نعوذ بالله من الخذلان .

أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر بن ملك ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنى أبى قال قرأت على عبد الرحمن بن ملك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يخرج قوم فيكم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وأعمالكم مع أعمالهم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية . أخرجاه فى الصحيحين .

أخبرنا سعد الله بن على نا أبو بكر الطريشى ثنا هبة الله بن الحسن الطبرى نا أحمد ابن عبيد ثنا على بن عبد الله بن مبشر ثنا أحمد بن سنان ثنا إسحاق بن يوسف الأزرق عن الأعمش عن عبد الله بن أبى أوفى وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول الخوارج كلاب أهل النار .

فصل

قال المصنف : ومن رأى الخوارج أنه لا تختص الإمامة بشخص إلا أن يجتمع فيه العلم والزهد فإذا اجتمع كان إماماً نبطياً ومن رأى هؤلاء أحدث المعتزلة فى التحسين والتقيح إلى العقل وأن العدل ما يقتضيه ثم حدث القدرية فى زمن الصحابة وصار معبد الجهنى وغيلان الدمشقى والجعد ابن درهم إلى القول بالقدر ونسج على منوال معبد الجهنى واصل بن عطاء وانضم إليه عمرو بن عبيد . وفى ذلك الزمان حدثت سنة المرجئة حين قالوا لا يضر مع الإيمان معصية كمالات ينفع مع الكفر طاعة . ثم طالعت المعتزلة مثل أبى الهذيل العلاف والنظام ومعمار والجاحظ كتب الفلاسفة فى زمان المأمون واستخرجوا منها ما خلطوه بأوضاع الشرع مثل لفظ الجوهر والعرض والزمان ، المكان والكون . وأول مسألة أظهرها القول بخلق القرآن . وحينئذ سمي هذا الفصل فصل الكلام . وتلت هذه المسألة مسائل الصفات مثل العلم والقدرة والحياة والسمع والبصر . فقال قوم هى معانى رائدة على الذات ونفتها المعتزلة وقالوا عالم لذاته قادر لذاته . وكان أبو الحسن الأشعري على مذهب الجبائى ثم انفرد عنه إلى مثبتى الصفات . ثم

أخذ بعض مثبتى الصفات فى اعتقاد التشبيه وإثبات الانتقال فى النزول
والله الهادى لما يشاء .

ذكر تليسه على الراضية

قال المصنف: وكما لبس إبليس على هؤلاء الخوارج حتى قاتلوا على
بن أبى طالب حمل آخرين على الغلو فى حبه . فزادوه على الحد منهم
من كان يقول هو الإله . ومنهم من يقول هو خير الأنبياء . ومنهم من حملة
على سب أبى بكر وعم حتى أن بعضهم كفر أبى بكر وعمر إلى غير ذلك
من المذاهب السخيفة التى يرغب عن تضييع الزمان بذكرها . وإنما نشير
إلى بعضها .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد نا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت قال
حدث أبو يعقوب بن إسحاق بن محمد النخعى عن عبيد الله بن محمد
ابن عائشة وأبى عثمان المازنى وغيرهما وسمعت عبد الواحد بن على بن
برهان الأسدى يقول إسحاق بن محمد النخعى الأحمر كان يقول: إن
علياً هو الله . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وبالمدائن جماعة من الغلاة
يعرفون بالإسحاقية ينسبون إليه . قال الخطيب ووقع إلى كتاب لأبى محمد
الحسن بن يحيى النوبختى من تصنيفه فى الرد على الغلاة وكان النوبختى
هذا من متكلمى الشيعة الإمامية . فذكر أصناف مقالات الغلاة إلى أن قال
وقد كان ممن جرد الجن فى الغلو فى عصرنا إسحاق بن محمد المعروف
بالأحمر كان يزعم أن علياً هو الله عز وجل وأنه يظهر فى كل وقت فهو
الحسن فى وقت وكذلك هو الحسين وهو الذى بعث محمداً ﷺ .

قال المصنف: قلت : وقد اعتقد جماعة من الراضية أن أبى بكر وعمر
كانا كافرين . وقال بعضهم ارتدا بعد موت رسول الله ﷺ . ومنهم من
يقول بالتبرى من غير على . وقد روينا أن الشيعة طالبت زيد بن على
بالتبرى ممن خالف علياً فى إمامته فامتنع من ذلك فرفضوه فسموا
الراضية . ومنهم أقوام قالوا الإمامة فى موسى بن جعفر ثم فى ابنه
على ثم إلى محمد بن على ثم إلى على بن محمد ثم إلى الحسن بن
محمد العسكرى ثم إلى ابنه محمد وهو الإمام الثانى عشر الإمام المنتظر

الذى يزعمون أنه لم يمت وأنه سيرجع فى آخر الزمان فيملاً الأرض عدلاً. وكان أبو منصور العجلي يقول بانتظار محمد بن على الباقر ويدعى أنه خليفة. وأنه عرج به إلى السماء فمسح الرب بيده على رأسه. وزعم أنه الكسف الساقط من السماء وكانت طائفة من الرافضة يقال لها الجناحية وهم أصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذى الجناحين يقولون إن روح الإله دارت فى أصلاب الأنبياء والأولياء إلى أن انتهى إلى عبد الله وأنه لم يمت وهو المنتظر. ومنهم طائفة يقال لها الغرابية يثبتون شركة على فى النبوة. وطائفة يقال لها المفوضة يقولون إن الله عز وجل خلق محمداً ثم فوض خلق العالم إليه. وطائفة يقال لها الذمامية يذمون جبريل ويقولون كان مأموراً بالنزول على على فنزل على محمد. ومنهم من يقول إن أبا بكر ظلم فاطمة ميراثها. وقد روينا على السفاح أنه خطب يوماً فقام رجل من آل على رضى الله عنه قال أنا من أولاد على رضى الله عنه. فقال يا أمير المؤمنين أعدنى على من ظلمنى. قال: ومن ظلمك، قال: أنا من أولاد على رضى الله عنه والذى ظلمنى أبو بكر رضى الله عنه حين أخذ فدىك من فاطمة، قال: ودام على ظلمكم. قال: نعم، قال: ومن قال بعده قال: عمر رضى الله عنه قال: ودام على ظلمكم. قال: نعم. ومن قام بعده قال: عثمان رضى الله عنه، قال: ودام على ظلمكم، قال: نعم، قال: ومن قام بعده فجعل يلتفت كذا وكذا ينظر مكاناً يهرب منه .

قال ابن عقيل الظاهر أن من وضع مذهب الرافضة قصد الطعن فى أصل الدين والنبوة وذلك أن الذى جاء به رسول الله ﷺ أمر الغائب عنا وإنما نثق فى ذلك بنقل السلف وجودة نظر الناظرين إلى ذلك منهم. فكأننا نظرنا إذ نظر لنا من نثق بدينه وعقله فإذا قال قائل أنهم أول ما بدأوا بعد موته بظلم أهل بيته فى الخلافة وابته فى إرثها وما هذا إلا لسوء اعتقاد فى المتوفى. فإن الاعتقادات الصحيحة سيما فى الأنبياء توجب حفظ قوانينهم بعدهم لاسيما فى أهل بيته وذريتهم. فإذا قالت الرافضة أن القوم استحسوا هذا بعده خابت آمالنا فى الشرع. لأنه ليس بيننا وبينه إلا

النقل عنهم والثقة بهم . فإذا كان هذا محصول ما حصل لهم بعد موته
خبنا في المنقول . وزالت ثقتنا فيما عولنا عليه من اتباع ذوى العقول . ولم
نأمن أن يكون القوم لم يروا ما يوجب اتباعه فراعوه مدة الحياة وانقلبوا
عن شريعته بعد الوفاة ولم يبق على دينه إلا الأقل من أهله . فطاحت
الاعتقادات ، وضعفت النفوس ، عن قبول الروايات فى الأصل وهو
المعجزات فهذا من أعظم المحن على الشريعة .

قال المصنف: وغلو الرافضة فى حب على رضى الله عنه حملهم على
أن وضعوا أحاديث كثيرة فى فضائله أكثرها تشينه وتؤذيه . وقد ذكرت
منها جملة فى كتاب الموضوعات . منها أن الشمس غابت ففانت علياً
صلاة العصر فردت له الشمس . وهذا من حديث النقل موضوع . لم يروه
ثقة ومن حيث المعنى فإن الوقت قد فات وعودها طلوع متجدد فلا يرد
الوقت . وكذلك وضعوا أن فاطمة اغتسلت ثم ماتت وأوصت أن تكتفى
بذلك الغسل . وهذا من حيث النقل كذب . ومن حيث المعنى قلة فهم .
لأن الغسل عن حدث الموت فكيف يصح قبله ثم لهم خرافات لا
يسندونها إلى مستند . ولهم مذاهب فى الفقه ابتدعوها وخرافات تخالف
الإجماع . فنقلت منها مسائل من خط ابن عقيل . قال نقلتها من كتاب
المرتضى فيما انفردت به الإمامية . منها أنه لا يجوز السجود على ما ليس
بأرض ولا من نبات الأرض . فأما الصوف والجلود والوبر فلا . وأن
الاستجمار لا يجزئ فى البول بل فى الغائط خاصة . ولا يجزئ مسح
الرأس إلا بباقي البلل الذى فى اليد فإن استأنف للرأس بللاً مستأنفاً لم
يجزه حتى لو نشفت يده من البلل احتاج إلى استئناف الطهارة . وانفردوا
بتحريم من زنى بها وهى تحت زوج أبداً فلو طلقها زوجها لم تحل للزانى
بها بنكاح أبداً . وحرموا الكتابيات وأن الطلاق المعلق على شرط لا يقع
وإن وجد شرطه وأن الطلاق لا يقع إلا بحضور شاهدين عدلين . وأن
من نام عن صلاة العشاء إلى أن مضى نصف الليل وجب عليه إذا استيقظ
القضاء وأن يصبح صائماً كفارة لذلك التفريط ، وأن المرأة إذا جزت شعرها
فعليةا الكفارة مثل قتل الخطأ .

وأن من شق ثوبه في موت ابن له أو زوجة فعليه كفارة يمين . وأن من تزوج امرأة ولها زوج وهو لا يعلم لزمه الصدقة بخمسة دراهم . وأن شارب الخمر إذا حد ثانية قتل في الثالثة . ويحد شارب الفقاع كشارب الخمر . وأن قطع السارق من أصول الأصابع ويبقى له الكف فإن سرق مرة أخرى قطعت الرجل اليسرى . فإن سرق الثالثة نخلد في الحبس إلى أن يموت . وحرموا السمك الجرى (كذا) وذبائح أهل الكتاب ، واشتروا في الذبح استقبال القبلة ، في مسائل يطول ذكرها خرقوا فيها الإجماع وسول لهم إبليس وضعها على وجهه لا يستندون فيه إلى أثر ولا قياس ، بل إلى الواقعات ومقاييس الرافضة أكثر من أن تحصى . وقد حرّموا الصلاة لكونهم لا يغسلون أرجلهم في الوضوء والجماعة لطلبهم إماماً معصوماً وابتلوا بسب الصحابة . وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفة .

وقد أخبرنا محمد بن عبد الملك ويحيى بن علي قالوا أخبرنا محمد بن أحمد بن المسلمة نا أبو طاهر المخلص ثنا البغوي ثنا محمد بن عباد المكي ثنا محمد بن طلحة المدني عن عبد الرحمن بن سالم بن عبد الله بن عويم بن ساعدة عن أبيه عن جده قال ، قال رسول الله ﷺ : « إن الله اختارني واختار لي أصحاباً فجعل لي منهم وزراء وأنصاراً وأصهاراً فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً .

قال المصنف: والمراد بالعدل الفريضة والصرف النافلة ، أخبرنا أبو البركات بن علي البزار نا أبو بكر الطريثي نا هبة الله بن الحسن الطبري نا عبيد الله بن محمد بن أحمد نا علي بن محمد بن أحمد بن يزيد الرياحي ثنا أبي ثنا الحسن بن عمارة عن المنهال بن عمرو عن سريد بن غفلة قال: مررت بنفر من الشيعة يتناولون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ويتقصونهما فدخلت على علي بن أبي طالب فقلت: يا أمير المؤمنين مررت بنفر من أصحابك يذكرون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما بغير

الذى هما له أهل ولولا أنهم يرون أنك تضمير لهما على مثل ما أعلنوا ما
اجترأوا على ذلك. قال على. أعوذ بالله أعوذ بالله أن أضمر لهما إلا
الذى ائتمنى النبي عليه. لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل أخو
رسول الله ﷺ وصاحبه ووزيره رحمة الله عليهما ثم نهض دافع
العينين يبكى قابضاً على يدي حتى دخل المسجد فصعد المنبر وجلس عليه
متمكناً قابضاً على لحيته وهو ينظر فيها وهى بيضاء حتى اجتمع لنا
الناس. ثم قام فنشهد بخطبة موجزة بليغة. ثم قال: ما بال أقوام يذكرون
سیدی قريش وأبوى المسلمين بما أنا عنه متزه. ومما قالوه برئى، وعلى ما
قالوا معاقب أما والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لا يحبهما إلا مؤمن تقى ولا
يغضهما إلا فاجر شقى صحبا رسول الله ﷺ على الصدق والوفاء
يامران وينهيان ويبغضان ويعاقبان فما يتجاوزان فيما يصنعان رأى رسول
الله ﷺ ولا كان رسول الله ﷺ يرى غير رأيهما. ولا يحب كحبهما
أحداً مضى رسول الله ﷺ وهو راض عنهما. ومضيا والمؤمنون عنهما
راضون. أمره رسول الله ﷺ على صلاة المؤمنين فصلى بهم بتسعة أيام
فى حياة رسول الله ﷺ فلما قبض الله نبيه واختار له ما عنده. ولاه
المؤمنون ذلك. وفوضوا إليه الزكاة ثم أعطوه البيعة طائعين غير مكرهين.
وأنا أول من سن له ذلك من بنى عبد المطلب وهو لذلك كاره يود لو أن
منا أحداً كفاه ذلك. وكان والله خير من أبقى أرحمه رحمة وأرافه رافة
وأسنه ورعاً وأقدمه سناً وإسلاماً. شبهه رسول الله ﷺ بميكائيل رافة
ورحمة وإبراهيم عفواً ووقاراً فسار بسيرة رسول الله ﷺ حتى مضى
على ذلك رحمة الله عليه. ثم ولى الأمر بعده عمر رضى الله عنه وكنت
فيمن رضى. فأقام الأمر على منهاج رسول الله ﷺ وصاحبه. يتبع
أثرهما كما يتبع الفصيل أثر أمه وكان والله رفيقاً رحيماً بالضعفاء ناصراً
للمظلومين على الظالمين. لا يأخذه فى الله لومة لائم وضرب الله الحق
على لسانه وجعل الصدق من شأنه. حتى إن كنا لنظن أن ملكاً ينطق على
لسانه أعز الله بإسلامه الإسلام. وجعل هجرته للدين قواماً وألقى له فى
قلوب المنافقين الرهبة. وفى قلوب المؤمنين المحبة. شبهه رسول الله ﷺ
بجبريل فظاً غليظاً على الأعداء، فمن لكم بمثلهما رحمة الله عليهما

ورزقنا المضى فى سبيلهما فمن أحببنا فليحببنا ومن لم يحببنا فقد أبغضنا وأنا منه برئ، ولو كنت تقدمت إليكم فى أمرهما لعاقبت فى هذا أشد العقوبة إلا فمن أوتيت به يقول بعد هذا اليوم فإن عليه ما على المفترى. إلا وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ثم الله أعلم بالخير أين هو. أقول قولى وأستغفر الله لى ولكم.

أخبرنا سعد الله بن على نا الطريثي نا هبة الله الطبرى نا محمد بن عبد الرحمن نا البغوى ثنا سويد بن سعيد ثنا محمد بن حازم عن أبى خباب الكلبي عن أبى سليمان الهمداني عن على كرم الله وجهه قال يخرج فى آخر الزمان قوم لهم نبد يقال لهم الرافضة يتحلون شيعتنا وليسوا من شيعتنا وآية ذلك أنهم يشتمون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما أينما أدركتموهم فاقتلوهم أشد القتل فإنهم مشركون .

ذكر تليس إبليس على الباطنية

قال المصنف: الباطنية قوم تستروا بالاسلام ومالوا إلى الرفض وعقا ئدهم وأعمالهم تباين الاسلام بالمرة فمحصول قولهم تعطيل الصانع وابطال النبوة والعبادات وانكار البعث ولكنهم لا يظهرون هذا فى أول أمرهم .

بل يزعمون أن الله حق وان محمد آ رسول الله والدين صحيح لكنهم يقولون لذلك سر غير ظاهر وقد تلاعب بهم إبليس فبالغ وحسن لهم مذاهب مختلفة ولهم ثمانية أسماء :

(الاسم الأول الباطنية): سموا بذلك لأنهم يدعون أن لظواهر القرآن والأحاديث بواطن تجرى من الظواهر مجرى اللب من القشر وانها بصورتها توهم الجهال صوراً حلية وهى عند العقلاء رموز وإشارات إلى حقائق خفية وان من تقاعد عقلة من العوص على الخفايا والأسرار والبواطن والأغوار وقنع بظواهرها كان تحت الأغلال التى هى تكليفات الشرع .

ومن ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من اعبائه قالوا وهم المرادون بقوله تعالى ﴿ ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى

كانت عليهم ﴿ ومرادهم أن ينزعوا من العقائد موجب الظواهر ليقدروا
بالتحكم بدعوى الباطل على أبطال الشرائع .

الإسم الثاني الاسماعلية. نسبوا إلى زعيم لهم يقال له محمد بن
اسماعيل ابن جعفر ويزعمون ان دور الامامه انتهى اليه . لأنه
سابع . واحتجوا بأن السماوات سبع ، والارضين سبع ، وايام الاسبوع سبع .
فدل على أن دور الأئمة يتم بسبعه . وعلى هذا فيما يتعلق بالمنصور
فيقولون العباس ثم ابنه عبد الله ثم ابنه محمد بن علي ثم ابراهيم ثم
السفاح ثم المنصور .

وذكر أبو جعفر الطبري في تاريخه قال : قال علي بن محمد عن أبيه إن
رجلاً من الرواندية كان يقال له الابلق وكان أبرص . فبكى بالعلو ودعا
الرواندية اليه وزعم أن الروح التي كانت في عيسى بن مريم صارت إلى
علي بن أبي طالب كرم الله وجه ثم في الأئمة واحدا بعد واحد إلى ان
صارت إلى ابراهيم ابن محمد . واستحلوا الحرمات فكان الرجل منهم
يدعو الجماعة الى منزله فيطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امراته . فبلغ
ذلك أسد بن عبد الله فقتلهم وصلبهم . فلم يزل فيهم إلى اليوم وعبدوا
أبا جعفر وصعدوا الخضراء وألقوا نفوسهم كأنهم يطيطون فلا يبلغون
الارض إلا وقد هلكوا وخرج جماعتهم على الناس في السلاح وأقبلوا
يصيحون يا أبا جعفر أنت أنت .

الاسم الثالث السبعية: لقبوا بذلك لأمرين أحدهما اعتقادهم أن دور
الامامة سبعة سبعة على ما بينا وأن الانتهاء إلى السابع هو آخر الادوار
وهو المراد بالقيامة وأن تعاقب هذه الادوار لا آخر له . والثاني لقولهم أن
تدبير العالم السفلى منوط بالكواكب السبعه : زحل ثم المشتري ثم
المريخ . ثم الزهرة ثم الشمس ثم عطارد . ثم القمر .

الاسم الرابع البابكية قال المصنف وهو اسم لطائفة منهم تبعوا رجلا
يقال له بابك الخرمي وكان من الباطنية وأصله أنه ولد زنا فظهر في بعض
الجبال بناحية أذربيجان سنة إحدى ومائتين وتبعه خلق كثير واستفحل
أمرهم واستباح المحظورات وكان إذا علم أن عند أحد بتاً جميلة أو اختاً

جميلة طلبها فإن بعثها إليه وإلا قتله وأخذها ومكث على هذا عشرين سنة فقتل ثمانين ألفاً وقيل خمسة وخمسين ألفاً وخمسمائة إنسان وحاربه السلطان وهزم خلقاً من الجيوش حتى بعث المعتصم أفسين فحاربه فجاء بابك وأخيه في سنة ثلاث وعشرين ومائتين فلما دخلا قال لبابك أخوه يا بابك قد عملت ما لم يعمله أحد فاصبر الآن صبراً لم يصبره أحد. فقال سترى صبرى فأمر المعتصم بقطع يديه ورجليه فلما قطعوا مسح بالدم وجهه فقال المعتصم أنت في الشجاعة كذا وكذا ما بالك قد مسحت وجهك بالدم أجزعاً من الموت فقال لا. ولكنى لما قطعت أطرافى نرف الدم، فخفت أن يقال عنى أنه اصفر وجهه جزعاً من الموت قال فيظن ذلك بى فسترت وجهى بالدم كيلا يرى ذلك منى. ثم بعد ذلك ضربت عنقه وأضرمت عليه النار وفعل مثل ذلك بأخيه فما فيهما من صاح ولا تاوه ولا أظهر جزعاً لعنهما الله وقد بقى من البابكية جماعة يقال أن لهم ليلة فى السنة تجتمع فيها رجالهم ونساؤهم ويطفشون السرج ثم يتناهضون للنساء فيشب كل رجل منهم إلى امرأة، ويزعمون أن من احتوى امرأة يستحلها بالاصطياد لأن الصيد مباح.

الاسم الخامس: المحمرة قال المصنف: سموا بذلك لأنهم صبغوا ثيابهم بالحمره فى أيام بابك ولبسوها.

الاسم السادس: القرامطة قال المصنف: وللمؤرخين فى سبب تسميتهم بهذا قولان: أحدهما أن رجلاً من ناحية خورستان قدم سواد الكوفة فأظهر الزهد ودعا إلى امام من أهل بيت الرسول الله ﷺ ونزل على رجل يقال له كرميته لقب بهذا الحمره عينيه وهو بالنبطية حاد العين فأخذه أمير تلك الناحية فحبسه وترك مفتاح البيت تحت رأسه ونام فرقت له جارية فأخذت المفتاح ففتحت البيت وأخرجته وردت المفتاح إلى مكانه. فلما طلب فلم يوجد زاد افتتان الناس به فخرج إلى الشام فسمى كرميته باسم الذى كان نارلاً عليه ثم خفف فقيل قرمط ثم توارث مكانه أهله وأولاده. والثانى أن القوم قد لقبوا بهذا نسبة إلى رجل يقال له حمدان قرمط كان أحد دعائهم فى الابتداء فاستجاب له جماعة فسموا القرامطة كان هذا

الرجل من أهل الكوفة وكان يميل إلى الزهد فصادفه أحد دعاة الباطنية في فريق وهو مستوجه إلى قرية وبين يديه بقر يسوقها. فقال حمدان لذلك الراعى وهو لا يعرفه أين مقصدك فذكر قرية حمدان فقال له اركب بقرة من هذه لئلا تتعب فقال إنى لم أوامر بذلك فقال وكأنك لا تعمل إلا بأمر قال نعم قال وبأمر من تعمل قال بأمر مالكي ومالكك ومالك الدنيا والآخرة. فقال ذلك إذن هو الله رب العالمين. فقال صدقت قال له فما غرضك فى هذه القرية التى تقصدها قال أمرت أن أدعو أهلها من الجهل إلى العلم ومن الضلالة إلى الهدى ومن الشقاء إلى السعادة. وأن استنقذهم من ورطات الذل والفقر وأملكهم ما يستغنون به عن الكد. فقال له حمدان: أنقذنى أنقذك الله وأفض على من العلم ما تحيينى به فما أشد احتياجى إلى مثل هذا فقال ما أمرت أن أخرج السر المخزون إلى كل أحد إلا بعد الثقة به والعهد إليه. فقال اذكر عهدك فإنى ملتزم به فقال له: أن تجعل لى وللإمام على نفسك عهد الله وميثاقه ألا تخرج سر الإمام الذى ألقيه إليك ولا نفس سرى أيضاً فالتزم حمدان عهده ثم اندفع الداعى فى تعليمه فنون جهله حتى استغواه فاستجاب له ثم انتدب للدعاء وصار أصلاً من أول هذه البدعة فسمى أتباعه القرامطة والقرمطية. ثم لم يزل بتوه وأهله يتوارثون مكانه وكان أشدهم بأساً رجل يقال له أبو سعيد ظهر فى سنة ست وثمانين ومائتين وقوى أمره وقتل ما لا يحصى من المسلمين وخرّب المساجد وأحرق المصاحف. وقتك بالحاج وسنى لأهله وأصحابه سنناً وأخبرهم بمحالات. وكان إذا قاتل يقول وعدت بالنصر فى هذه الساعة. فلما مات بنوا على قبره قبة وجعلوا على رأسها طائراً من جص. وقالوا إذا طار هذا الطائر خرج أبو سعيد من قبره وجعلوا عند القبر فرساً وخلعه ثياب وسلاحاً وقد سول إبليس لهذه الجماعة أنه من مات وعلى قبره فرس حشر ركباً وإن لم يكن له فرس حشر ماشياً. وكان أصحاب أبى سعيد يصلون عليه إذا ذكروه ولا يصلون على رسول الله ﷺ فإذا سمعوا من يصلى على رسول الله ﷺ يقولون أتأكل رزق أبى سعيد وتصلى على أبى القاسم. وخلف بعده ابنه أبا طاهر فنقل مثل فعله وهجم على الكعبة فأخذ ما فيها من الذخائر وقلع الحجر الأسود

فجعلته إلى بلده وأوهم الناس أنه الله عز وجل .

الاسم السابع الخرمية: وخرم لفظ أعجمى ينسب عن الشيء المستلذ المستطاب الذي يرتاح الإنسان له . ومقصود هذا الاسم تسليط الناس على اتباع اللذات وطلب الشهوات كيف كانت وطى بساط التكليف وحط أعباء الشرع عن العباد وقد كان هذا الاسم لقباً للمزدكية وهم أهل الإباحة من المجوس الذين تبعوا في أيام قباد وأباحوا النساء المحرمات وأحلوا كل محظور فسموا هؤلاء بهذا الاسم لمشابهتهم إياهم في نهاية هذا المذهب وإن خالفوهم في مقدماته .

الاسم الثامن التعليمية: لقبوا بذلك لأن مبدأ مذهبهم إبطال الرأى وإفساد تصرف العقول ودعاء الخلق إلى التعليم من الأمام المعصوم وأنه لا يدرك العلوم إلا بالتعليم .

فصل

في ذكر السبب الباعث لهم على الدخول في هذه البدعة

قال المصنف : اعلم أن القوم أرادوا الانسلاال من السدين فشاوردوا جماعة من المجوس والمزدكية والثوية وملحدة الفلاسفة في استنباط تدبير يخفف عنهم ما نابهم من استيلاء أهل الدين عليهم حتى أخرسوه عن النطق بما يعتقدونه من إنكار الصانع وتكذيب الرسل وجحد البعث وزعمهم أن الأنبياء مخرقون ومنمسون ورأوا أمر محمد ﷺ قد استطار في الأقطار وأنهم قد عجزوا عن مقاومته فقالوا سبيلنا أن نتحل عقيدة طائفة من فرقهم أركاهم عقلا وأتحفهم رأياً وأقبلهم للمحالات والتصديق بالكاذيب وهم الروافض فتحصن بالانتساب إليهم وتتودد إليهم بالحزن على ما جرى على آل محمد من الظلم والذل ليتمكننا شتم القدماء الذين نقلوا إليهم الشريعة فإذا هان أولئك عندهم لم يلتفتوا إلى ما نقلوا فأمكن استدراجهم إلى الانخداع عن الدين فإن بقى منهم معتصم بظواهر القرآن والأخبار أوهمناه أن تلك الظواهر لها أسرار وبواطن وأن المنخدع بظواهرها أحق وإنما الفطنة في اعتقاد بواطنها ثم نبث إليهم عقائدنا ونزعم أنها المراد بظواهرها عندكم فإذا تكثرتنا بهؤلاء سهل علينا استدراج

باقى الفرق . ثم قالوا وطريقنا أن نختار رجلاً يساعد على المذهب ويزعم أنه من أهل البيت وأنه يحب كل الخلق كافة متابعتة ويتعين عليهم طاعته لكونه خليفة رسول الله ﷺ . والمعصوم من الخطأ والزلل من جهة الله عز وجل ، ثم لا تظهر هذه الدعوة على القرب من جوار هذا الخليفة الذى وسمناه بالعصمة . فإن قرب الدار يهتك الأستار ، وإذا بعدت الشقة وطالت المسافة فمتى يقدر المستجيب للدعوة أن يفتش عن حال الإمام أو يطلع على حقيقة أمره . وقصدهم بهذا كله الملك والاستيلاء على أموال الناس والانتقام منهم لما عاملوهم به من سفك دمائهم ونهب أموالهم قديماً فهذا غاية مقصودهم ومبدأ أمرهم .

فصل

قال المصنف: وللقوم حيل فى استدلال الناس فهم يميزون من يجوز أن يطمع فى استدراجه ممن لا يطمع فيه . فإذا طمعوا فى شخص نظروا فى طبعه ، فإن كان مائلاً إلى الزهد دعوه إلى الأمانة والصدق وترك الشهوات . وإن كان مائلاً إلى الخلاعة قرروا فى نفسه أن العبادة بله . وأن الورع حماقة وإنما الفطنة فى اتباع اللذات من هذه الدنيا الفانية ويشبتون عند أكل ذى مذهب ما يليق بمذهبه ثم يشككونه فيما يعتقدوه فيستجيب لهم أما رجل أبله أو رجل من أبناء الأكاسرة وأولاد المجوس ممن قد انقطعت دولة أسلافه بدولة الإسلام أو رجل يميل إلى الاستيلاء ولايساعده الزمان فيعدونه بنيل آماله . أو شخص يجب الترفع عن مقامات العوام ويروم بزعمه الاطلاع على الحقائق . أو رافضى يتدين بسب الصحابة رضى الله عنهم أو ملحد من الفلاسفة والثنوية والمتحيرين فى الدين أو من قد غلبت عليه حب اللذات . وثقل عليه التكليف .

فصل

فى ذكر نبذة من مذاهبهم ، قال أبو حامد الطوسى الباطنية قوم يدعون الإسلام ويميلون إلى الرفض وعقائهم وأعمالهم تباين الإسلام . فمن مذهبهم القول بإلهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان إلا أن أحدهما علة لوجود الثانى . قالوا: والسابق لا يوصف بوجود ولا عدم

ولا هو موجود ولا هو معدوم ولا هو معلوم ولا هو مجهول، ولا هو موصوف ولا غير موصوف وحدث عن السابق الثانى وهو أول مبدع. ثم حديث النفس الكلية. وعندهم أن النبى صلى عليه السلام عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق بواسطة الثانى قوة قدسية صافية. وزعموا أن جبريل عليه السلام عبارة عن العقل الفائض عليه لا أنه شخص. واتفقوا على أنه لا بد لكل عصر من إمام معصوم قائم بالحق يرجع إليه فى تأويل الظواهر مساو للنبى عليه السلام فى العصمة. وأنكروا المعاد وقالوا معنى المعاد عود الشئ إلى أصله وتعود النفس إلى أصلها. وأما التكليف فالمنقول عنهم الإباحة المطلقة واستباحة المحظورات وقد ينكرون هذا إذا حكى عنهم وإنما يقرون بأنه لا بد للإنسان من التكليف. فإذا اطلع على بواطن الظواهر ارتفعت التكاليف. ولما عجزوا عن صرف الناس عن القرآن والسنة صرفوهم عن المراد بهما إلى مخاريق زخرفوها إذ لو صرحوا بالنفى المحض لقتلوا. فقالوا معنى الجنابة مبادرة المستجيب بإفشاء السر، ومعنى الغسل تجديد العهد على من فعل ذلك. ومعنى الزنا إلقاء نطفة العلم الباطن فى نفس من لم يسبق معه عقد العهد. والصيام الإمساك عن كشف السر والكعبة هى النبى والباب على. والطوفان طوفان العلم أغرق به المتمسكون بالشبهة والسفينة الحرر الذى يحصن به من استجاب لدعوته. ونار إبراهيم عبارة عن غضب نمرود لا عن نار حقيقة. وذبح إسحاق معناه أخذ العهد عليه. وعصى موسى حجته ويأجوج وماجوج هم أهل الظاهر، وذكر غيره أنهم يقولون إن الله عز وجل لما أوجد الأرواح ظهر لهم فيما بينهم كهم فلم يشكوا أنه واحد منهم فعرفوه فأول من عرفه سلمان الفارسى والمقداد وأبو ذر وأول المنكرين الذى يسمى إبليس. عمر بن الخطاب فى خرافات ينبغى أن يصبان الوقت العزيز عن التضييع بذكرها، ومثل هؤلاء لم يتمسكوا بشبهة فتكون معهم مناظرة وإنما اخترعوا بواقعاتهم ما أرادوا فإن اتفقت مناظرة لأحدهم فليقل له أعرفتم هذه الأشياء التى تذكرونها عن ضرورة. أو عن نظر أو عن نقل عن الإمام المعصوم، فإن قلتم ضرورة فكيف خالفكم ذورا العقول السليمة، ولو ساغ للإنسان أن يهدى بدعوى الضرورة فى كل ما يهواه جار لخصمه دعوى

الضرورة في نقص ما ادعاه، وإن قلت بالنظر فالنظر عندكم باطل لأنه تصرف بالعقل وقضايا العقول عندكم لا يوثق بها. وإن قلت عن إمام معصوم قلنا فما الذي دعاكم إلى قبول قوله بلا معجزة، وترك قول محمد ﷺ مع المعجرات. ثم ما يؤمنكم أن يكون ما سمع من الإمام المعصوم لا باطن غير ظاهر. ثم يقال لهم هذه البواطن والتأويلات يجب إخفاؤها أم إظهارها فإن قالوا يجب إظهارها قلنا فلم كتّمها محمد ﷺ. وإن قالوا يجب إخفاؤها قلنا ما وجب على الرسول إخفاؤه كيف حل لكم إفشاؤه. قال ابن عقيل هلك الإسلام بين طائفتين بين الباطنية والظاهرية فأما أهل البواطن فإنهم عطلوا ظواهر الشرع بما ادعوه من تفاسيرهم التي لا برهان لهم عليها حتى لم يبق في الشرع شيء إلا وقد وضعوا وراءه معنى حتى أسقطوا إيجاب الوجوب. والنهي عن المنهي، وأما أهل الظاهر فإنهم أخذوا بكل ما ظهر مما لا بد من تأويله. فحملوا الأسماء والصفات على ما عقولهم والحق بين المتزلتين وهو أن تأخذ بالظاهر ما لم يصرقنا عنه دليل. وترفض كل باطن لا يشهد به دليل من أدلة الشرع.

قال المصنف: ولو لقيت مقدم هذه الطائفة المعروفة بالباطنية لم أكن سالكاً معه طريق العلم، بل التويخ والازدراء على عقله وعقول أتباعه. بأن أقول أن للآمال طرفاً تسلك ووجوهاً توصل. ووضع الأمل في جهة اليأس حمق ومعلوم أن هذه الملل التي قد طبقت الأرض أقربها شريعة الإسلام التي تتظاهرون بها. وتطمعون في إفسادها قد تمكنت تمكناً يكون الطمع في تحقيقها فضلاً عن إزالتها حمقاً. فلها مجمع كل سنة بعرفة ومجمع كل أسبوع في الجوامع ومجمع كل يوم في المساجد. فمتى تحدثكم نفوسكم بتكدير هذا البحر الزاخر وتحقيق هذا الأمر الظاهر. في الآفاق يؤذن كل يوم على ما بين ألوف منابر بأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وغاية ما أنتم عليه في حديث خلوة - أو متقدم قلعة - أن نبس بكلمة يرمى رأسه وقتل قتل الكلاب فمتى يحدث العقل مسكم نفسه بظهور ما أنتم عليه على هذا الأمر الكلي الذي طبق البلاد فما أعرف أحقق منكم إلى أن يجئ إلى باب المناظرة بالبراهين العقلية .

فصل

قال المصنف: والتهبت جمرة الباطنية المتأخرين فى سنة أربع وتسعين وأربعمائة فقتل السلطان جلال الدولة برقيارق خلقاً منهم لما تحقق مذهبهم فبلغت عدة القتلى ثلثمائة ونيفاً وتتبع أموالهم فوجد لأحدهم سبعون بيتاً من اللآلى الحفور وكتب ذلك كتاب إلى الخليفة: فتقدم بالقبض على قوم يظن فيهم ذلك المذهب ولم يتجاسر أحد أن يشفع فى أحد لثلا يظن ميله إلى ذلك المذهب. وزاد تتبع العوام لكل من أرادوا وصار كل من فى نفسه شئ من إنسان يرميه بهذا المذهب فيقصيه ويتهب ماله. وأول ما عرف من أحوال الباطنية فى أيام الملك شاه جلال الدولة أنهم اجتمعوا فصلوا صلاة العيد فى ساوة. ففطن بهم الشحنة فأخذهم وحبسهم ثم أطلقهم. ثم اغتالوا مؤذناً من أهل ساوة فاجتهدوا أن يدخل معهم فلم يفعل فخافوه أن ينم عليهم فاغتالوه فبلغ الخبر إلى نظام الملك فتقدم يأخذ من يتهم فيقتله فقتل المتهم وكان لجاراً وكانت أول فتكة لهم فتكهم بنظام الملك. وكانوا يقولون قلمنا لجاراً فقتلنا به نظام الملك، واستفحل أمرهم بأصبهان فلما مات الملك شاه وآل الأمر إلى أنهم كانوا يسرقون الإنسان ويقتلونه ويلقونه فى البئر. وكان الإنسان إذا دنا وقت العصر ولم يعد إلى منزله أيسوا منه. وفتش الناس المواضع فوجدوا امرأة فى دار لا تبرح فوق حصير فأزالوها فوجدوا تحت الحصير أربعين قتيلاً. فقتلوا المرأة وأحرقوا الدار والمحلة. وكان يجلس رجل ضرير على باب الزقاق الذى فيه هذه الدار. فإذا مر إنسان سأله أن يقوده خطوات إلى الزقاق فإذا حصل هناك جذبه من فى الدار واستولوا عليه، فجد المسلمون فى طلبهم بأصبهان وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وأول قلعة تملكها الباطنية قلعة فى ناحية يقال لها الروزياد من نواحي الديلم وكانت هذه القلعة لقماح صاحب ملكشاه وكان يستحفظها متهماً بمذهب القوم. فأخذ ألفاً ومائتى دينار وسلم إليهم القلعة فى سنة ثلاث وثمانين فى أيام ملكشاه وكان مقدمها الحسن بن الصباح وأصله من مرو وكان كاتباً للرئيس عبد الرازق بن بهرام إذ كان صبياً ثم إلى مصر وتلقى من دعائهم المذاهب وعاد داعية القوم ورأساً فيهم

وحصلت له هذه القلعة وكانت سيرته في دعائه ألا يدعو إلا غيباً لا يفرق بين يمينه وشماله مثلاً ومن لا يعرف أمور الدنيا ويطعمه الجوز والعسل والشونيز حتى ينبسط دماغه ثم يذكر له حينئذ ما تم على أهل بيت المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعليهم من الظلم والعدوان حتى يستقر ذلك في نفسه، ثم يقول إذا كانت الأزارقة والخوارج سمحوا بنفوسهم في قتال بني أمية فما سبب بخلك بنفسك في نصرة إمامك فيتركه بهذه المقالة طعمة للسيف، وكان ملكشاه قد أرسل إلى هذا ابن الصباح يدعو إلى الطاعة ويتهدده إن خالفه ويأمره بالكف عن بث أصحابه لقتل العلماء والأمراء، فقال في جواب الرسالة والرسول حاضر الجواب ما تراه، ثم قال لجماعة وقوف بين يديه أريد أن أنقذكم إلى مولاكم في حاجة فمن ينهض لها فأشرب كل منهم لذلك، فظن رسول السلطان أنها رسالة يحملها إياهم، فأوماً إلى شاب منهم فقال له أقتل نفسك فجذب سكينه وضرب بها غلصمته فخر ميتاً وقال لآخر إرم نفسك من القلعة فتمزق، ثم التفت إلى رسول السلطان فقال أخبره أن عندي من هؤلاء عشرين ألفاً هذا حد طاعتهم لي وهذا هو الجواب، فعاد الرسول إلى السلطان ملكشاه فأخبره بما رأى فعجب من ذلك وترك كلامهم وصارت بأيديهم قلاع كثيرة ثم قتلوا جماعة من الأمراء والوزراء.

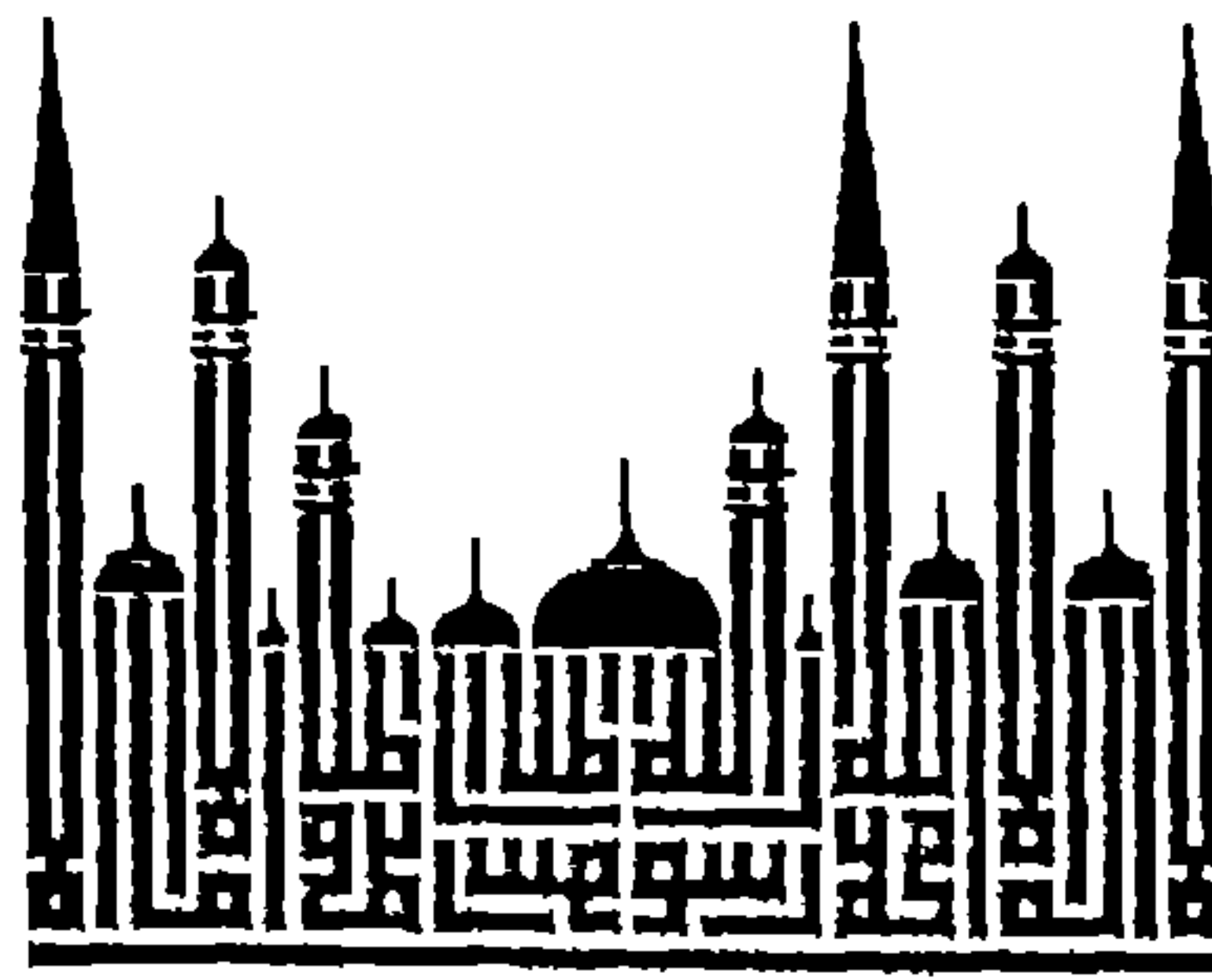
قال المصنف: وقد ذكرنا من صفة القوم في التاريخ أحوالاً عجيبة فلم تر التطويل بها هنا .

فصل

وكم من زنديق في قلبه حقد على الإسلام خرج فبالغ واجتهد فزخرف دعاوى يلقي بها من يصحبه . وكان غور مقصده في الاعتقاد الانسلاخ من ربة الدين، وفي العمل نيل الملذات واستباحة المحظورات . فمنهم بابك الخرمي حصل له مقصوده من اللذات ولكن بعد أن قتل الناس وبالم في الأذى ثم القرامطة وصاحب الزنج الذي خرج فاستغوى المماليك السودان ووعدهم الملك، فنهب وفتك وقتل وبالم وكانت عواقبهم في الدنيا أقبح العواقب فما وفي ما نالوا بما نيل منهم ومنهم من لم يبرح على تعشيره

فقاتته الدنيا والآخرة مثل ابن الرواندى والمعري، أنبأنا محمد بن أبى طاهر عن أبى القاسم على بن المحسن التنوخى عن أبيه قال كان ابن الرواندى ملارم الرافضة وأهل الإلحاد فإذا عوتب قال إنما أريد أن أعرف مذاهبهم ثم كاشف وناظر.

قال المصنف: من تأمل حال ابن الرواندى وجدته من كبار الملاحدة وصنف كتاباً سماه الدامغ زعم أنه يدمغ به هذه الشريعة فسبحان من دمه فأخذه وهو فى شرح الشباب وكان يعترض على القرآن ويدعى عليه التناقض وعدم الفصاحة. وهو يعلم أن فصحاء العرب تحيرت عند سماعه فكيف بالألكن؟ وأما أبو العلاء المعري فأشعاره ظاهرة الإلحاد، وكان يبالغ فى عداوة الأنبياء ولم يزل متخبطاً فى تعشيره خائفاً من القتل إلى أن مات بخسرانه. وما خلا زمان من خلف للفريقين إلا أن جمرة المنبسطين قد نجت بحمد الله. فليس إلا باطنى مستتر ومتفلسف متكاتم هو أعثر الناس وأخسأهم قدراً. وأردأهم عيشاً وقد شرحنا أحوال جماعة من الفريقين فى التاريخ قلم نر التطويل بذلك والله الموفق.



الباب السادس

فى ذكر تلبس إبليس على العلماء فى فنون العلم

قال المصنف: اعلم أن إبليس يدخل على الناس فى التلبس من طرق منها ظاهر الأمر. ولكن يغلب الإنسان فى إثارة هواه فيغمض على علم يذله. ومنها غامض وهو الذى يخفى على كثير من العلماء. ونحن نشير إلى فنون من تلبسه يستدل بمذكورها على مغفلها إذ حصر الطرق يطول والله العاصم.

ذكر تلبسه على القراء

فمن ذلك أن أحدهم يشتغل بالقراءات الشاذة وتحصيلها فيفنى أكثر عمره فى جمعها. وتصنيفها والأقراء بها ويشغله ذلك عن معرفة الفرائض والواجبات. وربما رأيت إمام مسجد يتصدى للأقراء ولا يعرف ما يفسد الصلاة، وربما حمله حب التصدر حتى لا يرى بعين الجهل على أن يجلس بين يدى العلماء ويأخذ عنهم العلم ولو تفكروا لعلموا أن المراد حفظ القرآن وتقويم ألفاظه ثم فهمه ثم العمل به ثم الإقبال على ما يصلح النفس ويطهر أخلاقها ثم التشاغل بالمهم من علوم الشرع، ومن الغبن الفاحش تضييع الزمان فيما غيره الأهم، قال الحسن البصرى: أنزل القرآن ليعمل به. فاتخذ الناس تلاوته عملاً يعنى أنهم اقتصروا على التلاوة وتركوا العمل به. ومن ذلك أن أحدهم - يقرأ فى محرابه بالشاذ ويترك المتواتر المشهور. والصحيح عند العلماء أن الصلاة لا تصح بهذا الشاذ وإنما مقصود هذا إظهار الغريب لاستجلاب مدح الناس وإقبالهم عليه وعنده أنه متشاغل بالقرآن. ومنهم من يجمع القراءات فيقول ملك مالك ملاك وهذا لا يسجور لأنه إخراج للقرآن على نظمه، ومنهم من يجمع السجدة والتهليلات والتكبيرات وذلك مكره، وقد صاروا يوقدون النيران الكثيرة للمختمة فيجمعون بين تضييع المال والتشبه بالمجوس والتسبب إلى اجتماع النساء والرجال بالليل للفساد ويريههم إبليس أن فى هذا إعزازاً للإسلام. وهذا تلبس عظيم لأن إعزاز الشرع باستعمال المشروع ومن

ذلك منهم من يتسامح بادعاء القراءة على من لم يقرأ عليه وربما كانت له إجازة منه . فقال أخبرنا تدليساً وهو يرى أن الأمر في ذلك قريب لكونه يروى القراءات ويراهما فعل خير وينسى أن هذا كاذب يلزمه أثم الكذابين . ومن ذلك أن المقرئ المجيد يأخذ على اثنين وثلاثة ويتحدث مع من يدخل عليه والقلب لا يطيق جمع هذه الأشياء ثم يكتب خطه بأنه قد قرأ على فلان بقراءة فلان . وقد كان بعض المحققين يقول ينبغي أن يجتمع اثنان أو ثلاثة ويأخذوا على واحد ومن ذلك أن أقواماً من القراء يتبارون بكثرة القراءة وقد رأيت من مشايخهم من يجتمع الناس ويقيم شخصاً ويقرأ في النهار الطويل ثلاث نجمات فإن قصر عيب وإن أتم مدح . وتجتمع العوام لذلك ويحسنونه كما يفعلون في حق السعاة ويريهم إبليس أن في كثرة التلاوة ثواباً ، وهذا من تلبيسه لأن القراءة ينبغي أن تكون لله تعالى لا للتحسين بها . وينبغي أن تكون على تمهل . وقال عز وجل ﴿ لتقرأه على الناس على مكث ﴾ وقال عز وجل ﴿ ورتل القرآن ترتيلاً ﴾ ومن ذلك أن جماعة من القراء أحدثوا قراءة الألحان وقد كانت إلى حد قريب . وعلى ذلك فقد كرهها أحمد بن حنبل وغيره ولم يكرهها الشافعي . أنبأنا محمد بن ناصر نا أبو علي الحسين بن سعد الهمداني نا أبو بكر أحمد بن علي بن لال ثنا الفضل ابن الفضل ثنا السياحى ثنا الربيع بن سليمان قال : قال الشافعي : أما استماع الحداء ونشيد الأعراب فلا بأس به ولا بأس بقراءة الألحان وتحسين الصوت .

قال المصنف : وقلت : إنما أشار الشافعي إلى ما كان في زمانه وكانوا يلحنون يسيراً فأما اليوم فقد صيروا ذلك على قانون الأغاني وكلما قرب ذلك من مشابهة الغناء زادت كراهته . فإن أخرج القرآن عن حد وضعه حرم ذلك ومن ذلك أن قوماً من القراء يتسامحون بشئ من الخطايا كالغيبة للنظرء وربما أتوا أكبر من ذلك الذنب واعتقدوا أن حفظ القرآن يرفع عنهم العذاب واحتجوا بقوله عليه الصلاة والسلام : « لو جعل القرآن في إهاب ما احترق » وذلك من تلبيس إبليس عليهم لأن عذاب من يعلم أكثر من عذاب من لم يعلم إذ زيادة العلم تقوى الحجة وكون القارئ لم يحترم

ما يحفظ ذنب آخر. قال الله عز وجل: ﴿أفمن يعلم أن ما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى﴾. وقال في أزواج رسول الله ﷺ: ﴿من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين﴾.

وقد أخبرنا أحمد بن أحمد المتوكلي نا أحمد بن علي بن ثابت نا أبو الحسن بن ررقويه نا إسماعيل الصفار نا زكريا بن يحيى ثنا معروف الكرخي قال قال أبو بكر بن حبيش: إن في جهنم لوادياً تتعوذ جهنم من ذلك الوادى كل يوم سبع مرات. وإن في جهنم لجباً يتعوذ الوادى وجهنم من ذلك الجب كل يوم سبع مرات. وإن في الجب لحية يتعوذ الجب والوادى وجهنم من تلك الحية في اليوم سبع مرات. يبدأ بفسقة حملة القرآن فيقولون: إى رب يبدأ بنا قبل عبدة الأوثان فقبل لهم: ليس من يعلم كمن لا يعلم. قال المصنف فلتقتصر على هذا الأتموذة فيما يتعلق بالقراء.

ذكر تلبس إبليس على أصحاب الحديث

من ذلك أن قوماً استغرقوا أعمارهم في سماع الحديث والرحلة فيه وجمع الطرق الكثيرة وطلب الأسانيد العالية والمتون الغربية وهؤلاء على قسمين قسم قصدوا حفظ الشرع بمعرفة صحيح الحديث من سقيمه وهم مشكورون على هذا القصد إلا أن إبليس يلبس عليهم بأن يشغلهم بهذا عما هو فرض عين من معرفة ما يجب عليهم والاجتهاد في أداء اللازم والتفقه في الحديث.

فإن قال قائل: فقد فعل هذا خلق كثير من السلف كـ يحيى بن معين وابن المديني والبخاري ومسلم فالجواب أن أولئك جمعوا بين معرفة المهم من أمور الدين والفقهاء فيه وبين ما طلبوا من الحديث وأعانهم على ذلك قصر الإسناد وقلة الحديث فاتسع زمانهم للأميرين فأما في هذا الزمان فإن طرق الحديث طالت والتصانيف فيه اتسعت وما في هذا الكتاب في تلك الكتب وإنما الطرق تختلف فقل أن يمكن أحداً أن يجمع بين الأمرين فترى المحدث يكتب ويسمع خمسين سنة ويجمع الكتب ولا يدري ما فيها ولو وقعت له حادثة في صلاته لافتقر إلى بعض أحداث المتفقهة الذين

يترددون إليه لسماع الحديث منه وبهؤلاء تمكن الطاعنون على المحدثين فقالوا: روامل أسفار لا يدرون ما معهم. فإن أفلح أحدهم ونظر في حديثه فربما عمل بحديث منسوخ وربما فهم من الحديث ما يفهم العامي الجاهل وعمل بذلك وليس بالمراد من الحديث كما روينا أن بعض المحدثين روى عن رسول الله ﷺ أنه نهى أن يسقى الرجل ماء زرع غيره. فقال جماعة ممن حضر: قد كنا إذا فضل عنا ماء في بساتيننا سرحناه إلى جيراننا ونحن نستغفر الله. فما فهم القارئ ولا السامع ولا شعروا أن المراد وطاء الجبالي من السبايا. قال الخطابي: وكان بعض مشايخنا يروى الحديث أن النبي ﷺ نهى عن الحلق قبل الصلاة يوم الجمعة. بإسكان اللام، قال وأخبرني: أنه بقي أربعين سنة لا يحلق رأسه قبل الصلاة قال فقلت إنما هو الحلق جمع حلقة وإنما كره الاجتماع قبل الصلاة للعلم والمذاكرة وأمر أن يشتغل بالصلاة وينصت للخطبة. فقال قد فرجت على وكان من الصالحين. وقد كان ابن صاعد كبير القدر في المحدثين لكنه لما قلت مخالطته للفقهاء كان لا يفهم جواب فتوى حتى أنه قد أخبرنا أبو منصور البزار أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال سمعت البرقاني يقول قال أبو بكر الأبهري الفقيه قال: كنت عند يحيى بن محمد ابن صاعد فجاءته امرأته فقالت: أيها الشيخ ما تقول في بشر سقطت فيه دجاجة فماتت فهل الماء طاهر أو نجس. فقال يحيى ويحك. كيف سقطت الدجاجة إلى البئر. قال الأبهري فقلت يا هذه إن كان الماء تغير فهو نجس وإلا فهو طاهر.

قال المصنف: وكان ابن شاهين قد صنف في الحديث مصنفات كثيرة أقلها جزء وأكثرها التفسير وهو ألف جزء وما كان يعرف من الفقه شيئاً وقد كان فيهم من يقدم على الفتوى بالخطأ لئلا يرى بعين الجهل فكان فيهم من يصير بما يفتى به ضحكة فسأل بعضهم عن مسألة من الفرائض فكتب في الفتوى تقسم على فرائض الله سبحانه وتعالى .

وأنبأنا محمد بن أبي منصور نا أحمد بن الحسين بن حبرون نا أحمد بن محمد العتيقي نا أبو عمر بن حياة نا سليمان بن إسحاق الحلاب ثنا إبراهيم الحربى قال بلغنى أن امرأة جاءت إلى على بن داود وهو يحدث

وبين يديه مقدار ألف نفس فقالت له : حلفت بصدقة إزارى فقال لها بكم اشتريتيه ؟ قالت : باثنين وعشرين درهماً قال اذهبى فصومى اثنين وعشرين يوماً فلما مرت جعل يقول : آه آه غلطنا والله أمرناها بكفارة الظهار .

قال المصنف: قلت فانظروا إلى هاتين الفضيحتين فضيحة الجهل وفضيحة الإقدام على الفتوى بمثل هذا التخليط . واعلم أن عموم المحدثين حملوا ظاهر ما تعلق من صفات البارى سبحانه وتعالى على مقتضى الحس فشبهاوا لأنهم لم يخالطوا الفقهاء فيعرفوا حمل المتشابه على مقتضى الحكم وقد رأينا فى زماننا من يجمع الكتب منهم ويكثر السماع ولا يفهم ما حصل . ومنهم من لا يحفظ القرآن ولا يعرف أركان الصلاة فتشاغل هؤلاء على زعمهم بفروض الكفاية عن فروض الأعيان وإيثار ما ليس بهم على المهم من تلبس إبليس .

القسم الثانى : قوم أكثروا سماع الحديث ولم يكن مقصودهم صحيحاً ولا أرادوا معرفة الصحيح من غيره بجمع الطرق وإنما كان مرادهم العوالى والغرائب فطاقوا البلدان ليقول أحدهم لقيت فلاناً ولى من الأسانيد ما ليس لغيرى وعندى أحاديث ليست عند غيرى . وقد كان دخل إلينا إلى بغداد بعض طلبة الحديث وكان يأخذ الشيخ فيقعده فى الرقة وهى البستان الذى على شاطئ دجلة فيقرأ عليه ويقول فى مجموعات حدثنى فلان وفلان بالرقه ويوهم الناس أنها البلدة التى بناحية الشام ليظنوا أنه قد تعب فى الأسفار لطلب الحديث . وكان يقعد الشيخ بين نهر عيسى والفرات ويقول حدثنى فلان من وراء النهر يوهم أن قد عبر خراسان فى طلب الحديث . وكان يقول حدثنى فلان فى رحلتى الثانية والثالثة ليعلم الناس قدر تعب فى طلب الحديث فما بورك له ومات فى زمان الطلب .

قال المصنف: وهذا كله من الإخلاص بمعزل وإنما مقصودهم الرياسة والمباهاة ولذلك يتبعون شاذ الحديث وغريبه وربما ظفر أحدهم بجزء فيه سماع أخيه المسلم فأخفاه ليمررد هو بالرواية وقد يموت هو ولا يرويه فيفوت الشخصين وربما رحل أحدهم إلى شيخ أول اسمه قاف أو كاف

ليكتب ذلك في مشيخته فحسب .

ومن تلبس إبليس على أصحاب الحديث قذح بعضهم في بعض طلباً
للتشفى ويخرجون ذلك مخرج الجرح والتعديل الذي استعمله قدماء هذه
الامة للذب عن الشرع والله أعلم بالمقاصد ودليل مقصد خبث هؤلاء
سكوتهم عن أخذوا عنه وما كان القدماء هكذا فقد كان على بن المديني
يحدث عن أبيه وكان ضعيفاً ثم يقول وفي حديث الشيخ ما فيه . أخبرنا
أبو بكر بن حبيب العامري نا أبو سعيد بن أبي صادق أبو عبد الله باكويه
ثنا بكر أن ابن أحمد الجيلي قال سمعت يوسف بن الحسين يقول : سألت
جارساً المحاسبى عن الغيبة فقال احذرهما فإنها شر مكتسب وما ظنك بشئ
يسلبك حسناتك فيرضى به خصماءك ومن تبغضه في الدنيا كيف ترضى
به خصمك يوم القيامة يأخذ من حسناتك أو تأخذ من سيئاته إذ ليس
هناك درهم ولا دينار فاحذرهما وتعرف منبعها فإن منبع غيبة الهمج
والجهال من إشفاء الغيظ والحمية والحسد وسوء الظن وتلك مكشوفة غير
خفية وأما غيبة العلماء فمنبعها من خدعة النفس على إبداء النصيحة
وتأويل مالا يصح من الخبر ولو صح ما كان عوناً على الغيبة وهو قوله
أترغبون عن ذكره اذكروه بما فيه ليحذره الناس^(١) ولو كان الخبر محفوظاً
صحيحاً لم يكن فيه إبداء شناعة على أخيك المسلم من غير أن تسأل عنه
وإنما إذا جاءك مسترشد فقال أريد أن أزوج كريمتى من فلان فعرفت منه
بدعة أو إنه غير مأمون على حرم المسلمين صرفته عنه بأحسن صرف أو
يجيئك رجل آخر فيقول لك أريد أو أودع مالى فلاناً وليس ذلك الرجل
موضعا للأمانة فتصرفه عنه بأحسن الوجوه أو يقول لك رجل أريد أن
أصلى خلف فلان أو أجعله إمامى فى علم فتصرفه عنه بأحسن الوجوه
ولا تشف غيظك من غيبته .

وأما مبيع القراء والنسك فمن طريق التعجب يبدى عوار الأخ ثم يتصنع
بالدعاء فى ظهر الغيب فيتمكن من لحم أخيه المسلم ثم يتزين بالدعاء له
وأما منبع الغيبة من الرؤساء والأساتذة فمن طريق إبداء الرحمة والشفقة
حتى يقول مسكين فلان ابنتى بكذا وامتنحن بكذا نعوذ بالله من الخذلان

فيتصنع بإبداء الرحمة والشفقة على أخيه . ثم يتصنع بالدعاء له عند إخوانه ويقول إنما أبديت لكم ذلك لتكثروا دعاءكم له ونعوذ بالله من الغيبة تعريضاً أو تصريحاً فاتق الغيبة فقد نطق القرآن بكراهتها فقال عز وجل : ﴿أَيُّ حَبِّ أَحَدِكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ . وقد روى عن النبي ﷺ في ذلك أخبار كثيرة .

ومن تلبس إبليس على علماء المحدثين رواية الحديث الموضوع من غير أن يبينوا أنه موضوع وهذه جناية منهم على الشرع ومقصودهم ترويح أحاديثهم وكثرة رواياتهم وقد قال النبي ﷺ : « من روى عنى حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » . ومن هذا الفن تدليسهم في الرواية فتارة يقول أحدهم فلان عن فلان أو قال فلان عن فلان يوهم أنه سمع منه المنقطع ولم يسمع وهذا قبيح لأنه يجعل المنقطع في مرتبة المتصل ومنهم من يروى عن الضعيف والكذاب فينفى اسمه وربما سماه بغير اسمه وربما كناه وربما نسبه إلى جده لئلا يعرف وهذه جناية على الشرع لأنه يثبت حكماً بما لا يثبت به فأما إذا كان المروى عنه ثقة فنسبه إلى جده أو اقتصر على كنيته لئلا يرى أنه قد ردد الرواية عنه أو يكون المروى عنه في مرتبة الراوى فيستحي الراوى من ذكره فهذا على الكراهة والبعد من الصواب قريب بشرط أن يكون المروى عنه ثقة والله أعلم .

ذكر تلبس إبليس على الفقهاء

قال المصنف : كان الفقهاء في قديم الزمان هم أهل القرآن والحديث فما زال الأمر يتناقص حتى قال المتأخرون يكفيننا أن نعرف آيات الأحكام من القرآن وأن نعتمد على الكتب المشهورة في الحديث كسنن أبي داود ونحوها ثم استهانوا بهذا الأمر أيضاً وصار أحدهم يحتج بآية لا يعرف معناها ويحدث لا يدري أصحح هو أم لا وربما اعتمد على قياس يعارضه حديث صحيح ولا يعلم لقلة التفاته إلى معرفة النقل وإنما الفقه استخراج من الكتاب والسنة فكيف يستخرج من شيء لا يعرفه ومن القبيح تعليق حكم على حديث لا يدري أصحح هو أم لا ولقد كانت معرفة هذا تصعب ويحتاج الإنسان إلى السفر الطويل والتعب الكثير حتى تعرف كثير

فصنفت الكتب وتقررت السنن وعرف الصحيح من السقيم ولكن غلب على المتأخرين الكسل بالمرّة عن أن يطالعوا علم الحديث حتى إنى رأيت بعض الأكابر من الفقهاء يقول فى تصنيفه عن ألفاظ فى الصحاح لا يجوز أن يكون رسول الله ﷺ قال هذا ورأيته يحتج فى مسألة فيقول دليلنا ما روى بعضهم أن رسول الله قال كذا ويجعل الجواب عن حديث صحيح قد احتج به خصمه أن يقول هذا الحديث لا يعرف وهذا كله جناية على الإسلام .

ومن تلبس إبليس على الفقهاء . أن جل اعتمادهم على تحصيل علم الجدل يطلبون بزعمهم تصحيح الدليل على الحكم والاستنباط لدقائق الشرع وعسل المذاهب لو صحت هذه الدعوى منهم لتشاغلوا بجميع المسائل وإنما يتشاغلون بالمسائل الكبار ليتسع فيها الكلام فيتقدم المناظر بذلك عند الناس فى خصام النظر فهم أحدهم بترتيب المجادلة والتفتيش على المناقضات طلباً للمفاحرات والمباهة وربما لم يعرف الحكم فى مسألة صغيرة تعم بها البلوى .

ذكر تلبسه عليهم بإدخالهم فى الجدل كلام الفلاسفة

واعتمادهم على تلك الأوضاع

ومن ذلك إثارةهم للقياس على الحديث المستدل به فى المسألة ليتسع لهم المجال فى النظر . وإن استدل أحد منهم بالحديث هجن ومن الأدب تقديم الاستدلال بالحديث . ومن ذلك أنهم جعلوا النظر جل اشتغالهم ولم يمزجوه بما يرقق القلوب من قراءة القرآن وسماع الحديث وسيرة الرسول ﷺ وأصحابه . ومعلوم أن القلوب لا تخشع بتكرار إزالة النجاسة والماء المتغير ، وهى محتاجة إلى التذكار والمواعظ لتنهض لطلب الآخرة ، ومسائل الخلاف وإن كانت من علم الشرع إلا أنها لا تنهض بكل المطلوب . ومن لم يطلع على أسرار سير السلف وحال الذى تمذهب له لم يمكنهم سلوك طريقهم . وينبغى أن يعلم أن الطبع لص فإذا ترك مع أهل هذا الزمان سرق من طبائعهم فصار مثلهم . فإذا نظر فى سير القدماء راحمهم وتأدب بأخلاقهم وقد كان بعض السلف يقول حديث يرق له

قلبى أحب إلىّ من مائة قضية من قضايا شريح . وإنما قال هذا لأن رقة
 القلب مقصوده ولها أسباب . ومن ذلك أنهم اقتصروا على المناظرة
 وأعرضوا عن حفظ المذهب وبقى علوم الشرع فترى الفقيه المفتى يسأل
 عن آية أو حديث فلا يدري . وهذا غبن فأين الأنفة من التقصير . ومن
 ذلك أن المجادلة إنما وضعت ليستبين الصواب . وقد كان مقصود السلف
 المناصحة بإظهار الحق ، وقد كانوا ينتقلون من دليل إلى دليل وإذا خفى
 على أحدهم شئ نبهه الآخر لأن المقصود كان إظهار الحق فصار هؤلاء إذا
 قاس الفقيه على أصل بعلة يظنها . فقيل له ما الدليل على أن الحكم فى
 الأصل معلل بهذه العلة فقال هذا الذى يظهر لى فإن ظهر لكم ما هو
 أولى من ذلك فاذكروه فإن المعارض لا يلزمنى ذكر ذلك . ولقد صدق فى
 أنه لا يلزمه ولكن فيما ابتدع من الجدل . بل فى باب النصح وإظهار الحق
 يلزمه ومن ذلك أن أحدهم يتبين له الصواب مع خصمه ولا يرجع ويضيق
 صدره كيف ظهر الحق مع خصمه . وربما اجتهد فى رده مع علمه أنه
 الحق . وهذا من أقبح القبيح لأن المناظرة إنما وضعت لبيان الحق ، وقد قال
 الشافعى رحمة الله عليه ما ناظرت أحداً فأنكر الحجة إلا سقط من عيني .
 ولا قبلها إلا هبته ، وما ناظرت أحداً فباليت مع من كانت الحجة إن كانت
 معه صرت إليه . ومن ذلك طلبهم للرياسة بالمناظرة تثير الكامن فى النفس
 من حب الرياسة فإذا رأى أحدهم فى كلامه ضعفاً يوجب قهر خصمه له
 خرج إلى المكابرة فإن رأى خصمه قد استطال عليه بلفظ أخذته حمية
 الكبر فقابل ذلك بالسب فصارت المجادلة مخاذلة ومن ذلك ترخصهم فى
 العيبة بحجة الحكاية عن المناظرة فيقول أحدهم . تكلمت مع فلان فما قال
 شيئاً ، ويتكلم بما يوجب التشفى من غرض خصمه بتلك الحجة ومن ذلك
 أن إبليس لبس عليهم بأن الفقه وحده علم الشرع ليس ثم غيره فإن ذكر
 لهم محدث قالوا ذاك لا يفهم شيئاً وينسون أن الحديث هو الأصل فإن
 ذكر لهم كلام يلين به القلب قالوا هذا كلام الوعاظ ومن ذلك إقدامهم
 على الفتوى وما بلعوا مرتبتها وربما أفتوا بواقعاتهم المخالفة للنصوص ولو توقفوا
 فى المشكلات كان أولى .

فقد أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندي نا محمد بن هبة الله الطبرى ثنا محمد بن الحسين بن الفضل نا عبد الله بن جعفر بن دستورية ثنا يعقوب بن سفيان ثنا الحميدى ثنا سفياننا عطاء بن السائب عن عبدالرحمن بن أبى ليلى . قال : أدركت مائة وعشرين من أصحاب رسول الله ﷺ يسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى ترجع الأول . قال يعقوب وثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن عطاء بن السائب قال سمعت عبد الرحمن بن أبى ليلى أيضاً . يقول أدركت فى هذا المسجد عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ ما منهم من يحدث حديثاً إلا ود أن أخاه كفاه الحديث ولا يسأل عن فتيا إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا .

قال المصنف: وقد روينا عن إبراهيم النخعى أن رجلاً سأله عن مسألة فقال: ما وجدت من تسأله غيرى . وعن مالك بن أنس رضى الله عنه قال: ما أفيتت حتى سألت سبعين شيخاً هل ترون لى أن أفتى . فقالوا: نعم ، فقيل له فلو نهوك قال لو نهونى انتهيت . وقال رجل ل احمد ابن حنبل: إنى حلفت ولا أدرى كيف حلفت قال لبتك إذ دريت كيف حلفت دريت أنا كيف أفتيك .

قال المصنف: وإنما كانت هذه سجية السلف لخشيتهم الله عز وجل وخوفهم منه ومن نظر فى سيرتهم تأدب .

ومن تليس إبليس على الفقهاء . مخالطتهم الأمراء والسلطين ومداهنتهم وترك الإنكار عليهم مع القدرة على ذلك . وربما رخصوا لهم فيما لا رخصة لهم فيه لينالوا من دنياهم عرضاً فيقع بذلك الفساد لثلاثة أوجه . الأول الأمير يقول لولا أنى على صواب لأنكر على الفقيه وكيف لا أكون مصيباً وهو يأكل من مالى ، والثانى العامى أنه يقول لا بأس بهذا الأمير ولا بماله ولا بأفعاله فإن فلاناً الفقيه لا يبرح عنده ، والثالث الفقيه فإنه يفسد دينه بذلك .

وقد لبس إبليس عليهم فى الدخول على السلطان فيقول إنما ندخل لنشفع فى مسلم وينكشف هذا التليس بأنه لو دخل غيره يشفع لما أعجبه

ذلك وربما قدح في ذلك الشخص لتفرده بالسلطان . ومن تلبس إبليس عليه في أخذ أموالهم فيقول لك فيها حق . ومعلوم أنها إن كانت من حرام لم يحل له منها شيء وإن كانت من شبهة فتركها أولى وإن كانت من مباح جاز له الأخذ بمقدار مكانه من الدين لا على وجه اتفاهه في إقامة الرعونة وربما اقتدى العوام بظاهر فعله واستباحوا ما لا يستباح .

وقد لبس إبليس على قوم من العلماء . ينقطعون على السلطان إقبالا على التعبد والدين فيزين لهم غيبة من يدخل على السلطان من العلماء فيجمع لهم آفتين غيبة الناس ومدح النفس . وفي الجملة فالدخول على السلاطين خطر عظيم لأن النية قد تحسن في أول الدخول ثم تتغير بإكرامهم وإنعامهم أو بالطمع فيهم ولا يتماسك عن مداهنتهم وترك الإنكار عليهم ، وقد كان سفيان الثوري رضى الله عنه يقول : ما أخاف من إهانتهم لى إنما أخاف من إكرامهم فيميل قلبى إليهم . وقد كان علماء السلف يبعدون عن الأمراء لما يظهر من جورهم فتطلبهم الأمراء لحاجتهم إليهم فى الفتاوى والولايات فنشأ أقوام قويت رغبتهم فى الدنيا فتعلموا العلوم التى تصلح للأمراء وحملوها إليهم ينالوا من دنياهم . ، ويدلك على أنهم قصدوا بالعلوم الأمراء أن الأمراء كانوا قديماً يميلون إلى سماع الحجج فى الأصول فأظهر الناس علم الكلام . ثم مال بعض الأمراء إلى المناظرة فى الفقه فمال الناس إلى الجدل . ثم بعض الأمراء إلى المواعظ فمال خلق كثير من المتعلمين إليها ولما كان جمهور العوام يميلون إلى القصص كثر القصص وقل الفقهاء .

ومن تلبس إبليس على الفقهاء : أن أحدهم يأكل من وقف المدرسة المبنية على المتشاغلين بالعلم فيمكث فيها ستين ولا يتشاغل ويقنع بما عرف أو ينتهى فى العلم فلا يبقى له فى الوقف حظ لأنه إنما جعل لمن يتعلم إلا أن يكون ذلك الشخص معيداً أو مدرساً فإن شغله دائم ، ومن ذلك ما يحكى عن بعض الأحداث المتفقهة من الانبساط فى المنهيات فبعضهم لبس الحرير ويتحلى بالذهب ويحال على المكث فيأخذه إلى غير ذلك من المعاصى . وسبب انبساط هؤلاء مختلف ، فمنهم من يكون فاسد

العقيدة فى أصل الدين وهو يتفقه ليستر نفسه أو ليأخذ من الوقف أو ليرأس أو ليناظر. ومنهم من عقيدته صحيحة لكن يغلبه الهوى وحب الشهوات وليس عنده صارف عن ذلك لأن نفس الجدل والمناظرة تحرك إلى الكبر والعجبي وإنما يقوم الإنسان بالرياضة ومطالعة سير السلف وأكثر القوم فى بعد عن هذا وليس عندهم إلا ما يعين الطبع على شموخه فحيث يسرح الهوى بلا زاد. ومنهم من يلبس عليه إبليس بأنك عالم وفقية ومفت العلم يدفع عن أربابه وهيهات فإن العلم أولى أن يحاجه ويضاعف عذابه كما ذكرنا فى حق القراء، وقد قال الحسن البصرى : إنما الفقيه من يخشى الله عز وجل. قال ابن عقيل : رأيت فقيهاً خراسانياً عليه حرير وخواتم ذهب فقلت له : ما هذا : فقال : خلع السلطان وكمد الأعداء فقلت له بل هو شماتة الأعداء بك أن كنت مسلماً لأن إبليس عدوك وإذا بلغ منك مبلغك ألبسك ما يسخط الشرع فقد أشمته بنفسك وهل خلع السلطان سائغة لنهى الرحمن يا مسكين. خلع عليك السلطان فانخلعت به من الإيمان وقد كان ينبغى أن يخلع بك السلطان لباس الفسق ويلبسك لباس التقوى رماكم الله بخزيه حيث هونتم أمره هكذا ليتك قلت هذه رعونات الطبع الآن تمت محنتك لأن عدوانك دليل على فساد باطنك.

ومن تلبسه عليهم. أن يحسن له ازدراء الوعاظ ويمنعهم من الحضور عندهم فيقولون من هؤلاء. هؤلاء قصاص ومراد الشيطان أن لا يحضروا فى موضع يلين فيه القلب ويخشع. والقصاص لا يذمون من حيث هذا الاسم لأن الله عز وجل قال : ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾ . وقال : ﴿ فاقصص القصص ﴾ . وإنما ذم القصاص لأن الغالب منهم الاتساع بذكر القصص دون ذكر العلم المفيد ثم غالبهم يخلط فيما يورده. وربما اعتمد على ما أكثره محال فأما إذا كان القصص صدقاً ويوجب وعظماً فهو ممدوح وقد كان أحمد بن حنبل يقول : ما أحوج الناس إلى قاص صدوق .

ذكر تليسه على الوعاظ والقصاص

قال المصنف: كان الوعاظ فى قديم الزمان علماء فقهاء. وقد حضر مجلس عبيد بن عمير عبد الله بن عمر رضى الله عنه. وكان عمر بن عبدالعزيز يحضر مجلس القاص. ثم خست هذه الصناعة فتعرض لها الجهال فبعد عن الحضور وعندهم المميزون من الناس وتعلق بهم العوام والنساء فلم يتشاغلوا بالعلم وأقبلوا على القصص وما يعجب الجهلة وتنوعت البدع فى هذا الفن

وقد ذكرنا آفاتهم فى كتاب القصاص والمذكرين. إلا أنا نذكر هنا جملة فمن ذلك: أن قوماً منهم كانوا يضعون أحاديث الترغيب والترهيب ولبس عليه إبليس بأننا نقصد حث الناس على الخير وكفهم عن الشر وهذا افتيات منهم على الشريعة لأنها عندهم على هذا الفعل ناقصة تحتاج إلى تمة ثم نسوا قوله ﷺ: « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ». ومن ذلك أنهم تلمحوا ما يزعج النفوس ويضطرب القلوب فنوعوا فيه الكلام فتراهم ينشدون الأشعار الرائقة الغزلية فى العشق. ولبس عليهم إبليس بأننا نقصد الإشارة إلى محبة الله عز وجل ومعلوم أن عامة من يحضرهم العوام الذين بواطنهم مشحونة بحب الهوى فيضل القاص ويضل، ومن ذلك من يظهر من التواجد والتخاشع زيادة على ما فى قلبه وكثرة الجمع توجب زيادة تعمل فتمسح النفس بفضل بكاء وخشوع فمن كان منهم كاذباً فقد خسر الآخرة. ومن كان صادقاً لم يسلم صدقه من رياء يخالطه. ومنهم من يتحرك الحركات التى يوقع بها على قراءة الألحان والألحان التى قد أخرجوها اليوم مشابهة للغناء فهى إلى التحريم أقرب منها إلى الكراهة والقارئ يطرب والقاص ينشد الغزل مع تصفيق يديه وإيقاع برجليه فتشبه السكر ويوجب ذلك تحريك الطباع وتهيج النفوس وصياح الرجال والنساء وتمزيق الثياب لما فى النفوس من دفائن الهوى ثم يخرجون فيقولون كان المجلس طيباً ويشيرون بالطيبة إلى ما لا يجوز. ومنهم من يجرى فى مثل تلك الحالة التى شرحناها لكنه يشد أشعار النوح على الموتى ويصف ما يجرى لهم من البلاء ويذكر الغربية

ومن مات غريباً فيبكي بها النساء ويصير المكان كالمأتم وإنما ينبغي أن يذكر الصبر على فقد الأحباب لا ما يوجب الجزع . ومنهم من يتكلم في دقائق الزهد ومحبة الحق سبحانه فليس عليهم إبليس . إنك من جملة الموصوفين بذلك لأنك لم تقدر على الوصف حتى عرفت ماتصف وسلكت الطريق . وكشف هذا التلبيس أن الوصف علم والسلوك غير العلم . ومنهم من يتكلم بالطامات والشطح الخارج عن الشرع ويستشهد بأشعار العشاق وغرضه أن يكثر في مجلسه الصباح ولو على كلام فاسد . وكم منهم من يزوق عبارة لا معنى تحتها وأكثر كلامهم اليوم في موسى والجبل وزليخاً ويوسف ولا يكادون يذكرون الفرائض ولا ينهون عن ذنب فمتى يرجع صاحب الزنا مستعمل الربا وتعرف المرأة حق زوجها وتحفظ صلاتها هيئات هؤلاء تركوا الشرع وراء ظهورهم ولهذا نقت سلعهم لأن الحق ثقيل والباطل خفيف . ومنهم من يبحث على الزهد وقيام الليل ولا يبين للعامة المقصود فرجماً تاب الرجل منهم وانقطع إلى زاوية أو خرج إلى جبل فبقيت عائلته لا شيء لهم . ومنهم من يتكلم في الرجاء والطمع من غير أن يمزج ذلك بما يوجب الخوف والحذر فيزيد الناس جرأة على المعاصي ثم يقوى ما ذكر بميله إلى الدنيا من المراكب الفارهة والملابس الفاخرة فيفسد القلوب بقوله وفعله .

فصل

وقد يكون الوعظ صادقاً قاصداً للنصيحة إلا أن منهم من شرب الرئاسة في قلبه مع الزمان فيجب أن يعظم وعلامته أنه إذا ظهر واعظ ينوب عنه أو يعينه على الخلق كره ذلك ولو صح قصده لم يكره أن يعينه على خلائق الخلق .

فصل

ومن القصاص من يخلط في مجلسه الرجال والنساء وترى النساء يكثرن الصباح وجداً على رعمهن فلا ينكر ذلك عليهن جمعاً للقلوب عليه ولقد ظهر في زماننا هذا من القصاص ما لا يدخل في التلبيس لأنه أمر صريح من كونهم جعلوا القصص معاشاً يستمنحون به الأمراء والظلمة والأخذ

من أصحاب المكوس والتكسب به في البلدان، وفيهم من يحضر المقابر فيذكر البلى وفراق الأحبة فيكى النسوة ولا يحث الصبر .

فصل

وقد يلبس إبليس على الواعظ المحقق فيقول له : مثلك لا يعظ وإنما يعظ متيقظ فيحمله على السكوت والانقطاع وذلك من دسائس إبليس لأنه يمنع فعل الخير ويقول إنك تلتذ بما تورده وتجد لذلك راحة . فرجما دخل الرياء في قولك وطريق الوحدة أسلم . ومقصوده بذلك سد باب الخير . وعن ثابت قال : كان الحسن في مجلس فقيل للعلاء تكلم فقال أوهناك أنا ثم ذكر الكلام ومؤنته وتبعته . قال ثابت فأعجبني . قال ثم تكلم الحسن وانا هناك يود الشيطان أنكم أخذتموها عنه فلم يأمر أحداً بخير ولم ينهه عن شر .

ذكر تليسه على أهل اللغة والأدب

قال المصنف : قد لبس على جمهورهم فشغلهم بعلوم النحو واللغة من المهمات اللازمة التي هي فرض عين عن معرفة ما يلزمهم عرفانه من العبادات وما هو أولى بهم من آداب النفوس وصلاح القلوب . وبما هو أفضل من علوم التفسير والحديث والفقهاء . فأذهبوا الزمان كله في علوم لا تراد لنفسها بل لغيرها فإن الإنسان إذا فهم الكلمة فينبغي أن يترقى إلى العمل بها إذ هي مرادة لغيرها . فترى الإنسان منهم لا يكاد يعرف من آداب الشريعة إلا القليل ولا من الفقه ولا يلتفت إلى تزكية نفسه وصلاح قلبه . ومع هذا ففيهم كبر عظيم وقد خيل لهم إبليس أنهم من علماء الإسلام لأن النحو واللغة من علوم الإسلام وبها يعرف معنى القرآن العزيز . ولعمري إن هذا لا يكر ولكن معرفة ما يلزم من النحو لإصلاح اللسان وما يحتاج إليه من اللغة في تفسير القرآن والحديث أمر قريب وهو أمر لازم وما عدا ذلك فضل لا يحتاج إليه وإنفاق الزمان في تحصيل هذا الفاضل وليس مهم مع ترك المهم غلط وإيثاره على ما هو أنفع وأعلى رتبة كالفقه والحديث غبن . ولو اتسع العمر لمعرفة الكل كان حسناً ولكن العمر قصير فينبغي إيثار الأهم والأفضل .

فصل

ومما ظنوه صواباً وهو خطأ ما أخبرنا به أبو الحسين بن فارس قال: قيل لفقهاء العرب هل يجب على الرجل إذا أشهد الوضوء؟ قال: نعم. قال والإشهاد أن يمدى الرجل.

قال المصنف. وذكر من هذا الجنس مسائل كثيرة وهذا غاية في الخطأ لأنه متى كان الاسم مشتركاً بين مسميين كان إطلاق الفتوى على أحدهما دون الآخر خطأ مثاله أن يقول: المستفتى. ما تقول في وطء الرجل زوجته في قرئها. فإن القرء يقع عند اللغويين على الأطهار وعلى الحيض. فيقول الفقيه: يجوز إشارة إلى الطهر أو لا يجوز إشارة إلى الحيض خطأ. وكذلك لو قال السائل: هل يجوز للصائم أن يأكل بعد طلوع الفجر. لم يجز إطلاق الجواب. فما ذكره فقيه العرب هو خطأ من وجهين أحدهما أنه لم يستفصل في الاحتمالات والثاني أنه صرف الفتوى إلى أبعد الاحتمالات وترك الأظهر. وقد استحسنوا هذا وقلة الفقه أوجبت هذا الزلل.

فصل

ولما كان عموم اشتغالهم بأشعار الجاهلية ولم يجد الطبع صادراً عما وضع عليه من مطالعة الأحاديث ومعرفة سير السلف الصالح سالت بهم لطباع إلى هوة الهوى فانبث شرع البطالة يعبث فقل أن ترى منهم متشاغلاً بالتقوى أو ناظراً في مطعم فإن النحو يغلب طلبه على السلاطين فيأكل النحاة من أموالهم الحرام كما كان أبو علي الفارسي في ظل عضد الدولة وغيره. وقد يظنون الشيء وهو غير جائز لقله فقههم كما جرى للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السري. قال: كنت أؤدب القاسم بن عبد الله فأقول له: إن بلغت إلى مبلغ أبيك ووليت الوزارة ماذا تصنع بي؟ فيقول: ما أحببت. فأقول له: أن تعطيني عشرين ألف دينار. وكانت غاية أمنيتي فما مضت إلا سنون حتى ولي القاسم الوزارة وأنا على ملازمتي له، وقد صرت نديمه فدعتني نفسي إلى إذكاره بالوعد ثم هبته. فلما كان في اليوم الثالث من وزارته قال لي: يا أبا إسحاق لم أرك أذكرتني بالندر.

فقلت عولت على رعاية الوزير أيدته الله وأنه لا يحتاج إلى إذكارة لنذر عليه في أمر خادم واجب الحق. فقال لى: إنه المعتضد. ولولاه ما تعاضمني دفع ذلك إليك في مكان واحد ولكن أخاف أن يصير لى معه حديث فاسمح بأخذه متفرقاً. فقلت افعل. فقال: اجلس للناس وخذ رقاعهم في الحوائج الكبار واستجعل عليها ولا تمتنع من مسائلتى شيئاً تخاطب فيه صحيحاً كان أو محالاً إلى أن يحصل لك مال النذر ففعلت ذلك وكنت أعرض عليه كل يوم رقاعاً فيوقع فيها وربما قال لى كم ضمن لك على هذا؟ فأقول كذا وكذا. فيقول غبنت هذا يساوى كذا وكذا فاستزد فراجع القوم ولا أزال أماكسهم ويزيدوننى حتى أبلغ الحد الذى رسمه. قال: فعرضت عليه شيئاً عظيماً فحصل عندى عشرون ألف دينار وأكثر منها فى مدة مديدة. فقال لى بعد شهر: يا أبا إسحاق حصل مال النذر. فقلت. لا فسكت وكنت أعرض ثم يسألنى فى كل شهر أو نحوه هل حصل المال فأقول لا خوفاً من انقطاع الكسب إلى أن حصل عندى ضعف المال. وسألنى يوماً فاستحييت منه من الكذات المتصل. فقلت: قد حصل ذلك بسعادة الوزير فقال: فرجت والله عنى فقد كنت مشغول القلب إلى أن يحصل ذلك. قال ثم أخذ الدواء ووقع إلى خازنه بثلاثة آلاف دينار صلة فأخذتها وامتنعت أن أعرض عليه شيئاً ولم أدر كيف أقع منه فلما كان من الغد جئته وجلست على رسمى فأوماً إلى هات ما معك ليستدعى منى الرقاع على الرسم فقلت ما أخذت من أحد رقعة لأن النذر قد وقع الوفاء به ولم أدر كيف أقع من الوزير فقال: يا سبحان الله أترانى كنت أقطع عنك شيئاً قد صار لك عادة وعلم به الناس وصارت لك به منزلة عندهم وجاءه وغدو ورواح إلى بابك ولا يعلم سبب انقطاعه فيظن ذلك لضعف جاهك عندى أو تغير رتبك. أعرض على رسمك وخذ بلا حساب. فقبلت يده وباكرته من غد بالرقاع وكنت أعرض عليه كل يوم شيئاً إلى أن مات وقد تأملت مالى هذا.

قال المصنف: انظروا ما يصنع قلة الفقه فإن هذا الرجل الكبير القدر فى معرفته النحو واللغة لو علم أن هذا الذى جرى له لم يجز شرعاً ما حكاه

وتبجح به . فإن إيصال الظلامات واجب ولا يجوز أخذ البرطيل عليها ولا على شئ مما نصب الوزير له من أمور الدولة وبهذا تبين مرتبة الفقه على غيره .

ذكر تلبس إبليس على الشعراء

قال المصنف: وقد لبس عليهم فأراهم أنهم من أهل الأدب وأنهم قد خصوا بفطنة تميزوا بها عن غيرهم . ومن خصكم بهذه الفطنة ربما عفا عن زلكم . فتراهم يهيمون في كل واد من الكذب والقذف والهجاء وهتك الأعراض والإقرار بالفواحش . وأقل أحوالهم أن الشاعر يمدح الإنسان فيخاف أن يهجوّه فيعطيه اتقاء شره أو يمدحه بين جماعة فيعطيه حياء من الحاضرين وجميع ذلك من جنس المصادرة . وترى خلقاً من الشعراء وأهل الأدب لا يتحاشون من لبس الحرير والكذب في المدح خارجاً عن الحد ويحكون اجتماعهم على الفسق وشرب الخمر وغير ذلك . ويقول أحدهم: اجتمعت أنا وجماعة من الأدباء ففعلنا كذا وكذا - هيهات هيهات ليس الأدب إلا مع الله عز وجل باستعمال التقوى له . ولا قدر للفظن في أمور الدنيا ولا تحسن العبارة عند الله إذا لم يتقه . وجمهور الأدباء والشعراء إذا ضاق بهم رزق تسخطوا فكفروا وأخذوا في لوم الأقدار كقول بعضهم :

لئن سمت همتي في الفضل عالية فإن حظي بيطن الأرض ملتصق
كم يفعل الدهر بي ما لا أسر به وكم يسيء زمان جائر حنق
وقد نسي هؤلاء أن معاصيهم تضيق أرواقهم فقد رأوا أنفسهم مستحقين
للنعم مستوجبين للسلامة من البلاء ولم يتلمحوا ما يجب عليهم من
امثال أوامر الشرع فقد ضلت فطنتهم في هذه الغفلة .

ذكر تلبس إبليس على الكاملين من العلماء

قال المصنف: إن أقواماً علت هممهم فحصلوا علوم الشرع من القرآن والحديث والفقه والأدب وغير ذلك . فأتاهم إبليس بخفي التلبس فأراهم أنفسهم بعين عظيمة لما نالوا وأفادوا غيرهم . فمنهم من يستفزه لطول عنائه في الطلب فحسن له اللذات وقال له إلى متى هذا التعب فأرح جوارحك

من كلف التكاليف وأفسح لنفسك في مشتهاها . فإن وقعت في زلة فالعلم يدفع عنك العقوبة . وأورد عليه فضل العلماء ، فإن خذل هذا العبد وقبل هذا التلبيس يهلك وإن وفق فينبغي له أن يقول : جوابك من ثلاثة أوجه ، أحدها إنه إنما فضل العلماء بالعمل ولولا العمل به ما كان له معنى ، وإذا لم أعمل به كنت كمن لم يفهم المقصود به ويصير مثلى كمثل رجل جمع الطعام وأطعم الجياع ولم يأكل فلم ينفعه ذلك من جوعه . والثاني أن يعارضه بما ورد في ذم من لم يعمل بالعلم لقوله ﷺ : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » . وحكايته ﷺ عن رجل يلقي في النار فتندلق أقتابه فيقول كنت أمر بالمعروف ولا آتية وأنهى عن المنكر وآتية . وقول أبي الدرداء رضى الله عنه : ويل لمن يعلم مرة وويل لم علم ولم يعمل سبع مرات . والثالث أن يذكر له عقاب من هلك من العلماء بالتاركين للعمل بالعلم كإبليس وبلعام . ويكفى في ذم العالم إذا لم يعمل قوله تعالى : ﴿ كمثل الحمار يحمل أسفاراً ﴾ .

فصل

وقد لبس إبليس على أقوام من المحكمين في العلم والعمل من جهة أخرى ، فحسن لهم الكبر بالعلم ، والحسد للنظير ، والرياء لطلب الرياسة ، فتارة يريهم أن هذا كالحق الواجب لهم ، وتارة يقوى حب ذلك عندهم فلا يتركونه مع علمهم بأنه خطأ ، وعلاج هذا لمن وفق إدمان النظر في إثم الكبر والحسد والرياء وإعلام النفس أن العلم لا يدفع شر هذه المكتسبات بل يضاعف عذابها لتضاعف الحجة بها . ومن نظر في سير السلف من العلماء العاملين استقل نفسه فلم يتكبر ، ومن عرف الله لم يراء ومن لاحظ جريان أقداره على مقتضى إرادته لم يحسد .

وقد يدخل إبليس على هؤلاء بشبهة ظريفة فيقول : طلبكم للرفعة ليس بتكبر لأنكم نواب الشرع فإنكم تطلبون أعزاز الدين ودحض أهل البدع وإطلافكم اللسان في الحساد غضب للشرع إذ الحساد قد ذموا من قام به وما تظنونهم رياء فليس برياء لأن من تخاشع منكم وتباكى به الناس كما يقتدوا بالطيب إذا احتذى أكثر من من اقتدائهم بقوله إذا وصف .

وكشف هذا التلبيس: أنه لو تكبر متكبر على غيرهم من جنسهم وصعد في المجلس فويه أو قل حاسداً عنه شيئاً لم يغضب هذا العالم لذلك كغضبه لنفسه وإن كان المذكور من نواب الشرع فعلم أنه إنما لم يغضب لنفسه بل للعلم. وأما الرياء فلا عذر فيه لأحد ولا يصلح أن يجعل طريقاً للدعاية الناس وقد كان أيوب السخيتاني إذا حدث بحديث فرق ومسح وجهه وقال. ما أشد الزكام، وبعد هذا فالأعمال بالنيات والثاقد بصير وكم من ساكت عن غيبة المسلمين إذا اغتیبوا عنده فرح قلبه وهو آثم بذلك من ثلاثة أوجه. أحدها الفرح فإنه حصل بوجود هذه المعصية من المغتاب. والثاني لسروره بثلب المسلمين. والثالث أنه لا ينكر.

فصل

وقد لبس إبليس على الكاملين في العلوم فيسهرون ليلهم ويدأبون في تصانيف العلوم ويريهم إبليس أن المقصود نشر الدين ويكون مقصودهم الباطن انتشار الذكر وعلو الصيت والرياسة وطلب الرحلة من الآفاق إلى المصنف.

وينكشف هذا التلبيس بأنه لو انتفخ بمصنفاته الناس من غير تردد إليه أو قرئت على نظيره في العلم فرح بذلك إن كان مراده نشر العلم وقد قال بعض السلف ما من علم علمته إلا أحببت أن يستفيدة الناس من غير أن ينسحب إلى ومنهم من يفرح بكثرة الاتباع ويلبس عليه إبليس بأن هذا الفرح لكثرة طلاب العلم وإنما مراده كثرة الأصحاب واستطارة الذكر ومن ذلك العجب بكلماتهم وعلمهم وينكشف هذا التلبيس بأنه لو انقطع بعضهم إلى غيره ممن هو أعلم منه ثقل ذلك عليه. وما هذه صفة المخلص في التعليم لأن مثل المخلص مثل الأطباء الذين يداوون المرضى لله سبحانه وتعالى فإذا شفى بعض المرضى على يد طبيب منهم فرح الآخر وقد ذكرنا آنفاً حديث ابن أبي ليلي ونعيده بإسناد آخر عن عبد الرحمن بن أبي ليلي قال. أدركت عشرين ومائة من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار ما منهم رجل يسأل عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه ولا يحدث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه.

فصل

قال المصنف: وقد يتخلص العلماء الكاملون من تلبيسات إبليس الظاهرة فيأتيهم بخفى من تليسه. بأن يقول له: مالقيت مثلك ما أعرفك بمدخلى ومخارجى فأن سكن إلى هذا هلك بالعجب وإن سلم من المسألة له سلم. وقد قال السرى السقطى: لو أن رجلاً دخل بستاناً فيه من جميع ما خلق الله عز وجل من الأشجار عليها من جميع ما خلق الله تعالى من الأطياف فخاطبه كل طائر بلغته وقال السلام عليك يا ولى الله فسكنت نفسه إلى ذلك كان فى أيديها أسيراً. والله الهادى لا إله إلا هو .

.....

الباب السابع

فى تلبس إبليس على الولاة والسلاطين

قال المصنف: قد لبس عليهم إبليس من وجوه كثيرة نذكر أمهاتها. فالوجه الأول: أنه يريد أن الله عز وجل يحبهم ولولا ذلك ما ولاهم سلطانه ولا جعلهم نواباً عنه فى عباده، وينكشف هذا التلبس بأنهم كانوا نواباً عنه فى الحقيقة فليحكموا بشرعه وليتبعوا مرضيه. فحينئذ يحبهم لطاعته، فأما صورة الملك والسلطنة فإنه قد أعطاهما خلقاً ممن يبغضه وقد بسط الدنيا لكثير ممن لا ينظر إليه. وسلط جماعة من أولئك على الأولياء والصالحين فقتلوهم وقهروهم فكان ما أعطاهم عليهم لا لهم. ودخل ذلك فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا نَمْلَى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ﴾. والثانى: أنه يقول لهم الولاية تفتقر إلى هبة فيتكبرون عن طلب العلم ومجالسة العلماء فيعملون بأرائهم فيتلفون الدين والمعلوم أن الطبع يسرق من خصال المخالطين فإذا خالطوا مؤثرى الدنيا الجهال بالشرع سرق الطبع من خصالهم مع ما عنده منها ولا يرى ما يقاومها ولا ما يجره عنها وذلك سبب الهلاك. والثالث: أنه يخوفهم الأعداء ويأمرهم بتشديد الحجاب فلا يصل إليهم أهل المظالم. ويتوانى من جعل بصدد رفع المظالم. وقد روى أبو مريم الأسدى عن النبى ﷺ قال: « من ولاه الله شيئاً من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقيرهم احتجب الله عز وجل دون حاجته وخلته وفقره ». والرابع: أنهم يستعملون من لا يصلح ممن لا علم عنده ولا تقوى. فيجتلب الدعاء عليهم بظلمه الناس. ويطعمهم الحرام بالبيوع الفاسدة ويحد من لا يجب عليه الحد. ويظنون أنهم يتخلصون من الله عز وجل مما جعلوه فى عنق الوالى، هيهات إن العامل على الزكاة إذا وكل الفساق بتفرقتها فخابوا ضمن. والخامس أنه يحسن لهم العمل برأيهم فيقطعون من لا يجوز قطعه ويقتلون من لا يحل قتله، ويوهمهم أن هذه سياسة وتحت هذا من المعنى أن الشريعة ناقصة تحتاج إلى إتمام ونحن نتمها بأرائنا .

وهذا من أقبح التلبيس لأن الشريعة سياسة إلهية ومحال أن يقع في سياسة الإله خلل يحتاج معه إلى سياسة الخلق، قال الله عز وجل: ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾. وقال: ﴿ لَا مَعْقِبَ لِحُكْمِهِ ﴾. فمدعى السياسة مدعى الخلل في الشريعة، وهذا يزاحم الكفر. وقد روينا عن عضد الدولة أنه كان يميل إلى جارية فكانت تشغل قلبه فأمر بتغريقها لئلا يشتغل قلبه عن تدبير الملك، وهذا هو الجنون المطبق لأن قتل مسلم بلا جرم لا يحل، اعتقاده أن هذا جائز كفر وإن اعتقده غير جائز لكنه رآه مصلحة فلا مصلحة فيما يخالف الشرع. والسادس أنه يحسن لهم الانبساط في الأموال ظانين أنها بحكمهم .

وهذا تلبيس يكشفه وجوب الحجر على المفرط في مال نفسه فكيف بالمستأجر في حفظ مال غيره. وإنما له من المال بقدر عمله فلا وجه للانبساط. قال ابن عقيل: وقد روى عن حماد الراوية أنه أنشد الوليد بن يزيد أبياتاً فأعطاه خمسين ألفاً وجاريتين، قال وهذا مما يروى على وجه المدح لهم وهو غاية القدح فيهم لأنه تبذير في بيت مال المسلمين، وقد يزين لبعضهم منع المستحقين وهو نظير التبذير. والسابع أنه يحسن لهم الانبساط في المعاصي ويلبس عليهم أن حفظكم للسبيل وأمن البلاد بكم يمنع عنكم العقاب. وجواب هذا أن يقال: إنما وليتم لتحفظوا البلاد وتؤمنوا السبيل. وهذا واجب عليهم. وما انبسطوا فيه من المعاصي منهي عنه فلا يرفع هذا ذلك. والثامن أنه يلبس على أكثرهم بأنه قد قام بما يجب من جهة أن ظواهر الأحوال مستقيمة. ولو حقق النظر لرأى اختلافاً كثيراً. وقد روينا عن القاسم بن طلحة بن محمد الشاهد. قال: رأيت على بن عيسى الوزير وقد وكل بدور البطيخ رجلاً برزق يطوف على باعة العنب فإذا اشترى أحد سلة عنب خمري لم يعرض له وإن اشترى سلتين فصاعداً طرح عليها الملح لئلا يتمكن من عملها خمراً. قال: وأدركت السلاطين يمنعون المنجمين من القعود في الطرق حتى لا يفسوا العمل بالنجوم، وأدركتنا الجند ليس فيهم أحد معه غلام أمرد له طرة ولا شعر إلى أن بدئ بحكم العجم. والتاسع أنه يحسن لهم

استجلاب الأموال واستخراجها بالضرب العنيف وأخذ كل ما يملكه الخائن واستحلافه وإنما الطريق إقامة البيعة على الخائن. وقد روينا عن عمر بن عبد العزيز أن غلاماً كتب له: أن قوماً خسانوا في مال اللهو ولا أقدر على استخلاص ما في أيديهم إلا أن أنالهم بعذاب. فكتب إليه: إن يلقوا الله بخيانتهم أحب إليّ من أن ألقاه بدمائهم. والعاشر أنه يحسن لهم التصديق بعد الغضب. يريهم أن هذا يمحو ذلك، ويقول: إن درهماً من الصدقة يمحو إثم عشرة من الغضب. وهذا محال لأن اسم الغضب باق ودرهم الصدقة إن كان من الغضب لم يقبل وإن كانت الصدقة من الحلال لم يدفع أيضاً إثم الغضب لأن إعطاء الفقير لا يمنع تعلق الذمة بحق آخر. والحادي عشر أنه يحسن لهم مع الإصرار على المعاصي زيارة الصالحين وسؤالهم الدعاء ويريهم أن هذا يخفف ذلك الإثم، وهذا خير لا يدفع ذلك الشر، وفي الحديث عن الحسين بن زياد قال سمعت منيعاً يقول: مر تاجر بعشار فحبسوا عليه سفينته فجاء إلى مالك بن دينار فذكر له ذلك، فقام مالك فمشى معه إلى العشار، فلما رآوه قالوا يا أبا يحيى ألا بعثت إلينا في حاجتك قال: حاجتي أن تخلوا عن سفينة هذا الرجل. قالوا قد فعلنا قال وكان عندهم كوز يجعلون ما يأخذون من الناس من الدراهم فيه، فقالوا: ادع لنا يا أبا يحيى قال: قولوا للكوز يدعو لكم كيف أدعو لكم وألف يدعون عليكم. أتري يستجاب لواحد ولا يستجاب لألف. والثاني عشر: أن من الولاة من يعمل لمن فوقه فيأمره بالظلم فيظلم ويلبس عليهم إبليس بأن الإثم على الأمير لا عليك، وهذا باطل لأنه معين على الظلم وكل معين على المعاصي عاص فإن رسول الله ﷺ لعن في الخمر عشرة ولعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه ومن هذا الفن أن يجبي المال لمن هو فوقه وقد علم أنه يبذر فيه ويخون فهذا معين على الظلم أيضاً. وفي الحديث بإسناد مرفوع إلى جعفر بن سليمان، قال: سمعت مالك بن دينار يقول: كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة. والله الهادي إلى الصواب.

.....

الباب الثامن

ذكر تلبيس إبليس على العباد في العبادات

قال المصنف. اعلم أن الباب الأعظم الذي يدخل منه إبليس على الناس هو الجهل. فهو يدخل منه على الجهال بأمان. وأما العالم فلا يدخل عليه إلا مسارقة وقد لبس إبليس على كثير من المتعبدين بقلة علمهم لأن جمهورهم يشتغل بالتعبد ولم يحكم العلم. وقد قال الربيع بن خثيم. تفقه ثم اعتزل .

فأول تلبسه عليهم إيثارهم التعبد على العلم والعلم أفضل من النوافل فأراهم أن المقصود من العلم العمل، وما فهموا من العمل إلا عمل الجوارح وما علموا أن العمل عمل القلب وعمل القلب أفضل من عمل الجوارح، قال مطرف بن عبد الله: فضل العلم خير من فضل العبادة . وقال يوسف بن اسباط: باب من العلم تتعلمه أفضل من سبعين غزاة، وقال المعافى بن عمران: كتابة حديث واحد أحب إليّ من صلاة ليلة .

قال المصنف: فلما مر عليهم هذا التلبيس وآثروا التعبد بالجوارح على العلم تمكن إبليس من التلبيس عليهم في فنون التعبد .

ذكر تلبسه عليهم في الاستطابة والحدث

من ذلك أنه يأمرهم بطول المكث في الخلاف وذلك يؤذى الكبد وإنما ينبغي أن يكون بمقدار ومهم من يقوم فيمشى ويتحنح ويرفع قدماً ويحط الأخرى وعنده أن يستنقى بهذا وكلما راد في هذا نزل البول - وبيان هذا أن الماء يرشح إلى المثانة ويجمع فيها فإذا تهيأ الإنسان للبول خرج ما اجتمع فإذا مشى وتنحنح وتوقف رشح شئ آخر فالرشح لا ينقطع وإنما بكفيه أن يحتلب ما في الذكر بين إصبعيه ثم يتبعه الماء . ومنهم من يحسن له استعمال الماء الكثير وإنما يجزيه بعد زوال العين سبع مرات على أشد المذاهب فإن استعمل الأحجار فيما لا يتعد المخرج أجزاءه ثلاثة أحجار إذا ألقى بهن ومن لم يقنع بما قنع الشرع به فهو مبتدع شرعاً لا

متبع والله الموفق .

ذكر تلبسه عليهم في الوضوء

منهم من يلبس عليه في النية فتراه يقول: أرفع الحدث، ثم يقول: أستبجح الصلاة، ثم يعيد فيقول: أرفع الحدث. وسبب هذا التلبس الجهل بالشرع لأن النية بالقلب لا باللفظ فتكلف اللفظ أمر لا يحتاج إليه ثم لا معنى لتكرار اللفظ. ومنهم من يلبس عليه بالنظر في الماء المتوضأ به فيقول: من أين لك أنه طاهر ويقدر له فيه كل احتمال بعيد. وفتوى الشرع يكفيه بأن أصل الماء الطهارة فلا يترك الأصل بالاحتمال. ومنهم من يلبس عليه بكثرة استعمال الماء وذلك يجمع أربعة أشياء مكروهة. الإسراف في الماء، وتضييع العمر القيم فيما ليس بواجب ولا مندوب، والتعاطى على الشريعة إذا لم يقنع بما قنعت به من استعمال الماء القليل. والدخول فيما نهت عنه من الزيادة على الثلاث وربما أطال الوضوء ففات وقت الصلاة أو فات أوله وهو الفضيلة أو فاتته الجماعة .

وتلبس إبليس على هذا: بأنك في عبادة ما لم تصح لا تصح الصلاة، ولو تدبر أمره لعلم أنه في مخالفة وتفريط، وقد رأينا من ينظر في هذه الوسوس ولا يبالي بمطعمه ومشربه ولا يحفظ لسانه من غيبة فليته قلب الأمر، وفي الحديث عن عبد الله ابن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ مر بسعد وهو يتوضأ فقال: ما هذا السرف يا سعد، قال: أفي الوضوء سرف، قال: نعم وإن كنت على نهر جار وفي الحديث عن أبي عن النبي ﷺ قال: « للوضوء شيطان يقال له الولهان فاتقوه، أو قال فاحذروه». وعن الحسن رضى الله عنه قال: شيطان الوضوء يدعى الولهان يضحك بالناس في الوضوء. وبإسناد مرفوع إلى أبي نعامة أن عبد الله ابن معقل سمع ابنه يقول اللهم إني أسألك الفردوس وأسألك. فقال عبد الله، سل الله الجنة وتعوذ به من النار، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الدعاء والظهور». وعن ابن شوذب قال: كان الحسن يعرض بابن سيرين يقول: يتوضأ أحدهم بقربة فيغتسل بمزادة صبا صبا، ودلكا دلكا، تذيباً لأنفسهم،

وخلافاً لسنة نبيهم ﷺ وكان أبو الوفاء بن عقيل يقول: أجلّ محصول عند العقلاء الوقت، وأقلّ متعبد به الماء، وقد قال ﷺ، صبوا على بول الاعرابي ذنوباً من ماء، وقال في المنى: أمطه عنك بأذخرة. قال: وفي الحذاء طهوره بأن يدلك بالأرض. وفي ذيل المرأة يطهره ما بعده، وقال: يغسل بول الجارية وينضح بول الغلام، وكان يحمل بنت أبي العاص ابن الربيع في الصلاة. ونهى الراعي عن إعلام السائل له عن الماء وما يردّه، وقال: ما أبقيت لنا طهور، وقال: يا صاحب الماء لا تخبره، وقد صالح رسول الله ﷺ الأعراب، وركب الحمار معرورياً، وما عرف من خلقه التعبد بكثرة الماء. وتوضأ من سقاية المسجد، ومعلوم حال الأعراب الذين يأتي أحدهم من البادية كأنه بهيمة، أو ما سمعت أن أحدهم أقدم على البول في المسجد كل ذلك لتعليمنا وإعلامنا أن الماء على أصل الطهارة، وتوضأ من غدِير كأن ماءه نقاعة الحناء، فأما قوله استتزهوا البول فإن التنزه حدأ معلوماً وهو أن لا يغفل عن محل قد أصابه حتى يتبعه الماء، فأما الاستنثار فإنه إذا علق بما وانقطع الوقت بما لا يقضى بمثله الشرع .

قال المصنف: وكان أسود بن سالم وهو من كبار الصالحين يستعمل ماءً كثيراً في وضوئه ثم ترك ذلك فسأله رجل عن سبب تركه، فقال: نمت ليلة فإذا بهاتف يهتف بي يا أسود ما هذا؟. يحيى بن سعيد الأنصاري حدثني عن سعيد بن المسيب. قال: إذا جاوز الرضوء ثلاثاً لم يرفع إلى السماء. قال: قلت لا أعود لا أعود، فأنا اليوم يكفيني كف من ماء .

ذكر تلبسه عليهم في الأذان

ومن ذلك التلحين في الأذان وقد كرهه مالك بن أنس وغيره من العلماء كراهية شديدة لأنه يخرجهم عن موضع التعظيم إلى مشابهة الغناء. ومنه أنهم يخلطون أذان الفجر بالتذكير والتسييح والمواعظ ويجعلون الأذان وسطاً فيختلط، وقد كره العلماء كل ما يضاف إلى الأذان، وقد رأينا من يقوم بالليل كثيراً على المنارة فيعظ ويذكر. ومنهم من يقرأ سوراً من القرآن بصوت مرتفع فيمنع الناس من نومهم ويخلط على المتهجدين

قرااتهم وكل ذلك من المنكرات .

ذكر تلبسه عليهم فى الصلاة

من ذلك تلبسه عليهم فى الثياب التى يستتر بها فترى أحدهم يغسل الثوب الطاهر مراراً وربما لمسهُ مسلم فيغسله . ومنهم من يغسل ثيابه فى دجلة لا يرى غسلها فى البيت يجرى، ومنهم من يدلها فى البئر كفعل اليهود وما كانت الصحابة تعمل هذا بل قد صلوا فى ثياب فارس لما فتحوها واستعملوا أوطنتهم وأكسيتهم . ومن الموسوسين من يقطر عليه قطرة ماء فيغسل الثوب كله وربما تأخر لذلك عن صلاة الجماعة، ومنهم من ترك الصلاة جماعة لأجل مطر يسير يخاف أن يتضح عليه، ولا يظن ظان أنى أمتنع من النظافة والورع ولكن المبالغة الخارجة عن حد الشرع المضیعة للزمان هى التى نهى عنها . ومن ذلك تلبسه عليهم فى نية الصلاة فمنهم من يقول أصلى صلاة كذا ثم يعيد هذا ظناً منه أنه قد نقض النية والنية لا تنقض وان لم يرض اللفظ ومنهم من يكبر ثم ينقض ثم يكبر ثم ينقض فإذا ركع الإمام كبر الموسوس وركع معه، فليت شعرى ما الذى أحضر النية حيثئذ وما ذاك إلا أن إبليس أراد أن يفوته الفضيلة، وفى الموسوسين من يحلف بالله لا كبرت غير هذه المرة . وفيهم من يحلف بالله بالخروج من ماله أو بالطلاق وهذه كلها تلبسات إبليس، الشريعة سمحة سهلة سليمة من هذه الآفات وما جرى لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه شئ من هذا . وقد بلغنا عن أبى حازم أنه دخل المسجد فوسوس إليه إبليس أنك تصلى بغير وضوء فقال: ما بلغ نصحك إلى هذا .

وكشف هذا التلبس أن يقال للموسوس: إن كنت تريد إحضار النية فالنية حاضرة لأنك قمت لتؤدى الفريضة وهذه هى النية ومحلها القلب لا اللفظ إن كنت تريد تصحيح اللفظ فاللفظ لا يجب ثم قد قلت صحیحاً فما وجه الإعادة أفتراك تظن وقد قلت إنك ما قلت هذا مرض . قال المصنف: وقد حكى لى بعض الأشياخ عن ابن عقيل حكاية عجيبة أن رجلاً لقيه فقال: إنى أغسل العضو وأقول ما غسلته، وأكبر

وأقول ما كبرت . فقال له ابن عقيل . دع الصلاة فإنها ما تجب عليك .
فقال قوم لابن عقيل : كيف تقول هذا . فقال لهم : قال النبي ﷺ :
رفع الفلم عن المجنون حتى يفيق ومن يكبر ويقول ما كبرت فليس بعاقل
والمجنون لا تجب عليه الصلاة .

قال المصنف : واعلم أن الوسوسة في نية الصلاة سببها خبل في العقل
وجهل بالشرع . ومعلوم أن من دخل عليه عالم فقام له وقال : نويت أن
أنتصب قائماً تعظيماً لدخول العالم لأجل علمه مقبلاً عليه بوجهي : سفه
في عقله فإن هذا قد تصور في ذهنه منذ رأى العالم . فقيام الإنسان إلى
الصلاة ليؤدي الفرض أمر يتصور في النفس في حالة واحدة لا يطول
زمانه وإنما يطول زمان نظم هذه الألفاظ والألفاظ لا تلزم والوسواس
جهل محض . وإن الموسوس يكلف نفسه أن يحضر في قلبه الظهريّة
والأدائية والفرضية في حالة واحدة مفصلة بألفاظها وهو يطالعها وذلك
محال . ولو كلف نفسه ذلك في القيام للعالم لتعذر عليه فمن عرف هذا
عرف النية . ثم إنه يجوز تقديمها على التكبير بزمان يسير ما لم يفسخها .
فما وجه هذا التعب في إلصاقها بالتكبير على أنه إذا حصلها ولم يفسخها
فقد التصقت بالتكبير وعن مسور قال : أخرج إلى معن بن عبد الرحمن
كتاباً وحلف بالله أنه خط أبيه وإذا فيه قال عبد الله : والذي لا إله غيره ما
رأيت أحداً كان أشد على المنتطحين من رسول الله ﷺ ولا رأيت بعده
أشد خوفاً عليهم من أبي بكر . وإنى لأظن عمر كان أشد أهل الأرض
خوفاً عليهم .

فصل

ومن الموسوسين من إذا صحت له النية وكبر ذهل عن باقي صلواته كأن
المقصود من الصلاة التكبير فقط . وهذا تلبس يكشفه أن التكبير يراد
للدخول في العبادة ، فكيف تهمل العبادة وهي كالدار ويقتصر على
التشاغل بحفظ الباب .

فصل

ومن الموسوسين من تصخ له التكبير خلف الإمام وقد بقي من الركعة

يسير فيستفتح ويستعيد فيركع الإمام. وهذا تلبس أيضاً لأن الذي شرع فيه من التعوذ والاستفتاح مسنون والذي تركه من قراءة الفاتحة وهو لازم للمأموم عند جماعة من العلماء فلا ينبغي أن يقدم عليه سنة .

قال المصنف: وقد كنت أصلى وراء شيخنا أبي بكر الدينوري الفقيه في زمان الصبا فرأني مرة أفعل هذا فقال: يا بني إن الفقهاء قد اختلفوا في وجوب قراءة الفاتحة خلف الإمام ولم يختلفوا في أن الاستفتاح سنة فاشتغل بالواجب ودع السنن.

فصل

وقد لبس إبليس على قوم فتركوا كثيراً من السنن لواقعات وقعت لهم. فمنهم من كان يتخلف عن الصف الأول ويقول إنما أراد قرب القلوب ومنهم من لم ينزل يداً على يد في الصلاة وقال أكره أن أظهر من الخشوع ما ليس في قلبي وقد روينا هذين الفعلين عن بعض أكابر الصالحين، وهذا أمر أوجبه قلة العلم ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « لو يعلم الناس ما لهم في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ». وفي أفراد مسلم من حديثه عن النبي ﷺ أنه قال خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وأما وضع اليد على اليد فسنه. روى أبو داود في سننه أن ابن الزبير قال: وضع اليد على اليد من السنة وأن ابن مسعود كان يصلي فوضع يده اليسرى على اليمنى فرآه النبي ﷺ فوضع يده اليمنى على اليسرى.

قال المصنف: ولا يكبرن عليك إنكاراً على من قال أراد قرب القلوب ولا أضع يداً على يد - وإن كان من الأكابر - فإن الشرع هو المنكر لا نحن وقد قيل لأحمد بن حنبل رحمة الله عليه إن ابن المبارك يقول كذا وكذا فقال إن ابن المبارك لم ينزل من السماء وقيل له قال: إبراهيم بن أدهم فقال: جئتموني ببيانات الطريق عليهم بالأصل فلا ينبغي أن يترك الشرع لقول معظم في النفس فإن الشرع أعظم والخطأ في التأويل على الناس يجرى ومن الجائز أن تكون الأحاديث لم تبلغه.

فصل

وقد لبس إبليس على بعض المصلين فى مخارج الحروف فتراه يقول الحمد الحمد فيخرج بإعادة الكلمة عن قانون أدب الصلاة وتارة يلبس عليه فى تحقيق التشديد وتارة فى إخراج ضاد المغضوب ولقد رأيت من يقول الغضوب فيخرج بساقه مع إخراج الضاد لقوة تشديده وإنما المراد تحقيق الحرف فحسب .

وإبليس يخرج هؤلاء بالزيادة عن حد التحقيق ويشغلهم بالمبالغة فى الحروف عن فهم التلاوة وكل هذه الوسوس من إبليس ، وعن سعيد بن عبد الرحمن بن أبى العمياء أن سهل بن أبى أمامة حدثهم أنه دخل هو وأبوه على أنس بن مالك رضى الله عنه وهو يصلى صلاة خفيفة كأنها صلاة المسافر فلما سلم قال يرحمك الله أرأيت هذه الصلاة مكتوبة كصلاة رسول الله ﷺ أم شئ تنقلته قال . إنها لصلاة رسول الله ﷺ ما أخطأت الأشياء سهوت عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلک بقاياهم فى الصوامع والديورات ﴿ رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ﴾ . وفى أفراد مسلم من حديث عثمان بن أبى العاص قال : قلت لرسول الله ﷺ أن الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى وقرائتى يلبسها على فقال رسول الله ﷺ ذاك الشيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه ثلاثاً واتفل عن يسارك ففعلت ذلك فأذهب الله عنى .

فصل

وقد لبس إبليس على حلق كثير من جهلة المتعبدین فرأى أن العبادة هى القيام والقعود فحسب وهم يدأبون فى ذلك ويخلون فى بعض واجباتهم ولا يعلمون وقد تأملت جماعة يسلمون إذا سلم الإمام وقد بقى عليهم التشهد الواجب شئ وذلك لا يحمله الإمام عنه ولبس على آخرين منهم فهم يطيلون الصلاة ويقصرون القراءة ويتركون المسون فى الصلاة ويركبون المكروه فيها وقد دخلت على بعض المتعبدین وهو يتنفل

بالنهار ويجهر بالقراءة فقلت له إن الجهر بالقراءة بالنهار مكروه فقال لي أنا أترك النوم عنى بالجهر فقلت إن السنن لا تترك لأجل سهرك ومتى غلبك النوم فتم فإن للنفس عليك حقاً وعن ريدة قال قال رسول الله ﷺ من جهر بالقراءة فى النهار فارجموه بالبعر.

فصل

وقد لبس إبليس على جماعة من المتعبدين فأكثرُوا من صلاة الليل وفيهم من يسهره كله ويفرح بقيام الليل وصلاة الضحى أكثر مما يفرح بأداء الفرائض ثم يقع قبيل الفجر فتفوته الفريضة أو يفوم فيتهاها لها فتفوته الجماعة أو يصبح كسلان فلا يقدر على الكسب لعائلته ولقد رأيت شيخاً من المتعبدين يقال له حسين القزوينى يمشى كثيراً من النهار فى جامع المنصور فسألت عن سبب مشيه فقيل لى لثلا ينام. فقلت هذا جهل بمقتضى الشرع والعقل أما الشرع فإن النبى ﷺ قال: « إن لبدنك عليك حق فقم ونم». وكان يقول عليكم هدياً قصد فإنه من يشاد هذا الدين يغلبه. وعن أنس بن مالك قال دخل رسول الله ﷺ المسجد وحبل ممدود بين ساريتين فقال ما هذا قالوا لزيب تصلى فإذا كسلت أو فترت أمسكت به فقال: حلوه ثم قال: ليصلى أحدكم نشاداه فإذا كسل أو فتر فليقعد. وعن عائشة قالت قال: رسول الله ﷺ إذا نعس أحدكم فليرقد حتى يذهب عنه النوم فإنه إذا صلى وهو ينعس لسعه يذهب ليستغفر فيذهب فيسب نفسه.

قال المصنف: هذا حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم وانفرد بالذى قبله البخارى وأما العقل فإن النوم يجدد القوى التى قد قلت بالسهر فمتى دفعه الإنسان وقت الحاجة إليه أثر فى بدنه وعقله فتعوذ بالله من الجهل (فإن قال قائل) فقد زويت لنا أن جماعة من السلف كانوا يحيون الليل فالجواب أولئك تدرجوا حتى قدروا على ذلك وكانوا على ثقة من حفظ صلاة النسج فى جماعة وكانوا يستعينون بالقائلة. مع قلة المطعم يصح لهم ذلك ثم لم يبلغنا أن رسول الله ﷺ سهر ليلة لم ينم فيها فستته هى المتبوع.

فصل

وقد لبس إبليس على جماعة من قوام الليل فتحدثوا بذلك بالنهار، فرجما قال أحدهم فلان المؤذن أذن بوقت ليعلم الناس أنه كان منتبهاً، فأقل ما فى هذا إن سلم من الرياء أن ينقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية فيقتل الثواب .

فصل

وقد لبس على آخرين انفردوا فى المساجد للصلاة والتعبد فعرفوا بذلك واجتمع إليهم ناس فصلوا بصلاتهم وشاع بين الناس حالهم وذلك من دسائس إبليس وبه تقوى النفس على التعبد لعلمها أن ذلك يشيع ويوجب المدح وعن زيد بن ثابت أن النبي ﷺ قال: « إن أفضل صلاة المرء فى بيته إلا الصلاة المكتوبة ».

قال المصنف: أخرجاه فى الصحيحين . وكان عامر بن عبد قيس يكره أن يروه يصلى وكان لا يتنفل فى المسجد وكان يصلى كل يوم ألف ركعة . وكان ابن أبى ليلى إذا صلى ودخل عليه داخل اضطجع .

فصل

وقد لبس على قوم من المتعبدين وكانوا يكون والناس حولهم وهذا قد يقع عليهم فلا يمكن دفعه فمن قدر على ستره فأظهره فقد تعرض للرياء . وعن عاصم قال كان أبو وائل إذا صلى فى بيته نشج نشيجاً ولو جعلت له الدنيا على أن يفعله وأحد يراه ما فعله، وقد كان أيوب السخيتانى إذا غلبه البكاء قام .

فصل

وقد لبس إبليس على جماعة من المتعبدين فتراهم يصلون الليل والنهار ولا ينظرون فى إصلاح عيب باطن ولا فى مطعم، والنظر فى ذلك أولى بهم من كثرة التفل .

ذكر تلبسه عليهم فى قراءة القرآن

وقد لبس على قوم بكثرة التلاوة فهم يهزون هزاً من غير ترتيل ولا

ثبتت وهذه حالة ليست بمحمودة وقد روى عن جماعة من السلف أنهم كانوا يقرأون القرآن في كل يوم أو في كل ركعة، وهذا يكون نادراً منهم ومن داوم عليه فإنه وإن كان جائزاً إلا أن الترتيل والتثبيت أحب إلى العلماء وقد قال رسول الله ﷺ لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث .

قال المصنف: وقد لبس إبليس على قوم من القراء فهم يقرأون القرآن في منارة المسجد بالليل بالأصوات المجتمعة المرتفعة الجزء والجزأين فيجمعون بين أذى الناس في منعهم من النوم وبين التعرض للرياء . ومنهم من يقرأ في مسجده وقت الأذان لأنه حين اجتماع الناس في المسجد .

قال المصنف: ومن أعجب ما رأيت فيهم أن رجلاً كان يصلى بالناس صلاة الصبح يوم الجمعة ثم يلتفت فيقرأ المعوذتين ويدعو دعاء الختمة ليعلم الناس أنه قد ختمت الختمة . وما هذه طريقة السلف فإن السلف كانوا يسترون عبادتهم وكان عمل الربيع بن خثيم كله سراً فرجما دخل عليه الداخل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه . وكان أحمد ابن حنبل يقرأ القرآن كثيراً ولا يدري متى يختم .

قال المصنف: قد سبق ذكر جملة من تلييس إبليس على القراء والله أعلم بالصواب وهو الموفق .

ذكر تلييسه عليهم في الصوم

قال المصنف وقد لبس على أقوام فحسن لهم الصوم الدائم، وذلك جائز إذا أفطر الإنسان الأيام المحرم صومها إلا أن الآفة فيه من وجهين أحدهما أنه ربما عاد بضعف القوى فأعجز الإنسان عن الكسب لعائلته ومنعه من إعفاف زوجته وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: « إن لزوجك عليك حقاً » . فكم من فرص يضع بهذا النفل، والثاني أنه يفوت الفضيلة فإنه قد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: « أفضل الصلاة صلاة داود عليه الصلاة والسلام كان يصوم يوماً » . وبالإسناد عن عبد الله بن عمرو قال لقيني رسول الله ﷺ فقال: ألم أحدثك عنك

أناك تقوم الليل . وأنت الذي تقول لأقومن الليل ولأصومن النهار، قال أحسبه قال : نعم يا رسول الله قد قلت ذلك . فقال فقم ونم وصم وأفطر . وصم من كل شهر ثلاثة أيام، ولك مثل صيام الدهر، قال قلت يا رسول الله إنى أطيق أكثر من ذلك قال فصم يوماً وأفطر يومين، قلت إنى أطيق أفضل من ذلك . قال : فصم يوماً وأفطر يوماً وهو أعدل الصوم وهو صيام داود عليه السلام . قلت إنى أطيق أفضل من ذلك، فقال رسول الله ﷺ لا أفضل من ذلك . أخرجاه في الصحيحين . فإن قال قائل : فقد بلغنا عن جماعة السلف أنهم كانوا يسردون الصوم فالجواب . أنهم كانوا يقدرون على الجمع بين ذلك وبين القيام بحقوق العائلة ولعل أكثرهم لم تكن له عائلته ولا حاجة إلى الكسب، ثم أن فيهم من فعل هذا في آخر عمره على أن قول رسول الله ﷺ « لا أفضل من ذلك » قطع هذا الحديث، وقد داوم جماعة من القدماء على الصوم مع خشونة المنعم وقلته ومنهم من ذهب عينه . وهذا تفريط في حق النفس الواجب وحمل عليها مالا تطيق فلا يجوز .

فصل

وقد يشيع عن المتعبد أنه يصوم الدهر فيعلم بشياع ذلك فلا يفطر أصلاً وإن أفطر أخفى إفطاره لئلا يكسر جاهه وهذا من خفى الرياء، ولو أراد الإحلاص ستر الحال لأفطر بين يدي من قد علم أنه يصوم ثم عاد إلى الصوم ولم يعلم به . ومنهم من يخبر بما قد صام فيقول اليوم منذ عشرين سنة ما أفطرت، ويلبس عليه بأنك إنما تخبر ليقصد بك والله أعلم بالمقاصد، قال سفيان الثوري رضى الله عنه : إن العبد ليعمل العمل في السر فلا يزال به الشيطان حتى يتحدث به فينتقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية وفيهم من عادته صوم الإثنين والخميس فإذا دعى إلى طعام قال اليوم الخميس ولو قال أنا صائم كانت محنة وإنما قوله يوم الخميس من أنى أصوم كل خميس، وفي هؤلاء من يرى الناس بعين الاحتقار كبره من أنما وهم منتظرون . ومنهم من يلازم الصوم ولا يبالي على ماذا أدبر، ولا يتحاشى في صومه عن غيبة ولا عن نظرة ولا عن فضول دابة وقد نخل له إبليس أن صومك يدفع إثمك وكل هذا من التلبس .

ذكر تلبسه عليهم في الحج

قال المصنف: قد يسقط الإنسان الفرض بالحج مرة ثم يعود لا عن رضا الوالدين وهذا خطأ. وربما خرج وعليه ديون أو مظالم وربما خرج للنزهة وربما حج بمال فيه شبهة. ومنهم من يحب أن يتلقى ويقال الحاج وجمهورهم يضيع في الطريق فرائض من الطهارة والصلاة ويجتمعون حول الكعبة بقلوب دنسة وبواطن غير نقية، وإبليس يريهم صورة الحج فيغرمهم وإنما المراد من الحج القرب بالقلوب لا بالأبدان. وإنما يكون ذلك مع التيام بالتسوي وكم من قاصد إلى مكة همته عمد حسجاته فيقول لى عشرون وقفة، وكم من مجاور قد طال مكثه ولم يشرع فى تنقية باطنه وربما كانت همته متعلقة بفتوح يصل إليه ممن كان وربما قال إن لى اليوم عشرين سنة مجاوراً، وكم قد رأيت فى طريق مكة من قاصد إلى الحج يضرب رفقاءه على الماء ويضايقهم فى الطريق .

وقد لبس إبليس على جماعة من القاصدين إلى مكة فهم يضيعون الصلوات ويظننون إلا باعوا ويظنون أن الحج يدفع عنهم، وقد لبس إبليس على قوم منهم ابتدعوا فى المناسك ما ليس منها فرأيت جماعة يتصنعون فى إحرامهم فيكشفون عن كتف واحدة ويقون فى الشمس أياماً فتكشط جلودهم وتتنفخ رؤوسهم ويتزينون بين الناس بذلك، وفى أفراد البخارى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ رأى رجلاً يطوف بالكعبة بزمام فقطعه، وفى لفظ آخر رأى رجلاً يقود إنساناً بخزامة فى أنفه فقطعها بيده ثم أمره أن يقوده بيده.

قال المصنف: وهذا الحديث يتضمن النهى عن الابتداع فى الدين وإن قصدت بذلك الطاعة .

فصل

وقد لبس على قوم يدعون التوكل فخرجوا بلا زاد وظنوا أن هذا هو التوكل وهو على غاية الخطأ، قال رجل للإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه أريد أن أخرج إلى مكة على التوكل من غير زاد. فقال له أحمد فانخرج فى غير القافلة. قال: لا إلا معهم: قال فعلى جراب الناس

توكلت ؟ فنسأل الله أن يوفقنا .

ذكر تلبس إبليس على الغزاة

قال المصنف: قد لبس إبليس على خلق كثير فخرجوا إلى الجهاد ونيتهم المباهاة والرياء ليقال فلان غاز وربما كان المقصود أن يقال شجاع أو كان طلب الغنيمة وإنما الأعمال بالنيات، وعن أبي موسى قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت الرجل يقاتل شجاعة ويقاقل حمية ويقاقل رياء فأى ذلك فى سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله. أخرجاه فى الصحيحين. وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: إياكم أن تقولوا مات فلان شهيداً أو قتل فلان شهيداً فإن الرجل ليقاقل ليغتم ويقاقل ليذكر ويقاقل ليرى مكانه، وبالإسناد عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « أول الناس يقضى فيه يوم القيامة ثلاثة، رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال: ما عملت فيها، قال قاتلت فىك حتى قتلت قال كذبت ولكنك قاتلت ليقال هو جرى فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي فى النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى فعرفه نعمه فعرفها، فقال: ما عملت فيها، قال تعلمت فىك العلم وعلمته وقرأت القرآن فقال كذبت ولكنك تعلمت ليقال هو عالم فقد قيل وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر فسحب على وجهه حتى ألقي فى النار. ورجل وسع الله عليه فأعطاه أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال: ما عملت فيها، فقال ما تركت من سبيل أنت تحبه أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي فى النار. « انفراد بإخراجه مسلم، وبإسناد مرفوع عن أى حاتم الرازى قال: سمعت عبدة بن سليمان يقول، كنا فى سرية مع عبد الله بن المبارك فى بلاد الروم فصادها العدو فلما التقى الصنفان خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله ثم آخر فقتله ثم آخر فقتله ثم دعا إلى البراز فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه

الرجل فقتله، فاردحم الناس عليه فكنت فيمن ازدحم عليه فإذا هو ملثم وجهه بكمه فأخذت بطرف كفه فمددته فإذا هو عبد الله بن المبارك فقال: وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع علينا قلت فانظروا رحمكم الله إلى هذا السيد المخلص، كيف خاف على إخلاصه برؤية الناس له ومدحهم إياه فستر نفسه، وقد كان إبراهيم بن أدهم يقاتل فإذا غنموا لم يأخذ شيئاً من الغنيمة ليوفر له الأجر.

فصل

وقد لبس إبليس على المجاهد إذا غنم، فربما أخذ من الغنيمة ما ليس له أخذه فأما أن يكون قليل العلم فيرى أن أموال الكفار مباحة لمن أخذها ولا يدري أن الغلول من الغنائم معصية. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة. قال خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر ففتح الله علينا. فلم نغنم ذهباً ولا ورقاً غنمنا المتاع والطعام والثياب. ثم انطلقنا إلى الوادي ومع رسول الله ﷺ عبد له فلما نزلنا قام عبد رسول الله ﷺ يحل رحله فرمى بسهم فكان فيه حتفه، فلما قلنا له هنيئاً الشهادة يا رسول الله فقال: كلا والذي نفس محمد بيده أن الشملة لتلتهب عليه ناراً أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم قال ففزع الناس. فجاء رجل بشراك أو شراكين فقال: أصبته يوم خيبر فقال رسول الله ﷺ شراك من نار أو شراك من نار.

فصل

وقد يكون الغارز عالماً بالتحريم إلا أنه يرى الشيء الكثير فلا يصبر عنه. وربما ظن أن جهاده يدفع عنه ما فعل. وها هنا يتبين أثر الإيمان والعلم. روينا بإسناد عن هبيرة بن الأشعث عن أبي عبيدة العنبري قال: لما هبط المسلمون المداين وجمعوا الأقباض. أقبل رجل بحق معه فدفعه إلى صاحب الأقباض فقال الذي معه. ما رأينا مثل هذا قط، ما يعدله ما عندنا ولا ما يقاربه فقال له هل أخذت منه شيئاً فقال: أما والله لولا الله ما أتيتكم به، فعرفوا أن للرجل شأناً فقالوا: من أنت، فقال والله لا أخبركم لتحمدوني ولا أغريكم لتقرظوني، ولكن أحمد الله وأرضى

بوابه فأتبعوه رجلاً حتى انتهى إلى أصحابه، فسأل عنه فإذا هو عامر بن عبد قيس .

ذكر تليسه على الأمرين بالمعروف والناهيين عن المنكر

وهم قسمان عالم وجاهل، فدخول إبليس على العالم من طريقين :-
الطريق الأول : التزين بذلك وطلب الذكر والعجب بذلك الفعل،
روينا بإسناد عن أحمد بن أبي الخوارى قال سمعت أبا سلمان يقول
سمعت أبا جعفر المنصور يبكى فى خطبته يوم الجمعة فاستقبلنى الغضب
وحضرتنى نية أن أقوم فأعظه بما أعرف من فعله إذا نزل، قال فكرهت أن
أقوم إلى خليفة فأعظه والناس جلوس يرمقوننى بأبصارهم فيعرض لى
تزين فيأمر بى فأقتل على غير صحيح فجلست وسكت .

والطريق الثانى: الغضب للنفس . وربما كان ابتداء وربما عرض فى
حالة الأمر بالمعروف لأجل ما يلقى به المنكر من الإهانة فتصير خصومة
لنفسه كما قال عمر ابن عبد العزيز لرجل: لولا أنى غضبان لعاقبتك،
وإنما أراد أنك أغضبتنى فخفت أن تترج العقوبة من غضب الله ولى .

فصل

فأما إذا كان الأمر بالمعروف جاهلاً فإن الشيطان يتلاعب به وإنما كان
إفساده فى أمره أكثر من إصلاحه، لأنه ربما نهى عن شئ جائز بالإجماع
وربما أنكر ما تأول فيه صاحبه وتبع فيه بعض المذاهب . وربما كسر الباب
وتسور الحيطان وضرب أهل المنكر وقذفهم فإن أجابوه بكلمة تصعب عليه
صار غضبه لنفسه . وربما كشف ما قد أمر الشرع بستره وقد سئل أحمد
بن حنبل عن القوم يكون معهم المنكر مغطى مثل طنبور ومسكر قال: إذا
كان مغطى فلا تكسره، وال فى رواية أخرى: إكسره . وهذا محمول على
أنه يكون مغطى بشئ خفيف يصفه فيتبين والأولى على أنه لا يتبين .
وسئل عن الرجل يسمع صوت الطبل والمزمار ولا يعرف مكانه فقال: ولا
عليك ما غاب عنك فلا تفتش، وربما رفع هذا المنكر أهل المنكر إلى من
يظلمهم وقد قال أحمد بن حنبل: إن علمت أن السلطان يقيم الحدود
فأرفع اليه .

فصل

ومن تلبس إبليس على المنكر أنه إذا أنكر جلس في مجمع يصف ما فعل ويتباهى به ويسب أصحاب المنكر سب الخنق عليهم ويلعنهم ولعل القوم قد تابوا وربما كان خيراً منه لندمهم وكبره ويندرج في ضمن حديثه كشف عورات المسلمين لأنه يعلم من لا يعلم والستر على المسلم واجب مهما أمكن. وسمعت عن بعض الجهلة بالإنكار أنه يهجم على قوم ما يتيقن ما عندهم ويضربهم بالضرب المبرح ويكسر الأواني وكل هذه يوجبه الجهل. فاما العالم إذا أنكر فأتت منه على أمان، وقد كان السلف يتلطفون في الإنكار ورأى صلة بن أشيم رجلاً يكلم امرأة. فقال: إن الله يراكم. سترنا الله وإياكم. وكان يمر بقوم يلعبون فيقول: يا إخواني ما تقولون فيمن أراد سفراً فنام طول الليل ولعب طول النهار متى يقطع سفره. فانتبه رجل منهم فقال: يا قوم إنما تعلمنا هذا فتاب وصحبه .

فصل

وأولى الناس بالتلطف في الإنكار على الأمراء فيصلح أن يقال لهم: إن الله رفعكم فاعرفوا قدر نعمته، فإن النعم تدوم بالشكر فلا يحسن أن تقابل بالمعاصي .

فصل

وقد لبس إبليس على بضع المتعبدين فيرى منكراً فلا ينكره ويقول إنما يأمر وينهى من قد صلح وأنا ليس بصالح فكيف أمر غيري. وهذا غلط لأنه يجب عليه أن يأمر وينهى ولو كانت تلك المعصية فيه. إلا أنه متى أنكر متزهاً عن المنكر أثر إنكاره وإذا لم يكن متزهاً لم يكف يعمل إنكاره فينبغي للمنكر أن يتزه نفسه ليؤثر إنكاره، قال ابن عقيل: رأينا في زماننا أبا بكر الأقفالي في أيام القائم إذا نهض لإنكار منكر استتبع معه مشايخ لا يأكلون إلا من صنعة أيديهم كأبي بكر الخبار شيخ صالح أضر من إطلاعه في التنوير وتبعه، وجماعة ما فيهم من يأخذ صدقة ولا يدنس بقبول عطاء صوام النهار قوام الليل أرباب بكاء فإذا تبعه مخلط رده وقال متى لقينا الجيش بمخلط انهزم الجيش .

الباب التاسع

فى ذكر تلبس إبليس على الزهاد والعباد

فد يسمع العامى ذم الدنيا فى القرآن المجيد والأحاديث فيرى أن النجاة تركها ولا يدرى ما الدنيا المذمومة فيلبس عليه إبليس بأنك لا تنجو فى الآخرة إلا بترك الدنيا فيخرج على وجهه إلى الجبال فيبعد عن الجمعة والجماعة والعلم ويصير كالوحش ويخيل إليه أن هذا هو الزهد الحقيقى . كيف لا وقد سمع عن فلان أنه هام على وجهه وعن فلان أنه تعبد فى جبل وربما كانت له عائلة فضاعت أو والده فبكت لفراقه وربما لم يعرف أركان الصلاة كما ينبغى وربما كانت عليه مظالم لم يخرج منها . وإنما يتمكن إبليس من التلبس على هذا لقلة علمه ومن جهله رضاه عن نفسه بما يعلم ولو أنه وفق لصحبة فقيه يفهم الحقائق لعرفه أن الدنيا لا تدم لذاتها وكيف يدم ما من الله تعالى به وما هو ضرورة فى بقاء آدمى وسبب فى إعانتة على تحصيل العلم والعبادة من مطعم ومشرب وملبس ومسجد يصلى فيه وإنما المذموم أخذ الشئ من غير حله أو تناوله على وجه السرف لا على مقدار الحاجة ويصرف النفس فيه بمقتضى رعوناتها لا بإذن الشرع . وأن الخروج إلى الجبال المنفردة منهى عنه فإن النبى ﷺ نهى أن يبىء الرجل وحده وأن التعرض لتركه الجماعة والجمعة خسران لا ربح والبعد عن العلم والعلماء يقوى سلطان الجهل ، وفراق الوالد والوالدة فى مثل هذه عقوق والعقوق من الكبائر ، وأما من سمع عنه أنه خرج إلى جبل فأحوالهم تحتمل أنهم لم يكن لهم عيال ولا والد ولا والدة فخرجوا إلى مكان يتعبدون فيه مجتمعين ، ومن لم يحتمل حالهم وجهاً صحيحاً فهم على الخطأ من كانوا ، وقد قال بعض السلف : خرجنا إلى جبل نتعبد فجاءنا سفياں الثورى فردنا .



فصل

ومن تلبسه على الزهاد: - إعراضهم عن العلم شغلاً بالزهد فقد استبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير وبيان ذلك أن الزاهد لا يتعدى نفعه عتبة بابه والعالم نفعه متعدد. وكم قد رد إلى الصواب من ما عبد.

فصل

ومن تلبسه عليهم: - أنه يوهمهم أن الزهد ترك المباحات فمنهم من لا يزيد على خبز الشعير. ومنهم من لا يذوق الفاكهة، ومنهم من يقلل المطعم حتى يبس بدنه ويعذب نفسه يلبس الصوف ويمنعها الماء البارد وما هذه طريقة الرسول ﷺ ولا طريق أصحابه وأتباعهم. وإنما كان يجوعون إذا لم يجدوا شيئاً فإذا وجدوا أكلوا. وقد كان رسول الله ﷺ يأكل اللحم ويحبه ويأكل الدجاج ويحب الحلوى ويستعذب له الماء البارد ويختار الماء البائت فإن الماء الجارى يؤذى المعدة ولا يروى. وقد كان رجل يقول: أنا لا أكل الخبيص لأنى لا أقوم بشكره. فقال الحسن البصرى: هذا رجل أحمق وهل يقوم بشكر الماء البارد، وقد كان سفيان الثورى إذا سافر حمل فى سفرته اللحم المشوى والفلوذج، وينبغى للإنسان أن يعلم أن نفسه مطيته ولا بد من الرفق بها ليصل بها إلى المقصود فليأخذ ما يصلحها وليترك ما يؤذيها من الشبع والإفراط فى تناول الشهوات فإن ذلك يؤذى البدن والدين .

ثم إن الناس يختلفون فى طباعهم فإن الأعراب إذا لبسوا الصوف واقتصروا على شرب اللبن لم نلمهم لأن مطايا أبدانهم تحمل ذلك. وأهل السواد إذا لبسوا الصوف وأكلوا الكوامخ لم نلمهم أيضاً ولا نقول فى هؤلاء من قد حمل على نفسه لأن هذه عادة القوم. فأما إذا كان البدن مترفاً قد نشأ على التنعم فإننا نهى صاحبه أن يحمل عليه ما يؤذيه، فإن تزهد وأثر ترك الشهوات إما لأن الحلال لا يحتمل السرف أو لأن الطعام اللذيذ يوجب كثرة التناول فيكثر النوم والكسل فهذا يحتاج أن يعلم ما يضر تركه ومالا يضر فيأخذ قدر القوام من غير أن يؤذى النفس. وقد ظن قوم أن الخبز القفار يكفى فى قوام البدن ولو كفى إلا أن

الاقتصار يؤدي من جهة أن أخلاط البدن تفتقر إلى الحامض والحلو والحار والبارد والممسك والمسهل، وقد جعل في الطبع ميل إلى الملايم فتارة يميل إلى الحامض وتارة يميل إلى الحلو ولذلك أسباب مثل أن يقل عندهم البلغم الذي لا بد في قوامها منه فتشاق إلى اللبن ويكثر عندها الصفراء فتميل إلى الحموضة فمن كفها عن التصرف على مقتضى ما قد وضع في طبعها مما يصلحها فقد آذاها إلا أن يكفها عن الشبع والشره وما يخاف عاقته فإن ذلك يفسدها. فأما الكف المطلق فخطأ فافهم هذا ولا يلتفت إلى قول الحارث المحاسبي وأبي طالب المكي فيما ذكرا من تقليل المطعم ومجاهدة النفس بترك مباحاتها فإن اتباع الشارع وصحابته أولى. وكان ابن عقيل يقول: ما أعجب أموركم في المتدين إما أهواء متبعة أو رهبانية مبتدعة، بين تجميع أذيال المرح في الصبا واللعب، وبين إهمال الحقوق وإطراح العيال واللحوق بزوايا المساجد فهلا عبدوا على عقل وشرع.

فصل

ومن تليسه عليهم أنه يوهمهم إن الزهد هو القناعة بالدون من المطعم والملبس فحسب، فهم يقنعون بذلك وقلوبهم راغبة في الرياسة وطلب الجاه فتراهم يترصدون لزيارة الأمراء ويكرمون الأغنياء دون الفقراء ويتخاشعون عند لقاء الناس كأنهم قد خرجوا من مشاهدة، وربما رد أحدهم المال لثلاثا يقال قد بدا له من الزهد وهم من تردد الناس إليهم وتقبيل أيديهم في أوسع باب من ولايات الدنيا لأن غاية الدنيا الرياسة.

فصل

وأكثر ما يلبس به إبليس على العباد والزهاد خفي الرياء، فأما الظاهر من الرياء فلا يدخل في التلييس مثل إظهار النجول وصفار الوجه وشعث الشعر ليستدل به على الزهد، وكذلك خفض الصوت لإظهار الخشوع وكذلك الرياء بالصلاة والصدقة ومثل هذه الظواهر لا تخفي، وإنما نشير إلى خفي الرياء، وقد قال النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات». ومتى لم يرد بالعمل وجه الله عز وجل لم يقبل، قال مالك ابن دينار: قولوا لمن لم يكن صادقاً لا تتعب.

واعلم أن المؤمن لا يريد بعمله إلا الله سبحانه وتعالى، وإنما يدخل عليه خفى الرياء فيلبس الأمر فنجاته منه صعبة. وفي الحديث مرفوعاً عن يسار قال لى يوسف ابن أسباط: تعلموا صحة العمل من سقمه فإنى تعلمته فى اثنتين وعشرين سنة. وفى الحديث مرفوعاً عن إبراهيم الحنظلى قال سمعت بقية بن الوليد يقول سمعت إبراهيم ابن أدهم يقول: تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان ودخلت عليه فى صومعته فقلت له ياسمعان: منذ كم أنت فى صومعتك هذه. قال: منذ سبعين سنة. قلت: ما طعامك. قال: يا حنيفى وما دعاك إلى هذا. قلت أحببت أن أعلم. قال: فى كل ليلة حمصة. قلت: فما الذى يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة. قال: ترى الذين بحدائك. قلت نعم. قال إنهم يأتوننى فى كل سنة يوماً واحداً فيزينون صومعتى ويطوفون حولها يعظموننى بذلك وكلما ثاقلت نفسى عن العبادة ذكرتها تلك الساعة، فأنا احتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل يا حنيفى جهد ساعة لعز الأبد. فوقر فى قلبى المعرفة. فقال: أريدك قلت: نعم. قال انزل عن الصومعة فنزلت فأدلى إلى ركوة فيها عشرون حمصة قال لى أدخل الدير فقد رأوا ما أدليت إليك فلما دخلت الدير اجتمعت النصارى فقالوا يا حنيفى ما الذى أدلى إليك الشيخ. قلت: من قوته. قالوا ما تصنع به نحن أحق ساوم. قلت عشرين ديناراً فأعطونى عشرين ديناراً فرجعت إلى الشيخ فقال أخطأت لو ساومتهم عشرين ألفاً لأعطوك، هذا عز من لا يعبهه فانظر كيف تكون بعز من تعبهه يا حنيفى، أقبل على ربك .

قلت: ولخوف الرياء ستر الصالحون أعمالهم حدرأ عليها وبهرجوها بضدها، فكان ابن سيرين يضحك بالنهار ويبكى بالليل، وكان فى ذيل أيوب السخيتانى بعض الطول، وكان ابن أدهم إذا مرض يرى عنده ما يأكله الأصحاء وبالإسناد عن عبد الله بن المبارك عن بكار بن عبد الله أنه سمع وهب ابن منبه يقول: كان رجل من أفضل أهل زمانه وكان يزار فيعظمهم فاجتمعوا إليه ذات يوم فقال: إنا قد خرجنا من الدنيا وفارقنا الأهل والأموال مخافة الطغيان وقد خفت أن يكون قد دخل علينا فى

هذه حالة من الطغيان أكثر مما يدخل على أهل الأموال فى أموالهم، أرانا يحب أحدنا أن تقضى له حاجته، وإن اشترى ببعاً أن يقارب لمكان دينه، وإن لقي حياً ووقر لمكان دينه فشاع ذلك الكلام حتى بلغ الملك فعجب به فركب إليه ليسلم عليه وينظر إليه فلما رآه الرجل قيل له: هذا الملك قد أتاك ليسلم عليك. فقال وما يصنع، قال للكلام الذى وعظت به، فسأل غلامه هل عندك طعام فقال شئ من ثمر الشجر مما كت تظفر به فأمر به فأتى على مسح فوضع بين يديه، فأخذ يأكل منه وكان يصوم النهار ولا يفطر، فوقف عليه الملك فسلم عليه فأجابه بإجابة خفية وأقبل على طعامه يأكله. فقال الملك: أين الرجل فقيل له: هو هذا. قال هذا الذى يأكل. قالوا: نعم، قال: فما عند هذا من خير فأدبر، فقال الرجل: الحمد لله الذى صرفك عنى بما صرفك به. وفى رواية أخرى عن وهب، أنه لما أقبل الملك قدم الرجل طعامه فجعل يجمع البقول فى اللقمة الكبيرة ويغمسها فى الزيت فيأكل أكلاً عنيفاً. فقال له الملك: كيف أنت يا فلان، فقال كالناس. فرد الملك عنان دابته وقال ما فى هذا من خير فقال: الحمد لله الذى أذهب عنى وهو لائم لى، ويأسناد عن عطاء قال: أراد أبو الوليد عبد الملك أن يولى يزيد ابن مرتد فبلغ ذلك يزيد فلبس فروة فجعل الجلد على ظهره والصوف خارجاً وأخذ بيده رغيفاً وعرقاً وخرج بلا رداء ولا قلنسوة ولا نعل ولا خف فجعل يمشى فى الأسواق ويأكل. فقيل للوليد: إن يزيد قد اختلط وأخبر بما فعل فتركه ومثل هذا كثير.

فصل

ومن الزهاد من يستعمل الزهد ظاهراً وباطناً، لكنه قد علم أنه لا بد أن يتحدث بتركة للدنيا أصحابه أو زوجته. فيهون عليه الصبر كما هان على الراهب الذى ذكرنا قصته مع إبراهيم بن أدهم. ولو أنه أراد الإخلاص فى زهده لأكل مع أهله قدر ما ينمحي به جاه النفس ويقطع الحديث عنه فقد كان داود بن أبى هند، صام عشرين سنة ولم يعلم به أهله. كان يأخذ غذاءه ويخرج إلى السوق فيتصدق به فى الطريق، فأهل السوق

يظنون أنه قد أكل فى البيت . وأهل البيت يظنون أنه قد أكل فى السوق هكذا كان الناس .

فصل

ومن المتزهدين: من قوته الانقطاع فى المسجد أو رباط أو جبل فلذته علم الناس بانفراده وربما احتج لانقطاعه بأنى أخاف أرى فى خروجى المنكرات . وله فى ذلك مقاصد: منها الكبر واحتقار الناس ، ومنها أنه يخاف أن يقصروا فى خدمته ، ومنها حفظ ناموسه ورياسته فإن مخالطة الناس تذهب وهو يريد أن يبقى إطراؤه وذكره ، وربما كان مقصوده ستر عيوبه ومقابحه وجهله بالعلم فىرى هذا . ويحب أن يرار ولا يزور ويفرح بمجئ الأمرء إليه واجتماع العوام على بابه وتقيلهم يده . فهو يترك عيادة المرضى وشهود الجنائز ويقول لأصحابه: اعذرُوا الشيخ فهذه عادته - لا كانت عادة تخالف الشريعة . ولو احتاج هذا الشخص إلى القوت ولم يكن عنده من يشتريه له صبر على الجوع لئلا يخرج لشراء ذلك بنفسه فيضيع جاهه لمشيه بين العوام ولو أنه خرج فاشتري حاجته لانقطعت عنه الشهرة ولكن فى باطنه حفظ الناموس . وقد كان رسول الله ﷺ يخرج إلى السوق ويشتري حاجته ويحملها بنفسه . وكان أبو بكر رضى الله عنه يحمل الثياب على كتفه فيبيع ويشتري . واحديث بإسناد عن محمد ابن القاسم قال: روى عن عبد الله بن حنظلة قال: مر عبد الله بن سلام وعلى رأسه حزمة حطب فقال له ناس: ما يحملك على هذا وقد أغناك الله . قال: أردت أن أدفع به الكبر وذلك أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: « لا يدخل الجنة عبد فى قلبه مثقال ذرة من الكبر » .

فصل

قال المصنف: وهذا الذى ذكرته من الخروج لشراء الحاجة ونحوها من التبذل كان عادة السلف القدماء وقد تغيرت تلك العادة كما تغيرت الأحوال والملابس . فلا أرى للعالم أن يخرج اليوم لشراء حاجته لأن ذلك يكشف نور العلم عند الجهلة وتعظيمه عندهم مشروع ومراعاة قلوبهم فى مثل هذا يخرج إلى الرياء واستعمال ما يوجب الهيبة فى القلوب لا يمنع

وليس كل ما كان في السلف مما لا يتغير به قلوب الناس يومئذ ينبغي أن يفعل اليوم، قال الأوزاعي: كنا نضحك ونمزح فإذا صرنا يقتدى بنا فلا أرى ذلك يسعنا وقد روينا عن إبراهيم بن أدهم . أن أصحابه كانوا يوماً يتمازحون فذق رجل الباب فأمرهم بالسكوت والسكون فقالوا له: تعلمنا الرياء فقال: إني أكره أن يعصى الله فيكم .

قال المصنف: وإنما خاف قول الجهلة، انظروا إلى هؤلاء الزهاد كيف يفعلون وذلك أن العوام لا يحتملون مثل هذا للمتعبدين .

فصل

ومن هؤلاء قوم لو سئل أحدهم أن إبليس من ثوبه ما فعل لئلا يتوكس جاهه في الزهد ولو خرج روحه لا يأكل والناس يرونه ويحفظ نفسه في التبسّم فضلاً عن الضحك . ويوهمه إبليس أن هذا لإصلاح الخلق وإنما هو رياء يحفظ به قانون الناموس فتراه مطأطئ الرأس عليه آثار الحزن فإذا نحلا رأيت له ليث شري .

فصل

وقد كان السلف يدفعون عنهم كل ما يوجب الإشارة إليهم ويهربون من المكان الذي يشار إليهم فيه والحديث بإسناد عن عبد الله بن خفيف قال، قال يوسف بن أسباط: خرجت من سبج راجلاً حتى أتيت المصيصة وجرابي على عنقي . فقام ذا من حانوته يسلم عليّ وذا يسلم . فطرحت جرابي ودخلت المسجد أصلى ركعتين فأحد قوابي واضطلع رجل في وجهي فقلت في نفسي كم بقاء قلبي على هذا، فأخذت جرابي ورجعت بعرفي وعنائي إلى سبج فما رجعت إلى قلبي ستين .

فصل

ومن الزهاد من يلبس الثوب المخرق ولا يخيطة ويترك إصلاح عمامته وتسريح لحيته ليرى أنه ما عنده من الدنيا خير، وهذا من أبواب الرياء فإن كان صادقاً في إعراضه عن أغراضه كما قيل لداود الطائي: ألا تسرح

لحيثك فقال: إني عنها لمشغول فليعلم أنه سلك غير الجادة، إذ ليست هذه طريقة الرسول ﷺ ولا أصحابه فإنه كان يسرح شعره وينظر في المرأة ويدهن ويتطيب وهو أشغل الخلق بالآخرة. وكان أبو بكر وعمر ابن الخطاب رضى الله عنهما يخضبان بالحناء والكتم وهما أخوف الصحابة وأرهدهم. فمن ادعى رتبة تزيد على السنة وأفعال الأكابر لم يلتفت إليه.

فصل

ومن الزهاد من يلزم الصمت الدائم وينفرد عن مخالطة أهله فيؤذيهم بقبح أخلاقه وزيادة انقباضه وينسى قول النبي ﷺ إن لأهلك عليك حقاً. وقد كان رسول الله ﷺ يمزح فيلاعب الأطفال ويحدث أزواجه وسابق عائشة إلى غير ذلك من الأخلاق اللطيفة فهذا المتزهّد الجاعل زوجته كالأيم وولده كاليتيم لانفراده عنهم وقبح أخلاقه لأنه يرى أن ذلك يشغله عن الآخرة، ولا يدرى لقلّة علمه أن الانبساط إلى الأهل من العون على الآخرة، وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال لجابر: « هلا تزوجت بكراً تلاعبها وتلاعبك ». وربما غلب على هذا المتزهّد التجفّف فترك مباحة الزوجة فيضيع فرضاً بنافلة غير ممدوحة .

فصل

ومن الرهاد من يرى عمله فيعجبه فلو قيل له أنت من أوتاد الأرض رأى ذلك حقاً، ومنهم من يترصد لظهور كرامته ويخيل إليه أنه لو قرب من الماء قدر أن يمشى عليه، فإذا عرض له أمر فدعا فلم يجب تدمر في باطنه فكأنه أجير يطلب أجر عمله. ولو رزق الفهم لعلم أنه عبد مملوك والمملوك لا يمن بعمله. ولو نظر إلى توفيقه للعمل لرأى وجوب الشكر فخاف من التقصير فيه. وقد كان ينبغي أن يشغله خوفه على العمل من التقصير فيه عن النظر إليه كما كانت رابعة تقول: أستغفر الله من قلة صدقي في قولي. وقيل لها هل عملت عملاً ترين أنه يقبل منك. فقالت: إذا كان فمخافتى أن يرد علىّ .

فصل

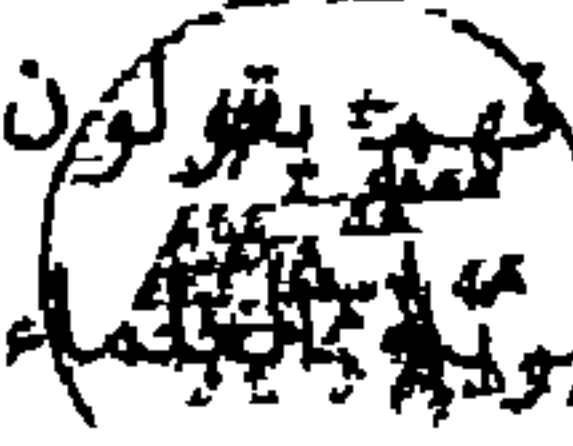
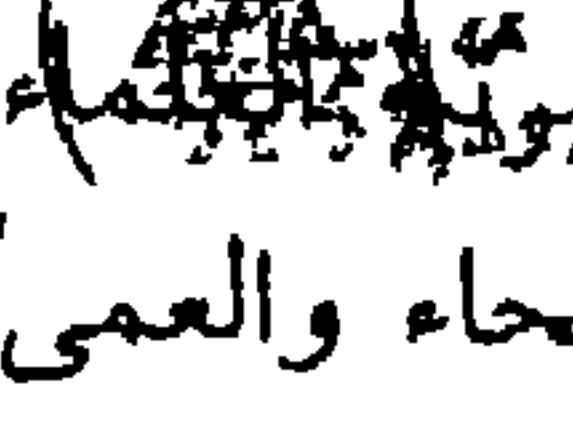
ومن تلبس إبليس على قوم من الزهاد الذي دخل عليهم فيه من قلة

العلم أنهم يعملون بواقعاتهم ولا يلتفتون إلى قول الفقيه، قال ابن عقيل: كان أبو إسحاق الخرار صالحاً وهو أول من لقنى كتاب الله وكان من عادته الإمساك عن الكلام في شهر رمضان. فكان يخاطب بأى القرآن فيما يعرض إليه من الخوائج فيقول في إذنه ﴿ ادخلوا عليهم الباب ﴾ ويقول لابنه في عشية الصوم ﴿ من بقلها وقثائها ﴾ أمراً له أن يشتري البقل، فقلت له هذا الذى تعتقده عبادة هو معصية. فصعب عليه، فقلت: أن هذا القرآن العزيز أنزل فى بيان أحكام شرعية فلا يستعمل فى أغراض دنيوية وما هذا إلا بمثابة صرك السدر والأشنان فى ورق المصحف أو توسدك له. فهجرنى ولم يصغ إلى الحجة .

قال المصنف : قلت : وقد يسمع الزاهد القليل العلم أشياء من العوام فيفتى به . حدثنى أبو حكيم إبراهيم بن دينار الفقيه . أن رجلاً استفتاه فقال ما تقول فى امرأة طلقت ثلاثاً فولدت ذكراً هل تحل لزوجها . قال : فقلت لا . وكان عندى الشريف الدحالى وكان مشهوراً بالزهد عظيم القدر بين العوام . فقال لى : بلى تحل . فقلت : ما قال بهذا أحد ، فقال : والله لقد أفتيت بهذا من ههنا إلى البصرة .

قال المصنف : فانظر ما يصنع الجهل بأهله ويضاف إليه حفظ الجاه خوفاً أن يرى الزاهد بعين الجهل . وقد كان السلف ينكرون على الزاهد مع معرفته بكثير من العلم أن يفتى لأنه لم يجمع شروط الفتوى فكيف لو رأوا تخبيط المترهدين اليوم فى الفتوى بالواقعات وبالإسناد . عن اسماعيل بن شبة قال : دخلت على أحمد بن حنبل وقد قدم أحمد بن حرب من مكة فقال لى أحمد بن حنبل من هذا الخراسانى الذى قد قدم ؟ قلت : من رده كذا وكذا ومن ورعه كذا وكذا ، فقال : لا ينبغي لمن يدعى ما يدعيه أن يدخل نفسه فى الفتيا .

فصل

ومن تليسه على الزهاد احتقارهم العلماء وذمهم إياهم  ولوعرفوا  فى حفظ الشريعة وأنها مرتبة الأنبياء لعدوا أنفسهم عند الفصحاء والعمى

عند البصراء والعلماء أدلة الطريق والخلق وراءهم وسليم هؤلاء يمشى وحده. وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال لعليّ ابن أبي طالب رضى الله عنه: والله لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم.

فصل

وبما يعيرون به العلماء. تفسح العلماء فى بعض المباحات التى يتقوون بها على دراسة العلم، وكذلك يعيرون جامع الأموال. ولو فهموا معنى المباح لعلموا أنه لا يذم فاعله وغاية الأمر أن غيره أولى منه. أفيحسن لمن صلى الليل أن يعيب على من أدى الفرض ونام. ولقد روينا بإسناد عن محمد بن جعفر الخولانى قال قال: حدثنى عبد الله الخواص وكان من أصحاب حاتم الأصم. قال: دخلنا مع حاتم البلخى إلى الرى ومعه ثلثمائة وعشرون رجلاً من أصحابه يريد الحج. وعليهم الصوف والزمانقات ليس فيهم من معه جراب ولا طعام. فترزنا على رجل من التجار متنسك فضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد. قال لحاتم: يا أبا عبد الرحمن لك حاجة فإنى أريد أن أعود فقيهاً لنا هو عليل فقال حاتم: إن كان لكم فقيه عليل فعيادة الفقيه لها فضل كبير والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أجيء معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضى الرى، فقال له مر بنا يا أبا عبد الرحمن فجاؤا إلى باب داره فإذا البواب فبقى حاتم متفكراً يقول: يا ربى دارعالم على هذا الحال، ثم أذن لهم فدخلوا فإذا بدار قوراء وآلة حسنة وبزة وفرش وستور، فبقى حاتم متفكراً ينظر حتى دخلوا إلى المجلس الذى فيه محمد بن مقاتل، وإذا بفراش حسن وطىء وهو عليه راقد وعبد رأسه مذبة وناس وقوف، فقعد الرازى وبقى حاتم قائماً فأوما إليه محمد بن مقاتل بيده أن اجلس فقال حاتم لا اجلس، فقال له ابن مقاتل فلك حاجة قال نعم، قال وما هى، قال مسألة أسألك عنها قال فاسألنى قال حاتم قم فاسطو جالساً حتى أسألك عنها فأمر غلمانها فأسندوه، فقال حاتم: علمك من هذا أين جئت به فقال حدثنى عن الثقات من الأئمة قال عمن أخذوه قال عن التابعين قال والتابعون عمن

أخذه قال عن أصحاب رسول الله ﷺ ، قالوا أصحاب رسول الله ﷺ عمن أخذه قال عن رسول الله ﷺ ، قال ورسول الله ﷺ من أين جاء به جاء به قال عن جبريل عن الله عز وجل فقال حاتم ففيم أداه جبريل عن الله عز وجل إلى النبي ﷺ وأداه النبي ﷺ إلى الصحابة وأداه الصحابة إلى تابعيهم وأداه التابعون إلى الأئمة وأداه الأئمة إلى الثقات وأداه الثقات إليكم ، هل سمعت في هذا العلم من كانت داره في الدنيا أحسن وفراشه ألين وزيتته أكثر كان له المتزلة عند الله عز وجل أكبر ، قال : لا ، قال ، فكيف سمعت قال سمعت من زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وأحب المساكين وأقدم لآخرته كان عند الله عز وجل له منزلة أكثر وإليه أقرب ، قال حاتم ، وأنت بمن اقتديت أبا لنبي ﷺ وبأصحابه التابعين من بعدهم والصالحين على أثرهم أو فرعون ونمرود فإنهما أول من بنى بالجص والأجر . يا علماء السوء إن الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها يقول هذا العالم على هذه الحالة ألا أكون أنا . قال ، فخرج من عنده وازداد محمد بن مقاتل مرضاً وبلغ أهل الري ما جرى بين حاتم وبين ابن مقاتل فقالوا لحاتم أن محمد بن عبيد الطنافسى نقروين أكثر شئ من هذا فصار إليه فدخل عليه وعنده الخلق يحدثهم فقال لهم : رحمك الله إنا رجل أعجمى جئتكم لتعلمنى مبدأ دينى ومفتاح صلاتى كيف أتوضأ للصلاة فقال : نعمة وكرامة يا غلام إناء فيه ماء فجاءه بإناء فيه ماء ففعد محمد ابن عبيد فتوضأ ثلاثاً ثم قال له هكذا فتوضأ ، قال حاتم مكانك رحمك الله حتى أتوا بين يديك ليكون أوكد لما أريد ، فقام الطنافسى وقعد حاتم مكانه فتوضأ وغسل وجهه ثلاثاً حتى بلغت الذراع غسل أربعاً ، فقال الطنافسى أسرفت فقال حاتم : فى ماذا أسرفت قال غسلت ذراعك أربعاً قال يا سبحان الله أنا فى كف ماء أسرفت وأنت فى جميع هذا الذى أراه كله لم تسرف فعلم الطنافسى أنه أراد به بذلك فدخل البيت ولم يخرج إلى الناس أربعين يوماً وخرج حاتم إلى الحجاز فلما صار إلى المدينة أحب أن يخصم علماء المدينة ، فلما دخل المدينة قال يا قوم أى مدينة هذه قالوا مدينة الرسول ﷺ قال فأين قصر رسول الله ﷺ حتى أذهب إليه فأصلى فيه ركعتين قالوا ما كان

لرسول الله ﷺ قصر إنما كان له بيت لاط، قال، فأين قصور أهله وأصحابه وأزواجه قالوا ما كان لهم قصور إنما كان لهم بيوت لاطه فقال حاتم فهذه مدينة فرعون قال فسبوه وذهبوا به إلى الوالى فقالوا هذا العجمى يقول هذه مدينة فرعون فقال الوالى: لم قلت ذلك قال حاتم لا تعجل على أيها الأمير أنا رجل غريب دخلت هذه المدينة سألت أى مدينة هذه قالوا مدينة رسول الله ﷺ وسألت عن قصر رسول الله ﷺ وقصور أصحابه قالوا إنما كانت لهم بيوت لاطة وسمعت الله عز وجل يقول: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ فأنتم بمن تأسيتم برسول الله ﷺ أو بفرعون.

قال المصنف: قلت الويل للعلماء من الزاهد الجاهل الذى يقتنع بعلمه فيرى الفضل فرضاً فإن الذى أنكره مباح والمباح مأذون فيه والشرع لا يأذن فى شئ ثم يعاتب عليه فما أقبح الجهل ولو أنه قال لهم: لو قصرتم فيه أنتم لتقتدى الناس بكم كان أقرب حالة ولو سمع هذا بأن عبد الرحمن بن عوف والزيبر بن العوام وعبد الله بن مسعود رضوان الله عليهم، وفلاناً وفلاناً من الصحابة خلفوا مالاً عظيماً أتراهم ماذا كان يقول وقد اشترى تميم الدارى حلة بألف درهم وكان يقوم فيها بالليل ففرض على الزاهد التعلم من العلماء إذا لم يتعلم فليسكت والحديث بإسناد عن مالك بن دينار رضى الله عنه إن الشيطان يلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجور. وبإسناد عن حبيب الفارسى يقول: والله إن الشيطان ليلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجور.

قال المصنف: قلت المراد بالقراء الزهاد، وهذا اسم قديم لهم معروف والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب.

.....

الباب العاشر

فى ذكر تلبسه على الصوفية من جملة الزهاد

قال المصنف: الصوفية من جملة الزهاد وقد ذكرنا تلبس إبليس على الزهاد إلا أن الصوفية انفردوا عن الزهاد بصفات وأحوال وتوسموا بسمات فاحتجنا إلى إفرادهم بالذكر، والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلى ثم ترخص المتسبون اليها بالسماع والرقص فمال اليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من الزهد. ومال اليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب فلا بد من كشف تلبس إبليس عليهم فى طريقة القوم ولا ينكشف ذلك إلا بكشف أصل هذه الطريقة وفروعها وشرح أمورها والله الموفق للصواب.

فصل

قال المصنف: كانت النسبة فى زمن رسول الله ﷺ إلى الإيمان والإسلام. فيقال مسلم ومؤمن. ثم حدث زاهد وعابد. ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعب وانقطعوا إلى العبادة واتخذوا فى ذلك طريقة تفردوا بها. وأخلاقا تخلقوا بها ورأوا أن أول من انفرد به بخدمة الله سبحانه وتعالى عند بيته الحرام رجل يقال له صوفة واسمه الغوث ابن مر فتسبوا اليه لمشابهتهم اياه فى الانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى فسموا بالصوفية. أنبأنا محمد بن ناصر عن أبى اسحاق ابراهيم بن سعيد الحبال. قال: قال أبو محمد عبد الغنى بن سعيد الحافظ. قال: سألت وليد بن القاسم إلى أى شئ ينسب الصوفى فقال: كان فى الجاهلية يقال لهم صوفة انقطعوا إلى الله عز وجل وقطنوا الكعبة فمن تشبه بهم فهم الصوفية قال عبد الغنى فهؤلاء المعروفون بصوفة ولد الغوث ابن مر بن أخى تميم بن مر. بالاسناد إلى الزبير بن بكار قال. كانت الاجازة بالحج للناس من عرفة إلى الغوث بن مر بن أد بن طائجة ثم كانت فى ولده وكان يقال لهم صوفة. وكان اذا حانت الاجازة قالت العرب. أجز صوفة. قال الزبير. قال أبو عبيدة وصوفة وصوفان يقال لكل من ولى من البيت شيئا من غير أهله أو قام

بشيء من أمر المناسك يقال لهم صوفة وصوفان. قال الزبير حدثني أبو الحسن الأثرم عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي. قال إنما سمي الغوث بن مرصوفة لأنه ماكان يعيش لأمه ولد. فنذرت لئن عاش لتعلقن لرأسه صوفة ولتجعلنه ربيط الكعبة. ففعلت. فقيل له صوفة ولولده من بعده. قال الزبير. وحدثني ابراهيم بن المنذر عن عبد العزيز بن عمران. قال أخبرني عقال بن شبة قال قالت أم تميم بن مر وقد ولدت نسوة فقالت لله على أن ولدت غلاما لأعبدنه للبيت. فولدت الغوث بن مر فلما ربطته عند البيت أصابه الحر فمرت به وقد سقط واسترخى. فقالت ماصار ابني إلا صوفة فسمى صوفة وكان الحج واجارة الناس من عرفة إلى منى ومن منى إلى مكة لصوفة.

فلم تزل الإجارة في عقب صوفة حتى أخذتها عدوان فلم تزل في عدوان حتى أخذتها قريش.

فصل

قال المصنف: وقد ذهب قوم إلى أن التصوف منسوب إلى أهل الصفة. وإنما ذهبوا إلى هذا لأنهم رأوا أهل الصفة على ما ذكرنا من صفة صوفة في الانقطاع إلى الله عز وجل وملازمة الفقر فإن أهل الصفة كانوا فقراء يقدمون على رسول الله ﷺ ومالهم أهل ولا مال فبنيت لهم صفة في مسجد رسول الله ﷺ وقيل أهل الصفة. والحديث باسناد عن الحسن. قال بنيت صفة لضعفاء المسلمين فجعل المسلمون يوصلون إليها ما استطاعوا من خير. وكان رسول الله ﷺ يأتيهم فيقول. السلام عليكم يا أهل الصفة. فيقولون. وعليك السلام يا رسول الله فيقول كيف أصبحتم. فيقولون بخير يا رسول الله. وباسناد عن نعيم بن المجر عن أبيه عن أبي ذر قال. كنت من أهل الصفة وكنا إذا أمسينا حضرنا باب رسول الله ﷺ فيأمر كل رجل فينصرف برجل فيبقى من بقى من أهل الصفة عشرة أو أقل فيؤثرنا النبي ﷺ بعشائه فتعشى فإذا فرغنا قال رسول الله ﷺ. ناموا في المسجد.

قال المصنف. وهؤلاء القوم إنما قعدوا في المسجد ضرورة. وإنما أكلوا

من الصدقة ضرورة. فلما فتح الله على المسلمين استغنوا عن تلك الحال وخرجوا ونسبة الصوفى إلى أهل الصفة غلط لأنه لو كان كذلك لقل صفى، وقد ذهب إلى أنه من الصوفانية وهى بقلة رعناء قصيرة. فنسبوا إليها لاجترائهم بنبات الصحراء وهذا أيضا غلط لأنه لو نسبوا إليها لقل صوفانى. وقال آخرون هو منسوب إلى صوفة القفا. وهى الشعرات النابتة فى مؤخرة كأن الصوفى عطف به إلى الحق وصرفه عن الخلق. وقال آخرون. بل هو منسوب إلى الصوف. وهذا يحتمل. والصحيح الأول.

وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة وحاصلها أن التصوف عندهم رياضة النفس. ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة، وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر الإخلاص والصدق إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التى تكسب المدائح فى الدنيا والثواب فى الآخرة. والحديث باسناد عن الطوسى يقول سمعت أبا بكر بن المواقف يقول: سألت الجنيد بن محمد عن التصوف. فقال الخروج عن كل خلق ردى، والدخول فى كل خلق سنى وباسناد عن عبد الواحد بن بكر قال سمعت محمد بن خفيف يقول: قال رويم كل الخلق قعدوا على الرسوم. وقعدت هذه الطائفة على الحقائق. وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع وهم طالبوا أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق.

قال المصنف: وعلى هذا كان أوائل القوم فلبس إبليس عليهم فى أشياء ثم لبس على من بعدهم من تابعيهم فكلما مضى قرن زاد طعمه فى القرن الثانى فزاد تلبسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن.

وكان أصل تلبسه عليهم أنه صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا فى الظلمات. فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا فى الجملة فرفضوا ما يصلح أبدانهم. وشبهوا المال بالعقارب، ونسوا أنه خلق للمصالح وبالغوا فى الحمل على النفوس حتى أنه كان فيهم من لا يضطجع. وهؤلاء كانت مقاصدهم

حسنة غير أنهم على غير الجادة. وفيهم من كان لقله علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعية وهو لا يدري.

ثم جاء أقوام فتكلموا لهم في الجوع والفقر والوساوس والخطرات وصنفوا في ذلك مثل الحارث المحاسبى. وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوف وأفردوه بصفات ميزوه بها من الاختصاص بالمواقعة والسماع والوجد والرقص والتصفيق وتميزوا بزيادة النظافة والطهارة. ثم مازال الأمر ينمى والأشياخ يضعون لهم أوضاعاً ويتكلمون بواقعاتهم. ويتفق بعدهم عن العلماء لابل رؤيتهم ما هم فيه أو في العلوم حتى سموه العلم الباطن وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر. ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة فادعى عشق الحق والهيمن فيه فكانهم تخايلوا شخصاً مستحسن الصورة فهاموا به. وهؤلاء بين الكفر والبدعة ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق. ففسدت عقائدهم. فمن هؤلاء من قال بالحلول ومنهم من قال بالاتحاد. ومازال إبليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سنناً وجاء أبو عبد الرحمن السلمى فصنف لهم كتاب السنن وجمع لهم حقائق التفسير فذكر عنهم فيه العجب في تفسيرهم القرآن بما يقع لهم من غير إسناد ذلك إلى أصل من أصول العلم وإنما حملوه على مذاهم. والعجب من ورعهم في الطعام وانبساطهم في القرآن. وقد أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن القزاز. قال أخبرنا أبو بكر الخطيب قال قال لى محمد بن يوسف القطان النيسابورى قال كان أبو عبد الرحمن السلمى غير ثقة ولم يكن سمع من الأصم إلا شيئاً يسيراً فلما مات الحاكم أبو عبد الله ابن البيع حدث عن الأصم بتاريخ يحيى بن معين وبأشياء كثيرة سواه. وكان يضع للصوفية الأحاديث.

قال المصنف: وصنف لهم أبو نصر السراج كتاباً سماه لمع الصوفية ذكر فيه من الاعتقاد القبيح والكلام المرذول ما ستذكر منه جملة إن شاء الله تعالى. وصنف أبو طالب المكي قوت القلوب فذكر فيه الأحاديث الباطلة وما لا يستند فيه إلى أصل من صلوات الأيام والليالي وغير ذلك من الموضوع وذكر فيه الاعتقاد الفاسد. وردد فيه قول- قال بعض المكاشفين-

وهذا كلام فارغ وذكر فيه عن بعض الصوفية إن الله عز وجل يتجلى فى الدنيا لأوليائه. أخبرنا أبو منصور القزاز أخبرنا أبو بكر الخطيب قال: قال أبو طاهر محمد بن العلاف. قال: دخل أبو طالب المكي إلى البصرة بعد وفاة أبى الحسين بن سالم فأنتمى إلى مقالته وقدم بغداد فاجتمع الناس عليه فى مجلس الوعظ فخلط فى كلامه فحفظ عنه أنه قال. ليس على المخلوق أضر من الخالق فبدعه الناس وهجروه فامتنع من الكلام على الناس بعد ذلك قال الخطيب. وصنف أبو طالب المكي كتاباً سماه قوت القلوب على لسان الصوفية وذكر فيه أشياء منكرا مستبشة فى الصفات .

قال المصنف: وجاء أبو نعيم الأصبهاني فصنف لهم كتاب الحلية. وذكر فى حدود التصوف أشياء منكرا قبيحة ولم يستح أن يذكر فى الصوفية أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وسادات الصحابة رضى الله عنهم فذكر عنهم فى العجب وذكر منهم شريحاً القاضى والحسن البصرى وسفيان الثورى وأحمد ابن حنبل وكذلك ذكر السلمى فى طبقات الصوفية الفضيل وإبراهيم بن أدهم ومعروفاً الكرخى وجعلهم من الصوفية بأن أشار إلى أنهم من الزهاد.

فالتصوف مذهب معروف يزيد على الزهد ويدل على الفرق بينهما أن ابن هوازن القشيري كتاب الرسالة فذكر فيها العجائب من الكلام فى الفناء. والبقاء والقبض. والبسط. والوقت. والحال. والوجد. والوجود. والجمع. والتفرقة. والصحو. والسكر. والذوق. والشرب. والمحو. والإثبات. والتجلى والمحاضرة. والمكاشفة. واللوائح. والطوالع. واللوامع. والتكوين. والتمكين. والشريعة. والحقيقة. إلى غير ذلك من التخليط الذى ليس بشيء وتفسيره أعجب منه، وجاء محمد بن طاهر المقدسى فصنف لهم صفوة التصوف فذكر فيه أشياء يستحى العاقل من ذكرها سنذكر منها ما يصلح ذكره فى مواضعه إن شاء الله تعالى.

وكان شيخنا أبو الفضل بن ناصر الحافظ يقول: كان ابن طاهر يذهب مذهب الاباحة وصنف كتاباً فى جوار النظر إلى المراد أو رد فيه حكاية عن يحيى بن معين قال: رأيت جارية بمصر مليحة صلى الله عليها. فقيل

له صلى عليها فقال صلى الله عليها وعلى كل مليح: قال شيخنا ابن ناصر. وليس ابن طاهر بمن يحتج به، وجاء أبو حامد الغزالي فصنف لهم كتاب الأحياء على طريقة القوم وملاؤه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها وتكلم في علم المكاشفة وخرج عن قانون الفقه وقال ان المراد بالكوكب والشمس والقمر اللواتي رآهن إبراهيم صلوات الله عليه أنوارهي حجب الله عز وجل ولم يرد هذه المعروفات. وهذا من جنس كلام الباطنية. وقال في كتابه المفصح بالأحوال. إن الصوفية في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصورة إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق.

قال المصنف: وكان السبب في تصنيف هؤلاء مثل هذه الأشياء قلة علمهم بالسنن والاسلام والآثار واقبالهم على ما استحسنوه من طريقة القوم. وإنما استحسنوها لأنه قد ثبت في النفوس مدح الزهد وما رأوا حالة أحسن من حالة هؤلاء القوم في الصورة ولا كلاماً أرق من كلامهم. وفي سير السلف نوع خشونة ثم أن ميل الناس إلى هؤلاء القوم شديد لما ذكرنا من أنها طريقة ظاهرها النظافة والتعبد وفي ضمنها الراحة والسماع والطباع تميل إليها. وقد كان أوائل الصوفية يتفرون من السلاطين والأمراء فصاروا أصدقاء.

فصل

وجمهور هذه التصانيف التي صنفت لهم لاتستند إلى أصل وإنما هي واقعات تلقفها بعضهم عن بعض ودونوها وقد سموها بالعلم الباطن. والحديث بإسناد إلى أبي يعقوب اسحق بن حية قال سمعت احمد بن حنبل وقد سئل عن الوسوس والخطرات. فقال. ما تكلم فيها الصحابة ولا التابعون.

قال المصنف: وقد روينا في أول كتابنا هذا عن ذى النون نحو هذا وروينا عن احمد ابن حنبل أنه سمع كلام الحارث المحاسبي. فقال لصاحب له. لا أرى لك أن تجالسهم. وعن سعيد بن عمرو البردعي،

قال شهدت أبا زرعة وسئل عن الحارث المحاسبي وكتبه فقال للسائل .
اياك وهذه الكتب . هذه الكتب كتب بدع وضلالات ، عليك بالاثر فانك
تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب ، قيل له . في هذه الكتب عبرة . قال . :
من لم يكن له في كتاب الله عز وجل عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة
بلغكم أن مالك بن أنس ، وسفيان الثوري ، والاوزاعي ، والأئمة المتقدمة ،
صنعوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس وهذه الأشياء هؤلاء قوم
خالفوا أهل العلم يأتوننا مرة بالحارث المحاسبي ومرة بعبد الرحيم الدبيلي
ومرة بحاتم الأصم ومرة بشقيق ، ثم قال : ما أسرع الناس إلى البدع .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب
التميمي عن أبي عبد الرحمن السلمى قال : أول من تكلم في بلدته في
ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية ذو النون المصري فأنكر عليه ذلك
عبد الله بن عبد الحكم وكان رئيس مصر وكان يذهب مذهب مالك
وهجرة لذلك علماء مصر لما شاع خبره أنه أحدث علما لم يتكلم فيه
السلف حتى رموه بالزندقة . قال السلمى وأخرج أبو سليمان الداراني من
دمشق وقالوا أنه يزعم أنه يرى الملائكة وأنهم يكلمونه ، وشهد قوم على
احمد بن الحواري : يفضل الأولياء على الأنبياء فهرب من دمشق إلى
مكة ، وأنكر أهل بسطام على أبي يزيد البسطامي ما كان يقول حتى أنه
ذكر للحسين بن عيسى أنه يقول : لى معراج كما كان للنبي ﷺ معراج
فأخرجوه من بسطام ، واقام بمكة سنتين ثم رجع إلى جرجان فأقام بها إلى
أن مات الحسين بن عيسى ثم رجع إلى بسطام ، قال السلمى وحكى رجل
عن سهلى ابن عبد الله التستري أنه يقول : إن الملائكة والجن والشياطين
يحضرونه وإنه يتكلم عليهم فأكر ذلك عليه العوام حتى نسبوه إلى
القبائح فخرج إلى البصرة فمات بها ، قال السلمى وتكلم الحارث
المحاسبي في شيء من الكلام والصفات فهجرة احمد بن حنبل فاختمنى
إلى أن مات .

قال المصنف : وقد ذكر أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن أحمد بن
حنبل أنه قال : حذروا من الحارث أشد التحذير الحارث أصل البلية يعنى

فى حوادث كلام جهم ذاك جالسة فلان وفلان وأخرجهم إلى رأى جهم
ما زال مأوى أصحاب الكلام حارث بمنزلة الأسد المرابط انظر أى يوم
يشب على الناس .

فصل

قال المصنف: وقد كان أوائل الصوفية يقرون بأن التعويل على الكتاب
والسنة وإنما لبس الشيطان عليهم لقلّة علمهم . وبإسناد عن جعفر الخلدى
يقول سمعت الجنيد يقول قال أبو سليمان الداراني قال ربما تقع فى نفسى
النكتة من نكت القوم أياماً فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين الكتاب
والسنة وبإسناد عن طيفور البسطامى يقول سمعت موسى بن عيسى يقول
قال لى أبى قال أبو يزيد لو نظرتهم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى
وحفظ الحدود .

وبإسناد عن أبى موسى يقول سمعت أبا يزيد البسطامى قال: من ترك
قراءة القرآن والتقشف ولزوم الجماعة وحضور الجنائز وعبادة المرضى
وادعى بهذا الشأن فهو مبتدع . بإسناد عن عبد الحميد الحلبسى يقول
سمعت سرياً يقول: من ادعى باطن علم ينتقض ظاهر حكم فهو غالط
وعن الجنيد أنه قال: مذهبنا هذا مقيد بالأصول الكتاب والسنة، وقال
أيضاً علمنا منوط بالكتاب والسنة من لم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث
ولم يتفقه لا يقتدى به، وقال أيضاً ما أخذنا التصوف عن السقيم والقال
لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات لأن التصوف
من صفاء المعاملة مع الله سبحانه وتعالى وأصله التفرق عن الدنيا كما قال
حارثة: عرفت نفسى فى الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى . وعن أبى
بكر الشفاف: من ضيع حدود الأمر والنهى فى الظاهر حرم مشاهدة
القلب فى الباطن، وقال الحسين النورى لبعض أصحابه . من رأته يدعى
مع الله عز وجل حالة تخرجه عن حد علم الشرع فلا تقربنه، ومن رأته
يدعى حالة لا يدل عليها دليل ولا يشهد لها حفظ ظاهر فاتهمه على
دينه، وعن الجريرى قال: أمرنا هذا كله مجموع على فضل واحد هو أن
تلزم قلبك المراقبة ويكون العلم على ظاهره قائماً . وعن أبى جعفر قال:

من لم يزن أقواله وأفعاله وأحواله بالكتاب والسنة ولم يتهم خاطره فلا
تعدده في ديوان الرجال

فصل

قال المصنف: وإذا قد ثبت هذا من أقوال شيوخهم وقعت من بعض
أشياخهم غلطات لبعدهم عن العلم فان كان ذلك صحيحاً عنهم توجه
الرد عليهم إذ لا محاباة في الحق وإن لم يصح عنهم حذرنا من مثل هذا
القول وذلك المذهب من أي شخص صدر. فأما المشبهون بالقوم وليسوا
منهم فأغلطهم كثيرة. ونحن نذكر بعض ما بلغنا من أغلاط القوم والله
يعلم أننا لم نقصد بيان غلط الغالط إلا تنزيه الشريعة والغيرة عليها من
الدخل وما علينا من القائل والفاعل وإنما نؤدى بذلك أمانة العلم وما زال
العلماء يبين كل واحد منهم غلط صاحبه قصداً لبيان الحق لا لظهار
عيب الغالط ولا اعتبار بقول جاهل يقول: كيف يرد على فلان الزاهد
المتبرك به. لأن الانقياد إنما يكون إلى ما جاءت به الشريعة لا إلى
الأشخاص، وقد يكون الرجل من الأولياء وأهل الجنة وله غلطات فلا
تمنع منزلته بيان الله .

واعلم إن من نظر إلى تعظيم شخص ولم ينظر بالدليل إلى ما صدر
عنه كان كمن ينظر إل ما جرى على يد المسيح صلوات الله عليه من
الأمور الخارقة ولم ينظر إليه فادعى فيه الالهية. ولو نظر إليه وأنه لا يقوم
إلا بالطعام لم يعطه إلا ما يستحقه، وقد أخبرنا اسماعيل بن أحمد
السمرقندي باسناد إلى يحيى بن سعيد قال: سألت شعبة وسفيان بن
سعيد وسفيان بن عيينة ومالك ابن أنس عن الرجل لا يحفظ أو يتهم في
الحديث. فقالوا جميعاً يبين أمره: وقد كان الأمام أحمد بن حنبل يمدح
الرجل ويبالغ ثم يذكر غلظه في الشيء بعد الشيء وقال نعم الرجل فلان
لو لا أن نخلة فيه وقال عن سري السقطي: الشيخ المعروف بطيب المطعم
ثم حكى له عنه أنه قال أن الله عز وجل لما خلق الحروف سجدت الباء
فقال: نفروا الناس عنه .

سياق ما يروى عن الجماعة منهم من سوء الاعتقاد

ذكر تلبيس إبليس فى السماع وغيره

عن أبى عبد الله الرملى قال تكلم أبو حمزة فى جامع طرسوس فقتلوه فبينما هو ذات يوم يتكلم إذ صاح غراب علس سطح الجامع فزق أبو حمزة وقال: لبيك لبيك. فنسبوه إلى الزندقة وقالوا حلولى زنديق. وبيع فرسه بالمنادة على باب الجامع هذا فرس الزنديق، وباسناد إلى أبى بكر الفرغانى أنه قال: كان أبو حمزة إذا سمع شيئاً يقول: لبيك لبيك فأطلقوا عليه أنه حلولى. ثم قال أبو على وإنما جعله داعياً من الحق أيقظه للذكر. وعن أبى على الروزبارى قال أطلق على أبى حمزة أنه حلولى وذلك أنه كان إذا سمع صوتاً مثل هبوب الرياح وخرير الماء وصياح الطيور كان يصيح ويقول لبيك لبيك فرموه بالحلول. قال السراج وبلغنى عن أبى حمزة أنه دخل دار الحارث المحاسبى فصاحت الشاه ماع فشقق أبو حمزة شهقه وقال: لبيك يا سيدى فغضب الحارث المحاسبى وعمد إلى سكين وقال إن لم تتب من هذا الذى أنت فيه أذبحك. قال أبو حمزة: إذا أنت لم تحسن تسمع هذا الذى أنا فيه فلم تأكل النخالة بالرماد.

وقال السراج وأنكر جماعة من العلماء على أبى سعيد احمد بن عيسى الخرا ونسبوه إلى الكفر بالفاظ وجدوها فى كتاب صنفه وهو كتاب السر ومنه قوله: عبد طائع ما أذن له فلزم التعظيم لله فقدس الله نفسه قال: وأبو العباس أحمد ابن عطاء نسب إلى الكفر والزندقة قال وكم من مرة قد أخذ الجنيد مع علمه وشهد عليه بالكفر والزندقة وكذلك أكثرهم. وقال السراج: ذكر عن أبى بكرة محمد بن موسى الفرغانى الواسطى أنه قال من ذكر افترى ومن صبر اجترى. وإياك أن تلاحظ حبيباً أو كليماً أو خليلاً وأنت تجد إلى ملاحظة الحق سيلاً. فقيل له: أولاً أصلى عليهم قال: صل عليهم بلا وفار ولا تجعل لها فى قلبك مقدار. قال السراج: وبلغنى أن جماعة من الحلوليين زعموا أن الحق عز وجل اصطفى أجساماً حل فيها بمعانى الربوبية وأزال عنها معانى البشرية ومنهم من قال بالنظر

إلى الشواهد المستحسنات ومنهم من قال حال في المستحسنات . قال
وبلغنى عن جماعة من أهل الشام أنهم يدعون الرؤية بالقلوب في الدنيا
كالرؤية بالعيان في الآخرة قال السراج . وبلغنى أن أبا الحسين التورى
شهد عليه غلام الخليل أنه سمعه يقول : أنا أعشق الله عز وجل وهو
يعشقنى فقال النورى : سمعت الله يقول يحبهم ويحبونه وليس العشق
بأكثر من المحبة : قال القاضى ابو يعلى : وقد ذهبت الحلولية إلا أن الله
عز وجل يعشق .

قال المصنف : وهذا جهل من ثلاثة أوجه : أحدها من حيث الأيسم فان
العشق عند أهل اللغة لا يكون إلا لما ينكح والثانى أن صفات الله عز
وجل منقولة فهو يحب ولا يقال يعشق ويحب ولا يقال يعشق كما يقال
يعلم ولا يقال يعرف والثالث من أين له أن الله يحبه فهذه دعوى بلا دليل
وقد قال النبى ﷺ « من قال إنى فى الجنة فهو فى النار » .

وعن أبى عبد الرحمن السلمى قال حكى عن عمرو المكى أنه قال :
كنت أماشى الحسين بن منصور فى أزقة مكة وكنت أقرأ القرآن فسمع
قراءتى فقال يمكننى أن أقول مثل هذا ففارقته . وعن محمد بن يحيى
الرازى يقول قال أبو بكر بن حمشاد قال : حضر عندنا بالدينور رجل
ومعه فملاة . قال سمعت عمرو بن عثمان يلحن الخلاج ويقول . لو
قدرت عليه لقتلته بيدي فقلت بأى شىء وجد عليه الشيخ فقال قرأت آية
من كتاب الله عز وجل فقال يمكننى أن أقول أو أولف مثله وأتكلم به .
وبإسناد عن أبى القاسم الرازى فما كان يفارقها لا بالليل ولا بالنهار
ففتشوا المخلاة فوجدوا فيها كتابا للخلاج عنوانه من الرحمن الرحيم إلى
فلان بن فلان فوجه إلى بغداد فأحضر وعرض عليه فقال . هذا خطى وأنا
كتبتة . فقالوا كتبت تدعى النبوة فصرت تدعى الربوبية . فقال . ما أدعى
الربوبية ولكن هذا عين الجمع عندنا هل الكتاب إلا الله تعالى واليد فيه
آله . فقيل له : هل معك أحد . فقال . نعم ابن عطاء وأبو محمد الجريرى
وأبو بكر الشبلى . وأبو محمد الجريرى يتستر والشبلى يتستر فان كان قابن
عطاء فأحضر الجريرى وسئل فقال قائل . هذا كافر يقتل من يقول هذا

وسئل الشبلي فقال من يقول هذا يمنع وسئل ابن عطاء عن مقالة الحلاج فقال بمقالته وكان سبب قتله . وبإسناد عن ابن باكويه قال : اسمعت عيسى بن بردل القزويني وقد سئل أبو عبد الله بن خفيف عن معنى هذه الآيات .

سبحان من أظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهراً في صورة الأكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب

فقال الشيخ : على قائله لعنة الله . قال عيسى بن فورك : هذا شعر الحسين ابن منصور . قال : إن كان هذا اعتقاده فهو كافر إلا أنه ربما يكون منقولاً عليه . وبإسناد عن علي بن المحسن القاضي عن أبي القاسم اسماعيل بن محمد بن رنجي عن أبيه أن بنت السمرى أدخلت على حامد الوزير . فسألها عن الحلاج فقالت . حملني أبي إليه فقال . قد زوجتك من ابني سليمان وهو مقيم بنيسابور فمتى جرى شيء تنكرينه من جهته فصومي يومك واصعدى في آخر النهار إلى السطح وقومي على الرماد واجعلي فطرك عليه وعلى ملح جريش واستقبليني بوجهك واذكري لي ما أنكرتيه منه فاني أسمع وأرى . قالت : وكنت ليلة نائمة في السطح فأحسست به قد غشيني فاتبعت مذعورة لما كان منه . فقال إنما جئتك لأوقظك للصلاة . فلما نزلتا قالت ابنته . اسجدي له . فقلت : أو يسجد أحد لغير الله . فسمع كلامي . فقال . نعم إله في السماء وإله في الأرض .

قال المصنف : اتفق علماء العصر على إباحة دم الحلاج . فأول من قال إنه حلال الدم أبو عمرو القاضي ووافقته العلماء . وإنما سكبت عنه أبو العباس سريج قال وقال لا أدري ما يقول . والاجماع دليل معصوم من الخطأ وبإسناد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله أجاركم أن تجتمعوا على ضلالة كلكم » وبإسناد عن أبي القاسم يوسف ابن يعقوب النعماني قال سمعت والدي يقول سمعت أبا بكر محمد بن داود الفقيه الأصبهاني يقول : إن كان ما أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ

حقاً فما يقول الحلاج باطل وكان شديداً عليه .

قال المصنف . وقد تعصب للحلاج جماعة من الصوفية جهلاً منهم وقلة مبالاة بإجماع الفقهاء وبإسناد عن محمد بن الحسين النيسابوري قال سمعت ابراهيم بن محمد البصرى اباى كان يقول . إن كان بعد النبيين والصديقين موحد فهو الحلاج قلت . وعلى هذا أكثر قصاص زماننا وصوفية وقتنا جهلاً من الكل بالشرع وبعداً عن معرفة النقل . وقد جمعت فى أخبار الحلاج كتاباً بينت فيه حيله ومخاريقه وما قال العلماء فيه والله المعين على قمع الجهال .

وبإسناد عن أبى نعيم الحافظ قال سمعت عمر البنا البغدادي بمكة يحكى أنه لما كانت محنة غلام الخليل ونسبة الصوفية إلى الزندقة أمر الخليفة بالقبض عليهم فأخذ النورى فى جماعة فأدخلوا على الخليفة فأمر بضرب أعناقهم فتقدم النورى فى جماعة فأدخلوا على الخليفة فأمر بضرب أعناقهم فتقدم النورى مبتدراً إلى السياق ليضرب عنقه . فقال له السياق . ما دعاك إلى البدار . قال آثرت حياة أصحابى على حياتى هذه اللحظة فتوقف السياق فرفع الأمر إلى الخليفة فرد أمرهم إلى قاضى القضاة اسماعيل بن اسحاق فأمر بتخليتهم . وبإسناد إلى أبى العباس أحمد بن عطاء . قال كان يسعى بالصوفية ببغداد غلام الخليل إلى الخليفة فقال ههنا قوم زنادقة فأخذ أبو الحسين النورى ، وأبو حمزة الصوفى ، وأبو بكر الدقاق ، وجماعة من أقران هؤلاء واستر الجنيد بن محمد بالفقه على مذهب أبى ثور . فأدخلوا إلى الخليفة فأمر بضرب أعناقهم فأول من بدر أبو الحسين النورى . فقال له السياق لم بادرت أنت من بين أصحابك ولم ترع . قال . أحبيت أن أوتر أصحابى بالحياة مقدار هذه الساعة فرد الخليفة أمرهم إلى القاضى فأطلقوا .

قال المصنف : ومن أسباب هذه القصة قول النورى . أنا أعشق الله والله يعشقنى . فشهد عليه بهذا . ثم تقدم النورى إلى السياق ليقتل إعانة على نفسه فهو خطأ أيضاً . وبإسناد عن ابن باكويه قال سمعت أبا عمرو وتلميذ الرقى قال سمعت الرقى يقول : كان لنا بيت ضيافة فجاءنا فقير

عليه خرقتان يكى بأبى سليمان فقال . الضيافة . فقلت لإبنى : إمض به إلى البيت فأقام عندنا تسعة أيام فأكل فى كل ثلاثة أيام آكله . فسمته المقام فقال . الضيافة ثلاثة أيام فقلت له : لا تقطع عنا أخبارك فغاب عنا اثنتى عشرة سنة ثم قدم فقلت من أين . فقال : رأيت شيخاً يقال له أبو شعيب المقفع مبتلى فأقمت عنده أخذمه سنة فوقع فى نفسى أن أسأله أى شىء كان أصل بلائه فلما دنوت منه ابتدأنى قبل أن أسأله فقال وماسؤالك عما لايعنيك . فصبرت حتى تم لى ثلاث سنين . فقال فى الثالثة لا بد لك فقلت له ان رأيت . فقال . بينما أنا أصلى بالليل إذ لاح لى من المحراب نور فقلت إخساً ياملعون فان ربى عز وجل غنى عن أن يبرز للخلق ثلاث مرات قال ثم سمعت نداء من المحراب ياأبا شعيب . فقلت لبيك فقال تحب أن أقبضك فى وقتك أو نجاريك على ما مضى لك أو نبتليك ببلاء برقعك به فى عليين فاخترت البلاء فسقطت عيناى ويداى ورجلاى قال فمكثت أخذمه تمام اثنتى عشرة سنة . فقال يوماً من الأيام أدن منى فدنوت منه فسمعت أعضائه يخاطب بعضها بعضاً حتى برزت أعضاؤه كلها بين يديه وهو يسبح ويقدر ثم مات .

قال المصنف: وهذه الحكاية توهم أن الرجل رأى الله عز وجل فلما أنكر عوقب وقد ذكرنا أن قوماً يقولون أن الله عز وجل يرى فى الدنيا . وقد حكى أبو القاسم عبدالله بن أحمد البلخى فى كتاب المقالات قال قد حكى قوم من المشبهة أنهم يجيزون رؤية الله تعالى بالأبصار فى الدنيا وأنهم لاينكرون أن يكون بعض من تلقاهم فى السكك وإن قوماً يجيزون مع ذلك مصافحته وملازمته وملازمته ويدعون أنهم يزورونه ويزورهم وهم يسمعون بالعراق أصحاب الباطن وأصحاب الوسوس وأصحاب الخطرات .

قال المصنف: وهذا فوق القبيح نعوذ بالله من الخذلان .

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى الطهارة

قال المصنف: قد ذكرنا تلبيسه على العباد فى الطهارة إلا أنه قد راد فى حق الصوفية على الحد فقوى وساوسهم فى استعمال الماء الكثير حتى

بلغنى أن ابن عقيل دخل رباطاً فتوضأ فضحكوا لقلته استعماله الماء وما علموا أن من أسبغ الوضوء برطل من الماء كفاه. وبلغنا عن أبى حامد الشيرازى أنه قال لفقير: من أين تتوضأ. فقال. من النهر، بى وسوسة فى الطهارة قال: كان عهدي بالصوفية يسخرون من الشيطان. والآن يسخر بهم الشيطان، ومنهم من يمشى بالمداس على البوارى وهذا لا بأس به إلا أنه ربما نظر المستدى إلى من يقتدى به فيظن ذلك شريعة وما كان خيار السلف على هذا، والعجب ممن يبالغ فى الاحتراز إلى هذا الحد متصفاً ظاهره وباطنه محشو بالوسخ والكدر والله الموفق.

ذكر تلبس إبليس عليهم فى الصلاة

قال المصنف: وقد ذكرنا تلبسه على العباد فى الصلاة وهو بذلك يلبس على الصوفية ويزيد، وقد ذكر محمد بن طاهر المقدسى ان من سنتهم التى ينفردون بها ويتسبون اليها صلاة ركعتين بعد لبس المرقعة والتوبة واحتج عليه بحديث تمامة بن أثال أن النبى ﷺ أمره حين أسلم أن يغتسل.

قال المصنف: وما أقبح بالجاهل إذا تعاطى ما ليس من شغله فان ثمامة كان كافراً فأسلم وإذا أسلم الكافر وجب عليه الغسل فى مذهب جماعة من الفقهاء منهم أحمد ابن حنبل، وأما صلاة ركعتين فما أمر بها أحد من العلماء لمن أسلم وليس فى حديث تمامة ذكر صلاة فيقاس عليه، وهل هذا إلا ابتداء فى الواقع سموه سنة. ثم من أقبح الأشياء قوله أن الصوفية ينفردون بسنن، لأنها إن كانت منسوبة إلى الشرع فالمسلمون كلهم فيها سواء والفقهاء أعرف بها فما وجه انفراد الصوفية بها وإن كانت بأرائهم فانما انفردوا بها لأنهم اخترعوها.

ذكر تلبس إبليس على الصوفية فى المساكن

قال المصنف: أما بناء الأربطة فان قوماً من المتعبدىين الماضين اتخذوها للانفراد بالتعبد. وهؤلاء إذا صح قصدهم فهم على الخطأ من ستة أوجه. أحدها أنهم ابتدعوا هذا البناء وإنما بنى أهل الإسلام المساجد: والثانى أنهم جعلوا للمساجد نظيراً يقلل جمعها. والثالث أنهم أفاتوا أنفسهم نقل

الخطا إلى المساجد . والرابع أنهم تشبهوا بالنصارى بانفرادهم بالأديرة .
والخامس أنهم تعذبوا وهم شباب وأكثرهم محتاج إلى النكاح . والسادس
أنهم جعلوا لأنفسهم علماً ينطق بأنهم زهاد فيوجب ذلك زيارتهم والتبرك
بهم وإن كان قصدهم غير صحيح فإنهم قد بنوا دكاكين للكوبة ومناخا
للبطالة وأعلاماً لإظهار الزهد . وقد رأينا جمهور المتأخرين منهم
مستريحين في الأربطة من كد المعاش متشاغلين بالأكل والشرب والغناء
والرقص يطلبون الدنيا من كل ظالم ولا يتورعون من عطاء ماكس وأكثر
أربطتهم قد بناها الظلمة ووقفوا عليها الأموال الخبيثة . وقد لبس عليهم
إبليس أن ما يصل إليكم رزقكم فأسقطوا عن أنفسكم كلفة الورع .
فمهمتهم دوران المطبخ والطعام والماء المبرد فأين جوع بشر ، وأين ورع
سرى ، وأين جد الجنيد وهؤلاء أكثر زمانهم ينقضى في التفكه بالحديث أو
زيارة أبناء الدنيا فإذا أفلح أحدهم أدخل رأسه في زر ما نفقته فغلبت عليه
السوداء فيقول حدثني قلبى عن ربي . ولقد بلغنى أن رجلاً قرأ القرآن في
رباط فمنعوه وأن قوماً قرأوا الحديث فى رباط فقالوا لهم ليس هذا
موضعه والله الموفق .

ذكر تلبس إبليس على الصوفية فى الخروج

عن الأموال والتجرد عنها

كان إبليس يلبس على أوائل الصوفية لصدقهم فى الزهد فيريهم عيب
المال ويخوفهم من شره فيتجردون من الأموال ويجلسون على بساط الفقر
وكانت ومقاصدهم صالحة وأفعالهم فى ذلك خطأ لقلة العلم . فأما الآن
فقد كفى إبليس هذه المؤنة فإن أحدهم إذا كان له مال أنفقه تبذيراً وضياًعاً
والحديث باسناد عن محمد بن الحسين السليمى قال سمعت أبا نصر
الطوسى : قال سمعت جماعة من مشايخ الرى يقولون : ورث أبو
عبدالله المقرئ من أبيه خمسين ألف دينار سوى الضياع والعقار فخرج عن
ذلك كله وأنفقه على الفقراء .

وقد روى مثل هذا عن جماعة كثيرة وهذا الفعل لا ألوم صاحبه إذا
كان يرجع إلى كفاية قد ادخرها لنفسه أو إن كانت له صناعة يستغنى بها

عن الناس أو كان المال عن شبهة فتصدق به فأما إذا أخرج المال الحلال كله ثم احتاج إلى ما فى أيدي الناس وأفقر عياله فهو إما أن يتعرض لمن الاخوان أو لصدقاتهم أو أن يأخذ من أرباب الظلم والشبهات فهذا هو الفعل المذموم المنهى عنه. ولست أتعجب من المترهدين الذين فعلوا هذا مع قلة علمهم وإنما العجب من أقوام لهم عقل وعلم كيف حثوا على هذا وأمروا به مع مصادمته للعقل والشرع وقد ذكر الحارث المحاسبى فى هذا كلاماً طويلاً وشيده أبو حامد الغزالى ونصره والحارث عندى أعذر من أبى حامد لأن أبى حامد كان أفاقه غير أن دخوله فى التصوف أوجب عليه نصرة ما دخل فيه.

فمن كلام الحارث المحاسبى فى هذا أنه قال: أيها المفتون متى زعمت أن جمع المال الحلال أعلى وأفضل من تركه. فقد أريت بمحمد ﷺ والمرسلين وزعمت أن محمداً ﷺ لم ينصح الأمة إذ نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمعه خير لهم وزعمت أن الله لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم أن جمعه خير لهم وما ينفعك الاحتجاج بمال الصحابة. ودابن عوف فى القيامة أن لو لم يؤت من الدنيا إلا قوتاً. قال ولقد بلغنى أنه لما توفى عبد الرحمن ابن عوف قال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ إنا نخاف على عبد الرحمن فيما ترك قال كعب: سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيباً وأنفق طيباً فبلغ ذلك أبا ذر فخرج مغضباً يريد كعباً فمر بلحى بعير فأخذه بيده ثم انطلق يطلب كعباً فقيل لكعب إن أبا ذر يطلبك فخرج هارباً حتى دخل على عثمان يستغيث به وأخبره الخبر فأقبل أبو ذر يقتص الأثر فى طلب كعب حتى انتهى إلى دار عثمان فلما دخل قام كعب فجلس خلف عثمان هارباً من أبى ذر فقال له أبو ذر: هيه يا ابن اليهودية تزعم أنه لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف لقد خرج رسول الله ﷺ يوماً فقال الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا ثم قال: يا أبا ذر وأنت تريد الأكثر وأنا أريد الأقل فرسول الله ﷺ يريد هذا وأنت تقول يا ابن اليهودية لا بأس بما ترك عبد الرحمن بن عوف. كذبت وكذبت من قال بقولك، فلم يرد عليه حرفاً حتى خرج.

قال الحارث: فهذا عبد الرحمن مع فضله يوقف في عرصة القيامة بسبب مال كسبه من حلال للتعنف ولصنائع المعروف فيمنع من السعي إلى الجنة مع فقراء المهاجرين وصار يحبو في آثارهم حبواً. وقد كان الصحابة رضي الله عنهم إذا لم يكن عندهم شيء فرحوا وأنت تدخر المال وتجمعه خوفاً من الفقر وذلك من سوء الظن بالله وقلة اليقين بضمائه وكفى به اثماً وعساک تجمع المال لنعيم الدنيا وزهرتها ولذاتها وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال من أسف على دنيا فاتته قرب من النار مسيرة سنة وأنت تأسف على ما فاتك غير مسكترت بقربك من عذاب الله عز وجل. ويحك هل تجد في دهرك من الحلال كما وجدت الصحابة وأين الحلال فتجمعه. ويحك إني لك ناصح أرى لك أنك تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لأعمال البر فقد سئل بعض أهل العلم عن الرجل يجمع المال لأعمال البر فقال تركه أبر منه. وبلغنا أن بعض خيار التابعين سئل عن رجلين أحدهما طلب الدنيا حلالاً فأصابها فوصل بها رحمه وقدم منها لنفسه والآخر جانبها ولم يطلبها ولم يبدلها فأيهما أفضل فقال: بعيد والله ما بينهما الذي جانبها أفضل كما بين مشارق الأرض ومغاربها.

قال المصنف: فهذا كله كلام الحارث المحاسبى ذكره أبو حامد وشيذه وقواه بحديث ثعلبة فإنه أعطى المال فمنع الزكاة^(٣) قال أبو حامد: فمن راقب أحوال الأنبياء والأولياء وأقوالهم لم يشك في أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات، إذ أقل ما فيه اشتغالهم باصلاحه عن ذكر الله عز وجل فينبغي للمريد أن يخرج من ماله حتى لا يبقى له إلا قدر ضرورته فما بقى له درهم يلتفت إليه قلبه فهو محجوب عن الله عز وجل.

قال المصنف: وهذا كله بخلاف الشرع والعقل وسوء فهم للسمراد بالمال.

فصل

في رد هذا الكلام أما شرف المال فإن الله عز وجل عظم قدره وأمر بحفظه إذ جعله قواماً للآدمى الشريف فهو شريف. فقال تعالى: ﴿وَلَا

تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً ونهى عز وجل أن يسلم المال إلى غير رشيد. فقال ﴿فإن أنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم﴾ وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن إضاعة المال وقال لسعد: لأن تترك ورثتك أغنياء خير لك من أن تتركهم عالة يتكففون الناس وقال: ما نفعنى مال كمال أبى بكر والحديث باسناد مرفوع عن عمرو بن العاص. قال: بعث إلى رسول الله ﷺ فقال: خذ عليك ثيابك وسلاحك ثم اتتنى، فأتيته فقال: إني أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويعنمك، وأرغب لك من المال رغبة. فقلت يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال ولكنى أسلمت رغبة في الإسلام. فقال يا عمرو نعم المال الصالح للرجل الصالح. والحديث باسناد عن أنس ابن مالك، أن رسول الله ﷺ دعا له بكل خير. وكان في آخر دعائه أن قال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له. وباسناد عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن عبيد الله كعب بن مالك قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حديث توبته. قال: فقلت يا رسول الله أن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ فقال: أمسك بعض مالك فهو خير لك.

قال المصنف: فهذه الأحاديث مخرجة فى الصحاح وهى على خلاف ما تعتقده المتصوفة من أن إكثار المال حجاب وعقوبة وأن حبسه ينافى التوكل. ولا ينكر أنه يخاف من فتنه وأن خلقاً كثيراً اجتنبوه لخوف ذلك وأن جمعه من وجهة يعز وسلامة القلب من الافتنان به يعبد واشتغال القلب مع وجوده بذكر الآخرة يندر ولهذا خيف فتنه. فأما كسب المال فإن من اقتصر على كسب البلغة من حلها فذلك أمر لا بد منه. وأما من قصد جمعه والاستكثار منه من الحلال نظرنا فى مقصوده، فإن قصد نفس المفاخرة والمباهاة فبئس المقصود، وإن قصد إعفاف نفسه وعائلته وادخر لحوادث زمانه وزمانهم وقصد التوسعة على الإخوان واغناء الفقراء وفعل المصالح أئيب على قصده وكان جمعه بهذه النية أفضل من كثير من الطاعات. وقد كان نيات خلق كثير من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين فى جمع المال سليمة لحسن مقاصدهم لجمعه فحرصوا عليه وسالوا زيادته

وبإسناد عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ أقطع الزبير حضر فرسه بأرض يقال لها ثرثر. فأجرى فرسه حتى قام، ثم رمى سوطه فقال: أعطوه حيث بلغ السوط وكان سعد ابن عباد يدعو فيقول: اللهم وسع على.

قال المصنف: وأبلغ من هذا أن يعقوب عليه الصلاة والسلام لما قال له بنوه ﴿ونزداد كيل بعير﴾ مال إلى هذا وأرسل ابنه بنيامين معهم. وأن شعيباً طمع في زيادة ما يناله فقال ﴿فإن أتممت عشرأ فمن عندك﴾ وأن أيوب عليه السلام لما عوفى نثر عليه رجل جراد من ذهب فأخذ يحثو في ثوبه يستكثر منه فقيل له: أما شبعث. قال: يارب من يشبع من فضلك وهذا أمر مركوز في الطباع فإذا قصد به الخير كان خيراً محضاً.

وأما كلام المحاسبي فخطأ يدل على الجهل بالعلم وقوله: إن الله عز وجل نهى عباده عن جمع المال. وأن رسول الله ﷺ نهى أمته عن جمع المال. فهذا محال إنما النهى عن سوء القصد بالجمع أو عن جمعه من غير حله. وما ذكره من حديث كعب وأبي ذر فمحال من وضع الجهال وخفاء صحته عنه ألحقه بالقوم. وقد روى بعض هذا وإن كان طريق لا يثبت. وبإسناد عن مالك بن عبد الله الزيادي عن أبي ذر أنه جاء يستأذن على عثمان فأذن له ويده عصاه، فقال عثمان: يا كعب إن عبد الرحمن توفي وترك مالا فما ترى فيه؟ فقال: إن كان يصل فيه حق الله تعالى فلا بأس به، فرفع أبو ذر عصاه فضرب كعباً وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما أحب لو أن لي هذا الجبل ذهباً أنفقه ويتقبل مني. أذر خلفي ست أواقى. أنشدك الله يا عثمان أسمعت هذا؟ ثلاث مرات قال نعم.

قال المصنف: وهذا الحديث لا يثبت وابن لهيعة مطعون فيه قال يحيى لا يحتج بحديثه. والصحيح في التاريخ أن أبا ذر توفي سنة خمس وعشرين وعبد الرحمن توفي سنة اثنتي وثلاثين، فقد عاش بعد أبي ذر سبع سنين. ثم لفظ ما ذكروه من حديثهم يدل على أن حديثهم موضوع. ثم كيف تقول الصحابة رضي الله عنهم. إنا نخاف على عبدالرحمن، أو ليس الإجماع منعقداً على إباحة جمع المال من حله،

فما وحه الخوف مع الإباحة، أو يأذن الشرع فى شىء ثم يعاقب عليه، هذا قلة فهم وفقه، ثم تعلقه بعبد الرحمن وحده دليل على أنه لم يسير سير الصحابة، فانه قد خلف طلحة ثلاثمائة بهار فى كل بهار ثلاثة قناطير، والبهار الحمل، وكان مال الزبير خمسين ألف ألف ومائتى ألف، وخلف ابن مسعود رضى الله عنه تسعين ألفا، وأكثر الصحابة كسبوا الأموال وخلفوها ولم ينكر أحد منهم على أحد .

وأما قوله: أن عبد الرحمن يحبو حبوا يوم القيامة . فهذا دليل على أنه لا يعرف الحديث، أو كان هذا مناماً وليس هو فى اليقظة أعوذ بالله من أن يحبو عبد الرحمن فى القيامة، أفترى . من يسبق إذا حبا عبد الرحمن بن عوف وهو من العشرة المشهود لهم بالجنة . ومن أهل بدر المغفور لهم ومن أصحاب الشورى . ثم الحديث يرويه عمارة بن ذاذان، وقال البخارى: ربما اضطرب حديثه، وقال أحمد: يروى عن أنس أحاديث مناكير، وقال أبو حاتم الرازى: لا يحتج به، وقال الدار قطنى: ضعيف، أخبرنا ابن الحصين مرفوعاً إلى عمارة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال: بينما عائشة رضى الله عنها فى بيتها سمعت صوتاً فى المدينة . فقالت: ما هذا ؟ فقالوا غير لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل من كل شىء، قال وكانت سبعمائة بعير فارتجت المدينة من الصوت . فقالت عائشة رضى الله عنها . سمعت رسول الله ﷺ يقول: قد رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً . فبلغ ذلك عبد الرحمن ابن عوف فقال: إن استطعت لأدخلنها قائماً . فجعلها بأقتابها وأحمالها فى سبيل الله عز وجل .

وقوله: ترك المال الحلال أفضل من جمعه . ليس كذلك بل متى صح القصد فجمعه أفضل بلا خلاف عند العلماء . والحديث الذى ذكره عن رسول الله ﷺ من أسف على دنيا فاتته الخ محال: ما قاله رسول الله ﷺ قط وقوله: هل تجد فى دهرك حلالاً . فيقال له: وما الذى أصاب الحلال والنسبى ﷺ يقول: الحلال بين والحرام بين أترى يريد بالحلال وجود حبة مذخرجت من المعدن ما تقلبت فى شبهة، هذا يبعد وما

طولبنا به . بل لوباع المسلم يهوديا كان الثمن حلالا بلا شك . هذا مذهب الفقهاء وأعجب لسكوت أبي حامد بل لنصرتة ما حكى وكيف يقول أن فقد المال أفضل من وجوده وإن صرف إلى الخيرات . ولو أدعى الاجماع على خلاف هذا لصح ، ولكن تصوفه غير فتواه . وعن المروزي قال سمعت رجلا يقول لأبي عبد الله إنى فى كفاية فقال : الزم السوق تصل به الرحم وتعود المرضى .

وقوله ينبغى للمريد أن يخرج من ماله ، قد بينا أنه إن كان حراما أو فيه شبهة أو إن يقنع هو باليسير أو بالكسب جار له أن يخرج منه . وإلا فلا وجه لذلك ، وأما ثعلبة فما ضره المال إنما ضره البخل بالواجب .

وأما الانبياء فقد كان لابراهيم عليه الصلاة والسلام ررع ومال ولشعيب ولغيره وكان سعيد بن المسيب رضى الله عنه يقول لا خير فيمن لا يطلب المال يقضى به دينه ويصون به عرضه ويضل به رحمه فان مات تركه ميراثا لمن بعده وخلف ابن المسيب أربعمائة دينار وقد ذكرنا ما خلفت الصحابة . وقد خلف سفيان الثورى رضى الله عنه مائتين وكان يقول : المال فى هذا الزمان سلاح وما زال السلف يمدحون المال ويجمعونه للنوائب وإعانة الفقراء . وإنما تجافاه قوم منهم إثار أ للتشاغل بالعبادات وجمع الهمم فقتنوا باليسير ولو قال هذا القائل أن التقلل منه أولى قرب الأمر ولكنه راحم به مرتبة الاثم .

فصل

واعلم أن الفقر مرض فمن ابتلى به فصبر أثيب على صبره ، ولهذا يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسائة عام لمكان صبرهم على البلاء والمال نعمة والنعمة تحتاج إلى شكر ، والغنى وإن تعب وخاطر كالمفتى والمجاهد والفقير كالمعتزل فى زاوية . وقد ذكر أبو عبد الرحمن السلمى فى كتاب سنن الصوفية باب كراهية أن يخلف الفقير شيئا . فذكر حديث الذى مات من أهل الصفة وخلف دينارين . فقال رسول الله رسول الله ﷺ : كيتان .

قال المصنف : وهذا احتياج من لا يفهم الحال فان ذلك الفقير كان

يزاحم الفقراء فى أخذ الصدقة وحبس ما معه فلذلك قال: كيتان، ولو كان المكروه نفس ترك المال لما قال رسول الله ﷺ لسعد. إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكفون الناس ولما كان أحد من الصحابة يخلف شيئاً. وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: حث رسول الله ﷺ على الصدقة فجئت بنصف مالى. فقال رسول الله ﷺ: وما أبقيت لأهلك فقلت مثله فلم ينكر عليه رسول الله ﷺ قال ابن جرير الطبرى وفى هذا الحديث دليل على بطلان ما يقوله جهله المتصوفة أن ليس للانسان إدخار شىء فى يومه لغده، وإن فاعل ذلك قد أساء الظن بربه ولم يتوكل عليه حق توكله قال ابن جرير: وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام اتخذوا الغنم فانها بركة فيه دلالة على فساد قول من زعم من المتصوفة أنه لا يصح لعبد التوكل على ربه إلا بأن يصبح ولا شىء عنده من عين ولا عرض ويمسى كذلك ألا ترى كيف أدخر رسول الله ﷺ لأرواحه قوت سنة.

فصل

وقد خرج أقوام من أموالهم الطيبة ثم عادوا يتعرضون للأوساخ ويطلبون وهذا لأن حاجة الإنسان لا تنقطع، والعاقل يعد للمستقبل وهؤلاء مثلهم فى إخراج المال عند بداية تزهدهم مثل من روى فى طريق مكة فبدد الماء الذى معه. والحديث باسناد عن جابر بن عبد الله قال قدم أبو حصين السلمى بذهب من معدنهم فقضى ديننا كان عليه وفضل معه مثل بيضة الحمامة، فأنى بها رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله ضع هذه حيث أراك الله أو حيث رأيت، قال فجاءه عن يمينه فأعرض عنه ثم جاءه عن يساره فأعرض عنه ثم جاءه من بين يديه فنكس رسول الله ﷺ رأسه. فلما أكثر عليه أخذها من يديه فحذفه بها لو أصابته لعقرته، ثم أقبل عليه رسول الله ﷺ، فقال يعمد أحدكم إلى ماله فيتصدق به ثم يقعد فيتكفف الناس، وإنما الصدقة عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول وقد رواه أبو داود فى سننه من حديث محمود بن لبيد عن جابر بن عبد الله، قال كنا عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل بمثل البيضة من

ذهب فقال، يا رسول الله أصبت هذه من معدن فخذها فهي صدقة ما أملك غيرها فأعرض عنه رسول الله ﷺ ثم أتاه من قبل ركنه الأيمن فقال مثل ذلك فأعرض عنه ثم أتاه من قبل ركنه الأيسر فأعرض عنه رسول الله ﷺ ثم أتاه من خلفه فأخذها رسول الله ﷺ فحذفه بها فلو أصابته لأقصعته أو لعسقرته. فقال رسول الله ﷺ: يأتي أحدكم بما يملك فيقول هذه صدقة ثم يقعد يتكفف الناس خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى. وفي رواية أخرى: أخذ عنا مالك لأحاجة لنا به وروى أبو داود من حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه، قال: دخل رجل المسجد فأمر رسول الله ﷺ أن يطرحوا ثياباً فطرحوا. فأمر له منها بثوبين ثم حث على الصدقة. فجاء فطرح أحد الثوبين فصاح به: خذ ثوبك.

قال المصنف: ونقلت من نخط أبي الوفاء بن عقيل. قال قال ابن شاذان دخل جماعة من الصوفية على الشبلي، فأنفذ إلى بعض المياسير يسأله مالا ينفقه عليهم، فرد الرسول وقال بسا أبا بكر. أنت تعرف الحق فهلا طلبت منه، فقال للرسول: إرجع إليه وقل له الدنيا سفلة أطلبها من سفلة مثلك واطلب الحق من الحق. فبعث إليه بمائة دينار. قال ابن عقيل: ان كان أنفذ إليه المائة دينار للاقتداء من هذا الكلام القبيح وأمثاله. فقد أكل الشبلي الخبيث من الرزق وأطعم أضيافه منه.

فصل

وقد كان لبعضهم بضاعة فأنفقها وقال. ما أريد أن تكون ثقتي إلا بالله وهذا قلة فهم لأنهم يظنون أن التوكل قطع الأسباب وإخراج الأموال. أخبرنا التراز قال أخبرنا الخطيب قال أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال أنبأنا جعفر الخلدي في كتابه قال سمعت الجنيد يقول دقت على أبي يعقوب الزيات بابه في جماعة من أصحابنا. فقال: ما كان لكم شغل في الله عز وجل يشغلكم عن المجيء إليّ، فقلت له: إذا كان مجيئنا إليك من شغلنا به فلم نتقطع عنه: فسأله عن مسألة في التوكل فأخرج درهما كان عنده ثم أجابني، فأعطى التوكل حقه ثم قال: استحييت من الله أن أجيبك وعندى شيء.

قال المصنف: لو فهم هؤلاء معنى التوكل وأنه ثقة القلب بالله عز وجل لإخراج صور المال. ما قال هؤلاء هذا الكلام. ولكن قل فهمهم وقد كان سادات الصحابة والتابعين يتجرون ويجمعون الأموال وما قال مثل هذا أحد منهم. وقد روينا عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه. أنه قال حين أمر بترك الكسب لأجل شغله بالخلافة، فمن أين أطمع عيالى. وهذا القول منكر عند الصوفية يخرجون قائله من التوكل وكذلك ينكرون على من قال هذا الطعام يضرى. وقد رووا فى ذلك حكاية عن أبى طالب الرازى قال. حضرت مع أصحابنا فى موضع فقدموا اللبن وقال لى كل فقلت لا آكله فانه يضرنى فلما كان أربعين سنة صليت يوماً خلف المقام ودعوت الله عز وجل وقلت. اللهم انك تعلم أنى ما أشركت بك طرفة عين. فسمعت هاتفاً يهتف بى ويقول - ولايوم اللبن.

قال المصنف. وهذه الحكاية الله أعلم بصحتها- وأعلم أن من يقول هذا يضرنى. لا يريد أن ذلك يفعل بنفسه وإنما يريد أنه سبب الضرر كما قال الخليل صلوات الله وسلامه عليه. «رب إنهن أضللن كثيراً من الناس». وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال ما نفعنى مال كمال أبى بكر. وقوله - ما نفعنى تقابل لقول القائل - ما ضرنى. ويصح عنه أنه قال. ما زالت آكله خبير تعادنى فهذا أو ان قطعت أبهرى. وقد ثبت أنه لارتبة أولى من رتبة النبوة وقد نسب النفع إلى المال والضرر إلى الطعام فالتحاشى عن سلوك طريقه ﷺ تعاط على الشريعة فلا يلتفت إلى هذيان من هذى فى مثل هذا.

فصل

قال المصنف: وقد بينا أنه كان أوائل الصوفية يخرجون من أموالهم رهداً فيها. وذكرنا أنهم قصدوا بذلك الخير إلا أنهم غلطوا فى هذا الفعل. كما ذكرناه من مخالفتهم بذلك الشرع والعقل. فأما متأخروهم فقد مالوا إلى الدنيا وجمع المال من أى وجه كان إيثارة للراحة وحباً للشهوات. فمنهم من يقدر على الكسب ولا يعمل ويجلس فى الرباط أو المسجد ويعتمد على صدقات الناس وقلبه معلق بطرق الباب. ومعلوم ان

الصدقة لا تحل لغنى ولا لذى مرة سوى ولا يبالون من بعث اليهم فربما بعث الظالم والماكس فلم يردوه. وقد وضعوا فى ذلك بينهم كلمات منها تسمية ذلك- بالفتوح ومنها ان زرقنا لا بد ان يصل اليها. ومنها انه من الله فلا يرد عليه ولا نشكر سواه. وهذا كله خلاف الشريعة وجهل بها وعكس ما كان السلف الصالح عليه. فان النبي ﷺ قال. الحلال بين والحرام بين وببيهما متشبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه وقد قاء أبو بكر الصديق رضى الله عنه من أكل التبهة وكان الصالحون لا يقبلون عطاء ظالم ولا يمن فى ماله شبهة. وكثير من السلف لم يقبل صلة الإخوان عفاً وتترهاً وعن أبي بكر المروزي قال ذكرت لأبي عبد الله رجلاً من المحدثين فقال رحمة الله أى رجل كان لولا خلة واحدة ثم سكت. ثم قال ليس كل الخلال يكملها الرجل فقلت له أليس كان صاحب سنة. فقال. لعمرى لقد كتبت عنه ولكن خلة واحدة كان لا يبالى عن أخذ.

قال المصنف: ولقد بلغنا ان بعض الصوفية دخل على بعض الأمراء الظلمة فوعظه فأعطاه شيئاً فقبله. فقال الأمير كلنا صيادون وإنما الشباك تختلف ثم أين هؤلاء من الأنفة من الميل لسلدنيا فان النبي ﷺ قال اليد العليا خير من اليد السفلى- واليد العليا من المعطية هكذا فسره العلماء وهو الحقيقة وقد تأوله بعض القوم فقال العليا هى الآخذة قال ابن قتيبة ولا أرى هذا إلا تأويل قوم استطابوا السؤال.

فصل

قال المصنف: ولقد كان أوائل الصوفية ينظرون فى حصول الأموال من أى وجه ويفتشون عن مطاعمهم وسئل احمد بن حنبل عن السرى السقطى فقال الشيخ المعروف بطيب المطعم وقال السرى صحبت جماعة إلى الغزو بنا فاكترينا داراً فنصبت فيها تنوراً فتورعوا أن يأكلوا من خبز ذلك التنور فأما من يرى ما قد تجدد من صوفية زماننا من كونهم لا يبالون من أين أخذوا فانه يعجب. ولقد دخلت بعض الأربطة فسألت عن شيخه فقيل لى قد مضى إلى الأمير فلان يهتته بخلعة وقد خلعت عليه وكان

ذلك الأمير من كبار الظلمة فقلت ويحكم ماكماكم أن فتحتم الدكان حتى تطوفون على رءوسكم بالسلع يقعد أحدكم عن الكسب مع قدرته عليه معولا على الصدقات والصلوات ثم لا يكفيه حتى يأخذ ممن كان ثم لا يكفيه حتى يدور على الظلمة فيستعطي سنهم ويهتهم بملبوس لا يحل وولاية لا عدل فيها والله انكم أضمر على الإسلام من كل مضر.

فصل

قال المصنف: وقد صار جماعة من أشياخهم يجمعون المال من الشبهات ثم ينقسمون فمنهم من يدعى الزهد مع كثرة المال وحرصه على الجمع وهذه الدعوى مضادة للحال ومنهم من يظهر الفقر مع جمعه المال وأكثر هؤلاء يضيقون على الفقراء بأخذهم الزكاة ولا يجوز لهم ذلك وقد كان أبو الحسن البسطامي شيخ رباط ابن الميجان يلبس الصوف صيفا وشتاء وتقصده الناس يتبركون به فمات فخلف أربعة آلاف دينار.

قال المصنف: وهذا فوق القبيح وقد صح عن النبي ﷺ أن رجلا من أهل الصفة مات فخلف دينارين فقال ﷺ كيتان.

ذكر تليس إبليس على الصوفية في لباسهم

قال المصنف: لما سمع أوائل القوم ان النبي ﷺ كان يرقع ثوبه وأنه قال لعائشة رضي الله عنها لا تخلعي ثوبا حتى ترقعيه وان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان في ثوبه رقاع وان اويسا القرني كان يلتقط الرقاع من المزابل فيغسلها في الفرات ثم يخيطنها فيلبسها اختاروا المرقعات وقد أبعدها في القياس فان رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا يؤثرون البذاذة ويعرضون عن الدنيا زهداً وكان أكثرهم يفعل هذا لأجل الفقر كما روينا عن مسلمة بن عبد الملك انه دخل على عمر بن العزيز وعليه قميص وسخ فقال لامرأته فاطمة اغسلي قميص أمير المؤمنين فقالت والله ماله قميص غيره. فأما إذا لم يكن هذا لفقر وقصد البذاذة فما له من معنى.

فصل

قال المصنف: فأما صوفية رمانا فانهم يعمدون إلى ثوبين أو ثلاثة كل واحد منهما على لون فيجعلوها خرقا ويلفقونها فيجمع ذلك الثوب

وصفين الشهرة والشهوة فان لبس مثل هذه المرقعات أشهى عند خلق كثير من الديباج وبها يشتهر صاحبها انه من الزهاد افتراهم يصيرون بصورة الرقاع كالسلف كذا قد ظنوا وان إبليس قد لبس عليهم وقال أنتم صوفية لأن الصوفية كانوا يلبسون المرقعات وأنتم كذلك أتراهم ما علموا ان التصوف معنى لاصورة وهؤلاء قد فاتهم التشبيه فى الصورة والمعنى أما الصورة فان القدماء كانوا يرقعون ضرورة ولا يقصدون التحسن بالمرقع ولا يأخذون أثوابا جدداً مختلفة الألوان فيقطعون من كل ثوب قطعة ويلفقونها على أحسن التوقيع ويخيطونها ويسمونها مرقعة وأما عمر رضى الله عنه لما قدم بيت المقدس حين سأل القسيسون والرهبان عن أمير المسلمين فعرضوا عليهم أمراء العساكر مثل أبى عبيدة وخالد بن الوليد وغيرهما، فقالوا، ليس هذا المصور عندنا، ألكم أميراً ولا، فقالوا، لنا أمير غير هؤلاء، فقالوا هو أمير هؤلاء، قالوا، نعم هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فقالوا ارسلوا اليه ننظره فان كان هو سلمنا اليكم من غير قتال وان لم يكن هو فلا، فلو حاصرتونا ما تقدرن علينا فأرسلوا المسلمين إلى عمر رضى الله عنه واعلموه بذلك فقدم عليهم وعليه ثوب مرقع سبع عشرة رقعة بينها رقعة من اديم فلما رأوه الروحانية والقسوس على هذه الصفة سلموا بيت المقدس اليه من غير قتال، فأين هذا مما يفعله جهال الصوفية فى زماننا فنسأل الله العفو والعافية، وأما المعنى فان أولئك كانوا أصحاب رياضة وزهد.

فصل

قال المصنف: ومن هؤلاء المذمومين من يلبس الصوف تحت الثياب وليوح بكمه حتى يرى لباسه. وهذا لص ليلى، ومنهم من يلبس الثياب اللينة على جسده ثم يلبس الصوف فوقها وهذا لص نهارى مكشوف. وجاء آخرون فأرادوا التشبه بالصوفية وصعب عليهم البذاذة وأحبوا التنعم ولم يروا الخروج من صورة التصوف لثلا يتعطل المعاش فلبسوا الفوط الرفيعة واعتموا بالرومى الرفيع إلا انه بغير طراز فالقميص والعمامة على أحدهم بثمن خمسة أثواب من الحرير.

وقد لبس إبليس عليهم انكم صوفية بنفيس النفس . وإنما أرادوا أن يجمعوا بين رسوم التصوف وتنعم أهل الدنيا . ومن علاماتهم مصادقة الأمراء ومنازقة الفقراء كبراً وتعظيماً . وقد كان عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه يقول : يا بني إسرائيل : مالكم تأتونني وعليكم ثياب الرهبان ، وقلوبكم قلوب الذئاب الضواري . لبسوا لباس الملوك والينوا قلوبكم بالخشية .

وأخبرنا محمد بن أبي القاسم قال أخبرنا حمد بن أحمد الحداد قال أخبرنا أبو نعيم الحافظ ثنا أحمد بن جعفر بن معبد ثنا يحيى بن مطرف ثنا أبو ظفر ثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار ، قال . ان من الناس ناساً اذا لقوا القراء ضربوا معهم بسهم ، واذا لقوا الجبابرة وأبناء الدنيا أخذوا معهم بسهم ، فكونوا من قراء الرحمن بارك الله فيكم .

أخبرنا محمدنا حمدنا أبو نعيم ثنا الحسين بن محمد بن العباس الفقيه ثنا أحمد بن محمد اللالى ثنا أبو حاتم ثنا هدية ثنا حزم . قال سمعت مالك بن دينار يقول : انكم في زمان أشهب لا يبصر زمانكم إلا البصير . انكم في زمان كثير تفاحشهم قد انتفخت ألسنتهم في أفواههم فطلبوا الدنيا بعمل الآخرة فاحذروهم على أنفسكم لا يوقعوكم في شباكهم .

أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالا أخبرنا حمد بن أحمد نا أحمد ابن عبد الله الحافظ ثنا أحمد بن جعفر بن حمدان ثنا عبد الله بن أحمد ثنى مهني الشامي ثنا ضمرة عن سعيد بن شبل قال : نظر مالك بن دينار إلى شاب ملازم للمسجد فجلس إليه . فقال له : هل لك أن أكلم بعض العشارين يجرون عليك شيئاً وتكون معهم ، قال : ماشئت يا أبا يحيى : قال فأخذ كفاً من تراب فجعله على رأسه .

أخبرنا المحمدان قالا نا حمد نا أحمد ثنا قارون بن عبد الكبير الخطابي ثنا هشام بن علي السيرافي ثنا قطن بن حماد بن واقد ثنا أبي ثنا مالك بن دينار . قال : كان فتى يتفري فكان يأتيني . فابتلى : فولى الجسر فينما هو يصلى إذ مرت سفينة فيها بط . فنادى بعض أعوانه : قرب لناخذ للعامل بطة : فأشار بيده سبحانه الله أي بطتين قال فكان أبي اذا حدث

بهذا الحديث بكى وأضحك الجلساء .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعيد بن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت محمد بن خفيف يقول قلت لرويم أوصني فقال هو بذل الروح وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية . أخبرنا بن ناصر نا أبو عبد الله الحميدى نا أبو بكر احمد بن محمد الأردستاني ثنا عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبي يقول بلغنى ان رجلا قال للشبلى: قد ورد جماعة من أصحابك وهم فى الجامع فمضى فرأى عليهم المرقعات والقوط فأنشأ يقول:

أما الخيام فانها كخيامهم وأرى نساء الحى غير نساها
قال المصنف: رحمه الله قلت واعلم ان هذه البهجة فى تشبيه هؤلاء بأولئك لاتخفى إلا على كل غبى فى الغاية . فاما أهل الفطنة فيعلمون أنه تميس بارد والأمر فى ذلك على نحو قول الشاعر:

تشبهت حور الظباء بهم أن سكنت فيك ولا مثل سكن
أصامت بناطق وناظر بآنس وذو نخلأ بذى شجن
مشتبه أعرفه وإنما مغالطا قلت لصحبي دار من

فصل

قال المصنف: وإنما أكره لبس القوط المرقعات لأربعة أوجه أحدها انه ليس من لباس السلف وإنما كان السلف يرقعون ضرورة . والثانى أنه يتضمن إدعاء الفقر وقد أمر الانسان ان يظهر نعمة الله عليه . والثالث انه إظهار للزهد وقد أمرنا بستره . والرابع انه تشبه بهؤلاء المترحزين عن الشريعة ومن تشبه بقوم فهو منهم .

وقد أخبرنا ابن الحسين نا بن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله ابن احمد ثنى أبى ثنا أبو النصر ثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ثنا حسان بن عطية عن أبى منيب الحرسى عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ من تسبه بقوم فهو منهم وقد أنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمد ابن طاهر قال أخبرنى أبى . قال: لما دخلت بغداد فى رحلتى الثانية قصدت الشيخ أبا

محمد عبد الله بن احمد السكري لأقرأ عليه أحاديث- وكان من المنكرين على هذه الطائفة - فأخذت في القراءة فقال أيها الشيخ انك لو كنت من هؤلاء الجهال الصوفية لعذرتك. أنت رجل من أهل العلم تشتغل بحديث رسول الله ﷺ وتسعى في طلبه. فقلت. أيها الشيخ وأي شيء أنكرت على حتى أنظر فان كان له أصل في الشريعة لزمته، وان لم يكن له أصل في الشريعة تركته فقال ماهذه الشوارك التي في مرقعتك فقلت أيها الشيخ هذه أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما تخبر أن رسول الله ﷺ كان له جبة مكفوفة الجيب والكمين والفرجين بالديباج وإنما وقع الانكار لأن هذه الشوارك ليست من جنس الثوب والديباج ليس من الجبة فاستدلنا بذلك على أن لهذا أصلا في الشرع يجوز مثله.

قال المصنف: قلت لقد أصاب السكري في إنكاره وقل فقه ابن طاهر في الرد عليه فان الجبة المكفوفة الجيب والكمين قد جرت العادة بلبسها كذلك فلا شهرة في لبسها. فأما الشوارك فتجمع شهرة الصورة، وشهرة دعوى الزهد. وقد أخبرتك انهم يقطعون الثياب الصالح ليجعلوها شوارك لا عن ضرورة يقصدون الشهرة لحسن ذلك والشهرة بالزهد ولهذا وقعت الكراهية. وقد كرهها جماعة من مشايخهم كما بينا.

أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامري نا أبو سعد بن أبي صادق ثنا أبو عبد الله ابن باكويه قال سمعت الحسين بن أحمد الفارسي يقول سمعت الحسين ابن هند يقول سمعت جعفر الخذاء يقول: لما فقد القوم الفوائد من القلوب اشتغلوا بالظواهر وتزينها يعنى بذلك - أصحاب المصبغات والقوط- أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبي صادق ثنا بن باكويه أخبرنا أبو يعقوب الخراط. قال سمعت الثوري يقول: كانت المرقعات غطاء على الدر فصارت جيفاً على مزابل قال ابن باكويه: وأخبرني أبو الحسن الحظلي. قال نظر محمد بن محمد ابن علي الكتاني إلى أصحاب المرقعات فقال: إخواني ان كان لباسكم موافقا لسرايركم لقد أحبيتم أن يطلع الناس عليها، وان كانت مخالفة لسرايركم فقد هلكتم ورب الكعبة. أخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا أبو بكر بن خلف ثنا محمد بن الحسين

السلمى . قال سمعت نصر بن أبى نصر يقول : قال أبو عبد الله محمد بن عبد الخالق الدينورى لبعض أصحابه . لا يعجبك ماترى من هذه اللبسة الظاهرة عليهم ، فما زينوا الظواهر إلا بعد أن خربوا البواطن . وقال ابن عقيل . دخلت يوماً الحمام فرأيت على بعض أوتاد السلخ جبة مشوزكة مرقعة بفسوط . فقلت للحمامى . أرى سلخ الحية . فمن داخل . فذكر لى بعض من يتصفف للبلاء حوشاً للأموال .

فصل

قال المصنف : وفى الصوقية من يرقع المرقعة حتى تصير كثيفة خارجة عن الحد أخبرنا أبو منصور القزار قال أخبرنا أحمد بن على بن ثابت نا القاضى أبو محمد الحسن بن رامين الأسدي أبادى نا أبو محمد عبد الله بن محمد الشيرازى نا جعفر الخالدى ثنا بن نجاب أبو الحسين صاحب ابن الكرىنى قال أوصى لى ابن الكرىنى بمرقعة فوزنت فردة كم من أكمامها فاذا فيه أحد عشر وطلاء قال جعفر ، وكانت المرقعات تسمى فى ذلك الوقت الكيل .

فصل

وقد قرروا أن هذه المرقعة لاتلبس إلا من يد شيخ . وجعلوا لها إسناداً متصلًا كله كذب ومحال وقد ذكر محمد بن طاهر فى كتابه فقال باب السنة فى لبس الخرقه من يد الشيخ فجعل هذا من السنة واحتج بحديث أم خالد ان النبى ﷺ أتى بثياب فيها خميصة سوداء فقال من ترون أكسو هذه فسكت القوم : فقال رسول الله ﷺ اتتونى بأم خالد ، قالت فأتى بى فألبسنيها بيده . وقال . أبلى وأخلقى .

قال المصنف : وإنما ألبسها رسول الله ﷺ لكونها صبية . وكان أبوها خالد بن سعيد ابن العاص ، وأمها همينة بنت خلف . قد هاجروا إلى أرض الحبشة فولدت لهما هناك أم خالد واسمها أمة ثم قدموا فأكرمها رسول الله ﷺ لصغر سنها وكما اتفق فلا يصير هذا سنة . وما كان من عادة رسول الله ﷺ إلباس الناس . ولا فعل هذا أحد من أصحابه ولا تابعيهم .

تم ليس من السنة عند الصوفية أن يلبس الصغير دون الكبير ولا أن تكون الخرقه سوداء بل مرقعة أو فوطة فهلا جعلوا السنة لبس الخرق السود كما جاء فى حديث أم خالد، وذكر محمد بن طاهر فى كتابه فقال: باب السنة فيما شرط الشيخ على المرید فى لبس المرقعة. واحتج بحديث عبادة، بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى العسر واليسر، قال المصنف فانظر إلى هذا الفقه الدقيق، وأين اشتراط الشيخ على المرید من اشتراط رسول الله ﷺ الواجب الطاعة على البيعة الاسلامية اللازمة.

فصل

وأما لبسهم المصبغات. فانها ان كانت زرقاء فقد فاتهم فضيلة البياض، وان كانت فوطا فهو ثوب شهرة وشهرته أكثر من شهرة الأزرق وان كانت مرقعة فهي أكثر شهرة. وقد أمر الشرع بالثياب البيض ونهى عن لباس الشهرة. فأما أمره بالثياب البيض فأخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن ابن على التميمى نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله بن احمد بن حنبل ثنى أبى ثنا على ابن عاصم نا عبد الله بن عثمان بن حيثم عن سعيد بن خبير عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال قال رسول الله ﷺ البسوا من ثيابكم البيض فإنها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم، قال عبد الله، وحدثنى أبى ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان ثنى حبيب بن أبى ثابت عن ميمون بن أبى شبيب عن سمرة بن جندب عن النبى ﷺ قال: البسوا الثياب البيض فإنها أطهر وأطيب. وكفنوا فيها موتاكم، قال الترمذى. هذان حديثان صحيحان، وفى الباب عن ابن عمر، قال، وهذا الذى يستحبه أهل العلم، وقال احمد بن حنبل واسحاق، أحب الثياب الينا أن نكفن فيها البياض، وقد ذكر محمد بن طاهر فى كتابه فقال، باب السنة فى لبسهم المصبغات، واحتج بأن النبى صلوات الله عليه وسلامه، لبس حلة حمراء، وانه دخل يوم الفتح، وعليه عمامة سوداء.

قال المصنف: قلت: ولا ينكر أن رسول الله ﷺ لبس هذا ولا أن لبسه غير جائز. وقد روى انه كان يعجبه الحبرة. وإنما المسنون الذى يأمر به ويداوم عليه وقد كانوا يلبسون الأسود والأحمر، فأما الفوط والرقع فانه

لبس شهرة.

فصل

وأما النهى عن لباس الشهرة وكراهته . فأخبر أبو منصور ابن خيرون أنبأنا أبو بكر الخطيب نا ابن ررقويه ثنا جعفر بن محمد الخلدي ثنا محمد بن عبد الله أبو جعفر الحضرمي ثنا روح بن عبد المؤمن ثنا وكيع بن مبرز الشامي ثنا عثمان بن جهم عن زر بن حبيش عن أبي ذر . عن النبي ﷺ انه قال من لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه حتى يضعه . أخبرنا عبد الحق ابن عبد الخالق قال أنبأنا المبارك ابن عبد الجبار نا أبو الفرج الحسين بن علي الطناجيري وأنبأنا هبة الله بن محمد أنبأنا الحسين بن علي التميمي قالا أخبرنا أبو حفص بن شاهين ثنا خثيمة بن سليمان بن حيدرة ثنا محمد بن الهيثم ثنا أحمد ابن أبي شعيب الحراني ثنا مجلد بن يزيد عن أبي نعيم عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة وزيد بن ثابت رضي الله عنهما عن النبي ﷺ . أنه نهى عن الشهرتين فقليل يارسول الله وما الشهرتان ؟ قال : رقة الثياب وغلظها . وليها وخشونتها وطولها وقصرها ولكن سداد بين ذلك واقتصاد . أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد بن علي بن ميمون نا عبد الوهاب بن محمد الغندجاني نا أبو بكر بن عبدان نا منحمم بن سهل ثنا محمد بن اسماعيل البخاري . قال . قال موسى بن حماد بن سلمة عن ليث عن مهاجر عن ابن عمر قال من لبس ثوبا مشهوراً أذله الله يوم القيامة .

قال المصنف . وقد روى لنا مرفوعاً قال أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد ابن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبي ثنا حجاج ثنا شريك عن عثمان بن أبي راشد عن مهاجر الشامي عن ابن عمر . قال قال رسول الله ﷺ . من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب المذلة يوم القيامة . أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار وعبد القادر ابن محمد بن يوسف قالا أخبرنا أبو اسحاق البرمكي نا أبو بكر بن نجيب ثنا أبو جعفر ابن ذريح ثنا هناد ثنا أبو معاوية عن ليث عن مهاجر بن أبي الحسن عن ابن عمر رضي الله عنه قال : من لبس ثوب شهرة من الثياب ألبسه الله ثوب

ذلة . وعن ليث عن شهر عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال من ركب مشهوراً من الدواب أعرض الله عنه مادام عليه وإن كان كريماً .

قال المصنف: وقد روينا أن ابن عمر رضى الله عنهما رأى على ولده ثوباً قبيحاً دوناً فقال لا تلبس هذا . فان هذا ثوب شهرة . أخبرنا اسماعيل ابن أحمد نا اسماعيل بن مسعدة نا حمزة بن يوسف نا أبو أحمد بن عدى ثنا أحمد بن محمد بن الهيثم الدورى ثنا محمد بن على بن الحسن بن شقيق قال حدثنا محمد بن مزاحم ثنا بكير بن معروف عن مقاتل بن بريدة عن أبيه بريدة قال شهدت مع رسول الله ﷺ فتح خيبر وكنت فيمن صعد الثلثة فقاتلت حتى رأى مكانى وأتيت وعلى ثوب أحمر . فما علمت انى ركبت فى الاسلام ذنباً أعظم منه للشهرة وقال سفيان الثورى . كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجياد التى يشتهر بها ويرفع الناس اليه فيها أبصارهم والثياب الرديئة التى يحتقر فيها ويستبدل ، وقال معمر . عاتبت أيوب على طول قميصه . فقال . إن الشهرة فيما مضى كانت فى طوله وهى اليوم فى تشميره .

فصل

قال المصنف: ومن الصوفية من يلبس الصوف ويحتج بأن النبى ﷺ لبس الصوف . وبما روى فى فضيلة لبس الصوف ، فأما لبس رسول الله ﷺ الصوف فقد كان يلبسه فى بعض الأوقات لم يكن لبسه شهرة عند العرب . وأما ما يروى فى فضل لبسه فمن الموضوعات التى لا يثبت منها شئ . ، ولا يخلو لبس الصوف من أحد أمرين : اما أن يكون متعوداً لبس الصوف وما يجانسه من غليظ الثياب فلا يكره ذلك له لأنه لا يشهر به . واما أن يكون مترفاً لم يتعوده فلا ينبغى له لبسه من وجهين . أحدهما أنه يحمل بذلك على نفسه مالا تطيق ولايجوز له ذلك والثانى أنه يجمع بلبسه بين الشهرة وإظهار الزهد . وقد أخبرنا حمد بن منصور الهمدانى نا أبو على أحمد بن سعد بن على العجلي نا أبو ثابت هجير بن منصور بن على الصوفى إجازة ثنا أبو محمد جعفر ابن محمد بن الحسن بن اسماعيل الأبهري ثنا روزبه ثنا محمد بن اسماعيل بن محمد الطائى ثنا بكر بن

سهل الدمياطى ثنا محمد بن عبد الله بن سليمان ثنا داود ثنا عباد ابن
العوام عن عباد بن كثير عن أنس قال قال رسول الله ﷺ من لبس
الصفوف ليعرفه الناس كان حقاً على الله عز وجل أن يكسوه ثوباً من جرب
حتى تتساقط عروقه . أنبأنا زاهر ابن طاهر قال أنبأنا أبو عثمان الصابوني
وأبو بكر البيهقي قالا أخبرنا أبو عبد الله محمد ابن عبد الله الحاكم ثنا أبو
اسحاق ابراهيم بن محمد بن يحيى ثنا العباس بن منصور ثنا سهل بن
عمار ثنا نوح بن عبد الرحمن الصيرفي ثنا محمد بن عبيد الهمداني ثنا
عباد ابن منصور عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال قال
رسول الله ﷺ ان الأرض لتعج إلى ربها من الذين يلبسون الصفوف رياء .
أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن على التميمي ثنا
أحمد ابن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبي ثنا عبد الصمد ثنا خالد بن
شوذب قال شهدت الحسن وأتاه فرقد فأخذ الحسن بكسائه فمده إليه وقال
ياقر يقديا ابن أم فريقد . ان البر ليس فى هذا الكساء وإنما البر ما قر فى
الصدر وصدقه العمل . أنبأنا محمد بن عبد الباقي نا أبو محمد الجوهري
نا أبو عمر بن حياة نا أحمد ابن زهير نا الحسين بن الفهم ثنا محمد
بن سعد قال حدثنا عمرو بن عاصم ثنا يزيد بن عوانة ثنا أبو شداد
المجاشعي . قال : سمعت الحسن - وذكر عنده الذين يلبسون الصفوف -
فقال . مالهم تعاقدوا ثلاثاً أكنوا الكبر فى قلوبهم ، وأظهروا التواضع فى
لباسهم . والله لأحدهم أشد عجباً بكسائه من صاحب المطرف بمطرفه .
أنبأنا ابن الحسين أنبأنا أبو على التميمي نا أبو حفص بن شاهين ثنا محمد
بن سعيد بن يحيى البزورى ثنا عبد الله بن أيوب المخرمى قال حدثنا عبد
المجيد يعنى ابن أبى رواد عن ابن طهمان يعنى ابراهيم عن أبى مالك
الكوفى عن الحسن أنه جاء ممن يلبس الصفوف وعليه جبه صوف وعمامة
صوف ورداء صوف فجلس فوضع بصره فى الأرض فجعل لا يروغ رأسه
وكأن الحسن خال فيه العجب . فقال الحسن ها إن قوماً جعلوا كبرهم فى
صدورهم شنعوا والله دينهم بهذا الصفوف . ثم قال إن رسول الله ﷺ
كان يتعوذ من رى المنافقين . قالوا يا أبا سعيد وما رى المنافقين؟ . قال :

خشوع اللباس بغير خشوع القلب. قال ابن عقيل هذا كلام رجل قد عرف الناس ولم يعره اللباس. ولقد رأيت الواحد من هؤلاء يلبس الجبة الصوف. فاذا قال له القاتل. يا أبا فلان. ظهر منه ومن أو باشه الإنكار فعلم أن الصوف قد عمل عند هؤلاء ما لا يعمله الديباج عند الأوباش. أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد نا حمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ ثنا أبو حامد بن جبلة ثنا محمد بن اسحاق ثنا اسماعيل بن أبي الحارث ثنا هارون بن معروف عن ضمرة قال سمعت رجلا يقول قدم حماد بن أبي سليمان البصرة فجاءه فرقد السنجى وعليه ثوب صوف فقال له حماد ضع عنك نصرانيتك هذه. فلقد رأيتنا ننتظر ابراهيم يعنى النخعي فيخرج علينا وعليه معصفرة. أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا عبد الله بن محمد ثنا ابراهيم بن شريك الأسدي ثنا شهاب بن عباد ثنا حماد عن خالد الحذاء ان أبا قلابة قال. إياكم وأصحاب الأكسية. أخبرنا محمد ابن ناصر وعمر بن طفر قال نا محمد بن الحسن الباقلاوى نا القاضي أبو العلاء الواسطى ثنا أبو نصر احمد ابن محمد الساركي نا أبو الخير احمد بن حمد الزار ثنا محمد بن اسماعيل البخارى ثنا على بن حجر ثنا صالح ابن عمر الواسطى عن أبي خالد قال. جاء عبد الكريم أبو أمية إلى أبي العالية وعليه ثياب صوف. فقال له أبو العالية. إنما هذه ثياب الرهبان ان كان المسلمون اذا تزاوروا تحملوا. أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا حمد بن أحمد نا أحمد ابن عبد الله الاصبهاني ثنا ابو محمد ابن حبان ثنا احمد بن الحسين الحذاء ثنا احمد بن ابراهيم الدورقي ثنا العيص بن اسحاق: قال سمعت الفضيل يقول. تزينت لهم بالصوف فلم ترهم يرفعون بك رأسا، تزينت لهم بالقرآن فلم ترهم يرفعون بك رأسا، تزينت لهم بشئ يعد شئ كل ذلك إنما هو لحب الدنيا. أنبأنا بن الحصين. قال نا أبو على بن المذهب قال أخبرنا أبو حفص بن شاهين قال ثنا اسماعيل بن على قال ثنا الحسن بن على بن شبيب قال ثنا احمد بن أبي الخوارى قال قال أبو سليمان: يلبس أحدهم عباءة بثلاثة دراهم ونصف. وشهوته فى قلبه بخمسة دراهم. أما يستحى أن يجاوز شهوته لباسه. ولو ستر زهده بثوبين أبيضين من أبصار

الناس كان أسلم له قال احمد بن أبي الخوارى قال لى سليمان ابن أبى سليمان - وكان يعدل بأبيه . أى شئ أرادوا بلباس الصوف . قلت .
التواضع . قال : لا يتكبر أحدهم الا اذا لبس الصوف نا الحسن بن الحسن بين الحسين العالى نا ابوا سعيد احمد بن محمد بن رميح ثنا روح أخبرنا المبارك بن احمد الانصارى نا عبد الله بن احمد السمرقندى ثنا أبو بكر الخطيب نا الحسن بن الحسين العالى نا أبو سعيد أحمد بن محمد بن رميح ثنا بن عبدالمجيب ثنا احمد بن عمر بن يونس قال أبصر الثورى رجلا صوفيا فقال له الثورى هذا بدعة . أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا حمد بن احمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا عبد المنعم بن عمر ثنا احمد بن محمد بن زياد . قال سمعت أبا داود يقول . قال سفيان الثورى لرجل عليه صوف لباسك هذا بدعة . أنبأنا زاهر بن طاهر . أنبأنا أبو بكر احمد ابن الحسين البيهقى نا أبو عبد الله محمد ابن عبد الله الحاكم قال أخبرنى محمد بن عمر ثنا محمد بن المنذر قال سمعت احمد بن شداد يقول سمعت الحسن بن الربيع يقول سمعت عبد الله بن المبارك يقول لرجل رأى عليه صوفاً مشهوراً - أكره هذا أكره هذا . أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه نى عبد الواحد ابن بكر ثنا على بن أبى عثمان بن زهير ثنا عثمان بن احمد ثنا الحسن بن عمرو . قال سمعت بشر بن الحارس يقول : دخل على الموصلى على المعافى - وعليه جبة صوف - فقال له : ماهذه الشهرة ياأبا الحسن . فقال يا أبا مسعود أخرج أنا وأنت . فانظر أيننا أشهر . فقال له المعافى : ليس شهرة البدن كشهرة اللباس . أخبرنا اسماعيل بن أبى بكر المقرئ نا طاهر بن احمد نا على بن محمد ابن بشر نا عثمان بن احمد الدقاق ثنا الحسن بن عمرو قال سمعت بشر بن الحارث يقول : دخل بديل على أيوب السختيانى وقد مد على فراشه سبئية حمراء تدفع التراب فقال بديل : ماهذا . فقال أيوب : هذا خير من الصوف الذى عليك . أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق قال أخبرنا ابو عبد الله بن باكويه ثنا علان بن احمد ثنا حبيب ابن الحسن ثنا الفضل بن احمد ثنا محمد بن يسار . قال سمعت بشر بن الحارث - وسئل عن لبس الصوف . فشق عليه وتبين

الكراهة في وجهه ثم قال: لبس الخنز والمعصفر أحب إليّ من لبس الصوف في الأمصار. أخبرنا يحيى بن ثابت بن بندار قال أخبرنا أبي نا الحسين بن علي الطناجيري نا احمد ابن منصور البرسري ثنا محمد بن مخلد ثنا احمد بن منصور ثنى يزيد السقا رفيق محمد ابن ادريس الانباري. قال رأيت فتى عليه مسوح قال فقلت له من لبس هذا من العلماء. من فعل هذا من العلماء، قال قد رأيت بشر بن الحارث فلم ينكر عليّ. قال يزيد فذهبت إلى بشر. فقلت له ياأبا نصر رأيت فلانا عليه جبة مسوح فأنكرت عليه فقال: قدرآنى ابو نصر فلم ينكر عليّ. قال: فقال لى بشر- لم تستشرنى ياأبا خالد. لو قلت له. لقال لى لبس فلان، ولبس فلان. أخبرنا احمد بن منصور الهمداني نا ابو على احمد بن سعد بن على العجلي نا أبو ثابت هجير بن منصور بن على الصوفى إجازة نا أبو محمد جعفر بن محمد بن الحسين بن اسماعيل الصوفى ثنا ابن روزبه ثنا عبدالله ابن أحمد بن نصر القنطري ثنا ابراهيم بن محمد الإمام ثنا هشام بن خالد، قال سمعت أبا سليمان الداراني يقول لرجل لبس الصوف، إنك قد أظهرت آلة الزاهدين، فماذا أورثك هذا الصوف، فسكت الرجل، فقال له: يكون ظاهره قطنياً وباطنك صوفياً. أخبرنا يحيى بن على المدبر نا أبو بكر محمد ابن على الخياط نا الحسن ابن الحسين بن حمکان سمعت أبا محمد الحسن بن عثمان ابن عبد ربه البزار يقول: سمعت أبا بكر بن الزيات البغدادي يقول سمعت ابن سيرويه يقول: دخل أبو محمد ابن أخى معروف الكرخي على ابى الحسن ابن بشار وعليه جبة صوف فقال له أبو الحسن: يا أبا محمد صوفت قلبك أو جسمك، صوف قلبك والبس القوهي على القوهي. أخبرنا عبد الوهاب ابن المبارك الحافظ نا جعفر ابن أحمد بن السواح نا عبد العزيز بن حسن الضراب قال: حدثنا أبى ثنا أحمد بن مروان ثنا أبو بكر بن أبى الدنيا ثنا أحمد ابن سعيد قال: سمعت النضر بن شميل يقول: قلت لبعض الصوفية، تبيع جبتك الصوف، فقال: إذا باع الصياد شبكته بأى شئ يصطاد.

قال أبو جعفر بن جرير الطبرى: ولقد أخطأ من أثر لباس الشعر والصوف على لباس القطن والكتان، مع وجود السبيل إليه من حله، ومن أكل البقول والعدس واختاره على خبز البر، ومن ترك أكل اللحم خوفاً من عارض شهوة النساء.

فصل

قال المصنف: وقد كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة لا المرتفعة ولا الدون. ويتخيرون أجودها للجمعة والعيد ولقاء الإخوان ولم يكن غير الأجود عندهم قبيحاً، وقد أخرج مسلم فى صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه، أنه رأى حلة سيرة تباع عند باب المسجد، فقال لرسول الله ﷺ لو اشتريتها ليوم الجمعة وللوفود إذا قدموا عليك، فقال رسول الله ﷺ إنما يلبس هذه من لاخلق له فى الآخرة فما أنكر عليه ذكر التجميل بها، وإنما أنكر عليه لكونها حريراً.

قال المصنف رحمه الله: وقد ذكرنا عن أبى العالية أنه قال: كان المسلمون إذا تزاوروا تجميلوا. أخبرنا أبو بكر بن عبد الباقي أبنانا الحسن بن على الجوهري نا أبو عمر بن حياة نا احمد بن معروف نا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا اسماعيل بن ابراهيم الأسدى عن ابن عون عن محمد قال: كان المهاجرون والأنصار يلبسون لباساً مرتفعاً، وقد اشترى تميم الدارى حلة بألف، ولكنه كان يصلى بها. قال ابن سعد وأخبرنا عفان ثنا حماد بن زيد ثنا أيوب عن محمد ابن سيرين أن تميماً الدارى اشترى حلة بألف درهم وكان يقوم فيها بالليل إلى صلاته. قال وحدثنا عفان قال حدثنا حماد ابن سلمة عن ثابت، أن تميماً الدارى كانت له حلة قد ابتاعها بألف كان يلبسها الليلة التى ترجى فيها ليلة القدر. وأخبرنا الفضل بن دكين ثنا همام عن قتادة أن ابن سيرين أخبره أن تميماً الدارى اشترى رداء بألف فكان يصلى بأصحابه فيه.

قال المصنف رحمه الله: قلت: وقد كان ابن مسعود من أجود الناس ثوباً وأطيبهم ريحاً، وكان الحسن البصرى يلبس الثياب الجياد، قال كلثوم بن جوشن خرج الحسن وعليه جبة يمنية ورداء يمنى فنظر إليه فرقد،

فقال : يا أستاذ لا ينبغي لمثلك أن يكون هكذا، فقال الحسن : يا ابن أم
فرقد أما علمت أن أكثر أصحاب النار أصحاب الأكسية وكان مالك بن
أنس يلبس الثياب العذنية الجياد وكان ثوب أحمد بن حنبل يشتري بنحو
الدينار وقد كانوا يؤثرون البذاذة إلى حد وربما لبسوا خلقان الثياب في
بيوتهم فإذا خرجوا تجملوا ولبسوا مالا يشتهرون به من الدون ولا من
الأعلى . أخبرنا أحمد بن منصور الهمداني نا أبو علي أحمد بن سعد
علي العجلي ثنا أبو ثابت هجير بن منصور ابن علي الصوفي إجازة نا أبو
محمد جعفر ابن محمد بن الحسين الصوفي ثنا ابن روزه ثنا أبو سليمان
محمد بن الحسين بن علي بن إبراهيم الحراني ثنا محمد بن الحسن بن
قتيبة ثنا محمد بن خلف ثنا عيسى بن حازم، قال : كان لباس إبراهيم بن
أدهم كتانا قطنا فروة لم أر عليه ثياب صوف ولا ثياب شهرة . أخبرنا
محمد بن أبي القاسم نا حمد ابن أحمد نا أبو نعيم أحمد بن عبد الله
قال : سمعت محمد بن إبراهيم يقول سمعت محمد بن ريان يقول : رأى
علي ذو النون خفياً أحمر . فقال انزع هذا يا بني فإنه شهرة ما لبسه رسول
الله ﷺ . إنما لبس النبي ﷺ خفين أسودين ساذجين . أخبرنا محمد
ابن ناصر نا محمد ابن علي بن ميمون نا عبد الكريم بن محمد المحاملي
نا علي بن عمر الدارقطني نا أبو الحسن أحمد بن محمد بن سالم نا
أبوسعيد عبد الله بن شبيب المدني ثنا الزبير عن أبي عرنة الأنصاري عن
فليح بن سليمان عن الربيع بن يونس قال قال أبو جعفر المنصور : العري
القادم من خير الزى الفاضح .

فصل

قال المصنف : واعلم أن اللباس الذي يزرى بصاحبه يتضمن إظهار
الزهد، وإظهار الفقر وكأنه لسان شكوى من الله عز وجل ويوجب احتقار
اللابس وكل ذلك مكروه ومنهى عنه . أخبرنا محمد بن ناصر نا علي بن
الحصين ابن أيوب نا أبو علي بن شاذان ثنا أبو بكر بن سليمان النجاد ثنا
أبو بكر ابن عبد الله ابن محمد القرشي ثنا عبد الله بن عمر القواريري ثنا
هشام بن عبد الملك ثنا شعبة عن ابن اسحاق عن الأحوص عن أبيه .

قال: أتيت رسول الله ﷺ وأنا قشف الهيئة، فقال: هل لك مال، قلت نعم قال من أى المال، قلت: من كل المال قد آتاني الله عز وجل من الأبل والخيل والرقيق والغنم، قال: فإذا آتاك الله عز وجل مالا فليسر عليك. أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبى ثنا مسكين بن بكير ثنى الأوراعى عن حسان بن عطية عن محمد بن المنكدر عن جابر، قال: أتانا رسول الله ﷺ رائرا فى منزلى فرأى رجلا شعثاً، فقال: أما كان يجد هذا مايسكن به رأسه، ورأى رجلا عليه ثياب وسخة، فقال: أما كان يجد هذا مايفسل به ثيابه أخبرنا عبدالوهاب بن المبارك ومحمد بن ناصر قالانا نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو محمد الحسن بن على الجوهري وأبو القاسم على ابن المحسن التنوخى قالانا نا أبو عمر محمد ابن العباس بن حياة ثنا أبو بكر بن الأنبارى ثنى أبى ثنا أبو عكرمة الضبى ثنا مسعود بن بشر عن أبى عبيدة معمر بن المثنى، قال: مضى على بن أبى طالب إلى الربيع بن زياد يعبده. فقال له: ياأمير المؤمنين أشكو إليك عاصما أخى، قال: ماشأنه، قال: ترك الملاذ ولبس العباءة فغم أهله، وأحزن ولده، فقال: على عاصما، فلما حضر بش فى وجهة وقال: أترى الله أحل لك الدنيا وهو يكره أخذك منها، انت والله أهون على الله من ذلك. فوالله لابتدالك نعم الله بالفعال! أحب إليه من ابتدالك بالمقال، فقال: يا أمير المؤمنين إنى أراك تؤثر لبس الخشن وأكل الشعير فتتنفس الصعداء. ثم قال ويحك يا عاصم، ان الله افترض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بالعوام لئلا يتبيع بالفقير فقره. قال أبو بكر الأنبارى: المعنى لئلا يزيد ويغلو، يقال - تبيع به الدم - إذا زاد وجاور الحد.

فصل

قال المصنف: فان قال قائل تجويد اللباس هوى للنفس. وقد أمرنا بمعاهدتها. وتزين للخلق وقد أمرنا أن تكون أفعالنا لله لا للخلق. فالجواب: انه ليس كل ماتهواه النفس يذم ولاكل التزين للناس يكره. وإنما ينهى عن ذلك إذا كان الشرع قد نهى عنه. أو كان على وجه الرياء

فى باب الدين فان الإنسان يجب أن يرى جميلاً وذلك حظ النفس ولا يلام فيه ولهذا يسرح شعره، وينظر فى المرأة، ويسوى عمامته، ويلبس بطانة الثوب الخشن إلى داخل. وظهارته الحسنة إلى الخارج. وليس فى شئ من هذا ما يكره ولا يذم. أخبرنا المبارك بن على الصيرفى نا على بن محمد بن العلاف نا عبد الملك بن محمد بن بشران نا أحمد ابن إبراهيم الكندى نا محمد بن جعفر الخرائطى ثنا بنان بن سليمان ثنا عبد الرحمن بن هانىء عن العلاء بن كثير عن مكحول عن عائشة قالت: كان نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه على الباب فخرج يريدهم، وفى الدار ركة فيها ماء. فجعل ينظر فى الماء ويسوى شعره ولحيته، فقلت يارسول الله وأنت تفعل هذا! قال نعم. إذا خرج الرجل إلى إخوانه فليهى من نفسه فان الله جميل يحب الجمال، أخبرنا محمد ابن ناصر أنبأنا عبد المحسن بن محمد بن على ثنا مسعود بن ناصر بن أبى زيد نا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أحمد نا أبو القاسم عبد الله بن أحمد الفقيه نا الحسن بن سفيان ثنا عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الله العزمى عن أبيه عن أم كلثوم عن عائشة قالت: خرج رسول الله ﷺ فمر بركة لنا فيها ماء فنظر إلى ظله فيها. ثم سوى لحيته ورأسه ثم مضى فلما رجع قلت يارسول الله تفعل هذا؟ قال: وأى شئ فعلت؟ نظرت فى ظل الماء فهيات من لحيتى ورأسى. إنه لا بأس أن يفعل الرجل المسلم إذا خرج إلى إخوانه أن يهين من نفسه.

قال المصنف رحمه الله: فان قيل، فما وجه ما رويتم عن سرى السقطى أنه قال: لو احسست بإنسان يدخل على فقلت كذا بلحيتى - وأمر يده على لحيته كأنه يريد ان يسويها من أجل دخول الداخل عليه - لحشيت أن يعذبني الله على ذلك بالنار. فالجواب: ان هذا محمول منه على انه كان يقصد بذلك الرياء فى باب الدين من إظهار التخشع وغيره. فأما إذا قصد تحسين صورته لئلا يرى منه مالا يستحسن فان ذلك غير مذموم. فمن اعتقده مذموماً فما عرف الرياء ولا فهم المذموم. أخبرنا سعد الخير بن محمد الأنصارى نا على بن عبد الله بن محمد النيسابورى نا أبو الحسين

عبد الغافر ابن محمد الفارسي نا محمد بن عيسى بن عمرويه ثنا ابراهيم ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم ابن الحجاج ثنا محمد بن المثنى ثنى يحيى ابن حماد قال . أخبرنا شعبة عن أبان بن تغلب عن فضيل الفقيمي عن ابراهيم النخعي عن علقمة عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال : لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر . فقال رجل : إن أهدنا يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة قال : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس . انفرد به مسلم ومعناه الكبر كبر في بطر الحق . وغمط بمعنى ازدري واحتقر .

فصل

وقال المصنف رحمه الله : وقد كان في الصوفية من يلبس الثياب المرتفعة . أخبرنا محمد بن ناصر نا ابو طاهر محمد بن احمد بن أبي الصقر نا على بن الحسن بن جحاف ، قال ابو عبد الله احمد بن عطاء ، كان أبو العباس ابن عطاء يلبس المرتفع من البز كالديبقي ، ويسبح بسبح اللؤلؤ ويؤثر ما طال من الثياب .

قال المصنف رحمه الله : قلت وهذا في الشهرة كالمرقعات وإنما ينبغي أن تكون ثياب أهل الخير وسطاً ، فانظر إلى الشيطان كيف يتلاعب بهؤلاء بين طرفي نقيض .

فصل

قال المصنف رحمه الله : وقد كان في الصوفية من إذا لبس ثوبا خرق بعضه . وربما أفسد الثوب الرقيق القدر . أخبرنا ابو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز نا ابو بكر احمد بن على بن ثابت نا الحسن بن غالب المقرئ قال : سمعت عيسى بن على الوزير يقول ، كان ابن مجاهد يوماً عند أبي ، فقيل له الشبلي ، فقال ، يدخل ، فقال ابن مجاهد ، سأسكته الساعة بين يديك ، وكان من عادة الشبلي إذا لبس شيئاً خرق فيه موضعاً ، فلما جلس ، قال له ابن مجاهد ، يا أبا بكر اين في العلم فساد ما ينتفع به فقال له الشبلي اين في العلم « فطفق مسحاً بالسوق والأعناق » قال فسكت ابن مجاهد ، فقال له أبي أردت أن تسكته فأسكتك ، ثم

قال له قد أجمع الناس إنك مقرئ الوقت فأين فى القرآن إن الحبيب لا يعذب حبيبه ، قال فسكت ابن تهاجد فقال له أبى: قل ياأبا بكر فقال قوله تعالى ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه، قل فلم يعذبكم بذنوبكم﴾ فقال ابن مجاهد، كأننى ماسمعتهما قط.

قال المصنف رحمه الله: قلت، هذه الحكاية أنا مرتاب بصحتها لأن الحسن ابن غالب كان لا يوثق به. أخبرنا القزار نا أبو بكر الخطيب، قال: ادعى الحسن ابن غالب أشياء تبين لنا فيها كذبه واختلافه، فإن كانت صحيحة فقد أبانت عن قلة فهم الشبلى حين احتج بهذه الآية. وقلة فهم ابن مجاهد حين سكت عن جوابه وذلك أن قوله «فطفق مسنحا بالسوق والأعناق». لأنه لا يجوز أن ينسب إلى نبي معصوم أنه فعل الفساد. والمفسرون قد اختلفوا فى معنى الآية، فمنهم من قال: مسح على اعناقها وسوقها، وقال: أتت فى سبيل الله، فهذا إصلاح، ومنهم من قال: عقرها، وذبح الخيل وأكل لحمها جائز فما فعل شيئا فيه جناح، فأما إفساد ثوب صحيح لا لغرض صحيح فإنه لا يجوز ومن الجائز أن يكون فى شريعة سليمان جواز مافعل ولا يكون فى شرعنا. أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ أنبأنا محمد بن أحمد بن أبى الصقر ثنا على بن الحسن ابن جحاف الدمشقى، قال أبو عبد الله أحمد بن عطاء كان مذهب أبى على الروزبارى تخريق أكمامه وتفتيق قميصه، قال فكان يخرق الثوب المثلثن فيرتدى بنصفه ويأثر بنصفه حتى أنه يدخل الحمام يوما وعليه ثوب ولم يكن مع أصحابه مايتأرون به، فقطعه على عددهم فاتزروا به وتقدم إليهم أن يدفعوا الخرق إذا خرجوا للحمامى، قال ابن عطاء: قال لى أبو سعيد الكازرونى: كنت معه فى هذا اليوم وكان الزداء الذى قطعه يقوم بنحو ثلاثين دينارا.

قال المصنف رحمه الله: ونظير هذ التفريط ماأنبأنا به زاهر بن طاهر قال أنبأنا أبو بكر البيهقى نا أبو عبد الله الحاكم قال سمعت عبد الله بن يوسف يقول سمعت أبا الحسن البوشنجى. يقول: كانت لى قبجة طلبت بمائة درهم فحضرنى ليلة غريبان فقلت للوالدة: عندك شئ لضيفى.

قالت. لا إلا الخبز. فذبحت القبجة وقدمتها اليهما.

قال المصنف رحمه الله: قد كان يمكنه أن يستقرض ثم يبيعها ويعطى فلقد فرط. أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن احمد قال أنبأنا رزق الله بن عبد الوهاب قال أنبأنا أبو عبد الرحمن السلمى. قال: سمعت جدى يقول: دخل أبو الحسين الدراج البغدادي الرى. وكان يحتاج إلى لفاف لرجله فدفع إليه رجل منديلا ديبقيا فشقه نصفين وتلفف به. فقيل له: لو بعته واشتريت منه لفاقا وأنفقت الباقي، فقال رحمه الله: أنا لأخون المذهب.

قال المصنف: وقد كان أحمد الغزالي ببغداد فخرج إلى المحول فوقف على ناعورة تان فرمى طيلسانه عليها فدارت فتقطع الطيلسان. قال المصنف رحمه الله قلت: فانظر إلى هذا الجهل والتفريط والبعد من العلم فإنه قد صح عن رسول الله ﷺ: أنه نهى عن إضاعة المال ولو أن رجلا قطع ديناراً صحيحاً وأنفقه كان عند الفقهاء مفراطاً فكيف بهذا التبذير المحرم. ونظير هذا تمزيقهم الثياب المطروحة عند الوجد على ماسياتى ذكره إن شاء الله ثم يدعون أن هذه حالة ولاخير فى حالة تنافى الشرع. أفتراهم عبيد نفوسهم أم أمروا أن يعملوا بأرائهم، فإن كانوا عرفوا أنهم يخالفون الشرع بفعلهم هذا ثم فعلوه أنه لعباد. وإن كانوا لا يعرفوا فلعمري أنه لجهل شديد. أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم احمد بن عبد ربه الحافظ. قال سمعت محمد ابن الحسين يقول سمعت عبد الله الرازى يقول: لما تغير الحال على أبى عثمان وقت وفاته. مزق ابنه أبو بكر قميصا كان عليه. ففتح أبو عثمان عينه. وقال يا بنى خلاف السنة فى الظاهر ورياء باطن فى القلب.

فصل

قال المصنف: وفى الصوفية من يسالغ فى تقصير ثوبه وذلك شهرة أيضاً. أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب ثنا احمد بن جعفر ثنا عبد الله ابن احمد ثنى أبى ثنا محمد بن أبى عدى عن العلاء عن أبيه. أنه سمع أبا سعيد: سئلى عن الارار فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ارار

المسلم إلى انصاف الساتين . لاجنح أولا حرج عليه وماينه وبين
الكعبين . وماكان أسفل من ذلك فهو النار . أخبرنا المحمدان بن ناصر
وابن عبد الباقي قالانا حمد بن احمد نا أبو نعيم احمد بن عبد الله ثنا
أبو حامد ابن جبلة ثنا محمد بن إسحاق ثنا إبراهيم بن بن سعيد
الجوهري . قال : كتب إلى عبد الرزاق عن معمر قال كان في قميص
أيوب بعض التذييل . فقيل له . فقال الشهرة اليوم في التشمير . وقد روى
إسحاق بن إبراهيم بن هانئ قال دخلت يوما على أبي عبد الله احمد بن
حنبل وعلى قميص أسفل من الركبة وفوق الساق . فقال . أي شيء هذا
وأنكره . وقال . هذا بالمرّة لا ينبغي .

فصل

قال المصنف: وقد كان في الصوفية من يجعل على رأسه خرقة مكان
العمامة وهذا أيضا شهرة لأنه على خلاف لباس أهل البلد وكل ما فيه
شهرة فهو مكروه . أخبرنا يحيى بن ثابت بن بندار نا أبي الحسين بن علي
الطناجيري نا احمد بن منصور البوسري ثنا محمد بن مخلد ثنا محمد
بن يوسف قال قال عباس بن عبد العظيم العنبري . قال بشر بن الحارث ،
إن ابن المبارك دخل المسجد يوم الجمعة وعليه قلنسوة ، فنظر الناس ليس
عليهم قلانس فأخذها فوضعها في كفه .

فصل

قال المصنف: وقد كان في الصوفية من استكثر من الثياب وسوسة
فيجعل للخلاء ثوبا وللصلاة ثوبا . وقد روى هذا عن جماعة منهم أبو
يزيد وهذا لا بأس به إلا أنه ينبغي خشية أو يتخذ سنة . أخبرنا محمد بن
أبي القاسم نا حمد بن احمد نا أبو نعيم احمد بن عبد الله ثنا أبو حامد
احمد بن محمد بن عبد الوهاب ثنا محمد بن إسحاق النيسابوري ثنا
محمد بن الصباح ثنا حاتم يعني ابن اسماعيل ثنا جعفر عن أبيه . أن
علي بن الحسين قال . يا بني لو اتخذت ثوبا للغائط . رأيت الذباب يقع
على الشيء ثم يقع على الثوب ، ثم أتيته ، فقال : ما كان لرسول الله
ﷺ ولا لأصحابه الا ثوب فرفضه .

فصل

قال المصنف: وقد كان فيهم من لا يكون له سوى ثوب واحد زهداً في الدنيا، وهذا أحسن إلا أنه إذا أمكن اتخاذ ثوب للجمعة والعيد كان أصلح واحسن. أخبرنا عبد الأول بن عيسى نا عبد الرحمن بن محمد بن المظفر نا عبد الله بن احمد ابن حياة نا إبراهيم بن حريم بن حميد ثنى ابن أبى شيبة ثناً محمد ابن عمر عن عبد الحميد بن جعفر عن محمد بن يحيى بن حبان عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه قال خطبنا رسول الله ﷺ فى يوم الجمعة فقال ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوب مهنته، أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا محمد الجوهري نا أبو عمر ابن حياة نا احمد بن معروف الحساب نا الحارث بن أبى أسامة ثناً محمد بن سعد نا محمد بن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن عبد المجيد ابن سهيل عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال محمد بن عمر وحدثنى غير محمد بن عبد الرحمن أيضاً ببعض ذلك قالوا كان لرسول الله ﷺ برد يمنية وازار من نسج عمان فكان يلبسهما فى يوم الجمعة ويوم العيد ثم يطويان.

ذكر تلبس إبليس على الصوفية فى مطاعهم ومشاربهم

قال المصنف رحمه الله: قد بالغ إبليس فى تلبسه على قدماء الصوفية فأمرهم بتقليل الطعام وخشونته ومنعهم شرب الماء البارد. فلما بلغ إلى المتأخرين استراح من التعب واشتغل بالتعجب من كثرة أكلهم ورفاهية عيشهم.

ذكر طرف مما فعله قداماؤهم

قال المصنف رحمه الله: كان فى القوم من يبقى الأيام لا يأكل إلا أن تضعف قوته. وفيهم من يتناول كل يوم الشئ اليسير الذى لا يقيم البدن فروى لنا عن سهل بن عبد الله أنه كان فى بدايته يشتري بدرهم دبساً وبدرهمين سمناً وبدرهم دقيق الأرز فيخلطه ويجعله ثلاثمائة وستين كرة فيفطر كل ليلة على واحدة. وحكى عنه أبو حامد الطوسى. قال كان

سهل يقتات ورق النبق مدة وأكل دقاق التب عن مدة ثلاث سنين واقتات بثلاث دراهم فى ثلاث سنين. أخبرنا أبو بكر بن حبیب العامرى نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه ثنى أبو الفرج بن حمزة التكرىتى ثنى أبو عبد الله الحصرى قال سمعت أبا جعفر الحداد يقول. أشرف على أبو تراب يوما وأنا على بركة ماء ولى ستة عشر يوما لم أكل شيئا ولم أشرب فيها ماء فقال ماجلوسك ههنا فقلت أنا بين العلم واليقين وأنا انظر من يغلب فأكون معه فقال سيكون لك شأن. أخبرنا أبو بكر ابن حبیب نا ابن أبى صادق ثنا ابن باكويه نا عبد العزيز بن الفضل ثنا على ابن عبد الله العمرى ثنا محمد بن فليح ثنى إبراهيم بن البنا البغدادى قال صحبت ذا النون من اخميم إلى الاسكندرية فلما كان وقت إفطاره أخرجت قرصا وملحا كان معى وقلت هلم فقال لى ملحك مدقوق. قلت نعم. قال لست تفلح فنظرت إلى مزوده فإذا فيه قليل سويق شعير يستف منه. أخبرنا ابن ظفر نا ابن السراج نا عبد العزيز ابن على الارجى نا ابن جهضم ثنا محمد بن عيسى ابن هارون الدقاق ثنا احمد بن أنس ثنا ابن أبى الحوارى. سمعت أبا سليمان يقول الزبد بالعسل اسراف. قال ابن جهضم وحدثنا محمد بن يوسف البصرى قال سمعت أبا سعيد صاحب سهل يقول: بلغ أبا عبد الله الزبيرى وزكريا الساجى وابن أبى أوفى. ان سهل ابن عبد الله يقول. انا حجة الله على الخلق. فاجتمعوا عنده فأقبل عليه الزبيرى فقال له: بلغنا أنك قلت - أنا حجة الله على الخلق - فبماذا، أنبى انت؟ أصدىق انت؟ قال سهل: لم أذهب حيث تظن ولكن إنما قلت هذا لأخذى الحلال. فتعالوا كلكم حتى نصحح الحل. قالو. فأنت، قد صححته. قال نعم، قال وكيف، قال سهل قسمت عقلى ومعرفتى وقوتى على سبعة أجزاء فتركه حتى يذهب منها ستة أجزاء ويبقى جزء واحد فإذا خفت أن يذهب ذلك الجزء ويتلف معه نفس خفقت أن أكون قد اعنت عليها وقتلتها دفعت إليها من البلغة ما يرد الستة الأجزاء.

أخبرنا ابن حبیب نا ابن أبى صادق نا ابن باكويه قال أخبرنى أبو عبد الله ابن مفلح قال أخبرنى أبى أخبرنى أبو عبد الله بن زيد قال لى: منذ أربعين سنة ما أطعمت نفسى طعاما إلا فى وقت ما أحل الله لها الميتة. أخبرنا ابن ناصر نا أبو الفضل محمد بن على بن احمد السهلكى ثنى

أبو الحسن علي بن محمد القوهي ثنا عيسى بن محمد عن أبيه محمد بن عيسى ثنا موسى بن عيسى ثنا عيسى بن آدم ابن أخى أبي يزيد، قال. جاء رجل إلى أبي يزيد قال أريد أن أجلس فى مسجدك الذى أنت فيه، قال لا تطيق ذلك. فقال، ان رأيت ان توسع لى فى ذلك. فأذن له فجلس يوماً لا يطعم فصبر فلما كان فى اليوم الثانى. قال له يا أستاذ: لا بد مما لا بد منه. فقال: يا غلام لا بد من الله. قال، يا أستاذ نريد القوت. قال، يا غلام القوت عندنا إطاعة الله. فقال، يا أستاذ أريد شيئاً يقيم جسدى فى طاعته عز وجل. فقال، يا غلام ان الأجسام لا تقوم إلا بالله عز وجل.

أخبرنا المحمّدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالنا نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ. قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت أبا عثمان الأدمى يقول سمعت ابراهيم الخواص يقول. حدثنى أخ لى كان يصحب أبا تراب نظر إلى صوفى مديده إلى قشر البطيخ وكان قد طوى ثلاثة أيام. فقال له تمد يدك إلى قشر البطيخ أنت لا يصلح لك التصوف. إلزم السوق. أخبرنا محمد بن أبى القاسم أنبأنا رزق الله بن عبد الوهاب نا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا القاسم القيروانى يقول سمعت بعض أصحابنا يقول. أقام أبو الحسن النصيبى بالحرم أياماً مع أصحاب لهم سبعة لم يأكلوا فخرج بعض أصحابه ليطهر فرأى قشر بطيخ فأخذه فأكله. فرآه انسان فاتبعه بشيء وجاء برفق فوضعه بين يدى القوم فقال الشيخ، من جنى منكم هذه الجناية فقال الرجل أنا وجدت قشر بطيخ فأكلته فقال كن مع جنائتك ومع هذا الرقق وخرج من الحرم ومعه أصحابه وتبعه الرجل. فقال. ألم أقل لك كن مع جنائتك، فقال الرجل، أنا تائب إلى الله تعالى مما جرى منى، فقال الشيخ: لا كلام بعد التوبة .

أخبرنا عمر بن ظفرنا ابن السراج نا أبو القاسم الأزجى نا أبو الحسن ابن جهضم ثنا ابراهيم بن محمد الشنوزى قال سمعت بنان بن محمد يقول كنت بمكة مجاوراً أقرأيت بها ابراهيم الخواص وأتى على أيام لم يفتح على شيء وكان بمكة مزين يحب الفقراء وكان من أخلاقه إذا جاءه الفقير يحتجهم اشترى له لحماً فطبخه فأطعمه فقصدته وقلت أريد أن احتجهم فأرسل من يشتري لحماً وأمر باصلاحه وجلست بين يديه فجعلت

نفسى تقول: ترى يكون فراغ القدر مع فراغ الحجامه. ثم استيقظت وقلت. يا نفس إنما جئت محتجمين لتطعمى عاهدت الله تعالى ألا ذقت من طعامه شيئاً. فلما فرغ انصرفت فقال سبحان الله أنت تعرف الشرط. فقلت. ثم عقد: فسكت. وجئت إلى المسجد الحرام ولم يقدر لى شىء آكله: فلما كان من الغد بقيت إلى آخر النهار ولم يتفق أيضاً فلما قمت لصلاة العصر سقطت وغشى على واجتمع حولى ناس وحسبوا أنى مجنون فقام ابراهيم وفرق الناس وجلس عندى يحدثنى. ثم قال تأكل شيئاً. قلت قرب الليل. فقال: أحستتم يا مبتدئون اثبتوا على هذا تفلحوا ثم قام فلما صلينا العشاء الآخرة إذا هو قد جاءنى ومعه قصعة فيها عدس ورغيفان ودورق ماء فوضعه بين يدى وقال: كل ذلك فأكلت الرغيفين والعدس فقال فيك فضل تأكل شيئاً آخر قلت نعم فمضى وجاء بقصعة عدس ورغيفين فأكلتهما وقلت قد اكتفيت فاضطجعت فما قمت ليلتى ونمت إلى الصباح ما صليت ولا طفت .

أبانا أبو المظفر عبدالمنعم بن عبد الكريم ثنا أبى قال سمعت محمد بن عبدالله الصوفى يقول سمعت منصور بن عبدالله الأصفهانى يقول سمعت أبا على الروزبارى يقول: اذا قال الصوفى بعد خمسة أيام أنا جائع فالزموه السوق وأمروه بالكسب. أبانا عبد المنعم ثنا أبى قال سمعت ابن باكويه يقول سمعت أبا احمد الصغير يقول: أمرنى أبو عبد الله بن خفيف أن أقدم اليه كل ليلة عشر حبات زبيب لافطاره فأشفقت عليه ليلة فحملت اليه خمسة عشر حبة فنظر إلى وقال من أمرك بهذا وأكل عشر حبات وترك الباقي .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا على بن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت عبد الله ابن خفيف يقول: كنت فى ابتدائى بقيت أربعين شهراً أفطر كل ليلة بكف باقلاء فمضيت يوماً فاقتصدت فخرج من عرقى شبه ماء اللحم وغشى على فتحير الفصاد وقال. ما رأيت جسداً لأدم فيه إلا هذا .

فصل

قال المصنف: وقد كان فيهم قوم لا يأكلون اللحم حتى قال بعضهم أكل درهم من اللحم يقسى القلب أربعين صباحاً. وكان فيهم من يمتنع من الطيبات كلها ويحتج بما أخبرنا به على بن عبد الواحد الدينورى نا أبو

الحسن القزوينى نا أبو حفص بن الزيات ثنا ابن ماجه ثنا أرهر بن جميل ثنا بزيع عن هشام عن أبيه عن عائشة . قالت قال رسول الله ﷺ : أحرموا أنفسكم طيب الطعام فأنما قوى الشيطان أن يجرى فى العروق بها وفيهم من كان يمتنع من شرب الماء الصافى . وفيهم من يمتنع من شرب الماء البارد فيشرب الحار . ومنهم من كان يجعل ماءه فى دن مدفون فى الأرض فيصير حاراً . ومنهم من يعاقب نفسه بترك الماء مدة . وأخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا أبو الفضل محمد ابن على السهلكى قال : سمعت عبد الواحد بن بكر الوريانى ثنى محمد بن سعدان ثنى عيسى بن موسى البسطامى قال سمعت أبى يقول قال سمعت عمى خادم أبى يزيد يقول : ما أكلت شيئاً مما يأكله بنو آدم أربعين سنة . قال : وأسهل ما لاقت نفسى منى أنى سألتها أمراً من الأمور فأبت فعزمت أن لا أشرب الماء سنة فما شربت الماء سنة . وحكى أبو حامد الغزالى عن أبى يزيد انه قال : دعوت نفسى إلى الله عز وجل فجمحت فعزمت عليها أن لا أشرب الماء سنة ولا أذوق النوم سنة فوفت لى بذلك .

فصل

قال المصنف : وقد رتب أبو طالب المكى للقوم ترتيبات فى المطاعم فقال : استحب للمبريد ألا يزيد على رغيفين فى يوم وليلة قال : ومن الناس من كان يعمل فى الأوقات فيقلها : وكان بعضهم يزن قوته بكربة من كرب النخل وهى تحف كل يوم قليلا فينقص من قوته بمقدار ذلك ، قال ، ومنهم من كان يعمل فى الأوقات فيأكل كل يوم ثم يتدرج إلى يومين وثلاثة ، قال ، والجوع ينقص دم الفؤاد فيبيضه وفى بياضه نوره ، ويذيب شحم الفؤاد وفى ذوبانه رفته ، وفى رفته مفتاح المكاشفة .

قال المصنف رحمه الله تعالى : وقد صنف لهم أبو عبد الله محمد بن على الترمذى كتاباً سماه رياضة النفوس قال فيه ، فينبغى للمبتدى فى هذا الأمر أن يصوم شهرين متتابعين توبة من الله ثم يفطر فيطعم اليسير ويأكل كسرة كسرة ، ويقطع الأدام والفواكه واللذة ، ومجالسة الإخوان ، والنظر فى الكتب ، وهذه كلها أفرح للنفس فيمنع النفس لذتها حتى تملئ غما .

قال المصنف : وقد أخرج لهم بعض المتأخرين الأربعينية . يبقى أحدهم أربعين يوماً لا يأكل الخبز ولكنه يشرب الزيوتات ويأكل الفواكه الكثيرة

اللذيذة، فهذه نبذة من ذكر أفعالهم في مطاعهم يدل مذكورها على مغفلها .

فصل

في بيان تلبس إبليس عليهم في هذه الأفعال وإيضاح الخطأ فيها قال المصنف رحمه الله، أما ما نقل عن سهل ففعل لا يجوز لأنه حمل على النفس مالا تطيق ثم ان الله عز وجل أكرم آدميين بالحنطة وجعل قشورها لبهائمهم فلا تصلح مزاحمة البهائم في أكل التبن وأى غداء في التبن ومثل هذه الأشياء أشهر من أن تحتاج إلى رد وقد حكى أبو حامد عن سهل أنه كان يرى أن صلاة الجائع الذي قد أضعفه الجوع قاعداً أفضل من صلاته قائماً إذا قواه الأكل .

قال المصنف رحمه الله: وهذا خطأ بل إذا تقوى على القيام كان أكله عبادة لأنه يعين على العبادة وإذا تجوع إلى أن يصلى قاعداً فقد تسبب إلى ترك الفرائض فلم يجز له ولو كان التناول ميتة ما جاز هذا فكيف وهو حلال ثم أى قرينة فى هذا الجوع المعطل أدوات العبادة، وأما قول الحداد وأنا أنظر أن يغلب العلم أم اليقين فإنه جهل محض لأنه ليس بين العلم واليقين تضاد إنما اليقين أعلى مراتب العلم، وأين من العلم واليقين ترك ما تحتاج إليه النفس من المطعم والمشرب وإنما أشار بالعلم إلى ما أمره الشرع، وأشار باليقين إلى قوة الصبر وهذا تخليط قبيح، وهؤلاء قوم شددوا فيما ابتدعوا وكانوا كقريش فى تشددهم حتى سموا بالحمس فجحدوا الأصل وشددوا فى الفرع، وقول الآخر، ملحك مدقوق لست تفلح من أقبح الأشياء وكيف يقال عمن استعمل ما أبيع له لست تفلح وأما سويق الشعير فإنه يورث القولنج وقول الآخر الزبد بالعسل إسراف قول مردول لأن الإسراف ممنوع منه شرعاً وهذا مأذون فيه وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه كان يأكل القثاء بالرطب، وكان يحب الحلوى والعسل وأما ما روينا عن سهل أنه قال قسمت قوتى وعقلى سبعة أجزاء ففعل يذم به ولا يمدح عليه إذ لم يأمر الشرع بمثله وهو إلى التحريم أقرب لأنه ظلم للنفس وترك لحقها وكذلك قول الذى قال: ما أكلت إلى وقت أن يباح لى أكل الميتة: فإنه فعل برأيه المرذول، وحمل على النفس مع وجود الحلال. وقول أبى يزيد: القوت عندنا لله. كلام ركيك فإن

البدن قد بُنى على الحاجة إلى الطعام حتى إن أهل النار في النار يحتاجون إلى الطعام. وأما التقيح على من أخذ قشر البطيخ بعد الجوع الطويل فلا وجه له والذي طوى ثلاثاً لم يسلم من لوم الشرع، وكذلك الذي عاهد أن لا يأكل حين احتجج حتى وقع في الضعف فإنه فعل مالا يحل له، وقول إبراهيم له أحسنتم يا مبتدئون خطأ أيضاً فإنه كان ينبغي أن يلزمه بالفطر ولو كان في رمضان إذ من له أيام لم يأكل وقد احتجج وغشى عليه لا يجوز له أن يصوم .

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت ثنى الأزهرى ثنا على ابن عمر ثنا أبو حامد الحضرمى ثنا عبد الرحمن بن يونس السواح ثنا بقية بن الوليد عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ من أصابه جهد في رمضان فلم يفطر فمات دخل النار .

قال المصنف رحمه الله: قلت، كل رجاله ثقات وقد أخبرنا به عالياً محمد ابن عبد الباقي نا أبو يعلى محمد بن الحسين نا على بن عمر السكرى ثنا احمد بن محمد الأسدى ثنا عبد الرحمن بن يونس فذكره وقال، من أصابه جهد في رمضان فلم يفطر دخل النار.

قال المصنف رحمه الله: وأما تقليل ابن خفيف ففعل قبيح لا يستحسن وما يورد هذا الأخبار عنهم إيراداً مستحسناً لها إلا جاهل بأصول الشرع، فأما العالم المتمكن فإنه لا يهوله قوله معظم فكيف بفعل جاهل مبرس، وأما كونهم لا يأكلون اللحم فهذا مذهب البراهمة الذين لا يرون ذبيح الحيوان والله عز وجل أعلم بمصالح الأبدان فأباح اللحم لتقويتها فأكل اللحم يقوى القوة وتركه يضعفها ويسئ الخلق وقد كان رسول الله ﷺ يأكل اللحم ويحب الذراع من الشاة، ودخل يوماً فقدم إليه طعام من طعام البيت فقال، لم أر لكم برمة تفور، وكان الحسن البصرى يشتري كل يوم لحماً، وعلى هذا كان السلف الا أن يكون فيهم فقير فيبعد عهده باللحم لأجل الفقر، وأما من منع نفسه الشهوات فان هذا على الإطلاق لا يصلح لأن الله عز وجل لما خلق بنى آدم على الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة وجعل صحته موقوفة على تعادل الإخلاط الدم والبلغم والمرارة الصفراء والمرارة السوداء فتارة يزيد بعض الإخلاط فتميل الطبيعة إلى ما ينقضه مثل أن تزيد الصفراء فيميل الطبع

إلى الحموضة أو ينقص البلغم فتميل النفس إلى المرطبات فقد ركب في الطبع الميل إلى ما تميل إليه النفس وتوافقه فاذا مالت النفس إلى ما يصلحها فمنعت فقد قوبلت بحكمة الباري سبحانه وتعالى يردها ثم يؤثر ذلك في البدن فكان هذا الفعل مخالفاً للشرع والعقل، ومعلوم أن البدن مطية آدمى ومتى لم يرفق بالمطية لم تبلغ، وإنما قلت علوم هؤلاء فتكلموا بأرائهم الفاسدة فان أسندوا فإلى حديث ضعيف أو موضوع أو يكون فهمهم منه رديئاً ولقد عجبت لأبي حامد الغزالي إلى الفقيه كيف نزل مع القوم من رتبة الفقه إلى مذاهبهم حتى إنه قال لا ينبغي للمريد إذا تآقت نفسه إلى الجماع أن يأكل ويجامع فيعطى نفسه شهوتين فتقوى عليه.

قال المصنف رحمه الله: وهذا قبيح في الغاية فان الإدام شهوة فوق الطعام فينبغي أن لا يأكل إداماً والماء شهوة أخرى. أو ليس في الصحيح أن رسول الله ﷺ طاف على نسائه بغسل واحد فهلا اقتصر على شهوة واحدة. أو ليس في الصحيحين أن رسول الله ﷺ كان يأكل القثاء بالرطب وهاتان شهوتان. أو ما أكل عند أبي الهيثم ابن التيهان خبزاً وشواء وبسراً وشرب ماء بارداً أو ما كان الثوري يأكل اللحم والعنب والفالودج ثم يقوم فيصلى أو ما تعلق الفرس الشعير والتبن والقت. وتطعم الناقة الخبط والحمض. وهل البدن الاناقة وإنما نهى بعض القدماء عن الجمع بين إدامين على الدوام لئلا يتخذ ذلك عادة فيحوج إلى كلفة وإنما تجتنب فضول الشهوات لئلا يكون سبباً لكثرة الأكل وجلب النوم. ولئلا تتعود فيقل الصبر عنها فيحتاج الإنسان إلى تضييع العمر في كسبها وربما تناولها من غير وجهها. وهذا طريق السلف في ترك فضول الشهوات. والحديث الذي احتجوا به أحرموا أنفسكم طيب الطعام حديث موضوع عملته يداً بزيع الراوى وأما إذا اقتصر الإنسان على خبز الشعير والملح الجريش فانه ينحرف مزاجه لأن خبز الشعير يابس مجفف والملح يابس قابض يضر الدماغ والبصر، وتقليل الطعام يوجب تشييف المعدة وضيقها وقد حكى يوسف الهمداني عن شيخه عبد الله الحوفى أنه كان يأكل خبز البلوط بغير إدام وكان أصحابه يسألونه أن يأكل شيئاً من الدهن والدسومات فلا يفعل.

قال المصنف رحمه الله: وهذا يورث القولنج الشديد. واعلم أن المذموم من الأكل إنما هو فرط الشبع وأحسن الآداب في المطعم أدب الشارع ﷺ. أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أبو بكر بن حمكان ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبي ثنا أبو المغيرة ثنا سليمان بن سليم الكنانى ثنا يحيى بن جابر الطائى. قال. سمعت المقدم بن معدى كرب يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه. حسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه. فان كان لا بد فثلث طعام وثلث شراب وثلث لنفسه.

قال المصنف رحمه الله: قلت. فقد أمر الشرع بما يقيم النفس حفظاً لها وسعياً في مصلحتها. ولو سمع أبقرط هذه القسمة فى قوله. ثلث وثلث وثلث. لدهش من هذه الحكمة لأن الطعام والشراب يربوان فى المعدة فيتقارب ملئها فيبقى للنفس من الثلث قريب فهذا أعدل الأمور فان نقص منه قليل لم يضر وإن زاد النقصان أضعف القوة وضيق المجارى على الطعام.

فصل

قال المصنف رحمه الله: واعلم أن الصوفية إنما يأفرون بالتقلل شبانهم ومبتدئهم ومن أضر الأشياء على الشاب الجوع فإن المشايخ يصبرون عليه والكهول أيضاً فأما الشبان فلا صبر لهم على الجوع. وسبب ذلك أن حرارة الشباب شديدة فلذلك وجود هضمة ويكثر تحلل بدنه فيحتاج إلى كثرة الطعام كما يحتاج السراج الجديد إلى كثرة الزيت. فإذا صابر الشاب الجوع وتثبتته فى أول النشوء قمع نشوء نفسه فكان كمن يعرقب أصول الحيطان ثم تمتد يد المعدة لعدم الغذاء إلى أخذ الفضول المجتمعة فى البدن فتغذيه بالاخلط فيفسد الدهن والجسم وهذا أصل عظيم يحتاج إلى تأمل.

فصل

قال المصنف رحمه الله: وذكر العلماء التقليل الذى يضعف البدن. أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا عبد العزيز ابن على الأرجى نا ابراهيم بن جعفر الساجى نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر نا أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال نا عبد الله بن ابراهيم بن يعقوب الجيلى قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل. قال. له

عقبة بن مكرم. هؤلاء الذين يأكلون قليلا ويقللون من مطعمهم. فقال ما يعجبني سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول فعل قوم هذا فقطعهم عن الفرض. قال الخلال. وأخبرني أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله بن صدقة ثنا اسحق بن داود بن صبيح. قال قلت لعبد الرحمن بن مهدي. يا أبا سعيد إن ببلدنا قوماً من هؤلاء الصوفية. فقال. لا تقرب هؤلاء فانا قد رأينا من هؤلاء قوماً أخرجهم الأمر إلى الجنون. وبعضهم أخرجهم إلى الزندقة. ثم قال. خرج سفيان الثوري في سفر فشيخته وكان معه سفرة فيها فالودج وكان فيها حمل. قال الخلال. وأخبرني المروزي قال سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل. وقال له رجل: انى منذ خمس عشرة سنة قد ولع بى إبليس. وربما وجدت وسوسة أتفكر فى الله عز وجل فقال لعلك كنت تدمن الصوم. افطر وكل دسما وجالس القصاص.

قال المصنف رحمه الله: وفى هؤلاء القوم من يتناول المطاعم الرديئة ويهجر الدسم فيجتمع فى معدته أخلاط فجة فتغذى المعدة منها مدة لأن المعدة لا بد لها من شىء تهضمه. فاذا هضمت ما عندها من الطعام ولم تجد شيئاً تناولت الاخلاط فهضمتها وجعلتها غذاء. وذلك الغذاء الردىء يخرج إلى الوسوس والجنون وسوء الأخلاق. وهؤلاء المتقللون يتناولون مع التقلل أرداداً المأكولات فتكثر أخلاطهم فتشتغل المعدة بهضم الاخلاط. ويتفق لهم تعود التقلل بالتدرج فتضيق المعدة فيمكنهم الصبر عن الطعام أياماً. ويعينهم على هذا قوة الشباب فيعتقدون الصبر عن الطعام كرامة. وإنما السبب ما عرفتك وقد أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم قال حدثنى أبى قال كانت امرأة قد طعنت فى السن فسئلت عن حالها. فقالت: كنت فى حال الشباب أجد من نفسى أحوالاً أظنها قوة الحال. قال كبرت زالت عنى. فعلمت أن ذلك كان قوة الشباب فتوهمتها أحوالاً. قال سمعت أبا على الدقاق يقول ما سمع أحد هذه الحكاية من الشيوخ إلا رق لهذه العجوز وقال أنها كانت منصفة.

وقال المصنف: فان قيل كيف تمنعون من التقلل وقد رويتم أن عمر رضى الله عنه كان يأكل كل يوم إحدى عشرة لقمة. وإن ابن الزبير كان يبقى أسبوعاً لا يأكل وإن ابراهيم التميمى بقى شهرين. قلنا. قد يجرى للانسان من هذا الفن فى بعض الأوقات غير انه لا يدوم عليه. ولا يقصد

الترقى اليه . وقد كان فى السلف من يجوع عوراً وفيهم من كان الصبر له عادة لا يضر بدنه . وفى العرب من يبقى أياماً لا يزيد على شرب اللبن . ونحن لا نأمر بالشبع إنما ننهى عن جوع يضعف القوة ويؤذى البدن . وإذا ضعف البدن قلت العبادة . فان حملت البدن قوة الشباب جاء الشيب فأقذع بالراكب . وقد أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا عبدالقادر بن يوسف نا أبو إسحق البرمكى ثنا أبو يعقوب ابن سعد النسائى ثنا جدى الحسين بن سفيان ثنا حرمله بن يحيى ثنا عبد الله بن وهب ثنا سفيان بن عيينة عن مالك بن أنس عن إسحق بن عبيد الله بن أبى طلحة عن أنس رضى الله عنه . قال : كان يطرح لعمر بن الخطاب رضى الله عنه الصاع من التمر فيأكله حتى حشفه وقد روينا عن ابراهيم بن أدهم : انه اشترى ربدأ وعسلا وخبزاً حوارى . فقيل له : هذا كله تأكله فقال : اذا وجدنا أكلنا أكل الرجال وإذا عدنا صبرنا صبر الرجال .

فصل

قال المصنف رحمه الله : وأما الشرب من الماء الصافى : فقد تخيره رسول الله ﷺ . أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا فليح ابن سليمان عن سعيد بن الحارث عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ : أتى قوماً من الأنصار يعود مريضاً فاستسقى وجدول قريب منه ، فقال ان كان عندكم ماء بات فى شن وإلا كرعنا ، اخرجته البخارى ، وأخبرنا منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا أبو عمر بن مهدى ثنا الحسين ابن اسماعيل المحاملى ثنا محمد بن عمرو بن أبى مدعور ثنا عبد العزيز بن محمد نا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها : أن رسول الله ﷺ كان يستقى له الماء العذب من بئر السقيا .

قال المصنف : وينبغى أن يعلم أن الماء الكدر يولد الحصا فى الكلى والسدد فى الكبد ، وأما الماء البارد فانه اذا كانت برودته معتدلة فانه يشد المعدة ، ويقوى الشهوة ، ويحسن اللون ، ويمنع عفن الدم وصعود البخارات إلى الدماغ ويحفظ الصحة واذا كان الماء حاراً أفسد الهضم وأحدث الترهل وأذبل البدن ، وأدى إلى الاستسقاء والدق فان سخن بالشمس خيف منه البرص ، وقد كان بعض الزهاد يقول اذا أكلت الطيب وشربت الماء البارد متى تحب الموت وكذلك قال أبو حامد الغزالى إذا أكل

الإنسان ما يستلذه قسا قلبه وكره الموت واذا منع نفسه شهواتها وحرمها لذاتها اشتتت نفسه الافلات من الدنيا بالموت .

قال المصنف رحمه الله: واعجباً كيف يصدر هذا الكلام من فقيه أترى لو تقلبت النفس فى أى فن كان من التعذيب ما أحببت الموت ثم كيف يجوز لنا تعذيبها وقد قال عز وجل: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾ ورضى منا بالافطار فى السفر رفقاُ بها وقال: ﴿يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ أو ليست مطيتنا التى عليها وصولنا .

وكيف لا ناوى لها وهى التى بها قطعنا السهل والحزونا

وأما معاوية أبى يزيد نفسه بترك الماء سنة فانها حالة مذمومة لا يراها مستحسنة إلا الجهال ووجه ذمها أن للنفس حقاً ومنع الحق مستحقه ظلم، ولا يحل للإنسان أن يؤذى نفسه، ولا أن يقعد فى الشمس فى الصيف بقدر ما يتأذى، ولا فى الثلج فى الشتاء. والماء يحفظ الرطوبات الأصلية فى البدن وينفذ الأغذية وقوام النفس بالأغذية فاذا منعها أغذية الآدميين ومنعها الماء فقد أعان عليها وهذا من أفحش الخطأ. وكذلك منعه إياها النوم، قال ابن عقيل، وليس للناس إقامة العقوبات ولا استيفائها من أنفسهم، يدل عليه أن إقامة الإنسان الحد على نفسه لا يجزى فان فعله أعاده الامام. وهذه النفوس ودائع الله عز وجل حتى ان التصرف فى الأموال لم يطلق لأربابها الا على وجوه مخصوصة .

قال المصنف رحمه الله قلت: وقد روينا فى حديث الهجرة أن النبى ﷺ تزود طعاماً وشراباً. وأن أبا بكر فرش له فى ظل صخرة وحلب له لبنا فى قدح ثم صب ماء على القدح حتى برد أسفله، وكل ذلك من الرفق بالنفس. وأما ما رتبته أبو طالب المكى فحمل على النفس بما يضعفها. وإنما يمدح الجوع اذا كان بمقدار. وذكر المكاشفة من الحديث الفارغ وأما ما صنفه الترمذى فكأن ابتداء شرع برأيه الفاسد. وما وجه صيام شهرين مستتابعين عند التوبة وما فائدة قطع الفواكه المباحة واذا لم ينظر فى الكتب فبأى سيرة يقتدى. وأما الأربعينية فحديث فارغ رتبوه على حديث لا أصل له « من أخلص لله أربعين صباحاً لم يجب الإخلاص أبداً » فما وجه تقديره بأربعين صباحاً ثم لو قدرنا ذلك فالإخلاص عمل القلب فما بال المطعم ثم ما الذى حسن منع الفاكهة،

ومنع الخبز وهل هذا كله إلا جهل . وقد أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم القشيري قال حدثنا أبي قال حجج الصوفية أظهر من حجج كل أحد وقواعد مذهبهم أقوى من قواعد كل مذهب . لأن الناس اما أصحاب نقل وأثر واما أرباب عقل وفكر وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة والذي للناس غيب فلهم ظهور فهم أهل الوصال والناس أهل الاستدلال فينبغي لمريدهم أن يقطع العلائق وأولها الخروج من المال ثم الخروج من الجاه وأن لا ينام إلا غلبة وأن يقلل غذاءه بالتدرج .

قال المصنف رحمه الله: قلت: من له أدنى فهم يعرف أن هذا الكلام تخليط فإن من خرج عن النقل والعقل فليس بمعدود في الناس وليس أحد من الخلق إلا وهو مستدل وذكر الوصال حديث فارغ . فنسأل الله عز وجل العصمة من تخليط المريدين والأشياخ والله الموفق .

فصل في ذكر أحاديث تبين خطأهم في أفعالهم

أخبرنا يحيى بن علي المدبر نا أبو بكر محمد بن علي الخياط ثنا الحسن بن الحسين ابن حمكا ن ثنا عدا بن يزيد العطار . وأخبرنا محمد بن أبي منصور أنبأنا الحسن بن أحمد الفقيه ثنا محمد بن أحمد الحافظ ثنا أبو عبد الله محمد بن عيسى البرورجدي ثنا عمير بن مرداس قال حدثنا محمد بن بكير الخضرمي ثنا القاسم بن عبد الله بن عمر ابن حفص بن عاصم العمري عن عبيد الله بن عمر عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب . قال: جاء عثمان بن مظعون إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله غلبني حديث النفس فلم أحب أن أحدث شيئاً حتى أذكر لك ذلك فقال رسول الله ﷺ وما تحدثك نفسك يا عثمان . قال . تحدثني نفسي بأن أختصي . فقال: مهلاً يا عثمان فان خصي أمتي الصيام قال يا رسول الله فان نفسي تحدثني أن أترهب في الجبال قال مهلاً يا عثمان، فان ترهب أمتي الجلوس في المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة قال: يا رسول الله فان نفسي تحدثني بأن أسيح في الأرض، قال مهلاً يا عثمان، فان سياحة أمتي الغزو في سبيلي الله والحج والعمرة، قال يا رسول الله فان نفسي تحدثني بأن أخرج من مالي كله قال: مهلاً يا عثمان فان صدقتك يوماً وتكف نفسك وعيالك وترحم المسكين واليتيم وتطعمه أفضل من ذلك، قال: يا رسول الله فان نفسي تحدثني بأن أطلق نخولة

أمرأني، قال. مهلا يا عثمان فان هجرة أمتي من هجر ما حرم الله عليه، أو هاجر إليّ في حياتي، أو زار قبري بعد موتي، أو مات وله امرأة أو امرأتان أو ثلاث أو أربع قال: يا رسول الله فان نفسي تحدثني أن لا أغشاها، قال. مهلا يا عثمان فان الرجل المسلم إذا غشى أهله فان لم يكن من وقعته تلك ولد كان له وصيف في الجنة فان كان من وقعته تلك ولد فان مات قبله كان له فرطاً وشفيعاً يوم القيامة وإن كان بعده كان له نوراً يوم القيامة. قال. يا رسول الله فان نفسي تحدثني أن لا أكل اللحم، قال: مهلا يا عثمان فاني أحب اللحم وأكله إذا وجدته ولو سألت ربي أن يطعمني إياه كل يوم لأطعمني، قال: يا رسول الله فان نفسي تحدثني أن لا أمس طيباً، قال: مهلا يا عثمان فان جبريل أمرني بالطيب غبا ويوم الجمعة لامترك له يا عثمان لا ترغب عن سنتي فمن رغب عن سنتي ثم مات قبل أن يتوب صرفت الملائكة وجهه عن حوضي.

قال المصنف رحمه الله: هذا حديث عمير بن مرداس .

أخبرنا محمد بن أبي طاهر الجوهري نا أبو عمر بن حياة نا أحمد بن معروف نا الحسن بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا الفضل بن دكين ثنا إسرائيل ثنا أبو اسحاق عن أبي بردة، قال: دخلت امرأة عثمان بن مظعون على نساء النبي ﷺ فرأيتها سيئة الهيئة، فقلن لها: مالك فما في قریش رجل أغنى من بعلك، قالت: ما لنامنه شيء، أما ليله فقائم، وأما نهاره فصائم. فدخلن إلى النبي ﷺ فذكرن ذلك له فلقبه فقال: يا عثمان أمالك بي أسوة، فقال بأبي وأمي أنت وما ذاك؟ قال: تصوم النهار وتقوم الليل. قال: إني لأفعل. قال: لا تفعل. إن لعينك عليك حقاً، وإن لجسدك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقاً، فصل ونم وصم وافطر. قال ابن سعد وأخبرنا عارم بن الفضل ثنا حماد بن زيد ثنا معاوية بن عباس الحرمي عن أبي قلابة أن عثمان بن مظعون اتخذ بيتاً فقعد يتعبد فيه، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاه فأخذ بعضادتي باب البيت الذي هو فيه وقال: يا عثمان: إن الله عز وجل لم يبعثني بالرهبانية مرتين أو ثلاثة. وإن خير الدين عند الله الحنيفية السمحة.

أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد بن علي بن ميمون نا عبد الوهاب بن محمد الغندجاني نا أبو بكر بن عبدان نا محمد بن سهل ثنا البخاري قال

قال موسى ابن اسماعيل بن حماد بن زيد بن مسلم ثنا أبو معاوية بن قرة عن كهمس الهلالي قال: أسلمت وأتيت النبي ﷺ فأخبرته بإسلامي. فمكثت حولاً ثم أتيتته وقد ضممت ونحل جسمي فخفض في البصر ثم صعده، قلت: أما تعرفني، قال ومن أنت، قلت: أنا كهمس الهلالي، قال: فما بلغ بك ما أرى، قلت: ما أفطرت بعدك نهاراً، ولا نمت ليلاً. قال: ومن امرك أن تعذب نفسك صم شهر الصبر ومن كل شهر يوماً، قلت: زدني قال: صم شهر الصبر ومن كل شهر يومين، قلت: زدني قال صم شهر الصبر ومن كل شهر ثلاثة أيام أنبأنا محمد ابن عبد الملك ابن خيرون أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ثنا أبو حازم عمر ابن أحمد العبدوري نا أبو أحمد محمد بن الغطريف ثنا أبو بكر الذهبي ثنا حميد ابن الربيع ثنا عبدة بن حميد عن الأعمش عن جرير بن حازم عن أيوب عن أبي قلابة بلغ به ﷺ أن ناساً من أصحابه احتموا النساء واللحم اجتمعوا فذكرنا ترك النساء واللحم فأوعد فيه وعيداً شديداً، وقال: لو كنت تقدمت فيه لفعلت. ثم قال: إني لم أرسل بالرهبانية، إن خير الدين الحنيفة السمحة

قال المصنف رحمه الله: وقد روينا في حديث آخر عن النبي ﷺ أنه قال: إن الله عز وجل يحب أن يرى آثار نعمته على عبده في مأكله ومشربه وقال بكر ابن عبد الله: من أعطى خيراً فرؤى عليه سمي حبيب الله محدثاً بنعمة الله عز وجل ومن أعطى خيراً فلم ير عليه سمي بغيض الله عز وجل معادياً لنعمة الله عز وجل.

فصل

قال المصنف رحمه الله: وهذا الذي نهينا عنه من التقليل الزائد في الحد، قد انعكس في صوفية زماننا فصارت همتهم في المأكل كما كانت همة متقدميهم في الجوع. لهم الغداء والعشاء والحلوى، وكل ذلك أو أكثره حاصل من أموال وسخة، وقد تركوا كسب الدنيا، وأعرضوا عن التعبد وافترشوا فراش البطالة فلاهمة لأكثرهم إلا الأكل واللعب. فان أحسن محسن منهم قالوا: طرح شكراً. وإن أساء مسيء. قالوا: استغفر، ويسمون ما يلزمه إياه واجباً. وتسمية ما لم يسمه الشرع واجباً جنائياً عليه. أخبرنا عبد الرحمن ابن محمد القزاز نا أحمد بن علي بن

ثابت نا محمد بن أحمد بن عبد الله محمد الحافظ النيسابوري ثنا
 أبو زكريا يحيى بن محمد العنبري ثنا أحمد بن سلمة ثنا محمد بن
 عبدوس السراج البغدادي، قال: قام أبو مرحوم القاضي بالبصرة يقص
 على الناس فأبكى فلما فرغ من قصصه قال من يطعمنا إرزة في الله فقام
 شاب من المجلس فقال أنا فقال إجلس يرحمك الله فقد عرفنا موضعك
 ثم قام الثانية ذلك الشاب. فقال: اجلس فقد. فقام الثالثة فقال أبو مرحوم
 لأصحابه: قوموا بنا إليه فقاموا معه فأتوا منزله قال فأتينا بقدر من باقلاء
 فأكلنا بلا ملح ثم قال أبو مرحوم على بخوان خماسي وخمس مكاكيك
 أرز، وخمسة أمان سمن، وعشرة أمان سكر، وخمسة أمان صنوبر،
 وخمسة أمان فستق، فجيء بها كلها، فقال أبو مرحوم لأصحابه: يا
 إخواني كيف أصبحت الدنيا قالوا مشرق لونها مبيضة شمسها، قال
 :أخرقوا فيها أنهارها قال فأتى بذلك الشمس فأجرى فيها ثم أقبل أبو
 مرحوم على أصحابه فقال يا إخواني كيف أصبحت الدنيا، قالوا مشرق
 لونها، مبيضة شمسها، مجرة فيها أنهارها فقال يا إخواني إغرسوا فيها
 أشجارها قال فأتى بذلك الفستق والصنوبر، فألقى فيها ثم أقبل أبو
 مرحوم على أصحابه فقال: يا إخواني كيف أصبحت الدنيا، قالوا:
 مشرق لونها، مبيض شمسها، مجرى فيها أنهارها، وقد غرست فيها
 أشجارها، وقد تدلت لنا ثمارها، قال: يا إخواني ارموا الدنيا بحجارتها
 قال: فأتى بذلك السكر فألقى فيها، ثم أقبل أبو مرحوم على أصحابه،
 فقال: يا إخواني. كيف أصبحت الدنيا. قالوا: مشرق لونها مبيضه شمسها
 وقد أجريت فيها أنهارها وقد غرست فيها أشجارها، وقد تدلت لنا ثمارها،
 فقال يا إخواني: مالنا وللدنيا اضربوا فيها براحتها، قال: فجعل الرجل
 يضرب فيها براحته ويدفعه بالخمس قال أبو الفضل أحمد بن سلمة ذكرته
 لأبي حاتم الرازي فقال إمله على فأملته عليه فقال: هذا شأن الصوفية .
 قال المصنف رحمه الله قلت: وقد رأيت منهم من إذا حضر دعوة بالغ
 في الأكل ثم اختار من الطعام فرمها ملاكميه من غير إذن صاحب الدار
 وذلك حرام بالأجماع ولقد رأيت شيئا منهم قد أخذ شيئا من الطعام
 ليحمله معه فوثب صاحب الدار فأخذه منه .

ذكر تلبس إبليس على الصوفية في السماع والرقص والوجد

قال المصنف رحمه الله: اعلم أن سماع الغناء يجمع شيئين، أحدهما: أنه يلهي القلب عن التفكير في عظمة الله سبحانه والقيام بخدمته، والثاني: أنه يميله إلى اللذات العاجلة التي تدعو إلى استيفائها من جميع الشهوات الحسية ومعظمها النكاح وليس تمام لذته إلا في المتجددات ولا سبيل إلى كثرة المتجددات من الحل فلذلك يحث على الزنا فيبين الغناء والزنا تناسب من جهة أن الغناء لذة الروح والزنا أكبر لذات النفس ولهذا جاء في الحديث: الغناء رقية الزنا وقد ذكر أبو جعفر الطبري أن الذي اتخذ الملاحى رجل من ولد قاييل يقال له ثوبال. اتخذ في زمان مهلائيل بن قينان آلات اللهو من المزامير والطبول والعيدان فانهمك ولد قاييل في اللهو وتناهى خبرهم إلى من بالجبل من نسل شيث فنزل منهم قوم وفشت الفاحشة وشرب الخمر .^١

قال المصنف رحمه الله: وهذا لأن الالتذاذ بشيء يدعو إلى التذاده بغيره خصوصاً ما يناسبه ولما يثس إبليس أن يسمع من المعتبدين شيئاً من الأصوات المحرمة كالعود نظر إلى المعنى الحاصل بالعود فدرجه في ضمن الغناء بغير العود وحسنه لهم وإنما مراده التدريج من شيء إلى شيء والفقيه من نظر في الأسباب والنتائج وتأمل المقاصد فان النظر إلى الأمر مباح ان أمن ثوران الشهوة فان لم يؤمن لم يجز. وتقبييل الصبية التي لها من العمر ثلاث سنين جائز إذ لا شهوة تقع هناك في الأغلب فان وجد شهوة حرم ذلك، وكذلك الخلوة بذوات المحارم فان خيف من ذلك حرم فتأمل هذه القاعدة.

فصل

قال المصنف رحمه الله: وقد تكلم الناس في الغناء فأطالوا فمنهم من حرمه ومنهم من أباحه من غير كراهة ومنهم من كرهه مع الإباحة وفصل الخطاب أن نقول ينبغى أن ينظر في ماهية الشيء ثم يطلق عليه التحريم أو الكراهة أو غير ذلك والغناء اسم يطلق على أشياء منها غناء الحجيج في الطرقات فان أقوماً من الأعاجم يقدمون للحج فينشدون في الطرقات أشعاراً يصفون فيها الكعبة ورمزم والمقام وربما ضربوا مع إرشادهم بطبل فسماع تلك الأشعار مباح وليس إنشادهم إياها مما يطرب ويخرج عن الاعتدال وفي معنى هؤلاء الغزاة: فإنهم ينشدون أشعاراً يحرضون بها على الغزو. وفي معنى هذا إنشاد البارزين للقتال للأشعار تصاخراً عند الزوال وفي معنى هذا أشعار الخداة في طريق مكة كقول قائلهم:

بشرها دليلها وقالوا غداً ترين الطلح والجبالا

وهذا يحرك الابل والأدمى. إلا أن ذلك التحريك لا يوجب الطرب المخرج عن حد الاعتدال. وأصل الحداء ما أنبأنا به يحيى بن الحسن بن البنا نا أبو جعفر ابن المسلمة نا المخلص نا احمد بن سليمان الطوسى ثنا الزبير بن بكار ثنى إبراهيم ابن المنذر ثنا أبو البحتري وهب عن طلحة المكى عن بعض علمائهم: أن رسول الله ﷺ مال ذات ليلة بطريق مكة إلى حاد مع قوم فسلم عليهم فقال ان حاديننا نام فسمعنا حاديكم فملت اليكم. فهل تدون انى كان الحداء قالوا لا والله قال إن أباهم مضر خرج إلى بعض رعاته فوجد إبله قد تفرقت فأخذ عصا فضرب بها كف غلامه فعدا الغلام فى الوادى وهو يصيح يا يداه يا يداه فسمعت الابل ذلك فعطفت عليه فقال مضر لو اشتق مثل هذا لانتفعت به الابل واجتمعت فاشتقت الحداء.

قال المصنف رحمه الله: وقد كان لرسول الله ﷺ حاد يقال له أنجشة يحدو فتعنى الابل. فقال رسول الله ﷺ يا أنجشة رويدك سوقا بالقوارير وفى حديث سلمة بن الأكوع قال خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلاً فقال رجل من القوم لعامر ابن الأكوع. ألا تسمعنا من هنياتك وكان عامر رجلاً شاعراً أفترل يحدو بالقول يقول.

لا هم لو لا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فالقين سـكينة علينا وثبت الاقدام إذ لا قينا

قال رسول الله ﷺ. من هذا السائق: قالوا. عامر بن الأكوع فقال يرحمه الله .

قال المصنف رحمه الله: وقد روينا عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال أما استماع الحداء ونشيد الاعراب فلا بأس به .

قال المصنف رحمه الله: ومن إنشاد العرب قول أهل المدينة عند قدوم رسول الله ﷺ عليهم.

طـلـع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشـكر علينا ما دعا لله داعى

ومن هذا الجنس كانوا ينشدون أشعارهم بالمدينة. وربما ضربوا عليه بالدف عند إنشاده. ومنه ما أخبرنا به ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد

ابن جعفر ثنا عبد الله بن احمد ثنا ابي ثنا أبو المغيرة ثنا الأوزاعي ثنا الزهري عن عروة عن عائشة رضی الله عنها. أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تضربان بدفين ورسول الله ﷺ مسجى عليه بثوبه - فانتهرهما أبو بكر - فكشف رسول الله ﷺ عن وجهه. وقال. دعهن يا أبا بكر فإنها أيام عيد. أخرجاه في الصحيحين.

قال المصنف رحمه الله: والظاهر من هاتين الجاريتين صغر السن لأن عائشة كانت صغيرة وكان رسول الله ﷺ يسرب اليها الجوارى فيلعبن معها. وقد أخبرنا محمد بن ناصر أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو إسحاق البرمكي أنبأنا عبد العزيز ابن جعفر ثنا أبو بكر الخلال أخبرنا منصور بن الوليد ابن جعفر بن محمد حدثهم: قال. قلت لأبي عبد الله احمد بن حنبل حديث الزهري عن عروة عن عائشة عن جوار يغنين - أى شيء هذا الغناء. قال. غناء الركب: أتيناكم أتيناكم. قال الخلال وحدثنا احمد بن فرج الحمصي ثنا يحيى بن سعيد ثنا أبو عقيل عن نهبة عن عائشة رضی الله عنها. قالت: كانت عندنا جارية يتيمة من الأنصار فزوجناها رجلا من الأنصار فكننت فيمن أهداها إلى زوجها. فقال رسول الله ﷺ يا عائشة إن الأنصار اناس فيهم غزل: فما قلت: قالت دعونا بالبركة: قال: أفلا قلت:

أتيناكم . أتيناكم	فحيونا نحييكم
ولولا الذهب الأحمـ	ر ما حلت بواديكم
ولولا الحبة السـ	ء لم تسمن عذارىكم

أخبرنا أبو الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله بن احمد ثنا ابي ثنا أسود بن عامر نا أبو بكر عن أجليح عن أبي الزبير عن جابر ابن عبد الله رضی الله عنه: قال قال رسول الله ﷺ لعائشة رضی الله عنها: أهديتم الجارية إلى بيتها. قالت نعم. قال: فهلا بعثتم معها من يغنيهم يقول:

أتيناكم أتيناكم	فحيونا نحييكم
فإن الأنصار قوم فيهم غزل .	

قال المصنف رحمه الله: فقد بان بما ذكرنا ما كانوا يغنون به وليس بما

يطرب ولا كانت دفوفهن على ما يعرف اليوم. ومن ذلك أشعار ينشدها المتشهدون بتطريب وتلحين تزعج القلوب إلى ذكر الآخرة ويسمونهم الزهديات كقول بعضهم :

يا غاديا في غفلة ورائحا إلى متى تستحسن القبائحا
وكم الى كم لا تخاف موقفا يستنطق الله به الجوارحا
يا عجباً منك وأنت مبصر كيف تجنبت الطريق الواضحا

فهذا مباح أيضاً وإلى مثله أشار احمد بن حنبل في الإباحة فيما أنبأنا به أبو عبد العزيز كاوس نا المظفر بن الحسن الهمداني نا أبو بكر بن لالي ثنا الفضل بن الفضل الكندي قال سمعت عبدوس يقول سمعت أبا حامد الخلفاني يقول لأحمد بن حنبل: يا أبا عبد الله هذه القصائد الرقاق التي في ذكر الجنة والنار أي شيء تقول فيها فقال: مثل أي شيء قلت يقولون:

إذا ما قال لي ربي أما استحييت تعصيني
وتخفى الذنب من خلقى وبالعصيان تأتيني

فقال: أعد عليّ، فأعدت عليه، فقام ودخل بيته ورد الباب - فسمعت نحيبه من داخل البيت وهو يقول:

إذا ما قال لي ربي أما استحييت تعصيني
وتخفى الذنب من خلقى وبالعصيان تأتيني

ومن الأشعار أشعار تنشدها النواح، يثيرون بها الأحران والبكاء فينها عنها لما في ضمناها.

فأما الأشعار التي ينشدها المغنون المتهيثون للغناء ويصفون فيها المستحسنات والخمر وغير ذلك مما يحرك الطباع ويخرجها عن الاعتدال ويثير كامنها من حب اللهو وهو الغناء المعروف في هذا الزمان مثل قول الشاعر:

ذهبي اللون تحسب من وجنتيه النار تقتدح
خوفونسي من فضيحتة ليته وافى وأفتضح

وقد أخرجوا لهذه الأغاني الحانا مختلفة كلها تخرج سامعها عن حيز الاعتدال، وتثير حب الهوى، ولهم شيء يسمونه البسيط يزعج القلوب

عن مهل ثم يأتون بالنشيد بعده فيجمع القلوب . وقد أضافوا إلى ذلك ضرب القضييب والإقاع به على وفق الإنشاد والدف بالجلجل ، والشبابة النائبة عن الزمر فهذا الغناء المعروف اليوم .

فصل

قال المصنف رحمه الله: وقبل أن نتكلم فى إباحته . أو تحريمه ، أو كراهته : نقول . ينبغى للعاقل أن ينصح نفسه وإخوانه . ويحذر تلبيس إبليس فى إجراء هذا الغناء مجرى الأقسام المتقدمة التى يطلق عليها اسم الغناء . فلا يحمل الكل محملاً واحداً . فيقول قد أباحه فلان وكرهه فلان . فنبدأ بالكلام فى النصيحة للنفس والايخوان فنقول .

معلوم أن طباع الأدميين تتقارب ولا تكباد تتفاوت فاذا ادعى الشاب السليم البدن الصحيح المزاج أن رؤية المستحسنات لاتزعجه ولا تؤثر عنده ولا تضره فى دينه كذبناه لما نعلم من استواء الطباع - فان ثبت صدقه عرفنا أن به مرضاً خرج به عن حيز الاعتدال ، فان تعلل فقال . إنما أنظر إلى هذه المستحسنات معتبراً فأتعجب من حسن الصنعة فى دعج العينين ، ورقة الأنف ونقاء البياض ، قلنا له فى أنواع المباحات مايكفى فى العبرة وههنا ميل طبعك يشغلك عن الفكرة ولا يدع لبلوغ شهوتك وجود فكرة . فان ميل الطبع شاغل عن ذلك ، وكذا من قال ان هذا الغناء المطرب المزعج للطباع المحرك لها إلى العشق وحب الدنيا لا يؤثر عندى ولا يلفت قلبى الى حب الدنيا الموصوفه فيه - فإننا نكذبه لموضع اشتراك الطباع ثم إن كان قلبه بالخوف من الله عز وجل غائباً عن الهوى لأحضر هذا المسموع الطبع وان كانت قد طالت غيبته فى سفر الخوف ، وأقبح القبيح البهرجة ، ثم كيف تمر البهرجة على من يعلم السر وأخفى . ثم ان كان الأمر كما زعم هذا المتصوف فينبغى أن لا نبينه إلا لمن هذه صفته والقوم قد أباحوه على الاطلاق للشباب المتبدى . والصبى الجاهل . حتى قال أبو حامد الغزالي . ان التشبيب بوصف الحدود . والأصداع ، وحسن القد ، والقامة . وسائر أوصاف النساء الصحيح انه لا يحرم .

قال المصنف رحمه الله : فأما من قال انى لا أسمع الغناء للدنيا . وإنما أخذ منه إشارات فهو يخطئ من وجهين . أحدهما أن الطبع يسبق إلى مقصوده قبل أخذ الإشارات فيكون كمن قال انى أنظر إلى هذه المرأة

المستحسنة لاتفكر فى الصنعة- والثانى انه يقل فيه وجود شئ يشار به إلى الخالق وقد جل الخالق تبارك وتعالى أن يقال فى حقه انه يعشق. ويقع الهيمن به. وإنما نصيبنا من معرفته الهيية والتعظيم فقط وإذ قد انتهت النصيحة فنذكر ما قيل فى الغناء.

فصل

أما مذهب أحمد رحمه الله: فانه كان الغناء فى زمانه إنشاد قصائد الزهد إلا أنهم لما كانوا يلحنونها اختلفت الرواية عنه. فروى عنه ابنه عبد الله انه قال: الغناء ينبت النفاق فى القلب، لا يعجبني. وروى عنه اسماعيل بن اسحاق الثقفى: أنه سئل عن استماع القصائد فقال: أكرهه، هو بدعة، ولا يجالسون. وروى عنه أبو الحارث أنه قال: التغيير بدعة، فقيل له: أنه يرقق القلب. فقال هو بدعة. وروى عنه يعقوب الهاشمى: التغيير بدعة محدث. وروى عنه يعقوب ابن غياث أكره التغيير وأنه نهى عن استماعه.

قال المصنف: فهذه الروايات كلها دليل على كراهية الغنائ، قال أبو بكر الخلال كره أحمد القصائد لما قيل له إنهم يتماجنون ثم روى عنه ما يدل على أنه لا بأس بها قال المروزي. سألت أبا عبد الله عن القصائد. فقال بدعة. فقلت له: إنهم يهجرون. فقال لا يبلغ هذا كله.

قال المصنف: وقد روينا أن أحمد سمع قوالا عند ابنه صالح فلم ينكر عليه. فقال له صالح يا أبت أليس كنت تنكر هذا. فقال. إنما قيل لى أنهم يستعملون المنكر فكرهته، فأما هذا فانى لا أكرهه: قال المصنف رحمه الله قلت وقد ذكر أصحابنا عن أبى بكر الخلال وصاحبه عبد العزيز إباحه اغناء. وإنما أشار إلى ماكان فى زمانهما من القصائد الزهديات. وعلى هذا يحمل ما لم يكرهه أحمد. ويدل على ماقلت أن أحمد بن حنبل سئل عن رجل مات وترك ولداً وجارية مغنية. فاحتاج الصبى إلى بيعها. فقال لا تباع على أنها مغنية فقيل له أنها تساوى ثلاثين ألف درهم ولعلها إذا بيعت ساذجة تساوى عشرين ديناراً فقال لا تباع إلا على أنها ساذجة.

قال المصنف: وإنما قال هذا لأن الجارية المغنية لاتغنى بقصائد الزهديات بل بالأشعار المطربة المثيرة للطبع إلى العشق، وهذا دليل على أن الغناء محظور إذ لو لم يكن محظوراً ما أجاز تفويت المال على اليتيم. وصار هذا كقول أبى طلحة للنسبى عليه السلام. عندى خمر لأيتام.

فقال أرقها فلو جار استصلاحها لما أمره بتضييع أموال اليتامى . وروى
المروزى عن أحمد بن حنبل أنه قال . كسب المخنث خبيث يكسبه بالغناء
وهذا لأن المخنث لا يغنى بالقصائد الزهدية إنما يغنى بالغزل والنوح . فبان
من هذه الجملة أن الروایتين عن أحمد فى الكراهة وعدمها تتعلق
بالزهديات الملسحة ، فأما الغناء المعروف اليوم فمحظور عنده كيف ولو
علم ما أحدث الناس من الزيادات .

﴿فصل﴾ قال المصنف: وأما مذهب مالك بن أنس رحمه الله فأخبرنا
محمد ابن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو اسحاق البرمكى نا
عبد العزيز ابن جعفر ثنا أبو بكر الخلال وأخبرنا عالياً سعيد بن الحسن
بن البنا نا أبو نصر محمد ابن محمد الديشى نا أبو بكر محمد بن عمر
الوراق نا محمد بن السرى ابن عثمان التمار قالأ أخبرنا عبد الله بن
أحمد عن أبيه عن اسحاق بن عيسى الطباع قال: سألت مالك بن أنس
عن ما يترخص فيه أهل المدينة من الغناء . فقال: إنما يفعله ألساق .
أخبرنا هبة الله بن احمد الحريرى قال: أنبأنا أبو الطيب الطبرى قال: أما
مالك بن أنس فإنه نهى عن الغناء وعن استماعه . وقال إذا اشترى جارية
فوجدها مغنية كان له ردها بالعيب وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا إبراهيم
بن سعد وحده فإنه قد حكى زكريا الساجى أنه كان لا يرى به بأساً .

فصل

وأما مذهب أبى حنيفة رضى الله عنه . أخبرنا هبة الله بن أحمد
الحريرى عن أبى الطيب الطبرى . قال كان أبو حنيفة يكره الغناء مع إباحته
شرب النبيذ ويجعل سماع الغناء من الذنوب قال: وكذلك مذهب سائر أهل
الكوفة: إبراهيم ، والشعبى وحمامد ، وسفيان الثورى . وغيرهم لا اختلاف
بينهم فى ذلك . قال ولا يعرف بين أهل البصرة خلاف فى كراهة ذلك والمنع
منه إلا ما روى عبيد الله بن الحسن العنبرى أنه كان لا يرى به بأساً .

فصل

وأما مذهب الشافعى رحمة الله عليه قال حدثنا إسماعيل بن أحمد نا
احمد بن احمد الحداد نا أبو نعيم الاصفهانى ثنا محمد بن عبد الرحمن
ثنا أحمد بن محمد بن الحارث ثنا محمد بن إبراهيم بن جياذ ثنا الحسن

ابن عبد العزيز الخروى قال سمعت محمد بن إدريس الشافعى يقول خلفت بالعرق شيئاً أحدثته الزنادقة يسمونه التغيير يشغلون به الناس عن القرآن.

قال المصنف رحمه الله: وقد ذكر أبو منصور الأزهري - المغيرة قوم يغيرون بذكر الله بدعاء وتضرع وقد سموا ما يطربون فيه من الشعر فى ذكر الله عز وجل تغييراً كأنهم إذا شاهدوها بالألحان طربوا ورقصوا فسموا مغيرة لهذا المعنى. وقال. الزجاج سموا مغيرين لتزهدهم الناس فى الفانى من الدنيا وترغيبهم فى الآخرة. وحدثنا هبة الله بن احمد الحريرى عن أبى الطيب طاهر ابن عبد الله الطبرى قال قال الشافعى الغناء لهو مكروه يشبه الباطل. ومن استكثر منه فهو سفیه ترد شهادته. قال: وكان الشافعى يكره التعيير. قال الطبرى فقد أجمع علماء الأمصار كراهية الغناء والمنع منه وإنما فارق الجماعة إبراهيم بن سعد وعبيد الله العنبرى وقد قال رسول الله ﷺ. عليكم بالسواد الأعظم فإنه من شذ شذ فى النار. وقال من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية.

قال المصنف قلت: وقد كان رؤساء أصحاب الشافعى رضى الله عنهم ينكرون السماع. وأما قدمائهم فلا يعرف بينهم خلاف وأما أكابر المتأخرين فعلى الانكار. منهم أبو الطيب الطبرى وله فى ذم الغناء والمنع كتاب مصنف حدثنا به عنه أبو القاسم الحريرى ومنهم القاضى أبو بكر محمد بن مظفر الشامى أبناً عبد الوهاب بن المبارك الانماطى عنه. قال لا يجرز الغناء ولا سماعه ولا الضرب بالقضيب. قال ومن أضاف إلى الشافعى هذ فقد كذب عليه. وقد نص الشافعى فى كتاب أدب القضاء. على أن الرجل إذا دام على سماع الغناء ردت شهادته وبطلت عدالته.

قال المصنف رحمه الله قلت: فهذا قول علماء الشافعية وأهل التدين منهم وإنما رخص فى ذلك من متأخريهم من قلّ علمه وغلبه هواه. وقال الفقهاء من أصحابنا لا تقبل شهادته المغنى والرقاص والله الموفق

فصل

فى ذكر الأدلة على كراهية الغناء والنوح والمنع منهما

قال المصنف. وقد استدل أصحابنا بالقرآن والسنة والمعنى. فأما الاستدلال من القرآن فبثلاث آيات. الآية الأولى قوله عز وجل ﴿ومن

الناس من يشتري لهو الحديث» أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك ويحيى بن على قالنا أبو محمد الصريفي نأ أبو بكر بن عبدان ثنا عبد الله بن منيع ثنا عبد الله ابن عمر ثنا صفوان بن عيسى قال حميد الخياط أخبرنا عن عمار بن أبي معاوية عن سعيد بن جبير عن أبي الصهباء . قال سألت ابن مسعود عن قول الله عز وجل «ومن الناس من يشتري لهو الحديث» قال هو والله الغناء أخبرنا عبد الله بن علي المقرئ ومحمد بن ناصر الحافظ قالنا طراد بن محمد نا ابي بشران نا ابن صفوان ثنا أبو بكر القرشي ثنا زهير بن حرب ثنا جرير عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس «ومن الناس من يشتري لهو الحديث» قال هو الغناء وأشباهه . أخبرنا عبد الله بن محمد الحاكم ويحيى ابن علي المدبر قالنا أبو الحسين بن النقور نا ابن حياة ثنا البغوي ثنا هدبه ثنا حماد بن سلمة بن حميد عن الحسن بن مسلم عن مجاهد «ومن الناس من يشتري لهو الحديث» قال الغناء . أخبرنا ابن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار نا أبو اسحاق البرمكي نا احمد بن جعفر بن مسلم نا احمد بن محمد بن عبد الخالق ثنا أبو بكر المروزي ثنا احمد بن حنبل ثنا عبدة ثنا إسماعيل عن سعيد بن يسار . قال سألت عكرمة عن لهو الحديث قال الغناء . وكذلك قال الحسن وسعيد بن جبير وقتادة وإبراهيم النخعي .

الآية الثانية قوله عز وجل «وأنتم سامدون» أخبرنا عبد الله بن على نا طراد بن محمد نا ابن بشران نا ابن صفوان ثنا أبو بكر القرشي ثنا عبيد الله ابن عمر ثنا يحيى بن سعد عن سفيان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس «وأنتم سامدون» قال : هو الغناء بالخميرية سمد لنا - غنى لنا . وقال مجاهد هو الغناء يقول أهل اليمن : سمد فلان إذا غنى .

الآية الثالثة قوله عز وجل : «واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك» . أخبرنا موهوب بن احمد نا ثابت بن بNDAR نا عمر بن إبراهيم الزهري نا عبد الله بن إبراهيم بن ماسي ثنا الحسين بن الكميت ثنا محمد بن نعيم بن القاسم الجرمي عن سفيان الثوري عن ليث عن مجاهد : «واستفزز من استطعت منهم بصوتك» . قال هو الغناء والمزامير .

أما السنة . أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر نا عبد الله ابن أحمد ثنى أبي ثنا الوليد بن مسلم ثنا سعيد بن عبد العزيز عن

سليمان بن موسى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنه . أنه سمع صوت زمارة راع فوضع أصبعيه فى أذنيه وعدل راحلته عن الطريق . وهو يقول يانافع أتسمع فأقول نعم فيمضى حتى قلت لا فوضع يديه وأعاد راحلته إلى الطريق وقال رأيت رسول الله ﷺ سمع زمارة راع فصنع مثل هذا .

قال المصنف رحمه الله: إذا كان هذا فعلهم فى حق صوت لا يخرج عن الاعتدال فكيف بغناء أهل الزمان وزمورهم . أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك ابن عبيد الجبار نا الحسين بن محمد النصيبى ثنا إسماعيل بن سعيد ابن سويد ثنا أبو بكر بن الانبارى ثنا عبيد بن عبد الواحد بن شريك البزار ثنا ابن ابى مريم ثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله ابن عمر عن على ابن زيد عن القاسم عن أبى أمامة قال نهى رسول الله ﷺ عن شراء المغنيات وبيعهن وتعليمهن . وقال ثمنهن حرام . وقرأ «ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين» .

أخبرنا عبد الله بن على المقرئ نا أبو منصور محمد بن محمد المقرئ نا أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن بشران نا عمر بن احمد بن عبد الرحمن الجمحى ثنا منصور ابن أبى الأسود عن أبى المهلب عن عبيد الله بن عمر عن على بن زيد عن القاسم عن أبى أمامة . قال نهى رسول الله ﷺ عن بيع المغنيات وعن التجارة فيهن وعن تعليمهن الغناء . وقال ثمنهن حرام . وقال فى هذا أو نحوه . أو وقال شبهه نزلت على «ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله» وقال مامن رجل يرفع عقيرة صوته للغناء الا بعث الله له شيطانين يرتد فانه أعنى هذا من ذا الجانب وهذا من ذا الجانب ولا يزالان يضربان بأرجلهما فى صدره حتى يكون هو الذى يسكت ، وروت عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ أنه قال: إن الله عز وجل حرم المغنية وبيعها وثمانها وتعليمها والإستماع اليها ثم قرأ ومن الناس من يشتري لهو الحديث . وروى عبد الرحمن ابن عوف عن النبى ﷺ أنه قال: إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين صوت عند نغمة وصوت عند مصيبة .

أخبرنا ظفر بن على نا أبو على الحسن بن احمد المقتدى نا أبو نعيم الحافظ نا حبيب ابن الحسن بن على بن الوليد ثنا محمد بن كليب ثنا

خلف بن خليفة عن إبان المكتب عن محمد بن عبد الرحمن عن عطاء بن أبي رباح عن بن عمر قال دخلت مع رسول الله ﷺ فاذا ابنه ابراهيم يجود بنفسه فأخذه رسول الله ﷺ فوضعه في حجره ففاضت عيناه فقلت يا رسول الله أتبكي وتنهانا عن البكاء فقال لست أنهي عن البكاء إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين صوت عند نغمة لعب ولهو ومزامير الشيطان وصوت عند مصيبة ضرب وجه وشق جيوب ورنه شيطان .

أخبرنا عبد الله بن علي المقرئ نا جدي أبو منصور محمد بن احمد الخياط نا عبد الملك بن محمد بن بشران ثنا أبو علي احمد بن الفضل بن خزيمة ثنا محمد بن سويد الطحان ثنا عاصم بن علي ثنا عبد الرحمن بن ثابت عن أبيه عن مكحول عن جبير ابن نفير عن مالك بن نحام الثقة عن عكرمة عن ابن عباس رضی الله عنه . أن النبي ﷺ قال . بعثت بهدم المزارم والطبل .

أخبرنا ابن الحصين نا أبو طالب بن عيلان نا أبو بكر الشافعي ثنا عبد الله ابن محمد ابن ناجية ثنا عباد بن يعقوب ثنا موسى بن عمير عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي . قال قال رسول الله ﷺ . بعثت بكسر المزامير أخبرنا أبو الفتح الكروجي نا أبو عامر الأردى وأبو بكر العروجي قالنا نا الجراحي ثنا المحبوبي ثنا الترمذي ثنا صالح ابن عبد الله ثنا الفرج بن فضالة عن يحيى بن سعيد عن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن علي بن أبي طالب رضی الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء فذكر منها اذا اتخذت القيان والمعارف قال الترمذي وحدثنا علي بن حجر نا محمد بن يزيد عن المستلم بن سعيد عن رميح الجذامي عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ اذا اتخذ الفئء دولا ، والأمانة مغنما ، والزكاة مغرماً ، وتعلم لغير الدين ، وأطاع الرجل امرأته وعق أمه ، وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرت الأصوات في المساجد ، وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعارف ، وشربت الخمر ، ولعن آخر هذه الأمة أولها . فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وزلزلة وخسفاً ومسحاً وقذفاً وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع . وقد روى عن سهل بن سعد عن النبي ﷺ أنه قال . يكون في أمتي حسف وقذف ومسح . قيل يا رسول الله متى . قال . إذا ظهرت

المعارف والقينات واستحلت الخمر . أبناؤنا أبو الحسن سعد الخير بن محمد الانصارى فى كتاب السنن لابن ماجه قال نا أبو العباس أحمد بن محمد الأسد ابادى نا أبو منصور المقومى نا أبو طلحة القاسم بن المنذر نا أبو الحسن بن ابراهيم القطان ثنا محمد بن يزيد بن ماجه ثنا الحسين بن أبى الربيع الجرجانى ثنا عبد الرارق أخبرنى يحيى بن العلاء أنه سمع مكحولاً يقول أنه سمع يزيد بن عبد الله يقول أنه سمع صفوان بن أميه قال كنا مع رسول الله ﷺ فجاء عمرو بن قره فقال يا رسول الله: أن الله عز وجل قد كتب على الشفوة فما أرانى أرزق إلا من دفى بكفى فأذن لى فى الغناء فى غير فاحشة . فقال له رسول الله ﷺ لا آذن لك ولاكرامة ولانعمة عين . كذبت ياعدو الله لقد رزقك الله حلالاً طيباً فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله . ولو كنت تقدمت اليك لفعلت بك وفعلت . قم عنى وتب إلى الله عز وجل . أما انك لو قلت بعد التقدمة اليك ضربتك ضرباً وبجيعاً . وحلقت رأسك مثله ونفيتك من أهلك . وأحللت سلبك نهبة لفتيان المدينة . فقام عمرو وبه من الشر والخزى مالا يعلمه إلا الله عز وجل . فلما ولى قال رسول الله ﷺ « هؤلاء العصاة من مات منهم بغير توبة حشرة الله عز وجل عريان لا يستر بهدمة كلما قام صرع » .

وأما الآثار فقال ابن مسعود: الغناء يثبت النفاق فى القلب كما ينب الماء البقل وقال . اذا ركب الرجل الدابة ولم يسم ردفه الشيطان . وقال: تغنه فان لم يحسن . قال له : تمنه .

ومر ابن عمر رضى الله عنه بقوم محرمين وفيهم رجل يتغنى . قال ألا لا سمع الله لكم . ومر بجارية صغيرة تغنى فقال : لو ترك الشيطان أحدا لترك هذه . وسأل رجل القاسم بن محمد عن الغناء فقال أنهاك عنه وأكرهه لك . قال : أحرام هو؟ قال : انظر يا ابن أخى إذا ميز الله الحق من الباطل ففى أيهما يجعل الغناء . وعن الشعبي . قال : لعن المغنى والمغنى له . أخبرنا عبد الله بن على المقرئ ومحمد بن ناصر قالنا طراد بن محمد نا أبو الحسين بن بشران نا أبو على بن صفوان ثنا أبو بكر القرشى ثنا الحسين بن عبد الرحمن ثنا عبد الله بن الوهاب قال أخبرنى أبو حفص عمر بن عبيد الله الأرموى . قال . كتب عمر بن عبد العزيز الى

مؤدب ولده ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي التي بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن عز وجل . فانه بلغني عن الثقات من حملة العلم أن حضور المعارف واستماع الأغاني واللهج بها ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب . ولعمري لتوقى ذلك بترك حضور تلك المواطن أيسر على ذى الذهن من الثبوت على النفاق فى قلبه . وقال فضيل بن عياض . الغناء رقية الزنا . وقال الضحاك الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب . وقال يزيد بن الوليد يابنى أمية إياكم والغناء فإنه يزيد الشهوة ويهدم المروءة وأنه لينوب عن الخمر ويفعل مايفعل السكر . فان كتتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء ، فان الغناء داعية الزنا .

قال المصنف رحمه الله قلت: وكم قد فتنت الأصوات بالغناء من عابد وراهد وقد ذكرنا جملة من أخبارهم فى كتابنا المسمى بدم الهوى . أخبرنا محمد بن ناصر نا ثابت ابن بندار نا أبو الحسين محمد بن عبد الواحد بن رزمه أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى ثنى محمد بن يحيى عن معن ابن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه . قال: كان سليمان بن عبد الملك فى بادية له . فسمر ليلة على ظهر سطح ثم تفرق عنه جلساؤه: فدعا بوضوء فجاءت به جارية له فبينما هى تصب عليه إذ استمدتها بيده، وأشار اليها فاذا هى ساهية مصغية بسمعها مائلة بجسدها كله إلى صوت غناء تسمعه فى ناحية العسكر . فأمرها فتنحت واستمع هو الصوت . فاذا صوت رجل يغنى فأنصت له حتى فهم ما يغنى به من الشعر . ثم دعا جارية من جواريه غيرها فتوضأ فلما أصبح أذن للناس إذناً عاماً . فلما أخذوا مجالسهم أجرى ذكر الغناء ومن كان يسمعه ولين فيه حتى ظن القوم أنه يشتهي فافاضوا فى التليين والتحليل والتسهيل . فقال: هل بقى أحد يسمع منه . فقام رجل من القوم فقال . ياأمير المؤمنين عندى رجلان من أهل ايلة حاذقان، قال . وأين منزلك من العسكر فأومى إلى الناحية التى كان الغناء منها . فقال سليمان يبعث اليهما فوجد الرسول أحدهما فأقبل به حتى أدخله على سليمان، فقال له، ما إسمك؟ قال، سمير، فسأله عن الغناء . كيف هو فيه فقال: حاذق محكم . قال ومتى عهدك به . قال . فى ليلتى هذه الماضية . قال . وفى أى نواحى العسكر كنت فذكر له الناحية التى سمع منها الصوت . قال . فما غنيت فذكر الشعر الذى سمعه

سليمان. فأقبل سليمان فقال هدر الجمل فضبعت الناقة وهب التيس فشكرت الشاه. وهدل الحمام فزافت الحمامة. وغنى الرجل فطربت المرأة. ثم أمر به فخصى. وسأل عن الغناء أين أصله وأكثر ما يكون. قالوا: بالمدينة وهو فى المختشين وهم الخذاق به والائمة فيه فكتب الى عامله على المدينة وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أن أخصى من قبلك من المختشين المغنين.

قال المصنف رحمه الله: وأما المعنى فقد بينا أن الغناء يخرج الانسان عن الاعتدال ويغير العقل. وبيان هذا أن الانسان اذا طرب فعل ما يستقبحه فى حال صحته من غيره من تحريك رأسه، وتصفيق يديه، ودق الأرض برجليه. إلى غير ذلك مما فعله أصحاب العقول السخيفة، والغناء يوجب ذلك بل يقارب فعله فعل الحسر فى تغطية العقل. فينبغى أن يقع المنع منه. أخبرنا عمر بن ظنر نا جعفر بن أحمد نا عبد العزيز ابن على الأزجى نا ابن جهضم ثنا يحيى ابن المؤمل ثنا أبو بكر السفاف ثنا أبو سعيد الخراز. قال ذكر عند محمد ابن منصور أصحاب القصائد فقال: هؤلاء النراون من الله عز وجل لو ناصحوا الله ورسوله وصدقوه لافادهم فى سرائرهم مايشغلهم عن كثرة التلقى. أخبرنا محمد بن ناصر نا عبد الرحمن بن أبى الحسين بن يوسف نا محمد بن على العبادى. قال قال أبو عبد الله بن بطة العبرى. سألتى سائل عن استماع الغناء فنهيته عن ذلك وأعلمته أنه مما أنكرته العلماء واستحسنه السفهاء وإنما تفعله طائفة سموا بالصوفية وسماهم المحققون الجبرية أهل همم دنيئة وشرائع بدیعة يظهرن الزهد وكل أسبابهم ظلمة. يدعون الشوق والمحبة بإسقاط الخوف والرجاء. يسمعون من الأحداث والنساء ويطربون ويصعقون ويتغاشون ويتماوتون ويزعمون أن ذلك من شدة حبهم لربهم وشوقهم اليه تعالى الله عما يقوله الجاهلون علواً كبيراً.

فصل فى ذكر الشبه التى تعلق بها من اجاز سماع الغناء

فمنها حديث عائشة رضی الله عنها أن الجاريتين كانتا تضربان عندها بدفين وفى بعض الفاظه دخل على أبو بكر وعندى جاريتان من جوارى الأنصار تغنيان بما تناولت به الأنصار يوم بعث. فقال أبو بكر: أمزمور الشيطان فى بيت رسول الله ﷺ؟ فقال رسول الله: دعهما يا أبا بكر

إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا. وقد سبق ذكر الحديث: ومنها حديث عائشة رضى الله عنها أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار. فقال النبي ﷺ يا عائشة ما كان معهم من اللهو. فإن الأنصار يعجبهم اللهو - وقد سبق ومنها حديث فضالة ابن عبيد عن النبي ﷺ أنه قال: الله أشد اذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قيته. قال ابن طاهر: وجه الحجة أنه أثبت تحليل استماع الغناء إذ لا يجوز أن يقاس على محرم ومنها حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ. أنه قال: ما أذن الله عز وجل لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن ومنها حديث حاطب عن النبي ﷺ أنه قال: فصل ما بين الحلال والحرام الضرب بالدف.

والجواب. أما حديثا عائشة رضى الله عنها فقد سبق الكلام عليهما وبيننا أنهم كانوا ينشدون الشعر وسمى بذلك غناء لنوع يثبت في الانشاد وترجيح ومثل ذلك لا يخرج الطباع عن الاعتدال وكيف يحتج بذلك الواقع في الزمان السليم عند قلوب صافية على هذه الأصوات المطربة الواقعة في زمان كدر عند نفوس قد تملكها الهوى ما هذا الامغالطة للفهم أو ليس قد صحح في الحديث عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت. لو رأى رسول الله ﷺ ما أحدث النساء لمنعهن المساجد، وإنما ينبغى للمفتى أن يزن الأحوال كما ينبغى للطبيب أن يزن الزمان والسن والبلد ثم يصف على مقدار ذلك وأين الغناء بما تقاوت به الأنصار يوم بعثت من غناء أمر د مستحسن بآلات مستطابة وصناعة تجذب إليها النفس وغزليات يذكر فيها الغزال والغزاة والخال والخد والقدر والاعتدال فهل يثب هناك طبع هيات بل يتزعج شوقاً إلى المستلد ولا يدعى أنه لا يجد ذلك إلا كاذب أو خارج عن حد الآدمية ومن ادعى أخذ الاشارة من ذلك إلى الخسائق فقد استعمل في حقه ما لا يليق به على أن الطبع يسبقه إلى ما يجد من الهوى وقد أجاب أبو الطيب الطبرى عن هذا الحديث بجواب آخر. فأخبرنا أبو القاسم الحريرى عنه أنه قال. هذا الحديث حججتنا لأن أبا بكر سمي ذلك مزموماً الشيطان ولم ينكر النبي ﷺ على أبى بكر قوله وإنما منعه من التغليظ في الإنكار لحسن رفعة لاسيما في يوم العيد. وقد كانت عائشة رضى الله عنها صغيرة في ذلك الوقت ولم ينقل عنها بعد بلوغها وتحصيلها إلا ذم الغناء. وقد كان ابن أخيها القاسم بن محمد يذم الغناء

ويجمع من سماعه وقد أخذ العلم عنها.

قال المصنف رحمه الله: وأما اللهو المذكور في الحديث الآخر فليس بصريح في الغناء فيجوز أن يكون إنشاد الشعر أو غيره. وأما التشبيه بالاستماع إلى القينة فلا يمتنع أن يكون المشبه حراماً. فإن الإنسان لو قال وجدت للعسل لذة أكثر من لذة الخمر كان كلاماً صحيحاً وإنما وقع التشبيه بالأصغاء في الحالتين فيكون أحدهما حلالاً أو حراماً لا يمنع من التشبيه. وقد قال عليه الصلاة والسلام أنكم لترون ربكم كما ترون القمر فشبّه أيضاً الرؤية بإيضاح الرؤية وإن كان وقع الفرق بأن القمر في جهة يحيط به نظر الناظر والحق منزّه عن ذلك والفقهاء يقولون في ماء الوضوء لانشف الأعضاء منه لأنه أثر عبادة فلا يسن مسحه كدم الشهيد. فقد جمعوا بينهما من جهة اتفاهما في كونهما عبادة. وإن افترقا في الطهارة والنجاسة. واستدلال ابن طاهر بأن القياس لا يكون إلا على مباح فقه الصوفية لأعلم الفقهاء. وأما قوله له يتغنى بالقرآن فقد فسره سفيان بن عيينة فقال معناه يستغنى به وفسره الشافعي فقال. معناه يتحزن به ويترنم وقال غيرهما يجعله مكان غناء الركبان إذا ساروا. وأما الضرب بالدف فقد كان جماعة من التابعين يكسرون الدفوف وما كانت هكذا - فكيف لو رأوا هذه - وكان الحسن البصري يقول ليس الدف من سنة المرسلين في شيء. وقال أبو عبيد القاسم بن سلام من ذهب به إلى الصوفية فهو خطأ في التأويل على رسول الله ﷺ. وإنما معناه عندنا إعلان النكاح واضطراب الصوت والذكر في الناس.

قال المصنف رحمه الله قلت: ولو حمل على الدف حقيقة على أنه قد قال أحمد ابن حنبل أرجو أن لا يكون بالدف بأس في العرس ونحوه وأكره الطبل. أخبرنا عبد الله بن علي المقرئ نا نصر بن أحمد بن النظر نا أبو محمد عبد الله بن عبيد الله المؤدب ثنا الحسين بن اسماعيل المحاملي ثنا عبيد الله بن جرير بن جبلة ثنا عمر بن مرزوق ثنا زهير عن أبي اسحق عن عامر بن سعد البجلي قال طلبت ثابت ابن سعد وكان بديراً فوجدته في عرس له قال وإذا جوار يغنين ويضربن بالدفوف فقلت ألا تنهى عن هذا قال لا أن رسول الله ﷺ رخص لنا في هذا أخبرنا عبد الله بن علي نا جدى أبو منصور محمد ابن أحمد الخياط نا عبد الملك بن بشران

ثنا أبو علي أحمد ابن الفضل بن خزيمة ثنا أحمد بن القاسم الطائي ثنا ابن سهم ثنا عيسى بن يونس عن خالد بن الياس عن ربيعة ابن أبي عبد الرحمن عن القاسم عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ اظهروا النكاح واضربوا عليه بالغربال يعنى الدف .

قال المصنف رحمه الله: وكل ما احتجوا به لايجوز أن يستدل به على جواز هذا الغناء المعروف المؤثر فى الطباع، وقد احتج لهم أقوام مفتونون بحب التصوف بما لا حجة فيه فمنهم أبو نعيم الأصفهاني فانه قال كان البراء بن مالك يميل إلى السماع ويستلذ بالترنم.

قال المصنف رحمه الله: وإنما ذكر أبو نعيم هذا عن البراء لانه روى عنه أنه استلقى يوما فترنم فانظر الى هذا الاحتجاج البارد فان الانسان لا يخلو من أن يترنم فأين الترنم من السماع للغناء المطرب . وقد استدل لهم محمد بن طاهر بأشياء لولا أن يعثر على مثلها جاهل فيغتر لم يصلح ذكرها لأنها ليست بشئ فمنها أنه قال فى كتابه باب الاقتراح على القوال والسنة فيه . فجعل الاقتراح على القوال سنة واستدل بما روى عمرو بن الشريد عن أبيه . قال، استنشدنى رسول الله ﷺ من شعر أمية فأخذ يقول هى هى حتى أنشدته مائة قافيه، وقال ابن طاهر باب الدليل على استماع الغزل . قال العجاج سألت أبا هريرة رضى الله عنه طاف الخيالات فهاجا سقما . فقال أبو هريرة رضى الله عنه كان ينشد مثل هذا بين يدى رسول الله ﷺ .

قال المصنف رحمه الله: فانظر إلى احتجاج ابن طاهر ما عجبه كيف يحتج على جواز الغناء بانشاد الشعر ومماثلة الاكمثل من قال . يجوز أن يضرب بالكف على ظهر العود فجاز أن يضرب بأوتاره أو قال . يجوز أن يعصر العنب ويشرب منه فى بومه فجاز أن يشرب منه بعد أيام، وقد نسي أن إنشاد الشعر لا يطرب كما يطرب الغناء . وقد أنبأنا أبو زرعة بن محمد بن طاهر عن أبيه ، قال أخبرنا أبو محمد التميمي قال، سألت الشريف أبا علي بن أبي موسى الهاشمي عن السماع فقال . ما أدري ما أقول فيه غير انى حضرت ذات يوم شيخنا أبا الحسن عبد العزيز بن الحارث التميمي سنة سبعين وثلاثمائة فى دعوة عملها لأصحابه حضرها أبو بكر الأبهري شيخ المالكيين وأبو القاسم الداركي شيخ الشافعيين وأبو الحسن طاهر بن الحسين شيخ أصحاب الحديث وأبو الحسين ابن سمعون

شيخ الوعاظ والزهاد وأبو عبد الله بن مجاهد شيخ المتكلمين وصاحبه أبو بكر بن الباقلاني في دار شيخنا أبي الحسن التميمي شيخ الحنابلة. فقال: أبو علي لو سقط السقف عليهم لم يبق بالعراق من يفتي في حادثة بسنة. ومعهم أبو عبد الله غلام وكان يقرأ القرآن بصوت حسن ف قيل له قل شيئاً فقال: وهم يسمعون.

خطت أناملها في بطن قرطاس

رسالة بعبير لا بأنفس

أن زر فديتك قف لي غير محتشم

فان حبك لي قد شاع في الناس

فكان قولي لمن أدى رسالتها

قف لي لأمشي على العينين والرأس

قال أبو علي فبعد ما رأيت هذا لا يمكنني أن أفتي في هذه المسألة بحظر ولا أباحة.

قال المصنف رحمه الله: وهذه الحكاية ان صدق فيها محمد بن طاهر فان شيخنا ابن ناصر الحافظ كان يقول ليس محمد بن طاهر بثقة حملت هذه الأبيات على انه أنشدها لا أنه غنى بها بقضيب ومخدة اذ لو كان كذلك لذكره ثم فيها كلام مجمل قوله لا يمكنني أن أقول فيها بحظر ولا إباحة لأنه ان كان مقلداً لهم فينبغي أن يفتي بالإباحة وان كان ينظر في الدليل فيلزمه مع حضورهم أن يفتي بالحظر ثم بتقدير صحتها أفلا يكون اتباع المذهب أولى من اتباع أرباب المذاهب. وقد ذكرنا عن أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رضوان الله عليهم أجمعين ما يكفي في هذا وشيدنا ذلك بالأدلة. وقال ابن طاهر في كتابه: باب إكرامهم للقول وإفرادهم الموضع له - واحتج بأن النبي ﷺ رمى برده كانت عليه إلى كعب بن زهير لما أنشده بانته سعاد. وإنما ذكرت هذا ليعرف قدر فقه هذا الرجل واستنباطه وإلا فالزمان أشرف من أن يضيع بمثل هذا التخليط. وأنبأنا أبو زرعة عن أبيه محمد بن طاهر نا أبو سعيد اسماعيل بن محمد الحجاجي ثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد المقرئ ثنا أبي ثنا علي ابن أحمد ثنا محمد بن العباس بن بلال قال سمعت سعيد بن محمد قال حدثني

ابراهيم بن عبد الله وكان الناس يتبركون به قال حدثنا المزني قال مررنا مع الشافعي وابراهيم بن اسماعيل على دار قوم وجارية تغنيهم .

خليلي ما بال المطايا كأننا نراها على الأعقاب بالقوم تنكص فقال الشافعي . ميلوا بنا نسمع ، فلما فرغت قال الشافعي لابراهيم : أيطربك هذا . قال لا . قال . فما لك حس .

قال المصنف رحمه الله قلت : وهذا محال على الشافعي رضي الله عنه وفي الرواية مجهولون وابن طاهر لا يوثق به وقد كان الشافعي أجل من هذا كله . ويدل على صحة ما ذكرناه ما أخبرنا به أبو القاسم الحريري عن أبي الطيب الطبري . قال : أما سماع الغناء من المرأة التي ليست بمحرم فإن أصحاب الشافعي قالوا . لا يجوز سواء كانت حرة أو مملوكة قال وقال الشافعي . وصاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سفیه ترد شهادته . ثم غلظ القول فيه فقال وهو دياته .

قال المصنف رحمه الله : وإنما جعل صاحبها سفیها فاسقا لأنه دعا الناس إلى الباطل ومن دعا إلى الباطل كان سفیها فاسقا .

قال المصنف رحمه الله قلت : وقد أخبرنا محمد بن القاسم البغدادي عن أبي محمد التميمي عن أبي عبد الرحمن السلمی . قال : اشترى سعد بن عبد الله الدمشقي جارية قوالة للفقراء وكانت تقول لهم القصائد .

قال المصنف رحمه الله قلت : وقد ذكر أبو طالب المكي في كتابه قال أدركنا مروان القاضي وله جوار يسمعون التلحين قد أعدهن للصوفية . قال : وكانت لعطاء جاريتان تلحنان وكان اخوانه يسمعون التلحين منهما .

قال المصنف رحمه الله قلت : أما سعد الدمشقي فرجل جاهل ، والحكاية عن عطاء محال وكذب ، وان صحت الحكاية عن مروان فهو فاسق والسدليل على ما قلنا ما ذكرنا عن الشافعي رضي الله عنه وهؤلاء القوم جهلوا العلم فمالوا إلى الهوى . وقد أنبأنا زاهر بن طاهر قال : أنبأنا أبو عثمان الصابوني وأبو بكر البيهقي قالا أنبأنا الحاكم أبو عبد الله النيسابوري . قال أكثر ما التقيت أنا وفارس بن عيسى الصوفي في دار أبي بكر الأبريسي للسمع من هزارة رحمها الله فإنها كانت من مستورات القوالات .

قال المصنف : قلت . وهذا أقبح شيء من مثل الحاكم كيف خفي عليه

أنه لا يحل له أن يسمع من امرأة ليست بمحرم ثم يذكر هذا في كتاب تاريخ نيسابور وهو كتاب علم من غير تحاش عن ذكر مثله لقد كفاه هذا قد حافى عدالته .

قال المصنف رحمه الله: فان قيل ماتقول فيما أخبركم به اسماعيل بن احمد السمرقندي نا عمر بن عبد الله نا أبو الحسين بن بشران نا عثمان بن احمد نا حنبل بن اسحاق ثنا هرون بن معروف ثنا جرير عن مغيرة قال كان عون بن عبد الله يقصُّ فاذا فرغ أمر جارية له تقص وتطرب . قال المغيرة . فأرسلت اليه أو أردت أن ارسل اليه انك من أهل بيت صدق وأن الله عز وجل لم يبعث نبيه ﷺ بالحرق . وان صنيعك هذا صنيع أحرق . فالجواب أنا لا يظن بعون أنه أمر الجارية أن تقص على الرجال بل أحب أن يسمعها منفردا وهي ملكه . فقال له مغيرة الفقيه هذا القول وكره أن تطرب الجارية له فما ظنك بمن يسمعن الرجال ويرقصهن ويطربهن : وقد ذكر أبو طالب المكي أن عبد الله بن جعفر - كان يسمع الغناء .

قال المصنف رحمه الله: وإنما كان يسمع إنشاد جواريه وقد أردف ابن طاهر الحكاية التي ذكرها عن الشافعي وقد ذكرناها آنفا بحكاية عن احمد بن حنبل رواها من طريق عبد الرحمن السلمى قال حدثنا الحسين بن احمد قال سمعت أبا العباس الفرغانى يقول سمعت صالح بن احمد بن حنبل يقول: كنت أحب السماع وكان أبى احمد يكره ذلك فوعدت ليلة ابن الخبازة فمكث عندى إلى أن علمت أن أبى قد نام وأخذ يغنى فسمعت حس أبى فوق السطح فصعدت فرأيت أبى فوق السطح يسمع وذيله تحت أبطه يتبخطر على السطح كأنه يرقص .

قال المصنف رحمه الله: هذه الحكاية قد بلغتنا من طرق ففى بعض الطرق عن صالح قال . كنت أدعو ابن الخبازة القصائدى وكان يقول ويلحن وكان أبى فى الزقاق يذهب ويجئ ويسمع اليه وكان بيننا وبينه باب وكان يقف من وراء الباب يستمع وقد أخبرنا بها أبو منصور القزاز نا أبو بكر احمد بن على بن ثابت نا احمد بن على بن الحسين النورى ثنا يوسف بن عمر القواس قال سمعت أبا بكر بن مالك القطيعى يحكى أظنه عن عبد الله بن احمد قال كنت أدعو ابن الخبازة القصائدى وكان يقول ويلحن وكان أبى ينهانى عن التغنى فكنت إذا كان ابن الخبازة عندى

أكتمه عن أبي لثلا يسمع فكأن ذات ليلة عندي وكان يغنى فعرضت لأبي عندنا حاجة وكنا في زقاق فجاء فسمعه يغنى فسمع فوق في سمعه شيء من قوله فخرجت لأنظر فإذا بأبي ذاهبا وجائيا فرددت الباب فدخلت فلمان كان من الغد. قال لي: يا بني إذا كان هذا: نعم. . الكلام أو معناه.

قال المصنف رحمه الله: وهذا ابن الخبازة كان ينشد القصائد الزهديات التي فيها ذكر الآخرة. ولذلك استمع إليه أحمد، وقول من قال يتزعج فإن الإنسان قد يزعجه الطرب فيميل يمينا وشمالا. وأما رواية ابن طاهر التي فيها فرأيته وذيله تحت أبطه يتبختر على السطح كأنه يرقص فإنما هو من تغيير الرواة وتغييرهم لا يظنون المعنى تصحيحاً لمذهبهم في الرقص. وقد ذكرنا القدح في السلمى وفي ابن طاهر الراويين لهذه اللفظات. وقد احتج لهم أبو طالب المكي على جواز السماع بمنامات وقسم السماع إلى أنواع وهو تقسيم صوفى لأصل له. وقد ذكرنا أن من ادعى أنه يسمع الغناء ولا يؤثر عنده تحريك النفس إلى الهوى فهو كاذب. وقد أخبرنا أبو القاسم الحريري عن أبي طالب الطبري قال قال بعضهم. أنا لا نسمع الغناء بالطبع الذي يشترك فيه الخاص والعام: قال وهذا تجاهل من عظيم لأمرين. أحدهما أنه يلزمه على هذا أن يستريح العود والطنبور وسائر الملاحى لأنه يسمعه بالطبع الذي لا يشاركه فيه أحد من الناس فإن لم يستبح ذلك فقد نقض قوله وإن استباح فقد فسق. والثاني أن هذا المدعى لا يخلو من أن يدعى أنه فارق طبع البشر وصار بمنزلة الملائكة. فإن قال هذا فقد تخرص على طبعه وعلم كل عاقل كذبه إذا رجع إلى نفسه ووجب أن لا يكون مجاهداً لنفسه ولا مخالفاً لهواه ولا يكون له ثواب على ترك اللذات والشهوات. وهذا لا يقوله عاقل وإن قال أنا على طبع البشر المجبول على الهوى والشهوة: قلنا له: فكيف تسمع الغناء المطرب بغير طبعك، أو تطرب لسماعه لغير ما غرس في نفسك.

أخبرنا ابن ناصر نا أحمد بن على بن خلف ثنا أبو عبد الرحمن السلمى قال: سمعت أبا القاسم الدمشقى يقول: سئل أبو على الرودبارى عمّن سمع الملاحى ويقول هى لى حلال لأنى قد وصلت إلى درجة لا تؤثر فى اختلاف الاحوال فقال نعم. قد وصل لعمرى ولكن الى سقر.

قال المصنف رحمه الله: فإن قيل قد بلغنا عن جماعة أنهم سمعوا من المنشد شيئاً فأخذوه على مقصودهم فانتفعوا به. قلنا. لا ينكر أن يسمع الانسان بيتاً من الشعر أو حكمة فيأخذها إشارة فتزعجه بمعناها لالأن الصوت مطرب كما سمع بعض المريدين صوت مغنية تقول.

كل يوم تـلـون غير هذا بك أجمل

فصاح ومات فهذا لم يقصد سماع المرأة ولم يلتفت إلى التلحين. وإنما قتله المعنى ثم ليس سماع كلمة أو بيت لم يقصد سماعه كالأستعداد لسماع الآيات المذكورة الكثيرة المطربة مع انضمام الضرب بالقضيب والتصفيق إلى غير ذلك ثم إن ذلك السامع لم يقصد السماع. ولو سألنا هل يجوز لى أن أقصد سماع ذلك منعناه

قال المصنف رحمه الله: وقد احتج لهم أبو حامد الطوسي بأشياء نزل فيها عن رتبته عن الفهم مجموعها أنه قال: ما يدل على تحريم السماع نص ولا قياس وجواب هذا ما قد أسلفناه وقال: لاوجه لتحريم سماع صوت طيب فاذا كان موزوناً فلا يحرم أيضاً وإذا لم يحرم الأحاد فلا يحرم المجموع. فان أفراد المباحثات إذا اجتمعت كان المجموع مباحاً قال: ولكن ينظر فيما يفهم من ذلك فان كان فيه شئ محظور حرم نشره ونظمه، وحرمة التصويت به.

قال المصنف رحمه الله قلت: وإنى لأتعجب من مثل هذا الكلام فان الوتر بمفرده أو العود وحده من غير وتر لو ضرب لم يحرم ولم يطرب فاذا اجتمعا وضرب بهما على وجه مخصوص حرم وأزعج، وكذلك ماء العنب جائز شربه وإذا حدثت فيه شدة مطربة حرم.

وكذلك هذا المجموع يوجب طرباً يخرج عن الاعتدال فيمنع منه لذلك. وقال ابن عقيل: الأصوات على ثلاثة أضرب محرم ومكروه ومباح. فالمحرم الزمر والنأي والسرنا والطنبور والمعزقة والرباب وما مثلها، نص الإمام أحمد بن حنبل على تحريم ذلك. ويلحق به الجرافة والجنك لأن هذه تطرب فتخرج عن حد الاعتدال وتفعل في طباع الغالب من الناس مايفعله المسكر، وسواء استعمل على حزن يهيجه أو سرور. لأن النبي ﷺ نهى عن صوتين أحمقين صوت عند نغمة وصوت عند

مصيبة . والمكروه القضيبي لكنه ليس بمطرب في نفسه وإنما يطرب بما يتبعه وهو تابع للقول . والقول مكروه ، ومن أصحابنا من يحرم القضيبي كما يحرم الآت اللهو فيكون فيه وجهان كالقول نفسه والمباح الدف وقد ذكرنا عن أحمد أنه قال أرجو أن لا يكون بالدف بأس في العرس ونحوه وأكره الطبل . وقد قال أبو حامد : من أحب الله وعشقه واشتاق إلى لقائه فالسمع في حقه مؤكد لعشقه .

قال المصنف رحمه الله : قلت وهذا قبيح أن يقال عن الله عز وجل يعشق وقد بينا فيما تقدم خطأ هذا القول ثم أي توكيد لعشقه في قول المغنى :

ذهبي اللون تحسب من وجنتيه النار تقتدح

قال المصنف رحمه الله قلت : وسمع ابن عقيل بعض الصوفية يقول : أن مشايخ هذه الطائفة كلما وقفت طباعهم حذاها الحادي إلى الله بالأناشيد فقال ابن عقيل : لأكرامة لهذا القائل إنما تحدى القلوب بوعد الله في القرآن ووعيده وسنة الرسول ﷺ لأن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿ وَإِذَا تَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ وما قال : وإذا أنشدت عليه القصائد طربت . فأما تحريك الطباع بالألحان فقاطع عن الله والشعر يتضمن صفة المخلوق والمعشوق مما يتعدد عنه فتنه . ومن سولت له نفسه التقاط العبر من محاسن البشر وحسن الصوت فمفتون ، بل ينبغي النظر إلى المحال التي أحالنا عليها الإبل والخيل والرياح ونحو ذلك ، فإنها منظورات لتهييج طبعا بل تورث استعظاما للفاعل . وإنما خدعكم الشيطان فصرتم عبيد شهواتكم ، ولم تقفوا حتى قلتم هذه الحقيقة . وأنتم رنادقة في رى عباد ، شرهين في رى زهاد مشبهة ج تعتقدون أن الله عز وجل و يعشق ويهاهم فيه . ويؤلف ويؤنس به ، و بئس التوهم لأن الله عز وجل خلق الذوات مشاكلة لأن أصولها مشاكلة فهي تتؤانس وتتألم بأصولها العنصرية وتراكيبها المثلية في الأشكال الحديثة . فمن ههنا جاء التلاوم والميل وعشق بعضهم بعضا ، وعلى قدر التقارب في الصورة يتأكد الأئس . والواحد منا يأنس بالماء لأن فيه ماء وهو بالنبات آنس لقربه من الحيوانية بالقوة النمائية وهو بالحيوان آنس لمشاركته في أخص النوع به أو أقربه إليه فأين المشاركة للخالق والمخلوق حتى يحصل الميل إليه والعشق والشوق . وماالذي بين الطين والماء وبين خالق السماء من المناسبة وإنما

هؤلاء يصورون الباري سبحانه وتعالى صورة تثبت في القلوب، وما ذاك الله عز وجل ذاك ضم شكله الطبع والشيطان وليس لله وصف تميل إليه الطباع ولا تشتاق إليه الأنفس وإنما مباينة الالهيه للمحدث أوجبت في الأنفس هية وحشمة فما يدعيه عشاق الصوفية لله في محبة الله إنما هو وهم اعترض. وصورة شكلت في نفوس فحجبت عن عبادة القديم فتجدد بتلك الصورة أنس فاذا غابت بحكم ما يقتضيه العقل أقلقهم الشوق اليها فنالهم من الوجد وتحرك الط والهيمان ما ينال الهائم في العشق فنعوذ بالله من الهواجس الرديئة والعوارض الطبيعية التي يجب بحكم الشرع محوها عن القلوب كما يجب كسر الأصنام.

فصل

قال المصنف رحمه الله: وقد كان جماعة من قدماء الصوفية ينكرون على المبتدى السماع لعلمهم بما يشير من قلبه. أخبرنا عمر بن ظفر المقرئ نا جعفر بن احمد نا عبد العزيز بن على الأزجى ثنا بن جهضم ثنى أبو عبدالله المقرئ ثنا عبدالله ابن صالح قال قال لى جنيد: إذا رأيت المرید يسمع السماع فاعلم أن فيه بقايا من اللعب. أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعيد ابن أبى صادق نا أبو عبد الله بن باكويه قال سمعت احمد بن محمد البردعى يقول سمعت أبا الحسين النورى يقول لبعض أصحابه: إذا رأيت المرید يسمع القصائد ويميل إلى الرفاهية فلا ترخ خيره.

قال المصنف رحمه الله: هذا قول مشايخ القوم وإنما ترخص المتأخرون حب اللهو فتعدى شرهم من وجهين. أحدهما سوء ظن العوام بقدمائهم لأنهم يظنون أن الكل كانوا هكذا. والثانى: أنهم جرأوا العوام على اللعب فليس للعامى حجة فى لعبه إلا أن يقول فلان يفعل كذا و يفعل كذا.

فصل

قال المصنف رحمه الله: وقد نشب السماع بقلوب خلق منهم فآثروه على قراءة القرآن ورقت قلوبهم عنده بما لا ترق عند القرآن وماذاك إلا لتمكن هوى باطن تمكن منه وغلبة طبع وهم يظنون غير هذا. أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا عبد الكريم بن هوزان وأبنانا عبد المنعم بن عبد الكريم ثنا أبى وقال سمعت أبا حاتم محمد بن احمد بن

يحيى السجستاني قال سمعت أبا نصر السراج يقول . حكى لى بعض إخوانى عن أبى الحسين الدراج قال قصدت يوسف بن الحسين الرازى من بغداد فلما دخلت الرى سألت عن منزله وكل من أساله عنه يقول إيش تفعل بذلك الزنديق فضيقوا صدرى حتى عزمت على الانصراف فبت تلك الليلة في مسجد ثم قلت جئت إلى هذه البلدة فلا أقل من زيارته فلم أرل أسأل عنه حتى دفعت إلى مسجده وهو قاعد فى المحراب بين يديه رجل على يديه مصحف وهو يقرأ فدنوت فسلمت فرد السلام وقال من أين قلت من بغداد قصدت زيارة الشيخ فقال تحسن أن تقول شيئاً فقلت نعم وقلت :

رأيتك تبني دائماً فى قطيعتي . ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني

فأطبق المصحف ولم يزل يبكى حتى ابتلت لحيته وثوبه حتى رحمته من كثرة بكائه . ثم قال لى يابنى تلوم أهل الرى على قولهم يوسف بن الحسين زنديق ومن وقت الصلاة هو ذا أقرأ القرآن لم تقطر من عيني قطرة وقد قامت على القيامة بهذا البيت . وأبانا عبد المنعم بن عبد الكريم ابن هوارن نا أبى قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول . فأخرجت إلى مرو فى حياة الاستاذ أبى سهل الصعلوكى وكان له قبل خروجى أيام الجمع بالغدوات مجلس درس القرآن والختمات فوجدته عند خروجى قد رفع ذلك المجلس وعقد لابن الفرغانى فى ذلك الوقت مجلس القوال يعنى المغنى فتداخلى من ذلك شئ فكنت أقول قد استبدل مجلس الختمات بمجلس القوال . فقال لى يوماً . أي شئ تقول الناس . فقلت يقولون رفع مجلس القرآن ووضع مجلس القول . فقال من قال لأستاده لم لم يفلح .

قال المصنف رحمه الله : هذه دعاة الصوفيه يقولون الشيخ يسلم له حاله وما لنا أحد يسلم اليه حاله . فإن الأدمى يرد عن مراداته بالشرع والعقل والبهايم بالسوط .

فصل

وقد اعتقد قوم من الصوفية أن هذا الغناء الذى ذكرنا عن قوم تحريمه وعن آخر كراهته مستحب فى حق قوم . وأبانا عبد المنعم بن عبد الكريم

ابن هوازن القشيري قال حدثنا ابي قال سمعت ابا علي الدقاق يقول .
السمع حرام على العوام لبقاء نفوسهم ، مباح للزهاد لحصول
مجاهداتهم ، مستحب لأصحابنا لحياة قلوبهم .

قال المصنف : رحمه الله قلت . وهذا غلط من خمسة أوجه . أحدها
اناقه ذكرنا عن ابي حامد الغزالي أنه يباح سماعه لكل أحد . وأبو حامد
كان أعرف من هذا القائل . والثاني أن طباع النفوس لا تتغير وإنما
المجاهدة تكف عملها . فمن ادعى تغير الطباع ادعى المحال . فإذا جاء ما
يحرك الطباع . وانسحق الذي كان يكفها عنه عادت العادة . والثالث أن
العلماء اختلفوا في تحريمه وإباحته وليس فيهم من نظر في السامع لعلمهم
أن الطباع تتساوى فمن ادعى خروج طبعه عن طباع الأدميين ادعى
المحال . والرابع أن الاجماع انعقد على أنه ليس بمستحب وإنما غايته
الإباحة فادعاء الاستحباب خروج عن الإجماع . والخامس أنه يلزم من
هذا أن يكون سماع العود مباحاً أو مستحباً عند من لا يغير طبعه لأنه إنما
حرم لأنه يوتر في الطباع ويدعوها إلى الهوى فإذا أمن ذلك فينبغي أن
يباح وقد ذكرنا هذا عن ابي الطيب الطبري .

فصل

قال المصنف رحمه الله : . وقد ادعى قوم منهم أن هذا السماع قرينة
إلى الله عز وجل . قال أبو طالب المكي . حدثني بعض أشياخنا عن
الجنيد أنه قال تنزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواطن . عند
الأكل لأنهم لا يأكلون إلا عن فاقة . وعند المذاكرة لأنهم يتجاوزون في
مقامات الصديقين وأحوال النبيين وعند السماع لأنهم يسمعون بوجد
ويشهدون حقاً .

قال المصنف رحمه الله قلت : وهذا إن صح عن الجنيد وأحسننا به
الظن كان محمولا على ما يسمعون من القصائد الزهدية فإنها توجب
الرقه والبكاء ، فأما أن تنزل الرحمة عند وصف سعدى وليلى ويحمل
ذلك على صفات الباري سبحانه وتعالى فلا يجوز اعتقاد هذا ولو صح
أخذ الإشارة من ذلك كانت الإشارة مستغرقة في جنب غلبة الطباع .
ويدل على ما حملنا الأمر عليه أنه لم يكن ينشد في زمان الجنيد مثل ما

ينشد اليوم إلا أن بعض المتأخرين قد حمل كلام الجنيد على كل ما يقال . فحدثني أبو جعفر احمد بن أرهر بن عبد الوهاب السباك عن شيخنا عبد الوهاب بن المبارك الحافظ قال كان أبو الوفا الفيروز بادي شيخ رباط الزورنى صديقاً لى ، فكان يقول لى والله إنى لأدعو لك وأذكرك وقت وضع المخدة والقول ، قال فكان الشيخ عبد الوهاب يتعجب ويقول : أترون هذا يعتقد أن ذلك وقت إجابة إن هذا لعظيم ، وقال ابن عقيل : قد سمعنا منهم أن الدعاء عند حدو الحادى وعند حضور المخدة مجاب وذلك أنهم يعتقدون انه قربة يتقرب بها إلى الله تعالى ، قال وهذا كفر ، لأن من اعتقد الحرام أو المكروه قربة كان بهذا الاعتقاد كافراً ، قال والناس بين تحريمه وكراهيته . أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن ابن محمد القزار نا أبو بكر احمد بن على بن ثابت قال أخبرنى على بن أيوب قال أخبرنا محمد بن عمران بن موسى قال حدثنا محمد بن احمد الكاتب قال حدثنا الحسين بن فهم قال حدثنى أبو همام قال حدثنى ابراهيم بن أعين قال قال صالح المري ، أبطا الصرعى نهضة صريع هوى يدعيه إلى الله قربة ، وأثبت الناس قدماً يوم القيامة آخذهم بكتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ . أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم القشيري قال حدثنا أبى قال سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت أبا بكر النهاوندى يقول سمعت عليا السائح يقول سمعت أبا الحارث الأولاسى يقول رأيت إبليس فى المنام على بعض سطوح أولاس وأنا على سطح وعلى يمينه جماعة وعلى يساره جماعة وعليهم ثياب لطاف ، فقال لطائفة منهم قولوا وغنوا ، فاستغرقنى طيبه حتى هممت أن أطرح نفسى من السطح ثم قال : ارقصوا فرقصوا أطيب ما يكون . ثم قال لى : يا أبا الحارث ما أصبت منكم شيئاً أدخل به عليكم إلا هذا .

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية فى الوجد

قال المصنف رحمه الله : هذه الطائفة اذا سمعت الغناء تواجدت ، وصفقت وصاحت ومزقت الثياب ، وقد لبس عليهم إبليس فى ذلك وبالغ . وقد احتجوا بما أخبرنا به أبو الفتح محمد بن عبد الباقي قال أنبأنا أبو على الحسن بن محمد ابن الفضل الكرماني قال أخبرنا أبو الحسن سهل بن على الخشاب قال أخبرنا أبو نصر عبد الله بن على السراج

الطوسي . قال وقد قيل له : انه لما نزلت : ﴿وَأَن جَهَنَّمَ لَمَوْعَدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ : صاح سلمان الفارسي صيحة ووقع على رأسه ثم خرج هارباً ثلاثة أيام . واحتجوا بما أخذنا به عبد الوهاب بن المبارك الحافظ قال أخبرنا أبو الحسين ابن عبد الجبار قال أخبرنا أبو بكر محمد بن علي الخياط قال أخبرنا احمد بن محمد ابن يوسف بن دوست قال : أخبرنا الحسين ابن صفوان قال حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد القرشي قال : أخبرنا علي بن الجعد قال حدثنا أبو بكر بن عياش عن عيسى بن سليم عن أبي وائل . قال خرجنا مع عبد الله ومعنا الربيع بن خثيم فمررنا على حداد فقام عبد الله ينظر إلى حديدة في النار فنظر الربيع إليها فمال ليسقط ثم أن عبد الله مضى حتى أتينا على أنون على شاطئ الفرات فلما راه عبد الله والنار تلتهب في جوفه قرأ هذه الآية : ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴾ إلى قوله : ﴿ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ فصعق الربيع واحتملناه إلى أهله وربطه عبد الله حتى يصلي الظهر فلم يبق ثم ربطه إلى العصر فلم يبق ثم ربطه إلى المغرب فأفاق فرجع عبد الله إلى أهله . قالوا : وقد اشتهر عن خلق كثير من العباد أنهم كانوا اذا سمعوا القرآن فمنهم من يموت ، ومنهم من يصعق ويغشى عليه ، ومنهم من يصيح ، وهذا كثير في كتب الزهد : والجواب أما ما ذكره عن سلمان فمحال وكذب ، ثم ليس له إسناد والآية نزلت بمكة وسلمان إنما أسلم بالمدينة ، ولم ينقل عن أحد من الصحابة مثل هذا أصلاً . وأما حكاية الربيع بن خثيم فان راويها عيسى بن سليم وفيه معمر . أنبأنا عبد الوهاب ابن المبارك الحافظ قال أخبرنا أبو بكر محمد المظفر الشامي قال أخبرنا أبو الحسن احمد بن محمد العتيقي قال أخبرنا أبو يعقوب يوسف بن احمد الصيدلاني قال أخبرنا أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى العقيلي : قال قال احمد بن حنبل عيسى ابن سليم عن أبي وائل لا أعرفه . قال العقيلي : وحدثنا عبد الله بن احمد قال حدثني أبي قال حدثني بن آدم . قال سمعت حمزة الزيات قال لسفيان انهم يروون عن الربيع بن خثيم أنه صعق . قال : ومن يروي هذا إنما كان يرويه ذاك القاص - يعني عيسى بن سليم - فلقيته فقلت . عن تروى أنت ذا - منكراً عليه .

قال المصنف رحمه الله قلت : فهذا سفيان الثوري ينكر أن يكون الربيع

ابن خثيم جرى له هذا لأن الرجل كان على السميت الأول، وما كان في الصحابة من يجرى له مثل هذا ولا التابعين. ثم نقول على تقدير الصحة. ان الإنسان قد يخشى عليه من الخوف فيسكنه الخوف ويسكنه فيبقى كالميت وعلامة الصادق أنه لو كان على حائط لوقع لأنه غائب. فأما من يدعى الوجد ويتحفظ من أن تزل قدمه ثم يتعدى إلى تخريق الثياب وفعل المنكرات في الشرع فإننا نعلم قطعاً أن الشيطان يلعب به .

وأخبرنا أبو منصور القزاز قال أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال أخبرنا محمد بن علي بن الفتح قال أخبرنا محمد بن الحسين النيسابوري قال سمعت أحمد بن محمد بن زكريا يقول سمعت أحمد بن عطاء يقول: كان للشبلي يوم الجمعة نظرة ومن بعدها صبيحة فصاح يوماً صبيحة تشوش من حوله من الخلق وكان بجانب حلقة أبي عمران الأشيب فحرد أبو عمران وأهل حلقة .

قال المصنف رحمه الله: واعلم وفقك الله أن قلوب الصحابة كانت أصفى القلوب. وما كانوا يزيدون عند الوجد على البكاء والخشوع. فجرى من بعض غرائبهم نحو ما أنكرناه قبالغ رسول الله ﷺ في الإنكار عليه. فأخبرهم محمد بن ناصر الحافظ قال أنبأنا أحمد بن علي بن خلف قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ وأنبأنا ابن الحصين قال أنبأنا أبو علي بن المذهب قال: أخبرنا أبو حفص بن شاهين قال حدثنا عثمان بن أحمد بن عبد الله قال حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الحميد الجعفي قال حدثنا عبد المتعال ابن طالب قال حدثنا يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس قال. وعظنا رسول الله ﷺ يوماً فإذا رجل قد صعق. فقال النبي ﷺ من ذا الملبس علينا ديننا إن كان صادقاً فقد شهر نفسه وإن كان كاذباً فمحقه الله قال ابن شاهين وحدثنا عبد الله بن سليمان بن الأشعث قال حدثنا عبد الله بن يوسف الجبيري قال حدثنا روح بن عطاء ابن أبي ميمون عن أبيه عن أنس بن مالك. قال ذكر عنده هؤلاء الذين يصعقون عند القراءة فقال أنس: لقد رأيتنا ووعظنا رسول الله ﷺ ذات يوم حتى سمعنا للقوم حنيناً حين أخذتهم الموعظة وما سقط منهم أحد .

قال المصنف رحمه الله: وهذا حديث العرباض بن سارية. وعظنا

رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب . قال أبو بكر الأجرى ولم يقل صرخنا ولا ضربنا صدورنا كما يفعل كثير من الجهال الذين يتلاعب بهم الشيطان . أخبرنا عبد الله بن علي المقرئ قال أخبرنا أبو ياسر أحمد بن بندار ابن ابراهيم قال : أخبرنا محمد بن عمر بن بكير النجار قال أخبرنا أحمد بن جعفر ابن حمدان قال أخبرنا ابراهيم بن عبد الله البصرى قال حدثنا أبو عمر حفص ابن عبد الله الضرير قال أخبرنا خالد بن عبد الله الواسطى قال حدثنا حصين ابن عبد الرحمن . قال قلت لأسماء بنت أبي بكر . كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ وآله عند قراءة القرآن ، قالت كانوا كما ذكرهم الله أو كما وصفهم عز وجل تدمع عيونهم وتقشعر جلودهم . فقلت لها إن ههنا رجلا إذا قرئ على أحدهم القرآن غشى عليه فقالت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن محمد السراج نا الحسن بن علي التميمي نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا الوليد بن شجاع ثنا اسحاق الحلبي ثنا فرات عن عبد الكريم عن عكرمة قال . سألت أسماء بنت أبي بكر هل كان أحد من السلف يغشى عليه من الخوف قالت . لا ولكنهم كانوا يبكون .

أخبرنا بن ناصر نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن علي التميمي وأخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد نا حمد بن أحمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ قالا أخبرنا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنا سريج بن يونس ثنا سعيد ابن عبد الرحمن الجمحي عن أبي حارم قال . مر ابن عمر رضى الله عنه برجل ساقط من العراق . فقال . ماشأنه؟ فقالوا . إذا قرئ عليه القرآن يصبه هذا . قال . انا لنخشى الله عز وجل وما نسقط .

أخبرنا سعيد بن أحمد بن البنا نا أبو سعد محمد بن علي الرستمي نا أبو الحسين ابن بشران ثنا اسماعيل بن محمد الصفار ثنا سعدان بن نصر ثنا سفيان ابن عيينة عن عبد الله بن أبي بردة عن ابن عباس . أنه ذكر الخوارج وما يلقون عند تلاوة القرآن . فقال انهم ليسوا بأشد اجتهاداً من اليهود والنصارى وهم مضلون .

أنبأنا ابن الحصين نا أبو علي بن المذهب نا أبو حفص بن شاهين ثنا محمد بن بكر ابن عبد الرازق نا ابراهيم بن فهد عن ابراهيم بن الحجاج

الشامى ثنا شبيب بن مهران عن قتادة . قال قيل لأنس بن مالك ان ناساً
إذا قرئ عليهم القرآن يصعقون فقال . ذاك فعل الخوارج .

أخبرنا محمد بن ناصر نا عبد الرحمن بن أبى الحسين بن يوسف نا
عمر ابن على بن الفتح نا أحمد بن محمد الكاتب ثنا عبد الله بن المغيرة
ثنا أحمد بن سعيد الدمشقى قال بلغ عبد الله بن الزبير ان ابنه عامراً
صحب قوماً يتصعقون عند قراءة القرآن . فقال له . يا عامر لأعرفن ما
صحبت الذين يصعقون عند القرآن لأوسعك جلدأ .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن احمد نا حمد بن احمد الحداد نا
أبونعيم الحافظ ثنا سليمان بن احمد ثنا محمد بن العباس ثنا الزبير بن
بكار ثنا عبد الله بن مصعب بن ثابت عن عبد الله بن الزبير قال ثنا أبى
عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال . جئت إلى أبى فقال لى . أين كنت
فقلت . وجدت أقواماً ما رأيت خيراً منهم . يذكرون الله عز وجل فيرعد
أحدهم حتى يخشى عليه من خشية الله عز وجل فقعدت معهم قال . لا
تقعد معهم بعدها . فرأى كائى لم يأخذ ذلك فى فقال . رأيت رسول
الله ﷺ يتلو القرآن ورأيت أبا بكر وعمر يتلو ان القرآن ولا يصيبهم
هذا أفتراهم أخشع لله من أبى بكر وعمر . فرأيت أن ذلك كذلك
فتركتهم .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا حمد بن احمد نا أبو نعيم الحافظ نا
محمد بن احمد فى كتابه ثنا محمد بن أيوب ثنا حفص بن عمر النميرى
ثنا حماد بن زيد ثنا عمرو بن مالك قال : بينا نحن عند أبى الجوزاء
يحدثنا إذ خر رجل فاضطرب فوثب أبو الجوزاء يسعى قبله فقبل له ، يا
أبا الجوزاء ، انه رجل به الموتة . فقال : إنما كنت أراه من هؤلاء القفارين
ولو كان منهم لأمرت به فاخرج من المسجد إنما ذكرهم الله تعالى فقال
﴿تفيض أعينهم من الدمع﴾ أو قال : ﴿تقشعر جلودهم﴾ .

أخبرنا أبو محمد بن على المقرئ نا احمد بن بندار بن ابراهيم نا محمد
بن عمر بن بكير النجار نا احمد بن جعفر بن حمدان ثنا ابراهيم بن عبد
الله البصرى ثنا أبو عمر حفص بن عمر الضرير نا حماد بن زيدنى عمر
بن مالك البكرى قال قرأ قارىء عند أبى الجوزاء قال فصاح رجل من

أخريات الفوم أو قال من القوم . فقام اليه أبو الجوزاء ف قيل له . يا أبا الجوزاء انه رجل به شيء فقال طيب انه من هؤلاء النفاين فلو كان منهم لوذعت رجلى على عقبه . وقال أبو عمر أخبرنا جرير بن حازم انه شهد محمد بن سيرين وقيل له أن ههنا رجالا إذا قرىء على أحدهم القرآن غشى عليه . فقال محمد بن سيرين . يقعد أحدهم على جدار ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره فان وقع فهو صادق قال أبو عمرو . وكان محمد بن سيرين بذهب الى أن هذا تصنع وليس بحق من قلوبهم .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي ثنا حمد بن احمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا أبو محمد ابن حبان ثنا محمد بن العباس ثنا زياد عن يحيى عن عمران ابن عبد العزيز قال سمعت محمد بن سيرين وسئل عن من يستمع القرآن فيصعق . فقال ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من أوله إلى آخره فان سقطوا فهم كما يقولون .

أخبرنا ابن ناصر نا أبو طاهر عبد الرحمن بن أبي الحسين بن يوسف نا محمد بن علي العشارى نا محمد بن عبد الله الدقاق نا الحسين بن صفوان ثنا أبو بكر القرشى محمد بن علي عن ابراهيم بن الأشعث . قال سمعت أبا عصام الرملى عن رجل عن الحسن انه وعظ يوماً فتنفس رجل فى مجلسه . فقال الحسن إن كان لله تعالى فقد شهرت نفسك ، وإن كان لغير الله فقد هلكت .

أخبرنا بن ناصر نا جعفر بن احمد نا الحسن بن علي نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله ابن احمد ثنى أبى ثنا روح ثنا السرى بن يحيى ثنا عبدالكريم بن رشيد قال . كنت فى حلقة الحسن فجعل رجل يبكى وارتفع صوته . فقال الحسن إن الشيطان ليبكى هذا الآن .

أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو غالب عمر بن الحسين الباقلانى نا أبو العلاء الواسطى نا محمد بن الحسين الأردى ثنا ابراهيم بن رحمون ثنا اسحق بن ابراهيم البغدادى قال سمعت أبا صفوان يقول قال الفضيل بن عياض لابنه وقد سقط يا بنى إن كنت صادقاً لقد فضحت نفسك وإن كنت كاذباً فقد أهلكت نفسك .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه ثنا

محمد بن احمد النجار ثنا المرتعش قال رأيت أبا عثمان سعيد بن عثمان الواعظ وقد تواجد إنسان بين يديه . فقال له . يا بني إن كنت صادقاً فقد أظهرت كل مالك، وإن كنت كاذباً فقد أشركت بالله .

فصل

قال المصنف رحمه الله : فان قال قائل إنما يفرض الكلام وفي الصادقين لا في أهل الرياء . فما تقول فيمن أدركه الوجد ولم يقدر على دفعه فالجواب إن أول الوجد إنزعاج في الباطن فان كف الانسان نفسه كيلاً يطلع على حاله يثس الشيطان منه فبعد عنه كما كان أيوب السخيتاني إذا تحدث فرق قلبه مسح أنفه وقال ما أشد الزكام . وان أهمل الانسان نفسه ولم يبالي بظهور وجده أو أحب اطلاع الناس على نفسه نفخ فيه الشيطان فانزعج على قدر نفخه، كما أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله ثنى أبى ثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن يحيى بن الخرار عن ابن أخى زينب عن امرأة عبد الله قالت جاء عبد الله ذات يوم وعندى عجوز ترقينى من الحموة فأدخلتها تحت السرير . قالت فدخل فجلس إلى جنبى فرأى فى عنقى خيطاً . فقال ما هذا الخيط . قلت خيط رقى لى فيه رقية فأخذه وقطعه ثم قال إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك . سمعت رسول الله ﷺ يقول إن فى الرقى والتمائم والتولة شركا قالت فقلت له لم تقول هذا، وقد كانت عينى تقذف وكنت أختلف إلى فلان اليهودى يرقىها فكان إذا رقاها سكنت قال إنما ذاك من عمل الشيطان كان ينخسها بيده فاذا رقيتها كف عنها إنما كان يكفيك أن تقولى كما قال رسول الله ﷺ أذهب الباس رب الناس اشف أنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً .

قال المصنف رحمه الله: التولة - ضرب من السحر يحجب المرأة الى زوجها . أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن احمد نا الحسن بن عبد الملك بن يوسف نا أبو محمد الخلال ثنا أبو عمر بن حياة ثنا أبو بكر بن أبى داود ثنا هارون ابن زيد عن أبى الزرقاء ثنا أبى قال ثنا سفيان عن عكرمة بن عمار عن شعيب ابن أبى السنن عن أبى عيسى أو عيسى . قال . ذهبت إلى عبد الله بن عمر فقال أبو السوار يا أبا عبد الرحمن ان قوماً عندنا إذا قرئ عليهم القرآن يركض أحدهم من خشية الله . قال كذبت . قال

بلى ورب هذه البنية . قال ويحك إن كنت صادقاً فان الشيطان ليدخل جوف أحدهم . والله ما هكذا كان أصحاب محمد ﷺ .

فصل

فإن قال قائل . فنفرض أن الكلام فيمن اجتهد في دفع الوجد فلم يقدر عليه وغلبه الأمر فمن أين يدخل الشيطان فالجواب إنا لا ننكر ضعف بعض الطباع عن الدفع إلا أن علامة الصادق انه لا يقدر على أن يدفع، ولا يدرى ما يجرى عليه فهو من جنس قوله عز وجل: ﴿ فخر موسى صعقاً ﴾ .

وقد أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا حمد بن احمد نا احمد بن عبد الله ثنا ابراهيم ابن عبد الله ثنا محمد بن إسحق الثقفي ثنى حاتم بن الليث الجوهري ثنا خالد بن خداس . قال . قرىء على عبد الله بن وهب كتاب أهوال القيامة . فخر مغشياً عليه فلم يتكلم بكلمة حتى مات بعد ذلك بأيام .

قال المصنف رحمه الله : قلت وقد مات خلق كثير من سماع الموعدة وغشى عليهم قلنا، هذا التواجد الذى يتضمن حركات المتواجدين وقوة صياحهم وتخبطهم فظاھرہ انه متعمل والشيطان معين عليه .

قال المصنف رحمه الله : فان قيل فهل فى حق المخلص نقص بهذه الحالة الطارئة عليه قيل . نعم من جهتين . أحدهما انه لو قوى العلم أمسك . والثانى انه قد خولف به طريق الصحابة والتابعين ويكفى هذا نقصاً .

أخبرنا عبد الله بن على المقرئ نا هبة الله بن عبد الرزاق السنى وأخبرنا سعيد بن احمد بن البنا نا أبو سعد محمد بن على الرستمي قال نا أبو الحسين ابن بشران نا أبو على اسماعيل بن محمد الصفار ثنا سعدان بن نصر ثنا سفيان ابن عيينة قال سمعت خلف بن حوشب يقول . كان خوات يرعد عند الذكر فقال له ابراهيم . إن كنت تملكه فما أبالى أن لا أعتد بك . وإن كنت لا تملكه فقد خالفت من كان قبلك . وفى رواية فقد خالفت من هو خير منك .

قال المصنف رحمه الله : قلت ابراهيم هو النخعي الفقيه، وكان متمسكا

بالسنة شديد الاتباع للأثر. وقد كان خوات من الصالحين البعداء عن التصنع وهذا خطاب ابراهيم له. فكيف بمن لا يخفى حاله في التصنع .

فصل

فاذا طرب أهل التصوف لسماع الغناء صفقوا. أخبرنا محمد بن عبد الباقي نا رزق الله بن عبد الوهاب التميمي نا أبو عبد الرحمن السلمى. قال سمعت أبا سليمان المغربي يقول سمعت أبا علي بن الكاتب يقول كان ابن بنان يتواجد وكان أبو سعيد الخزاز يصفق له .

قال المصنف رحمه الله : قلت والتصفيق منكر يطرب ويخرج عن الاعتدال وتنتزه عن مثله العقلاء، ويتشبه فاعله بالمشركين فيما كانوا يفعلونه عند البيت من التصدية. وهى التى ذمهم الله عز وجل بها فقال. ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية﴾ - فالمكاء الصفير - والتصدية - التصفيق. أخبرنا عبد الوهاب الحافظ نا أبو الفضل بن حيرون نا أبو علي بن شاذان نا احمد ابن كامل ثنى محمد بن سعد ثنى أبى ثنى عمى عن أبيه عن جده عن بن عباس «إلا مكاء» يعنى التصفير «وتصدية» يقول التصفيق .

قال المصنف رحمه الله : قلت وفيه أيضاً تشبه بالنساء والعاقل يأنف من أن يخرج عن الوقار إلى أفعال الكفار والنسوة .

فصل

فاذا قوى طربهم رقصوا وقد احتج بعضهم بقوله تعالى لا يوب: ﴿أركض برجلك﴾ .

قال المصنف رحمه الله : قلت وهذا الاحتجاج بارد لأنه لو كان أمر بضرب الرجل فرحاً كان لهم فيه شبهة وإنما أمر بضرب الرجل لينبع الماء. قال بن عقيل أين الدلالة فى مبتلى أمر عند كشف البلاء بأن يضرب برجله الأرض لينبع الماء إعجازاً من الرقص. ولئن جاز أن يكون تحريك رجل قد أنحلها تحكم الهوام دلالة على جوار الرقص فى الأسلام جاز أن يجعل قوله تعالى لموسى «اضرب بعصاك الحجر» دلالة على ضرب الجماد بالقضبان نعوذ بالله من التلاعب بالشرع، واحتج بعض ناصريهم بأن رسول الله ﷺ قال لعلى : أنت منى وأنا منك - فحجل وقال لجعفر -

أشبهت خلقي وخلقي - فحجل وقال لزيد: أنت أخونا ومولانا - فحجل
ومنهم من احتج بأن الحبشة زفت والنبي ﷺ ينظر اليهم. فالجواب:
أما الحجل فهو نوع من المشى يفعل عند الفرح فأين هو من الرقص،
وكذلك رفن الحبشة نوع من المشى بتشبيب يفعل عند اللقاء بالحرب.

واحتج لهم أبو عبد الرحمن السلمى على جواز الرقص بما أخبرنا به
أبو نصر محمد ابن منصور الهمداني نا اسماعيل بن احمد بن عبد الملك
المؤذن نا أبو صالح احمد بن عبد الملك وأبو سعيد محمد بن عبد العزيز
وأبو محمد عبد الحميد بن عبد الرحمن قالوا ثنا أبو عبد الرحمن السلمى ثنا
أبو العباس احمد ابن سعيد المعداني ثنا محمد بن سعيد المروزي ثنا عباس
الرقيقى ثنا عبدالله بن عمر الوراق ثنا الحسن بن على بن منصور ثنا أبو
عتاب المصرى عن ابراهيم ابن محمد الشافعى أن سعيد بن المسيب مر فى
بعض أرقه مكة فسمع الأنحصر الحداء يتغنى فى دار العاص بن وائل بهذا:

تضوع مسكا بطن نعمان أن مشت به زينب فى نسوة عطرات

فلما رأت ركب النميرى أعرضت وهن من أن يلقينه حذرات

قال فضرب برجله الأرض زماناً وقال هذا مما يلذ سماعه . وكانوا
يروون الشعر لسعيد ابن المسيب . قال المصنف قلت: هذا إسناده مقطوع
مظلم لا يصح عن ابن المسيب، ولا هذا شعره . كان ابن المسيب أوقر من
هذا، وهذه الأبيات مشهورة لمحمد بن عبد الله ابن نمير النميرى الشاعر
ولم يكن نميراً وإنما نسب إلى اسم جده وهو ثقفى وزينب التى يشبب بها
هى بنت يوسف أخت الحجاج، وسأله عبد الملك بن مروان عن الركب ما
كان، فقال: كانت أحمره عجافاً حملت عليها قطراناً من الطائف فضحك
وأمر الحجاج أن لا يؤذيه .

قال المصنف رحمه الله: ثم لو قدرنا أن ابن المسيب ضرب برجله
الأرض فليس فى ذلك حجة على جواز الرقص، فان الانسان قد يضرب
الأرض برجله أو يدقها بيده لشيء يسمعه ولا يسمى ذلك رقصاً. فما
أقبح هذا التعلق وأين ضرب الأرض بالقدم مرة أو مرتين من رقصهم
الذى يخرجون به عن سمت العقلاء، ثم دعونا من الاحتجاج تعالوا
نتقاضى إلى العقول أى معنى فى الرقص إلا اللعب الذى يليق بالأطفال،

وما الذى فيه من تحريك القلوب إلى الآخرة . هذه والله مكبر باردة ولقد حدثنى بعض المشايخ عن الغزالي أنه قال: الرقص حماقة بين الكتفين لا تزول إلا بالتعب، وقال أبو الوفاء ابن عقيل . قد نص القرآن على النهى عن الرقص . فقال عز وجل : ﴿ لا تمش فى الأرض مرحاً ﴾ . وذم المختال فقال تعالى «إنه لا يحب كل مختال فخور» والرقص أشد المرح والبطر أو لسنا الذين قسنا النبيذ على الخمر لا تفاقهما فى الاطراب والسكر . فما بالناس لا نقيس القضيبي وتلحين الشعر معه على الطنبور والمزمار والطبل لاجتماعهما فى الاطراب، وهل شئ يزرى بالعقل والوقار ويخرج عن سمت الحلم والأدب أقبح من ذى لحية يرقص فكيف اذا كانت شيبة ترقص وتصفق على وقاع الألحان والقضبان خصوصاً اذا كانت أصوات نسوان ومردان وهل يحسن بمن بين يديه الموت والسؤال والحشر والصراط ثم هو الى إحدى الدارين صائران يشمس بالرقص شمس البهائم ويصفق تصفيق النسوة والله لقد رأيت مشايخ فى عصرى ما بان لهم سن فى تبسم فضلا عن ضحك مع إدمان مخالطتى لهم . كالشيخ أبى القاسم بن ريدان، وعبد الملك ابن بشران ، وأبى طاهر بن العلاف، والجنيد والدينورى .

فصل

فاذا تمكن الطرب من الصوفية فى حال رقصهم جذب أحدهم بعض الجلوس ليقوم معه . ولا يجوز على مذهبهم للمجذوب أن يقعد فاذا قام قام الباكون تبعاً له . فاذا كشف أحدهم رأسه كشف الباكون رؤوسهم موافقة له، ولا يخفى على عاقل أن كشف الرأس مستقبح وفيه إسقاط مروءة وترك أدب، وإنما يقع فى المناسك تعبداً لله وذلاً له .

فصل

فاذا اشتد طربهم رموا ثيابهم على المغنى فمنهم من يرمى بها صحاحاً ومنهم من يخرقها ثم يرمى بها وقد احتج لهم بعض الجهال فقال هؤلاء فى غيبة فلا يلامون فان موسى عليه السلام لما غلب عليه الغم بعبادة قومه العجل رمى الألواح فكسرها ولم يدر ما صنع : والجواب، أن نقول من يصحح عن موسى بأنه رماها رمى كاسر والذي ذكر فى القرآن إلقاءها

فحسب فمن أين لنا أنها تكسرت، ثم لو قيل تكسرت فمن أين لنا انه قصد كسرهما ثم لو صححنا ذلك عنه قلنا. كان فى غيبة حتى لو كان بين يديه حينئذ بحر من نار لخاضه ومن يصحح لهؤلاء غيبتهم وهم يعرفون المغنى من غيره ويحذرون من بئر إن كانت عندهم. ثم كيف يقاس أحوال الأنبياء على أحوال هؤلاء السفهاء ولقد رأيت شاباً من الصوفية يمشى فى الأسواق ويصيح والغلمان يمشون خلفه وهو يبربر ويخرج إلى الجمعة فيصيح صيحات وهو يصلى الجمعة فسئلت عن صلاته، فقلت: إن كان وقت صياحه غائباً فقد بطل وضوءه وإن كان حاضراً فهو متصنع وكان هذا الرجل جلدأ لا يعمل شيئاً بل يدار له بزنبيل فى كل يوم فيجمع له ما يأكل هو وأصحابه فهذه حالة المتأكلين لا المتوكلين. ثم لو قدرنا أن القوم يصيحون عن غيبة فان تعرضهم لما يغطى على العقول من سماع ما يطرب منهى عنه كالتعرض لكل ما غلبه الأذى وقد سئل ابن عقيل عن تواجدهم وتخريق ثيابهم فقال خطأ وحرام وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال وعن شق الجيوب فقال له قائل. فإنهم لا يعقلون ما يفعلون. قال إن حضروا هذه الأمكنة مع علمهم أن الطرب يغلب عليهم فيزيل عقولهم اثموا بما يدخل عليهم من التخريق وغيره مما يفسد ولا يسقط عنهم خطاب الشرع لأنهم مخاطبون قبل الحضور بتجنب هذه المواضع التى تفضى إلى ذلك كما هم منهيون عن شرب المسكر فإذا سكروا وجرى منهم إفساد الأموال لم يسقط الخطاب لسكرهم كذلك هذا الطرب الذى يسميه أهل التصوف وجدأ إن صدقوا فيه فسكر طبع وإن كذبوا فنبذ ومع الصحو فلا سلامة فيه مع الحالين وتجنب مواضع الريب واجب. واحتج لهم ابن طاهر فى تخريقهم الثياب بحديث عائشة رضى الله عنها قالت. نصبت حجلة لى فيها رقم فمدها النبى ﷺ فشققها.

قال المصنف رحمه الله: فانظر إلى فقه هذا الرجل المسكين كيف يقيس حال من يمزق ثيابه فيفسدها وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال على مد ستر ليحط فانشق لا عن قصد. أو كان عن قصد لأجل الصور التى كانت فيه: وهذا من التشديد فى حق الشارع عن المنهيات كما أمر بكسر الدنان فى الخمر فإن ادعى مخرق ثيابه أنه غائب قلنا الشيطان غيبك لأنك لو كنت مع الحق لحفظك فإن الحق لا يفسد.

وقد أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا محمد ابن علي بن حشيش ثنا عبد الله بن الصقر ثنا الصلت بن مسعود ثنا جعفر بن سليمان قال سمعت أبا عمران الجوني يقول وعظ موسى بن عمران عليه السلام يوماً فشق رجل منهم قميصه فأوحى الله عز وجل لموسى قل لصاحب القميص لا يشق قميصه. أشرح لي عن قلبه .

فصل

وقد تكلم مشايخ الصوفية في الخرق المرمية. فقال محمد بن طاهر الدليل على أن الخرق إذا طرحت صارت ملكاً لمن طرحته بسببه حديث جرير جاء قوم مجتأبي النمار فحضر رسول الله ﷺ على الصدقة فجاء رجل من الأنصار بصرة فتتابع الناس حتى رأيت كومين من ثياب وطعام قال والدليل على أن الجماعة إذا قدموا عند تفريق الخرق أسهم لهم حديث أبي موسى قدم على رسول الله ﷺ بغنيمة وسلب فأسهم لنا .

قال المصنف رحمه الله: لقد تلاعب هذا الرجل بالشريعة واستخرج بسوء فهمه ما يظنه يوافق مذهب المتأخرين من الصوفية. فإننا ما عرفنا هذا في أوائلهم وبيان فساد استخراجهم أن هذا الذي خرق الثوب ورمى به إن كان حاضراً فما جازله تخريقه وإن كان غائباً فليس له تصرف جائز شرعاً لا هبة ولا تمليكا. وكذلك يزعمون بأن ثوبه كان كالشيء الذي يقع من الإنسان ولا يدري به فلا يجوز لأحد أن يملكه وإن كان رماه في حال حضوره لا على أحد فلا وجه لتملكه ولو رماه على المغني لم يملكه لأن التملك لا يكون إلى بعقد شرعي والرمي ليس بعقد: ثم نقدر أنه ملك للمغني فما وجه تصرف الباقيين فيه. ثم إذا تصرفوا فيه خرقوه خرقاً وذلك لا يجوز لوجهين: أحدهما أنه تصرف فيما لا يملكونه: والثاني أنه إضاعه للمال. ثم ما وجه أسهام من لم يحضر فأما حديث أبي موسى فقال العلماء منهم الخطابى يحتمل أن يكون رسول الله ﷺ أجازه عن رضى ممن شهد الواقعة أو من الخمس الذي هو حقه. وعلى مذهب الصوفية تعطى هذه الخرق لمن جاء. وهذا مذهب خارج عن إجماع المسلمين وما أشبهه ما وضع هؤلاء بأرائهم الفاسدة إلا بما وضعت الجاهلية من أحكام البحيرة والسائبة والوصيلة والحام. قال ابن طاهر أجمع مشايخنا على أن الخرق المخرق وما انبعث من الخرق الصحاح الموافقة لها

ان ذلك كله يكون بحكم الجمع يفعلون فيه ما يراه المشايخ . واحتجوا بقول عمر رضى الله عنه: الغنيمة لمن شهد الواقعة . وخالفهم شيخنا أبو اسماعيل الانصارى فجعل الخرقه على ضريين . ما كان مجروحاً قسم على الجميع وما كان سليماً دفع إلى القوال واحتج بحديث سلمة من قتل الرجل ؟ قالوا: سلمة ابن الأكوع: قال له سلبه أجمع . فالقتل إنما وجد من جهة القوال فالسلب له .

قال المصنف رحمه الله: أنظروا إخوانى عصمنا الله وإياكم من تلبس إبليس إلى تلاعب هؤلاء الجهلة بالشريعة وإجماع مشايخهم الذى لا يساوى إجماعهم بعرة فان مشايخ الفقهاء أجمعوا على أن الموهوب لمن وهب له سواء كان مخرقاً أو سليماً ولا يجوز لغيره التصرف فيه: ثم إن سلب القتل كل ما عليه فما بالهم جعلوه ما رمى به ثم ينبغى أن يكون الأمر على عكس ما قاله الأنصارى لأن المجروح من الثياب ما كان بسبب الوجد فينبغى أن يكون المجروح للمغنى دون الصحيح وكل أقوالهم فى هذا محال وهذيان وقد حكى لى أبو عبد الله التكريتى الصوفى عن أبى الفتوح الاسفراينى وكنت أنا قد رأيت وأنا صغير السن وقد حضر فى جمع كثير فى رباط وهناك المخاد والقضببان ودف بجلاجل فقام يرقص حتى وقعت عمامته فبقى مكشوف الرأس قال التكريتى إنه رقص يوماً فى خف له ثم ذكر أن الرقص فى الخف خطأ عند القوم فانفرد وخلعه ثم نزع مطرفاً كان عليه فوضعه بين أيديهم كفارة لتلك الجناية فاقسموه خرقاً، قال ابن طاهر: والدليل على أن الذى يطرح الخرقه لا يجوز أن يشتريها من الجمع حديث عمر لا تعودن فى صدقتك .

قال المصنف: أنظر إلى بعد هذا الرجل عن فهم معانى الأحاديث فان الخرقه المطروحة باقية على ملك صاحبها فلا يحتاج إلى أن يشتريها .

فصل

وأما تقطيعهم الثياب المطروحة خرقاً وتفريفها فقد بينا أنه إن كان صاحب الثوب رماه إلى المغنى لم يملكه بنفس الرمى حتى يملكه إياه فإذا ملكه إياه فما وجه تصرف الغير فيه . ولقد شهدت بعض فقهاءهم يخرق الثياب ويقسمها ويقول هذه الخرق يتنفع بها وليس هذا بتفريط، فقلت:

وهل التفريط إلا هذا، ورأيت شيخاً آخر منهم يقول خرقت خرقاً في بلدنا فأصاب رجل منها خريقة فعملها كنفها فباعه بخمسة دنانير فقلت له: إن الشرع لا يجيز هذه الرعونات لمثل هذه النوادر. وأعجب من هذين الرجلين أبو حامد الطوسي فإنه قال: يباح لهم تمزيق الثياب إذا خرقت قطعاً مربعة تصلح لترقيع الثياب والسجادات فإن الثوب يمزق حتى يخلط منه قميص ولا يكون ذلك تضييعاً ولقد عجبت من هذا الرجل كيف سلبه حب مذهب التصوف عن أصول الفقه ومذهب الشافعي فنظر إلى انتفاع خاص ثم ما معنى قوله مربعة فإن المطاولة ينتفع بها أيضاً ثم لو مزق الثوب قرامل لانتفع بها ولو كسر السيف نصفين لانتفع بالنصف غير أن الشرع يتلجم الفوائد العامة ويسمى ما نقص منها للانتفاع إتلافا ولهذا ينهى عن كسر الدرهم الصحيح لأنه يذهب منه قيمة بالإضافة إلى المكسور وليس العجب من تلييس إبليس على الجهال منهم بل على الفقهاء الذين اختاروا بدع الصوفية على حكم أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد رضوان الله عليهم أجمعين .

فصل

ولقد أغربوا فيما ابتدعوا. وأقام لهم الأعذار من إلى هواهم مال. ولقد ذكر محمد بن طاهر في كتابه باب السنة في أخذ شيء من المستغفر، واحتج بحديث كعب بن مالك في توبته: يجزئك الثلث ثم قال باب الدليل على أن من وجبت عليه غرامة فلم يؤديها ألزمه أكثر منها. واستدل بحديث معاوية بن جعدة عن النبي ﷺ أنه قال في الزكاة «من منعها فانا آخذها وشطر ماله» .

قال المصنف رحمه الله: قلت فانظر إلى تلاعب هؤلاء وجهل هذا المحتج لهم وتسمية ما يلزم بعضهم بما لا يلزمه غرامة وتسمية ذلك واجباً وليس لنا غرامة ولا وجوب إلا بالشرع ومتى اعتقد الإنسان ما ليس بواجب واجباً كفر. ومن مذهبهم كشف الرؤوس عند الاستغفار وهذه بدعة تسقط المروءة وتنافي الوقار ولولا ورود الشرع بكشفه في الاحرام ما كان له وجه. وأما حديث كعب بن مالك فإنه قال إن من توبتي ان أنخلع من مالي، فقال له رسول الله ﷺ «يجزئك الثلث الا على سبيل الالزام له. وإنما تبرع بذلك فأخذه منه وأين إلزام الشرع تارك الزكاة مما يزيد عليها

عقوبة من إلزامهم المرید غرامة لا تجب علیه فإذا امتنع ضاعفوها وليس اليهم الإلزام إنما ينفرد بالالزام الشرع وحده. وهذا كله جهل وتلاعب بالشرية فهؤلاء الخوارج عليها حقا .

ذكر تليس إبليس على كثير من الصوفية في صحبة الأحداث

قال المصنف: أعلم أن أكثر الصوفية المتصوفة قد سدوا على انفسهم باب النظر إلى النساء الأجانب لبعدهم عن مصاحبتهن وامتناعهم عن مخالطتهن واشتغلوا بالتعبد عن النكاح واتفقت صحبة الأحداث لهم على وجه الإرادة وقصد الزهادة فأمالهم إبليس اليهم، وأعلم أن المتصوفة في صحبة الأحداث على سبعة أقسام: القسم الأول أخبث القوم وهم ناس تشبهوا بالصوفية ويقولون بالحلول. أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سليمان نا أبو علي الحسين بن محمد بن الفضل الكرماني نا سهل بن علي الخشاب نا أبو نصر عبد الله بن علي السراج قال بلغني أن جماعة من الحلولية زعموا أن الحق تعالى اصطفى أجساما حل فيها بمعاني الربوبية، ومنهم من قال هو حال في المستحسنات، وذكر أبو عبد الله بن حامد من أصحابنا. أن طائفة من الصوفية قالوا انهم يرون الله عز وجل في الدنيا وأجاروا أن يكون في صفة الأدمى ولم يابوا كونه حالا في الصورة الحسنة حتى استشهدوه في رؤيتهم الغلام الأسود. القسم الثاني: قوم يتشبهون بالصوفية في ملبسهم، ويقصدون الفسق. القسم الثالث: قوم يستبيحون النظر إلى المستحسن. وقد صنف أبو عبد الرحمن السلمي كتاباً سماه سنن الصوفية فقال في أواخر الكتاب: باب في جوامع رخصهم فذكر فيه الرقص والغناء والنظر إلى وجه الحسن. وذكر فيه ما روى عن النبي عليه السلام أنه قال: اطلبوا الخير عند حسان الوجوه، وأنه قال: ثلاثة تجلو البصر: النظر إلى الخضرة والنظر إلى الماء والنظر إلى الوجه الحسن .

قال المصنف رحمه الله: وهذان الحديثان لا أصل لهما عن رسول ﷺ أما الحديث الأول فأخبرنا به عبد الأول بن عيسى نا عبد الرحمن بن محمد بن المظفر نا عبد الله ابن أحمد بن حمويه نا ابراهيم بن خزيمة ثنا عبد بن حميد ثنا يزيد بن هرون ثنا محمد ابن عبد الرحمن بن المخير عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال. اطلبوا الخير عند حسان

الوجوه. قال يحيى بن معين محمد بن عبد الرحمن ليس بشيء. قال المصنف قلت وقد روى هذا الحديث من طرق قال العقيلي لا يثبت عن النبي عليه السلام في هذا شيء، وأما الحديث الآخر فأنا أبو منصور بن خيرون نا أحمد بن علي بن ثابت نى أحمد بن محمد بن يعقوب نا محمد بن نعيم الضبي نا أبو بكر محمد بن أحمد ابن هارون نا أحمد ابن عمر بن عبيد الرياحى قال سمعت أبا البختري وهب بن وهب يقول: كنت أدخل على الرشيد وابنه القاسم بين يديه فكنت أدمن النظر إليه فقال: أراك تدمن النظر إلى القاسم تريد أن تجعل انقطاعه إليك. قلت أعيدك بالله يا أمير المؤمنين أن ترميني بما ليس في. وأما ادمان النظر إليه فان جعفر الصادق ثنا عن أبيه عن جده علي بن الحسين عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ. ثلاث يزدن في قوة النظر. النظر إلى الخضرة وإلى الماء الجاري وإلى الوجه الحسن.

قال المصنف رحمه الله: هذا حديث موضوع ولا يختلف العلماء في أبي البختري انه كذاب وضاع، وأحمد بن عمر بن عبيد أحد المجهولين، ثم قد كان ينبغي لأبي عبد الرحمن السلمى إذ ذكر النظر إلى المستحسن أن يقيده بالنظر إلى وجه الزوجة أو المملوكة فأما اطلاقه ففيه سوء ظن. وقال شيخنا محمد بن ناصر الحافظ كان ابن طاهر المقدسى قد صنف كتاباً في جوار النظر إلى المرء.

قال المصنف رحمه الله: قلت والفقهاء يقولون من ثارت شهوته عند النظر إلى المرء حرم عليه أن ينظر إليه ومتى ادعى الانسان انه لا تثور شهوته عند النظر إلى المرء المستحسن فهو كاذب وإنما أبيع على الاطلاق لثلاث يقع الحرج في كثرة المخالطة بالمنع فاذا وقع الإلحاح في النظر دل على العمل بمقتضى ثوران الشهوة. قال سعيد بن المسيب اذا رأيت الرجل يلح النظر إلى غلام مرء فاتهموه. القسم الرابع قوم يقولون نحن لا ننظر نظر شهوة وإنما ننظر نظر اعتبار فلا يضرنا النظر وهذا محال منهم فإن الطباع تتساوى فمن ادعى تنزه نفسه عن أبناء جنسه في الطبع ادعى المحال وقد كشفنا هذا في أول كلامنا في السماع. أخبرتنا شهدة بنت أحمد الأبرى قالت باسناد مرفوع الى محمد بن جعفر الصوفى قال قال أبو حمزة الصوفى حدثنى عبد الله بن الزبير الحنفى قال كنت جالساً مع أبي النضر

الغنى وكان من المبرزين العابدين فنظر الى غلام جميل فلم تزل عيناه واقعتين عليه حتى دنا منه فقال سألتك بالله السميع وعزه الرفيع وسلطانه المنيع الا وقفت على أروى من النظر اليك فوق قليلا ثم ذهب ليمضى فقال له سألتك بالحكيم المجيد الكريم المبدى المعيد ألا ما وقفت فوق ساعة فأقبل يصعد النظر اليه ويصوبه ثم ذهب ليمضى فقال سألتك بالواحد الأحد الجبار الصمد الذى لم يلد ولم يولد إلا وقفت فوق ساعة فنظر اليه طويلا ثم ذهب ليمضى فقال سألتك باللطيف الخبير السميع البصير وبمن ليس له نظير إلا وقفت فوق فأقبل ينظر اليه ثم أطرق رأسه الى الأرض ومضى الغلام فرجع رأسه بعد طويل وهو يبكى فقال قد ذكرنى هذا بنظرى اليه وجهاً جل عن التشبيه وتقديس عن التمثيل وتعظيم عن التحديد والله لأجهدن نفسى فى بلوغ رضاه بمجاهدتى جميع أعدائه ومولاتى لأوليائه حتى أصير الى ما أودته من نظرى الى وجهه الكريم وبهائه العظيم. ولوددت أنه قد أرانى وجهه وحسنى فى النار ما دامت السموات والأرض ثم غشى عليه. وحدثنا محمد بن عبد الله الفزارى قال سمعت خيراً النساج يقول كنت مع محارب بن حسان الصوفى فى مسجد الخيف ونحن محرمون فجلس اليينا غلام جميل من أهل المغرب فرأيت محارباً ينظر اليه نظراً أنكرته فقلت له: بعد أن قام انك محرم فى شهر حرام فى بلد حرام فى مشعر حرام وقد رأيتك تنظر الى هذا الغلام نظراً لا ينظره إلا المفتونون. فقال لى تقول هذا: يا شهوانى القلب والطرف ألم تعلم انه قد منعنى من الوقوع فى شرك إبليس ثلاث فقلت وما هي قال سر الإيمان وعفه الاسلام وأعظمها الحياء من الله تعالى أن يطلع على وأنا جاثم على منكر نهانى عنه ثم صعق حتى اجتمع الناس علينا.

قال المصنف رحمه الله: قلت انظروا الى جهل الأحمق الأول ورمزه الى التشبيه وإن تلفظ بالتنزيه والى حماقة هذا الثانى الذى ظن أن المعصية هى الفاحشة فقط وما علم أن نفس النظر بشهوة يحرم. ومحا عن نفسه أثر الطبع بدعواه التى تكذبها شهوة النظر. وقد حدثنى بعض العلماء أن صبياً أمرد حكى له قال قال لى فلان الصوفى وهو يحبنى: يا بنى لله فيك اقبال والتفات. حيث جعل حاجتى اليك. وحكى ان جماعة من الصوفية دخلوا على احمد الغزالى وعنده أمرد وهو خال به وبينهما ورد وهو ينظر

الى الورد تارة. والى الأورد تارة فلما جلسوا قال بعضهم لعلنا كدرنا .
فقال: أى والله فتصايح الجماعة على سبيل التواجد .

وحكى أبو الحسين بن يوسف انه كتب إليه فى رقعة انك تحب غلامك
التركى فقرأ الرقعة ثم استدعى الغلام فصعد اليه النظر فقبله بين عينيه
وقال هذا جواب الرقعة .

قال المصنف رحمه الله: قلت انى لا أعجب من فعل هذا الرجل
والقائه جلباب الحياء عن وجهه وإنما أعجب من البهائم الحاضرين كيف
سكتوا عن الانكار عليه ولكن الشريعة بردت فى قلوب كثير من الناس .
وأخبرنا أبو القاسم الحريرى أنبأنا أبو الطيب الطبرى قال: بلغنى عن هذه
الطائفة التى تسمع السماع انها تضيف اليه النظر الى وجه الأورد وربما
رينته بالحلى والمصبغات من الثياب والحواشى وتزعم أنها تقصد به الازدياد
فى الإيمان بالنظر والاعتبار والاستدلال بالصنعة على الصانع وهذه النهاية
فى متابعة الهوى ومخادعة العقل ومخالفة العلم قال الله تعالى ﴿وفى
أنفسكم أفلا تبصرون﴾ وقال ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ﴾
وقال: ﴿ أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض ﴾ فعدلوا عما
أمرهم الله به من الاعتبار إلى ما نهاهم عنه، وإنما تفعل هذه الطائفة ما
ذكرناه بعد تناول الألوان الطيبة والمآكل الشهية فاذا استوفت منها نفوسهم
طالبتهم بما يتبعها من السماع والرقص والاستمتاع بالنظر الى وجوه المرد
ولو أنهم تقللوا من الطعام لم يحنوا الى سماع ونظر. قال أبو الطيب وقد
أخبر بعضهم فى شعره عن أحوال المستمعين للغناء وما يجدونه حال
السماع فقال :

أتذكر وقتنا وقد اجتمعنا على طيب السماع الى الصباح
ودارت بيننا كأس الأغانى فأسكرت النفوس بغير راح
فلم نر فيهم إلا نشاوى سروراً والسرور هناك صاحى
إذا لى أخو اللذات فيهِ منادى اللهو حى على الفلاح
ولم نملك سوى المهجات شيئاً أرقناها لألحاظ مـلاح

فال فاذا كان السماع تأثيره فى قلوبهم ما ذكره هذا القائل فكيف يجدى
السماع نفعاً أو يفيد فائدة. قال ابن عقيل قول من قال لا أخاف من رؤية

الصور المستحسنة ليس بشيء. فان الشريعة جاءت عامة الخطاب لا تميز الأشخاص. وآيات القرآن تنكر هذه الدعاوى قال الله تعالى: «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم» وقال «أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت» فلم يحل النظر إلا على صور لا ميل للنفس اليها ولا حظ فيها بل عبرة لا يمارجها شهوة. ولا تعترها لذة فأما صور الشهوات فانها تعبر عن العبرة بالشهوة وكل صورة ليست بعبرة لا ينبغي أن ينظر إليها لأنها قد تكون سبباً للفتنة. ولذلك ما بعث الله امرأة بالرسالة ولا جعلها قاضياً ولا إماماً ولا مؤذناً. كل ذلك لأنها محل فتنة وشهوة وربما قطعت عما قصدته الشريعة بالنظر وكل من قال أنا أجد من الصور المستحسنة عبراً كذبناه وكل من ميز نفسه بطبيعة تخرجه عن طباعنا بالدعوى كذبناه وإنما هذه خدع الشيطان للمدعين. القسم الخاص قوم صحبوا المردان ومنعوا أنفسهم من الفواحش يعتقدون ذلك مجاهدة وما يعلمون أن نفس صحبتهم والنظر إليهم بشهوة معصية وهذه من خلال الصوفية المذمومات وقد كان قداماؤهم على غير هذا وقيل كانوا على هذا بدليل وهو ما أخبرنا أحمد بن علي بن ثابت قال أنشدنا أبو علي الروزباري .

أنزه في روض المحاسن مقلتي وأمنع نفسي أن تنال محرماً
وأحمل من ثقل الهوى مالو أنه على الجبل الصلد الاصم تهدماً

قال المصنف رحمه الله: وسيأتي حديث يوسف بن الحسين. وقوله: عاهدت ربي أن لا أن أصحب حدثاً مائة مرة ففسخها على قوام القدود وغنج العيون. أخبرتنا شاهدة الكاتبة باسناد عن أبي المختار الصبي قال: حدثني أبي قال قلت لأبي الكميت الأندلسي وكان جوالاً في أرض الله حدثني بأعجب ما رأيت من الصوفية قال صحبت رجلاً منهم يقال له مهرجان وكان مجوسياً فأسلم وتصوف فرأيت معه غلاماً جميلاً لا يفارقه وكان إذا جاء الليل قام فصلى ثم ينام إلى جانبه ثم يقوم فزعا فيصلي ما قدر له ثم يعود فينام إلى جانبه حتى فعل ذلك مراراً فإذا أسفر الصبح أو كاد يسفر أوتر ثم رفع يديه وقال اللهم إنك تعلم أن الليل قد مضى على سليمان لم أقترف فيه فاحشة ولا كتبت على الحفظة فيه معصية وأن الذي أضمره بقلبي لو حملته الجبال لتصدعت أو كان بالأرض لتدكدكت ثم

يقول ياليل اشهد بما كان منى فيك فقد منعنى خوف الله عن طلب الحرام والتعرض للآثام، ثم يقول سيدى أنت تجمع بيننا على تقى فلا تفرق بيننا يوم تجمع فيه الأحباب فأقمت معه مدة طويلة أراه يفعل ذلك كل ليلة وأسمع هذا القول منه فلما هممت بالانصراف من عنده قلت سمعتك تقول إذا انقضى الليل كذا وكذا فقال وسمعتنى قلت نعم، قال فوالله يا أخى لأدارى من قلبى ما لو داراه سلطان من رعيته لكان الله حقيقاً بالمغفرة له فقلت وما الذى يدعوك إلى صحبة من تخاف على نفسك العنت من قبله وقال أبو محمد بن جعفر بن عبد الله الصوفى قال أبو حمزة الصوفى رأيت بيت المقدس فتى من الصوفية يصحب غلاماً مدة طويلة فمات الفتى وطال حزن الغلام عليه حتى صار جليداً وعظماً من الضنا والكمند فقلت له يوماً لقد طال حزنك على صديقك حتى أظن أنك لا تسلو بعده أبداً فقال كيف أسلو عن رجل أجلّ الله عز وجل أن يصيبه معى طرفة عين أبداً وصاننى عن نجاسة الفسوق فى خلول صحبتي له وخلواتى معه فى الليل والنهار .

قال المصنف رحمه الله: هؤلاء قوم رآهم إبليس لا ينجذبون معه إلى الفواحش فحسن لهم بداياتها فتعجلوا لذة النظر والصحبة والمحادثة وعزموا على مقاومة النفس فى ضدها عن الفاحشة فان صدقوا وتم لهم ذلك فقد اشتغل القلب الذى ينبغى أن يكون شغله بالله تعالى لا غيره وصرف الزمان الذى ينبغى أن يخلو فيه القلب بما ينفع به فى الآخرة بمجاهدة الطبع فى كفه عن الفاحشة وهذا كله جهل وخروج عن آداب الشرع فان الله عز وجل أمر بغض البصر لأنه طريق إلى القلب ليسلم القلب لله تعالى من شائب تخاف منه وما مثل هؤلاء إلا كمثل من أقبل إلى سباع فى غيضة متشاغلة عنه لا تراه فأثارها وحاربها وقاومها فيا بعد سلامته من جراحة إن لم يهلك .

فصل

وفى هؤلاء من قويت مجاهدته مدة ثم ضعفت فدعته نفسه إلى الفاحشة فامتنع حيثئذ من صحبة المرء. أخبرتنا شاهدة الكاتبة عن عمر بن يوسف الباقلانى قال: قال أبو حمزة قلت لمحمد بن العلاء الدمشقى وكان سيد الصوفية وقد رأيت يماشى غلاماً وضيئاً مدة ثم فارقه، فقلت له

لم هجرت ذلك الفتى الذى كنت اراه معك بعد أن كنت له مواصلاً وإليه مائلاً. فقال والله لقد فارقتك عن غير قلبى ولا ملل. قلت ولم فعلت ذلك؟ قال: رأيت قلبى يدعونى إلى أمر إذا خلوت به وقرب منى لم أتيت سقطة من عين الله عز وجل فهجرته لذلك تنزيهاً لله تعالى ولنفسى من مصارع الفتن.

فصل

ومنهم من تاب وأطال عن إطلاق نظره. أخبرنا المحمّدان بن ناصر وابن عبد الباقي باسناد عن عبيد الله. قال سمعت أخى أبا عبد الله محمد بن محمد يقول: سمعت خيراً النساج يقول: كنت مع أمية بن الصامت الصوفى إذ نظر إلى غلام فقراً وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير» ثم قال. وأين الفرار من سجن الله وقد حصنه بملائكته غلاظ شداد تبارك الله فما أعظم ما امتحننى به من نظرى إلى هذا الغلام ما شبّهت نظرى إليه إلا بنار وقعت على قصب فى يوم ريح فما أبقت ولا تركت ثم قال. استغفر الله من بلاء جنّته عيناى على قلبى. لقد خفت ألا أنجو من معرفته ولا أتخلص من أثمّه ولو وافيت القيامة بعمل سبعين صديقاً. ثم بكى حتى كاد يقضى نحبّه فسمعتة يقول فى بكائه ياطرف لأشغلنك بالبكاء عن النظر إلى البلاء.

فصل

ومنهم من تلاعب به المرض من شدة المحبة. أخبرتنا شهدة الكاتبة باسناد عن أبى حمزة الصوفى قال. كان عبد الله بن موسى من رؤساء الصوفية ووجوههم فنظر إلى غلام حسن فى بعض الأسواق فبلى به وكاد يذهب عقله عليه صباية وحباً وكان يقف كل يوم فى طريقه حتى يراه إذا أقبل وإذا انصرف فطال به البلاء وأقعدّه عن الحركة الضنا وكان لا يقدر أن يمشى خطوة فأتيتّه يوماً لأعوده. فقلت يا أبا محمد ما قصتكم وما هذا الأمر الذى بلغ بك ما أرى، فقال، أمور امتحننى الله بها فلم أصبر على البلاء فيها ولم يكن لى بها طاقة، وربّ ذنب يستصغره الانسان هو عند الله أعظم من كبير، وحقيق بمن تعرض للنظر الحرام أن تطول به الاسقام ثم بكى قلت ما يبكيك؟ قال أخاف أن يطول فى النار شقائى فانصرفت عنه وأنا راحم له لما رأيت به من سوء الحال، قال أبو حمزة ونظر محمد بن عبد الله بن الأشعث الدمشقى وكان من خيار عباد الله إلى غلام

جميل فغشى عليه، فحمل إى منزله واعتاده السقم حتى أقعد من رجله وكان لا يقوم عليهما زمانا طويلا فكنا نأتيه نعوذه ونسأله عن حاله وأمره وكان لا يخبرنا بقصته ولا سبب مرضه، وكان الناس يتحدثون بحديث نظره فبلغ ذلك الغلام فأتاه عائداً فهش إليه وتحرك وضحك فى وجهه واستبشر برؤيته فمارال يعود حتى قام على رجله وعاد إلى حالته فسأله الغلام يوما أن يسير معه إلى منزله فأبى أن يفعل ذلك، فسألنى أن أسأله أن يتحول إليه فسألته فأبى أن يفعل، فقلت للشيخ، وما الذى تكره من ذلك، فقال، لست بمعصوم من البلاء ولا آمن من الفتنة، وأخاف أن يقع على من الشيطان محنة فتجرى بينى وبينه معصية فأكون من الخاسرين.

فصل

وفيهم من همت نفسه إلى الفاحشة فقتل نفسه. حدثنى أبو عبد الله الحسين بن محمد الدامغانى قال، كان ببلاد فارس صوفى كبير فابتلى بحديث فلم يملك نفسه ان دعتة إلى فاحشة فراقب الله عز وجل ثم ندم على هذه الهمة وكان منزله على مكان عال ووراء منزله بحر من الماء فلما أخذته الندامة صعد السطح ورمى بنفسه إلى الماء وتلى قوله تعالى «فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم» فغرق فى البحر.

قال المصنف رحمه الله: أنظر إلى ابليس كيف درج هذا المسكين من رؤية هذا الأمر وإلى ادمان النظر إليه إى أن مكن المحبة من قلبه إلى أن حرضه على الفاحشة فلما رأى استعصامه حسن له بالجهل قتل نفسه فقتل نفسه «ولعله هم بالفاحشة ولم يعزم، والهمة معفو عنها لقوله عليه السلام. عفى لأمتى عما حدثت به نفوسها، ثم إنه ندم على همته والندم توبة فأراه إبليس أن من تمام الندم قتل نفسه كما فعل بنو إسرائيل فأولئك أمروا بذلك بقوله تعالى «فاقتلوا أنفسكم» ونحن نهينا عنه بقوله تعالى «ولا تقتلوا أنفسكم» فلقد أتى بكبيرة عظيمة، وفى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال، من تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً.

فصل

وفيهم من فرق بينه وبين حبيبه فقتل حبيبه. بلغنى عن بعض الصوفية أنه كان فى رباط عندنا ببغداد ومعه صبي فى البيت الذى هو فيه فشنعوا

عليه وفرقوا بينهما فدخل الصوفى إلى الصبى ومعه سكين فقتله وجلس عنده يبكى فجاء أهل الرباط فرأوه فسألوه عن الحال فأقر بقتل الصبى فرفعوه إلى صاحب الشرطة فأقر فجاء والد الصبى يبكى فجلس الصوفى يبكى ويقول له بالله عليك الا ما أقدتني به فقال الآن قد عفوت عنك: فقام الصوفى إلى قبر الصبى فجعل يبكى عليه ثم لم ينزل يحج عن الصبى ويهدى له الثوب.

فصل

ومن هؤلاء من قارب الفتنة فوقع فيها ولم تنفعه دعوى الصبر والمجاهدة، والحديث باسناد عن إدريس بن إدريس قال: حضرت بمصر قوما من الصوفية. ولهم غلام أمرد يغنيهم قال: فغلب على رجل منهم أمره فلم يدر ما يصنع فقال: يا هذا قل لا إله إلا الله، فقال الغلام لا إله إلا الله فقال أقبل الفم الذى قال لا إله إلا الله. (القسم السادس) قوم لم يقصدوا صحبة المردان وإنما يتوب الصبى ويتزهد ويصحبهم على طريق الإرادة فليس إبليس عليهم ويقول لا تمنعوه من الخير ثم يتكرر نظرهم إليه لاعتن قصد فيشير فى القلب الفتنة إلى أن ينال الشيطان منهم قدر ما يمكنه. وربما وثقوا بدينهم فاستفزه الشيطان فرماهم إلى اقصى المعاصى كما فعل ببرصيصا.

قال المصنف رحمه الله: وقد ذكرنا قصته فى أول الكتاب وغلطهم من جهة تعرضهم بالفتن وصحبة من لا يؤمن الفتنة فى صحبته.

(القسم الرابع): قوم علموا أن صحبة المردان والنظر إليهم لا يجوز غير أنهم لم يصبروا عن ذلك. والحديث باسناد عن الرازى يقول: قال يوسف ابن الحسين: كل ما رأيتمنى أفعله فافعلوه إلا صحبة الأحداث فإنها أفتن الفتن. ولقد عاهدت ربي أكثر من مائة مرة أن لأصحب حدثا ففسخها على حسن الحدود وقوام القدود وغنج العيون وما سألتني الله معهم عن معصية. وأنشد صريع الغواني فى معنى ذلك شعراً.

إن ورد الحدود والحدق النجد ل وما فى الثغور من أقحوان
واعوجاج الأصداع فى ظاهر الخد وما فى الصدور من رمان
تركتنى بين الغوانى صريعاً فلهذا أدعى صريع الغوانى

قال المصنف رحمه الله: قلت هذا الرجل قد فضح نفسه فى شئ ستره الله عليه وأخبر أنه كلما رأى فتنه نقض التوبة فأين عزائم التصوف فى حمل النفس على المشاق ثم ظن بجهله أن المعصية هى الفاحشة فقط ولو كان له علم لعلم أن صحبتهم والنظر اليهم معصية. فانظر إلى الجهل كيف يصنع بأربابه. والحديث بإسناد عن محمد بن عمر أنه قال: حكى لى عن أبى مسلم الخمشوعى أنه نظر إلى غلام جميل فأطال. ثم قال سبحان الله ما أهجم طرفى عن مكروه نفسه وأدمنه على سخط سيده وأغراه بما قد نهى عنه وأبهجه بالأمر الذى قد حزر عنه. لقد نظرت إلى هذا نظراً لا أحسب إلا أنه سيفضحنى عند جميع من عرفنى فى عرصات القيامة ولقد تركنى نظرى هذا وأنا استحى من الله تعالى وإن غفر لى ثم صعق. وبإسناد عن أبى بكر محمد بن عبيد يقول: سمعت أبا الحسين النورى يقول: رأيت غلاماً جميلاً ببغداد فنظرت إليه ثم أردت أن أردد النظر فقلت له تلبسون النعال الصرارة، وتمشون فى الطرقات فقال أحسنت الحشر بالعلم.

فصل

وكل من فاته العلم تخبط فان حصل له وفاته العمل به كان أشد تخبطاً، ومن استعمل أدب الشرع فى قوله عز وجل «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم» سلم فى البداية بما صعب أمره فى النهاية، وقد ورد الشرع بالنهى عن مجالسة المردان وأوصى العلماء بذلك. والحديث بإسناده عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لا تجالسوا أبناء الملوك فإن النفوس تشتاق إليهم ما لا تشتاق إلى الجوارى العواتق.

والحديث بإسناده عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: لا تملأوا أعينكم من أولاد الملوك فإن لهم فتنة أشد من فتنة العذارى. والحديث بإسناد عن الشعبى قال: قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ وفيهم غلام أمرد ظاهر الوضأة فأجلسه النبى ﷺ وراء ظهره وقال: كانت خطيئة داود عليه السلام النظر وعن أبى هريرة قال: نهى رسول الله ﷺ أن يحد الرجل النظر إلى الغلام الأمرد. وقال عمر بن الخطاب: ما أتى على عالم من سبع ضار أخوف عليه من غلام أمرد. وبإسناد عن الحسن بن ذكوان أنه قال: لا يجالسوا

أولاد الأغنياء فإن لهم صوراً كصور النساء وهم أشد فتنة من العذارى .
 وبإسناد عن محمد بن حمير عن النجيب السرى قال : . كان يقال
 لا يبيت الرجل فى بيت مع المرد . وبإسناد عن عبد العزيز بن أبى السائب
 عن أبىه قال : لانا أخوف على عابد من غلام من سبعين عذراء . وعن
 أبى على الروزبارى قال : سمعت جنيدا يقول جاء رجل إلى احمد بن
 حنبل ومعه غلام حسن الوجه فقال له من هذا ، قال ، ابنى . فقال احمد :
 لا تجئ به معك مرة أخرى فلما قام قال له محمد بن عبد الرحمن الحافظ
 وفى رواية الخطيب فقيل له أيد الله الشيخ أنه رجل مستور وابنه أفضل منه
 فقال احمد الذى قصدنا اليه من هذا الباب ليس يمنع منه سترهما على
 هذا رأينا أشياخنا وبه أخبرونا عن أسلافهم . وبإسناد عن أبى بكر المروزى
 قال : جاء حسن البزار إلى احمد ابن حنبل ومعه غلام حسن الوجه
 فتحدث معه فلما أراد أن ينصرف قال له أبو عبد الله يا أبا على لا تمس
 مع هذا الغلام فى طريق فقال له إنه ابن أختى ، قال وإن كان لا يهلك
 الناس فيك . وبإسناد من شجاع بن مخلد أنه سمع بشر بن الحارث يقول
 احذروا هؤلاء الأحداث . وبإسناد عن فتح الموصلى أنه قال ، صحبت
 ثلاثين شيخا كانوا يعدون من الأبدال كلهم أوصونى عند فراقى لهم اتقى
 معاشرة الأحداث . وبإسناد عن الحلبي أنه يقول نظر سلام الأسود إلى
 رجل ينظر إلى حدث فقال له يا هذا ابق على جاهك عند الله فإنك لاتزال
 ذا جاه مادمت له معظما . وبإسناد عن أبى منصور عبد القادر بن طاهر
 يقول من صحب الأحداث وقع فى الأحداث وعن أبى عبد الرحمن
 السلمى ، قال : قال مظفر القرميسينى من صحب الأحداث على شرط
 السلامة والنصيحة اداه ذلك إلى البلاء ، فكيف بمن يصحبهم على غير
 وجه السلامة .

فصل

وقد كان السلف يبالغون فى الاعراض عن المرد . وقد روينا عن رسول
 الله ﷺ أنه أجلس الشاب الحسن الوجه وراء ظهره والحديث بإسناد عن
 عطاء بن مسلم قال كان سفيان لا يدع أمرداً يجالسه . وروى إبراهيم بن
 هانىء عن يحيى بن معين قال ما طمع أمرد بصحبتى . ولاحمد بن حنبل
 قال فى طريق . وبإسناد عن أبى يعقوب . قال كنا مع أبى نصر بن الحرث

فوقفت عليه جارية مارأينا أحسن منها فقالت: يا شيخ أين مكان باب حرب. فقال لها هذا الباب الذي يقال له باب حرب ثم جاء بعدها غلام ما رأينا أحسن منه: فسأله فقال يا شيخ أين مكان باب حرب فأطرق الشيخ رأسه. فرد عليه الغلام السؤال وغمض عينيه فقلنا للغلام تعال إيش تريد فقال باب حرب. فقلنا له ها هو بين يديك فلما غاب قلنا للشيخ يا أبا نصر جاءتك جارية فأجبتها وكلمتها وجاءك غلام فلم تكلمه. فقال: نعم يروي عن سفيان الثوري أنه قال. مع الجارية شيطان ومع الغلام شيطانان فخشيت على نفسي من شيطانيه وباسناد عن عبد الله بن مبارك يقول. دخل سفيان الثوري الحمام فدخل عليه غلام صبيح فقال اخرجوه اخرجوه. فإني أرى مع كل امرأة شيطانا ومع كل غلام بضعة عشر شيطانا. وباسناد عن محمد بن احمد بن أبي القسم. قال دخلنا على محمد بن الحسين صاحب يحيى بن معين وكان يقال انه مارفع رأسه إلى السماء من منذ أربعين سنة وكان معنا غلام حدث فى المجلس بين يديه. فقال له. قم من حدائى فاجلسه من خلفه. وباسناد عن أبي إمامه قال: وكنا عند شيخ يقرى فبقى عنده غلام يقرأ عليه فأردت الانصراف فأخذ بثوبى وقال اصبر حتى يفرغ هذا الغلام، وكره أن يخلو مع هذا الغلام. وباسناد عن أبي الروزبارى قال قال لى أبو العباس أحمد المؤدب يا أبا على من أين أخذ صوفية عصرنا هذا الإنس بالاحداث فقلت له ياسيدى أنت بهم أعرف، وقد تصحبهم السلامة لى كثير من الأمور فقال هيهات قد رأينا من كان أقوى إيمانا منهم إذا رأى الحدث قد أقبل فر كفراره من الزحف وإنما ذلك حسب الأوقات التى تغلب الأحوال على أهلها فتأخذها عن تصرف الطباع ما أكثر الخطر ما أكثر الغلط.

فصل

وصحبة الاحداث أقوى حبائل إبليس التى يصيد بها الصوفية أخبرنا ابن ناصر عن أبي عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا بكر الرازى يقول قال يوسف ابن الحسين نظرت فى آفات الخلق فعرفت من أين أتو ورأيت آفة الصوفية فى صحبة الاحداث ومعاشرة الأضداد وارفاق النسوان. وباسناد عن ابن الفرغ الرستمى الصوفى يقول رأيت إبليس فى النوم فقلت له كيف رأيتنا أعرضنا عن الدنيا ولذاتها وأموالها فليس لك الينا

طريق فقال كيف رأيت ما شملت به قلوبكم بإستماع الغناء ومعاشرة الاحداث. وبإسناد عن ابن سعيد الخزاز يقول رأيت إبليس فى النوم يمرغنى ناحية فقلت تعال، فقال ايش أعمل بكم، أنتم طرحتم عن نفوسكم ماأخادع به الناس قلت ماهو، قال الدنيا، فلما ولى التفت إلى فقال غير ان فيكم لطيفة، قلت وماهى؟ قال، صحبة الاحداث. قال أبو سعيد وقل من يتخلص منها من الصوفية.

فصل

فى عقوبة النظر إلى المردان، عن أبى عبد الله بن الجلاء قال كنت انظر الى غلام نصوانى حسن الوجه فمر بى أبو عبد الله البلخى. فقال إيش وقوفك فقلت. ياعم أما ترى هذه الصورة كيف تعذب بالنار. فضرب بيده بين كتفى. وقال لتجدن غبها ولو بعد حين. قال فوجدت غبها بعد أربعين سنة أن أنسيت القرآن. وبإسناد عن أبى الأديان وقال كنت مع أستاذى وأبى بكر الدقاق فمر حدث فنظرت اليه فرأنى أستاذى وأنا أنظر اليه فقال يابنى لتجدن غبه ولو بعد حين. فبقيت عشرين سنة وأنا أراعى فما أجد ذلك الغب فتمت ذات ليلة وأنا مفكر فيه فأصبحت وقد أنسيت القرآن كله. وعن أبى بكر الكتانى قال رأيت بعض أصحابنا فى المنام فقلت ما فعل الله بك قال عرض على سيئاتى وقال فعلت كذا وكذا فقلت نعم. ثم قال وفعلت كذا وكذا فاستحييت أن أقره فقلت انى استحى أن أقر فقال انى غفرت لك بما أقررت فكيف بما استحييت فقلت له ماكان ذلك الذنب فقال مربي غلام حسن الوجه فنظرت اليه. وقد روى نحو هذه الحكاية عن أبى عبد الله الزراد انه روى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لى كل ذنب أقررت به فى الدنيا إلا واحد فاستحييت أن أقر به فوقفنى فى العرق حتى سقط لحم وجهى. فقيل له ماالذنب فقال نظرت الى شخص جميل. وقد بلغنا عن أبى يعقوب الطبرى أنه قال كان معى شاب حسن الوجه يخدمنى فجاءنى انسان من بغداد صوفى فكان كثير الالتفات الى ذلك الشاب فكنت أجد عليه لذلك فتمت ليلة من الليالى فرأيت رب العزة فى المنام فقال يا أبا يعقوب لم لم تنهه وأشار الى البغدادى عن النظر الى الأحداث فوعزتى انى لا أشغل بالأحداث الا من باعدته عن قربى. قال أبو يعقوب فانتبهت وأنا اضطرب فحكيت الرؤيا

للبيدادي فصاح صريحة ومات فغسلناه ودفناه، واشتغل عليه قلبى فرأيته بعد شهر فى النوم فقلت له ما فعل الله بك قال وبخنى حتى خفت أن لا أنجو ثم عفا عنى قلت . إنما مددت النفس يسيرا فى هذا الباب لأنه مما تعم به البلوى عند الأكثرين فمن أراد الزيادة فيه وفيما يتعلق باطلاق البصر وجميع أسباب الهوى فلينظر فى كتابنا المسمى بدم الهوى . ففيه غاية المراد من جميع ذلك .

ذكر تلبس إبليس على الصوفية فى ادعاء التوكل وقطع الأسباب وترك الاحتراز فى الأموال

أخبرنا المحمّدان بن ناصر وابن عبد الباقي باسناد عن أحمد بن أبى الحوارى قال سمعت أبا سليمان الداراني يقول لو توكلنا على الله تعالى ما بينا الحيطان ولا جعلنا لباب الدار غلقا مخافة اللصوص . وباسناد عن ذى النون المصرى انه قال سافرت سنين وماصح لى التوكل إلا وقتا واحداً ركبت البحر فكسر المركب فتعلقت بخشبة من خشب المركب فقالت لى نفسى ان حكم الله عليك بالغرق فما تنفك هذه الخشبة فخليت الخشبة فطفت على الماء فوقعت على الساحل .

أخبرنا محمد قال سألت أبا يعقوب الزيات عن مسألة فى التوكل فأخرج درهما كان عنده ثم أجابنى . فأعطى التوكل حقه ثم قال استحيت أن أجيبك وعندى شئ وذكر أبو نصر السراج فى كتاب اللمع قال جاء رجل الى عبد الله بن الجلاء فسأله عن مسألة فى التوكل وعنده جماعته فلم يجبه ودخل البيت فأخرج اليهم صرة فيها أربعة دوانق فقال اشتروا بهذه شيئاً . ثم أجاب الرجل عن سؤاله فقيل له فى ذلك فقال استحيت من الله تعالى أن أتكلم فى التوكل وعندى أربعة دوانق . وقال سهل بن عبد الله من طعن فى الاكتساب فقد طعن على السنة ومن طعن على التوكل فقد طعن على الايمان .

قال المصنف قلت : قلة العلم أوجبت هذا التخليط ، ولو عرفوا ماهية التوكل لعلموا انه ليس بينه وبين الأسباب تضاد . وذلك أن التوكل اعتماد القلب على الوكيل وحده وذلك لا يناقض حركة البدن فى التعلق بالأسباب ولا ادخار المال . فقد قال تعالى «ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياماً» أى قواماً لأبدانكم وقال ﷺ . نعم المال

الصالح مع الرجل الصالح، وقال ﷺ إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكفون الناس. واعلم أن الذي أمر بالتوكل أمر بأخذ الحذر، فقال «خذوا حذرکم» وقال «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» وقال «أن أسر بعبادی لیلاً» وقد ظاهر رسول الله ﷺ بين درعين وشاور طبييين واختفى في الغار. وقال من يحرسنى الليلة. وأمر بغلق الباب. وفي الصحيحين من حديث جابر أن النبي ﷺ قال اغلق بابك. وقد أخبرنا أن التوكل لا ينافى الاحتراز.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندی نا عبدالله بن يحيى الموصلى ونصر بن أحمد قالا أخبرنا أبو الحسين بن بشران ثنا الحسين بن صفوان ثنا أبو بكر القرشى ثنى أبو جعفر الصيرفى فى ثنا يحيى بن سعيد ثنا المغيرة ابن أبى قره السدوسى قال سمعت أنس ابن مالك رضى الله عنه يقول جاء رجل إلى النبي ﷺ وترك ناقته بباب المسجد فسأله رسول الله ﷺ عنها فقال أطلقتها وتوكلت على الله قال اعقلها وتوكل.

أخبرنا ابن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا عبد العزيز بن على الأرجى نا إبراهيم ابن محمد بن جعفر نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر ثنا أبو بكر الخلال أخبرنى حرب بن اسماعيل الكرمانى ثنى عبد الرحمن ابن محمد بن سلام ثنا الحسين بن زياد المروزى قال سمعت سفیان بن عيينة يقول تفسير التوكل أن يرضى بما يفعل به. وقال ابن عقيل يظن أقوام ان الاحتياط والاحتراز ينافى التوكل. وإن التوكل هو إهمال العواقب وإطراح التحفظ وذلك عند العلماء هو العجز والتفريط الذى يقتضى من العقلاء التوبيخ والتهجين ولم يأمر الله بالتوكل الا بعد التحرر واستفراغ الوسع فى التحفظ. فقال تعالى: ﴿وشاورهم فى الأمر﴾، ﴿فإذا عزم فتوكل على الله﴾ فلو كان التعليق بالاحتياط قادحا فى التوكل لما خص الله به نبيه حين قال له: ﴿وشاورهم فى الأمر﴾ وهل المشاورة الا استفادة رأى الذى منه يؤخذ التحفظ والتحرر من العدو ولم يقنع فى الاحتياط بأن يكله الى رأيهم واجتهادهم حتى نص عليه وجعله عملا فى نفس الصلاة وهى أخص العبادات. فقال: ﴿فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم﴾ وبين علة ذلك بقوله تعالى: ﴿ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة﴾ ومن علم

أن الاحتياط هكذا لا يقال أن التوكل عليه ترك ما علم. لكن التوكل التفويض فيما لاوسع فيه ولا طاقة. قال عليه الصلاة والسلام «اعقلها وتوكل». ولو كان التوكل ترك التحرر لخص به خير الخلق عليه السلام في خواص الأحوال وهي حالة الصلاة. وقد ذهب الشافعي رحمه الله إلى وجوب حمل السلاح حينئذ لقوله: ﴿ولياخذوا أسلحتهم﴾ فالتوكل لا يمنع من الاحتياط والاحترار فإن موسى عليه السلام لما قيل له: ﴿إن الملائكة يأتمرون بك ليقتلوك﴾. خرج. ونبينا عليه السلام خرج من مكة لخوفه من المتأمرين عليه ووقاه أبو بكر رضى الله عنه بسد أثقاب الغار وأعطى القوى التحرر حقه ثم توكلوا وقال عز وجل في باب الاحتياط ﴿لا تقصص رؤياك على إخوتك﴾ وقال ﴿لا تدخلوا من باب واحد﴾ وقال: فامشوا في مناكبها ﴿ وهذا لأن الحركة للذب عن النفس استعمال لنعمة الله تعالى وكما أن الله تعالى يريد إظهار نعمة المبدأة يريد إظهار وداعته فلا وجه لتعطيل ما أودع اعتمادا على ما جاد به. لكن يجب استعمال ما عندك ثم أطلب ما عنده وقد جعل الله تعالى للطير والبهائم دروع وأسلحة تدفع عنها الشرور كالمخلب والظفر والناب وخلق للادمي عقلا يقوده إلى حمل الأسلحة ويهديه إلى التحصين بالابنية والدروع ولقد عطل نعمة الله تعالى بترك الاحتراز فقد عطل حكمته كمن يترك الأغذية والأدوية ثم يموت جوعا أو مرضا. ولا أبله ممن يدعى العقل والعلم ويستسلم للبلاء إنما ينبغي أن تكون أعضاء المتوكل في الكسب وقد ساكن مفوض إلى الحق منع أو أعطى. لأنه لا يرى إلا أن الحق سبحانه وتعالى لا يتصرف إلا بحكمة ومصلحة. فمنعه عطاء في المعنى. وكم زاد للعجزة عجوزهم وسولت لهم أنفسهم أن التفريط توكل فصاروا غرورهم بمشابة من اعتقد التهور شجاعة والخور حزما. ومتى وضعت أسباب فاهملت كان ذلك جهلا بحكمة الواضع. مثل وضع الطعام سهلا للشبع والماء للرى والدواء للمرض. فإذا ترك الإنسان ذلك إهواناً بالسبب ثم دعا وسأل فرجما قيل له قد جعلنا لعافيتك سببا فإذا لم تتناوله كله إهوانا لعطائنا فرجما لم نعافك بغير سبب لإهوانك للسبب وما هذا إلا بمشابة من بين قراحه وماء الساقية رفسه بمسحاة فأخذ يصلى صلاة الاستسقاء طلبا للمطر فإنه لا يستحسن منه ذلك شرعا ولا عقلا.

قال المصنف رحمه الله: فان قال قائل كيف أحترز مع القدر قيل له وكيف لا تحترز مع الأوامر من المقدر فالذى قدر هو الذى أمر. وقد قال تعالى (وخذوا حذرکم) أنبأنا إسماعيل بن احمد نا عاصم بن الحسين نا ابن بشران ثنا أبو صفوان نا أبو بكر القرشى ثنى شريح بن يونس نا على ابن ثابت عن خطاب بن القاسم عن أبى عثمان قال: كان عيسى عليه السلام يصلى على رأس جبل فاتاه إبليس فقال أنت الذى تزعم أن كل شئ بقضاء وقدر. قال نعم قال فألق نفسك من الجبل وقل قدر على فقال. يالعين الله يختبر العباد وليس للعباد أن يختبروا الله تعالى.

فصل

وفى معنى ما ذكرنا من تلبسه عليهم فى ترك الأسباب انه قد لبس على خلق كثير منهم بأن التوكل ينافى الكسب. أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم احمد بن عبد الله قال سمعت أبا الحسن بن مقسم يقول: سمعت محمد بن المنذر يقول سمعت سهل بن عبد الله التستري يقول: من فى طعن التوكل فقد طعن فى الإيمان ومن طعن على الكسب فقد طعن على السنة.

أخبرنا محمد بن ناصر نا احمد بن على بن خلف نا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول: سأل رجل أبا عبد الله بن سالم وأنا اسمع أنحن مستعبدون بالكسب أم بالتوكل فقال التوكل حال رسول الله ﷺ والكسب سنة رسول الله ﷺ وإنما سن الكسب لمن ضعف عن التوكل وسقط عن درجة الكمال التى هى فى حال التوكل حاله فمن أطاق التوكل فالكسب غير مباح له بحال إلا كسب معاونة لا كسب اعتماد عليه ومن ضعف عن حال التوكل التى هى حال رسول الله ﷺ أبيع له طلب المعاش فى الكسب لئلا يسقط عن درجة سنته حين سقط عن درجة حاله.

أنبأنا عبد المعمر بن عبد الكريم نا أبى قال سمعت محمد بن الحسين قال سمعت أبا القاسم الرازى يقول سمعت يوسف بن الحسين قال: اذا رأيت المرید يشتغل بالرخص والكسب فليس يجىء منه شئ.

قال المصنف رحمه الله: قلت هذا كلام قوم ما فهموا معنى التوكل

وظنوا انه ترك الكسب وتعطيل الجوارح عن العمل وقد بينا أن التوكل فعل القلب فلا ينافى حركة الجوارح ولو كان كل كاسب ليس بمتوكل لكان الأنبياء غير متوكلين فقد كان آدم عليه السلام حراثاً ونوح وزكريا نجارين وادريس خياطاً وإبراهيم ولوط زراعين وصالح تاجراً وكان سليمان يعمل الخوص وداود يصنع الدرع ويأكل من ثمنه وكان موسى وشعيب ومحمد رعاة صلوات الله عليهم أجمعين وقال نبينا ﷺ كنت أرعى غنماً لأهل مكة بالقراريط .

فلما أغناه الله عز وجل بما فرض له من الفئ لم يحتج الى الكسب . وقد كان أبو بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة رضوان الله تعالى عليهم بزازين وكذلك محمد بن سيرين وميمون بن مهران بزازين ، وكان الزبير بن العوام وعمرو بن العاص وعامر بن كريز خزازين . وكذلك أبو حنيفة . وكان سعد بن أبي وقاص يبرى النبل وكان عثمان بن طلحة خياطاً . وما زال التابعون ومن بعدهم يكتسبون ويأمرون بالكسب .

أخبرنا محمد بن أبي طاهرنا أبو محمد الجوهري نا ابن حياة نا أبو الحسن ابن معروف نا الحسين بن الفهم ثنا محمد بن سعد نا مسلم بن إبراهيم نا هشام الدستوائي قال حدثنا عطاء بن السائب قال : لما استخلف أبو بكر رضى الله عنه أصبح غادياً إلى السوق وعلى رقبتة أثواب يتجر بها فلقية عمر وأبو عبيدة فقالا . أين تريد : فقال السوق قالا تصنع ماذا . وقد وليت أمور المسلمين قال . فمن أين أطعم عيالى . قال ابن سعد وأخبرنا احمد بن عبد الله بن يونس ثنا أبو بكر بن عياش عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال . لما استخلف أبو بكر جعلوا له ألفين . فقال زيدونى فان لى عيالا وقد شغلتمونى عن التجارة فزادوه خمسمائة .

قال المصنف رحمه الله : قلت لو قال رجل للصوفية من أين أطعم عيالى لقالوا قد أشركت ، ولو سئلوا عنم يخرج الى التجارة لقالوا ليس بمتوكل ولا موقن وكل هذا لجهلهم بمعنى التوكل واليقين ، ولو كان أحد يغلق عليه الباب ويتوكل لقرب أمر دعواهم لكنهم بين أمرين أما الغالب من الناس فمنهم من يسعى الى الدنيا مستجدياً ومنهم من يبعث غلامه فيدور بالزنبيل فيجمع له . . وإما الجلوس فى الرباط فى هيئة المساكين وقد علم أن الرباط لا يخلو من فتوح كما لا تخلو الدكان من أن يقصد للبيع والشراء .

أخبرنا عبد الوهاب الحافظ نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو طالب العشارى نا محمد بن عبد الرحمن المخلص نا عبيد الله بن عبد الرحمن السكرى ثنا أبو بكر ابن عبيد قال حدثت عن الهيثم بن خارجة ثنا سهل بن هشام عن إبراهيم بن أدهم قال . كان سعيد بن المسيب يقول من لزم المسجد وترك الحرفة وقبل ماياته فقد ألحف فى السؤال .

أخبرنا المحمّدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالوا: نا حمد بن أحمد نا أبو نعيم الحافظ قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت جدى إسماعيل بن نجيدى يقول: كان أبو تراب يقول لأصحابه من لبس منكم مرقعة فقد سأل ومن قعد فى خانقاه أو مسجد فقد سأل .

قال المصنف رحمه الله: قلت وقد كان السلف ينهون عن التعرض لهذه الأشياء ويأمرون بالكسب . أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك نا أبو الحسين ابن عبد الجبار نا محمد ابن على بن الفتح نا محمد بن عبد الرحمن المخلص نا عبيد الله ابن عبد الرحمن السكرى نا أبو بكر بن عبيد القرشى نا عبيد بن الجعد نا المسعودى عن خوات التيمى قال: قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه . يامعشر الفقراء أرفعوا رؤوسكم فقد وضح الطريق فاستبقوا الخيرات ولا تكونوا عيالا على المسلمين .

أخبرنا ابن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا أبو القاسم التنوخى وأبو محمد الجوهري وأبو الخير القزوينى قالوا نا أبو عمر بن حياة نا محمد بن خلف ثنا أبو جعفر اليمانى نا أبو الحسن المدائنى عن محمد بن عاصم قال: بلغنى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا رأى غلاماً فأعجبه سأل عنه هل له حرفة فإن قيل لا قال سقط من عيسى .

أخبرنا إسماعيل بن أحمد نا عمر بن عبد الله النقال نا أبو الحسين بن بشران نا عثمان ابن احمد الدقاق نا حنبل ثنى أبو عبد الله نا معاذ بن هشام ثنى أبى عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يتجرون فى تجر الشام منهم طلحة ابن عبيد الله وسعيد بن زيد .

أخبرنا عبد الوهاب بن المبارك نا جعفر بن أحمد السراج نا عبد العزيز ابن الحسن ابن إسماعيل الضراب نا أبى نا احمد بن مروان المالكى نا أبو القاسم بن الختلى: سألت أحمد بن حنبل وقلت: ماتقول فى رجل جلس

في بيته أو في مسجده وقال لا أعمل شيئاً حتى يأتيني رزقي فقال احمد هذا رجل جهل العلم أما سمعت قول رسول الله ﷺ . جعل الله رزقي تحت ظل رمحي ، وحديث الآخر في ذكر الطير تغدو خماصاً فذكر انها تغدو في طلب الرزق . قال تعالى ﴿وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله﴾ وقال : ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾ وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخيلهم ولنا القدوة بهم . وقد ذكرنا فيما مضى عن احمد أن رجلاً قال له . أريد الحج على التوكل فقال له فأخرج في غير القافلة . قال لا . قال فعلى جراب الناس توكلت .

أخبرنا ابن ناصرنا أبو الحسين بن عبد الجبار نا عبد العزيز بن علي الأرجي نا ابراهيم ابن محمد بن جعفر الناجي نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر نا أبو بكر احمد ابن محمد الخلال نا أبو بكر المروزي قال : قلت لأبي عبد الله هؤلاء المتوكلون يقولون نقعد وأرراقنا على الله عز وجل . فقال هذا قول ردي . أليس قد قال الله تعالى : ﴿إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع﴾ ثم قال إذا قال لا أعمل وحيء إليه بشئ قد عمل واكتسب لأى شئ يقبله من غيره . قال الخلال : وأخبرنا عبد الله بن أحمد قال : سألت أبا عن قوم يقولون نتوكل على الله ولا نكتسب فقال . ينبغي للناس كلهم يتوكلون على الله . ولكن يعودون على أنفسهم بالكسب . هذا قول انسان أحمق .

قال الخلال : وأخبرني محمد بن علي قال ثنا صالح انه سأل أباه يعنى احمد ابن حنبل عن التوكل فقال التوكل حسن ولكن ينبغي أن يكتسب ويعمل حتى يغنى نفسه وعياله ولا يترك العمل . قال وسئل أبى وأنا شاهد عن قوم لا يعملون ويقولون نحن المتوكلون فقال هؤلاء مبتدعون . قال الخلال وأخبرنا المروزي انه قال لأبى عبد الله أن ابن عيينة كان يقول هم مبتدعة . فقال أبو عبد الله هؤلاء قوم سوء يريدون تعطيل الدنيا . وقال الخلال وأخبرنا المروزي قال سألت أبا عبد الله عن رجل جلس في بيته وقال اجلس واصبر واقعد في البيت ولا أطلع على ذلك أحداً فقال . لو خرج فاحترف كان أحب إلى فإذا جلس خفت أن يخرج جלוسته الى غير هذا قلت الى أى شئ يخرج قال الى أن يكون يتوقع أن يرسل إليه

قال الخلال وحدثنا أبو بكر المروزي قال سمعت رجلاً يقول لأبي عبد الله
أحمد بن حنبل أنسى في كفاية قال إلزم السوق تصل به الرحم وتعود به على
عيالك . وقال لرجل آخر إعمل وتصدق بالفضل على قرابتك . وقال أحمد بن
حنبل قد أمرتهم يعني أولاده أن يختلفوا إلى السوق وأن يتعرضوا للتجارة .

قال الخلال وأخبرني محمد بن الحسين أن الفضل بن محمد بن زياد
حدثهم قال سمعت أبا عبد الله يأمر بالسوق ويقول . ما أحسن الاستغناء عن
الناس . وقال الخلال وأخبرني يعقوب بن يوسف المطوعي قال . سمعت أبا
بكر بن جنادة . يقول : الجصاصي قال سمعت أحمد بن حنبل يقول أحب
الدرهم إلى درهم من تجارة وأكرهها عندي الذي من صلة الإخوان .

قال المصنف رحمه الله : قلت وكان إبراهيم بن أدهم يحصد وسلمان
الخواص يلقط وحذيفة المرعشي يضرب الالن ، وقال ابن عقيل السبب
لا يقدح في التوكل لأن تعاطى رتبة ترقى على رتبة الأنبياء نقص في
الدين . ولما قيل لموسى عليه السلام : ﴿ إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك ﴾
خرج ولما جاع واحتاج إلى عفة نفسه أجز نفسه ثمان سنين . وقال تعالى
﴿ فامشوا في مناكبها ﴾ وهذا لأن الحركة استعمال بنعمة الله وهي القوى
فاستعمل ما عندك ثم أطلب ما عنده . وقد يطلب الإنسان من ربه وينسى
ماله عنده من الذخائر فإذا تأخر عنه ما يطلبه بسخط . فترى بعضهم يملك
عقاراً وأثاثاً فإذا ضاق به القوت واجتمع عليه دين فقيل له . لو بعت
عقارك . قال كيف أفرط في عقارى وأسقط جاهي عند الناس وإنما يفعل
هذه الحماقات العادات وإنما قعد أقوام عن الكسب استثقلاً له فكانوا بين
أمرين قبيحين . إما تضييع العيال فتركوا الفرائض أو التزين باسم أنه
متوكل فيحن عليهم المكتسبون فضيقوا على عيالهم لأجلهم وأعطوهم .
وهذه الرذيلة لم تدخل قط إلا على دنئ النفس الرذيلة وإلا فالرجل كل
الرجل من لم يضيع جوهره الذي أودعه الله إثراً للكسل أو لإسم يتزين
به بين الجهال فإن الله تعالى قد يحرم الإنسان المال ويرزقه جوهرأ يتسبب
به إلى تحصيل الدنيا بقبول الناس عليه .

فصل

وقد تشبث السقاعدون عن التكسب بتعللات قبيحة . منها أنهم قالوا
لا بد من أن يصل إلينا رزقنا وهذا في غاية القبح فإن الإنسان لو ترك

الطاعة وقال لا أقدر بطاعتي أن أغير ما قضى الله على فان كنت من أهل الجنة فانا إلى الجنة أو من أهل النار فانا من أهل النار. قلنا له هذا يرد الأوامر كلها ولو صح لأحد ذلك لم يخرج آدم من الجنة لأنه كان يقول ما فعلت إلا ما قضى على. ومعلوم اننا مطالبون بالأمر لا بالقدر. ومنها انهم يقولون أين الحلال حتى نطلب وهذا قول جاهل لأن الحلال لا ينقطع أبداً لقوله ﷺ «الحلال بين والحرام بين». ومعلوم أن الحلال ما أذن الشرع في تناوله وإنما قولهم لهذا احتجاج للكسل. ومنها أنهم قالوا إذا كسبنا أعنا الظلمة والعصاة مثل ما أخبرنا به عمر بن زفر نا جعفر بن احمد نا عبد العزيز بن على نا ابن جهضم نا على بن محمد السيرواني قال سمعت ابراهيم الخواص يقول طلبت الحلال فى كل شئ حتى طلبته فى صيد السمك فأخذت قصبه وجعلت فيها شعراً وجلست على الماء فألقيت الشص فخرجت سمكه فطرحتها على الأرض وألقيت الثانية فخرجت لى سمكة فانا أطرحها ثالثة اذا من ورائى لطمه لأدرى من يد من هى ولا رأيت أحداً وسمعت قائلاً يقول أنت لم تصب رزقاً فى شئ إلا أن تعمد الى من يذكرنا فتقتله قال فقطعت الشعر وكسرت القصبه وانصرفت. أنبأنا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم القشيري ثنا أبى قال سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا عثمان بن الأدمى قال سمعت ابراهيم الخواص يقول طلبت فقصدت الخ ما تقدم.

قال المصنف رحمه الله: قلت وهذه القصة ان صحت فان فى الروايتين بعض من يتهم فان اللاطم إبليس وهو الذى هتف به لان الله تعالى أباح الصيد فلا يعاقب على ما أباحه وكيف يقال له تعمد الى من يذكرنا فتقتله وهو الذى أباح له قتله وكسب الحلال بمدوح ولو تركنا الصيد وذبح الأنعام لأنها تذكر الله تعالى لم يكن لنا ما يقيم قوى الأبدان لأنه لا يُقيمها الا اللحم فالتحرى من أخذ السمك وذبح الحيوان مذهب البراهمة فانظر الى الجهل ما يصنع والى إبليس كيف يفعل. أخبرنا أبو منصور القزاز نا احمد بن على بن ثابت نا عبد العزيز بن على الأرجى ثنا على بن عبد الله الهمداني نا محمد بن جعفر نا احمد بن عبد الله بن عبد الملك قال سمعت شيخاً يكنى أبا تراب يقول قيل لفتح الموصلى أنت صياد بالشبكة ولم تصد شيئاً الا وتطعمه لعيالك فلم تصدو تبع ذلك

الناس فقال أخاف أن أصطاد مطيعاً لله تعالى فى جوف الماء فأطعمه عاصياً لله على وجه الأرض .

قال المصنف رحمه الله : قلت إن صحت هذه الحكاية عن فتح الموصلى فهو من التعلل البارد المخالف لشرع والعقل لأن الله تعالى أباح الكسب وندب اليه فاذا قال قائل ربما خبزت خبزاً فأكله عاص كان حديثاً فارغاً لأنه لا يجوز لنا إذا أن نبيع الخبز لليهود والنصارى .

ذكر تلبس إبليس على الصوفية فى ترك التداوى

قال المصنف رحمه الله : لا يختلف العلماء أن التداوى مباح وإنما رأى بعضهم أن العزيمة تركه . وقد ذكرنا كلام الناس فى هذا وبيننا بما اخترناه فى كتابنا لقط المنافع فى الطب . والمقصود ههنا أنا نقول اذا ثبت أن التداوى مباح بالإجماع مندوب اليه عند بعض العلماء فلا يلتفت الى قول قوم قد رأوا أن التداوى خارج من التوكل لأن الإجماع على انه لا يخرج من التوكل صح عن رسول الله ﷺ انه تداوى وأمر بالتداوى ، ولم يخرج بذلك من التوكل ولاأخرج من أمره أن يتداوى من التوكل .

وفى الصحيح من حديث عثمان ابن عفان رضى الله عنه أن النبى ﷺ رخص اذا اشتكى المحرم عينه أن يضمدها بالصبر . قال ابن جرير الطبرى وفى هذا الحديث دليل على فساد مايقوله ذوو الغباوة من أهل التصوف والعباد من أن التوكل لا يصح لأحد عالج علة به فى جسدة بدواء إذا ذاك عندهم طلب العافية من غير من بيده العافية والضر والنفع . وفى إطلاق النبى ﷺ للمحرم علاج عينه بالصبر لدفع المكروه أدل دليل على أن معنى التوكل غير ماقاله الذين ذكرنا قولهم ، وان ذلك غير مخرج فاعله من الرضا بقضاء الله كما أن من عرض له كلب الجوع لا يخرج فزعه إلى الغذاء من التوكل والرضا بالقضاء لأن الله تعالى لم ينزل داء إلا أنزل له دواء إلا الموت . وجعل أسبابا لدفع الادواء كما جعل الأكل سبباً لدفع الجوع . وقد كان قادرا أن يحيى خلقه بغير هذا ولكنه خلقهم ذوى حاجة فلا يندفع عنهم أذى الجوع إلا بما جعل سبباً لدفعه عنهم فكذا الداء العارض والله الهادى .

ذكر تلبس إبليس على الصوفية فى ترك الجمعة والجماعة بالوحدة والعزلة

قال المصنف . كان الخيار السلف يؤثرون الوحدة والعزلة عن الناس اشتغالا بالعلم والتعبد إلا أن عزلة القوم لم تقطعهم عن الجمعة ولا جماعة ولا عيادة مريض ولا شهود جنازة ولا قيام بحق . وإنما هى عزلة عن الشر وأهله ومخالطة البطالين وقد لبس إبليس على جماعة من المتصوفة فمنهم من اعتزل فى جبل كالرهبان بيت وحده ويصبح وحده ففاته الجمعة وصلاة الجماعة ومخالطة أهل العلم . وعمومهم اعتزل فى الأربطة ففاتهم السعى إلى المساجد وتوطنوا على فراش الراحة وتركوا الكسب وقد قال أبو حامد الغزالي فى كتاب الأحياء المقصود الرياضة تفريغ القلب وليس ذلك إلا بخلوة فى مكان مظلم وقال فان لم يكن مكان مظلم فيلف رأسه فى جيبته أو يتدثر بكساء ، أو أزار . فى مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال حضرة الربوبية .

قال المصنف رحمه الله : قلت أنظر إلى هذه الترتيبات والعجب كيف تصدر من فقيه عالم ومن أين له أن الذى يسمعه نداء الحق وأن الذى يشاهده جلال الربوبية وما يؤمنه أن يكون ما يجده من الوسوس والخيالات الفاسدة وهذا الظاهر ممن يستعمل التقلل فى المطعم فإنه يغلب عليه المالىخوليا . وقد يسلم الإنسان فى مثل هذه الحالة من الوسوس إلا أنه إذا تغشى بثوبه وغمض عينيه تخايل هذه الأشياء لأن فى الدماغ ثلاث قوى : قوة يكون بها التخيل وقوة يكون بها الفكرة وقوة يكون بها الذكر وموضع التخيل البطنان المقدمان من بطون الدماغ وموضع التفكير البطن الأوسط من بطون الدماغ وموضع الحفظ الموضع المؤخر فإن أطرق الإنسان وغمض عينيه جال الفكر والتخيل فيرى خيالات فيظنها ما ذكر من حضرة جلال الربوبية إلى غير ذلك نعوذ بالله من هذه الوسوس والخيالات الفاسدة .

أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا رزق الله بن عبد الوهاب نا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا بكر البجلي يقول سمعت أبا عثمان ابن آدمى قال كان أبو عبيد التستري إذا كان أول يوم من شهر رمضان يدخل البيت ويقول لامراته طينى باب البيت والتقى إلى كل ليلة من الكوة

رغيفاً فإذا كان يوم العيد دخلت فوجدت ثلاثين رغيفاً فى الزاوية ولاأكل ولاشرب ولايتها لصلاة ويبقى على طهر واحد إلى آخر الشهر .

قال المصنف رحمه الله : هذه الحكاية عندي بعيدة عن الصحة من وجهين أحدها بقاء الأدمى شهراً لا يحدث بنوم ولا بول ولا غائط ولا ريح : والثانى ترك المسلم صلاة الجمعة والجماعة وهى واجبة لا يحل تركها فإن صحت هذه الحكاية فما أبقى إبليس لهذا فى التلبس بقية . قال أنبأنا زاهر بن طاهر نا احمد بن الحسين البيهقى ثنا الحاكم أبو عبد الله النيسابورى وسمعت أبا الحسن البوشنجى الصوفى غير مرة يغتاب فى ترك الجمعة والجماعة والتخلف عنها فيقول : ان كانت البركة فى الجماعة فإن السلامة فى العزلة .

فصل

وقد جاء النهى عن الانفراد الموجب للبعد عن العلم والجهاد للعدو . أخبرنا ابن الحصين نا أبو على بن المذهب نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن احمد قال حدثنى أبى ثنا أبو المغيرة ثنا معان بن رفاعة ثنى على بن يزيد عن القاسم عن أبى امامة قال خرجنا مع رسول الله ﷺ فى سرية من سراياه قال فمر رجل بغار فيه شىء من ماء قال فحدث نفسه بأن يقيم فى ذلك الغاو فيقوته ما كان فيه وفيه شىء من ماء ويصيب ما حوله من البقل ويتخلى عن الدنيا ثم قال : لو أنى أتيت نبى الله ﷺ فذكرت ذلك له فإن أذن لى فعلت والا لم أفعل فأتاه فقال يا نبى الله انى مررت بغار فيه ما يقوتنى من الماء والبقل فحدثنى نفسى بأن أقيم فيه وأتخلى من الدنيا . قال فقال نبى الله ﷺ « انى لم أبعث باليهوديه ولا بالنصرانية ولكنى بعثت بالحنيفية السمحة والذى نفس محمد بيده لغدوة أو روحة فى سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ولمقام أحدكم فى الصنف خير من صلاته ستين سنة » .

ذكر تلبس إبليس على الصوفية

فى التخشع ومطاطاة الرأس وإقامة الناموس

قال المصنف رحمه الله : إذا سكن الخوف القلب أوجب خشوع الظاهر ولا يملك صاحبه دفعه فتراه مطرقاً متادباً متذللاً وقد كانوا يجتهدون فى

ستر ما يظهر منهم من ذلك - وكان محمد بن سيرين يضحك بالنهار ويبكي بالليل . ولسنا نأمر العالم بالانبساط بين العوام فإن ذلك يؤذيهم . فقد روى عن علي رضي الله عنه إذا ذكرت العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بضحك فتمجج القلوب ومثل هذا لا يسمى رياء لأن قلوب العوام تضيق عن التأويل للعلم إذا تفسح في المباح فينبغي أن يتلقاهم بالصمت والأدب وإنما المذموم تكلف التخشع والتباكي ومطاطأة الرأس ليرى الإنسان بعين الزهد والتهيؤ للمصافحة وتقبيل اليد وربما قيل له ادع لنا فيتهياً للدعاء كأنه يستنزل الإجابة وقد ذكرنا عن إبراهيم النخعي أنه قيل له ادع لنا فكره ذلك واشتد عليه . وقد كان في الخائفين من حملة الخوف على شدة الذل والحياء فلم يرفع رأسه إلى السماء وليس هذا بفضيلة لأنه لا خشوع فوق خشوع رسول الله ﷺ . وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى قال كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء . وفي هذا الحديث دليل على استحباب النظر إلى السماء لأجل الاعتبار بآياتها وقد قال الله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ يَرَوْنَ السَّمَاءَ فَتُفْسِحُ فَتَفْجَرُونَ ﴾ وقال : ﴿ قُلْ انظروا ماذا آتى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ وفي هذا رد على المتصوفين فإن أحدهم يبقى سنين لا ينظر إلى السماء . وقد ضم هؤلاء إلى ابتداعهم الرمز إلى التشبيه ولو علموا أن اطراقهم كرفعهم في باب الحياء من الله تعالى لم يفعلوا ذلك غير أن ما شغل إبليس إلا التلاعب بالجهلة . فأما العلماء فهو بعيد عنهم شديد الخوف منهم لأنهم يعرفون جميع أمره ويحتززون من فنون مكره .

أخبرنا محمد بن ناصر وعمر بن ظفر قالوا أخبرنا محمد بن الحسن الباقلاني نا القاضي أبو العلاء الواسطي نا أبو نصر أحمد بن محمد نا أبو الخير أحمد بن محمد البزاز ثنا البخاري ثنا إسحاق ثنا محمد بن المفضل ثنا الوليد بن جميع عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن قال : لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ منحرفين ولا متماوتين وكانوا يتناشدون الشعر في مجالسهم ويذكرون أمر جاهليتهم فإذا أريد أحد منهم على شيء من أمر دينه دارت حماليق عينيه كأنه مجنون . أخبرنا عبد الوهاب الحافظ ثنا جعفر بن أحمد نا عبد العزيز الحسن بن إسماعيل الضراب نا أبي ثنا أحمد بن مروان ثنا إبراهيم الحربي ثنا محمد بن الحارث عن المدائني عن

محمد بن عبد الله القرشي عن أبيه قال: نظر عمر ابن الخطاب رضى الله عنه إلى شاب قد نكس رأسه فقال له. يا هذا ارفع رأسك فإن الخشوع لا يزيد على ما فى القلب فمن أظهر للناس خشوعاً فوق ما فى قلبه فإنما أظهر نفاقاً على نفاق .

أخبرنا عبد الوهاب نا المبارك بن عبد الجبار نا على بن أحمد الملقى ثنا أحمد بن محمد بن يوسف ثنا ابن صفوان نا أبو بكر القرشى ثنا يعقوب بن إسحاق قال: قال عبد الله أخبرنا المعتمر عن كهمس بن الحسين أن رجلاً تنفس عند عمر بن الخطاب كأنه يتحازن فلكره عمر أو قال لكمه .

أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن أحمد نا الحسن بن على التميمى نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبو أسود بن عامر نا أبو بكر عن غاصم بن كليب الجرمى: قال لقي أبى عبد الرحمن بن الأسود وهو يمشى وكان إذا مشى يمشى جنب الحائط متخشعاً هكذا. وأمال أبو بكر عنقه شيئاً فقال أبى مالك إذا مشيت مشيت إلى جنب الحائط: أما والله إن عمر إذا مشى لشديد الوطء على الأرض جهورى الصوت .

أخبرنا محمد بن أبى طاهر نا أبو محمد الجوهرى نا ابن حياة نا أبو الحسن ابن معروف ثنا الحسين بن القهم ثنا محمد بن سعد يرفعه إلى سليمان بن أبى خيثمة عن أبيه قال قالت الشفا بنت عبد الله ورأت فتيناً يقصرون فى المشى ويتكلمون زويداً فقالت ما هذا قالوا نساك. قالت. كان والله عمر إذا تكلم أسمع وإذا مشى أسرع وإذا ضرب أوجع وهو الناسك حقاً .

قال المصنف رحمه الله: قلت وقد كان السلف يسترون أحوالهم ويتصنعون بترك التصنع. وقد ذكرنا عن أيوب السخيتانى أنه كان فى ثوبه بعض الطول ليستر حاله. وكان سفیان الثورى يقول لا أعتد بما ظهر من عملى وقال لصاحب له وراه يصلى ما أجراك تصلى والناس يرونك. قال حدثنا محمد بن ناصر ثنا عبد القادر بن يوسف نا ابن المذهب نا القطيعى ثنا عبد الله بن أحمد ثنا أبو عبد الله يعنى السلمى ثنا بقية عن محمد ابن زياد قال: مر أبو أمامة برجل ساجد فقال يا لها من سجدة لو كانت فى بيتك .

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت نا الجوهرى ثنا محمد بن العباس ثنا محمد بن القاسم الأنبارى ثنا الحارث بن محمد ثنا يحيى بن

النساء وقال بعضهم لا أنام الليل على فراش. وقال بعضهم أصوم ولا أفطر فحمد الله النبي ﷺ وأثنى عليه ثم قال: ما بال أقوم قالوا كذا وكذا لكنى أصلى وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني». قال ابن سعد وأخبرنا سعيد بن منصور نا أبو عوانة عن عطاء ابن السائب عن سعيد بن عبيد قال: قال ابن عباس رضى الله عنه: «إن خير هذه الأمة كان أكثرها نساء». قال ابن سعد وأخبرنا أحمد ابن عبد الله بن قيس ثنا ميذل عن أبي رجاء الجزري عن عثمان بن خالد بن محمد بن مسلم قال قال شداد بن أوس زوجي فإن رسول الله ﷺ أوصاني أن لا ألقى الله عزباً. وأخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر ثنا عبدالله بن أحمد ثنى أبي ثنا عبد الرزاق نا محمد بن راشد عن مكحول عن رجل عن أبي ذر قال. دخل على رسول الله ﷺ رجل يقال له عكاف بن بشر التميمي الهلالي فقال له النبي ﷺ «يا عكاف هل لك من زوجة قال لا قال ولا جارية قال لا قال وأنت موسر بخير قال وأنا موسر قال أنت إذا من إخوان الشياطين لو كنت من النصراني لكنت من رهبانهم إن ستنا النكاح شراركم عزابكم وأرذال موتاكم عزابكم أبا لشياطين تمر سوم ما للشياطين من سلاح أبلغ في الصالحين من ترك النساء». أخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا أحمد بن جعفر نا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنى أبي ثنى أيوب بن النجار عن طيب بن محمد عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة قال: «لعن رسول الله ﷺ مخشى الرجال الذين يتشبهون بالنساء والمترجلات من النساء المتشبهات بالرجال والمتبتلين من الرجال الذين يقولون لا نتزوج والمتبتلات من النساء الاتى يقلن ذلك» أخبرنا محمد بن ناصر نا عبد القادر بن محمد قال نا أبو بكر الخياط نا أبو الفتح بن أبي الفوارس نا أحمد بن جعفر الجيلي ثنا أحمد بن محمد ابن عبد الخالق ثنا أبو بكر المروزي قال سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: ليس العزوبة من أمر الإسلام في شيء النبي عليه الصلاة والسلام تزوج أربع عشرة امرأة ومات عن تسع ثم قال لو كان بشر بن الحارث تزوج كان قد تم أمره كله. لو ترك الناس النكاح لم يغزوا ولم يحجوا ولم يكن كذا ولم يكن كذا وقد كان النبي ﷺ يصبح وما عندهم شيء وكان يختار النكاح ويحث عليه

وينهى عن التبتل فمن رغب عن فعل النبي عليه الصلاة والسلام فهو على غير الحق. ويعقوب عليه السلام في حزنه قد تزوج وولد له. والنبي عليه الصلاة والسلام قال حجب إلى النساء. قلت فإن إبراهيم ابن آدم يحكى عنه بأنه قال لروعة صاحب عيال فما قدرت أن أتم الحديث حتى صاح بى وقال وقعنا فى بنيات الطريق أنظر عافاك الله ما كان عليه نبينا محمد ﷺ وأصحابه ثم قال: لبكاء الصبى بين يدي أبيه يطلب منه خبزاً أفضل من كذا وكذا انى يلحق المتعبد المتعزب المتزوج .

فصل

وقد لبس إبليس على كثير من الصوفية فمنعهم من النكاح فقد ماؤهم تركوا ذلك تشاغلاً بالتعبد ورأوا النكاح شاغلاً عن طاعة الله عز وجل وهؤلاء وإن كانت بهم حاجة إليه النكاح أو بهم نوع تشوق إليه فقد خاطروا بأبدانهم وأديانهم وإن لم يكن بهم حاجة إليه فأتتهم الفضيلة. وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عن رسول الله ﷺ أنه قال «وفى بضع أحدكم صدقة قالوا يأتى أجداً شهوته ويكون له فيها أجر قال أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر قالوا نعم قال وكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر» ثم قال «أفتحتسبون الشر ولا تحتسبون الخير» ومنهم من قال النكاح يوجب النفقة والكسب صعب وهذه حجة للترفة عن تعب الكسب وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ انه قال «دينار أنفقته فى سبيل الله ودينار أنفقته فى ربة ودينار أنفقته فى الصدقة ودينار أنفقته على عيالك أفضلها الدينار الذى أنفقته على عيالك». ومنهم من قال النكاح يوجب الميل الى الدنيا فروينا عن أبى سليمان الدارانى انه قال: اذا طلب الرجل الحديث أو سافر فى طلب المعاش أو تزوج فقد ركن الى الدنيا .

قال المصنف رحمه الله: قلت وهذا كله مخالف للشرع وكيف لا يطلب الحديث والملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم. وكيف لا يطلب المعاش وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأن أموت من سعى على رجلى أطلب كفاف وجهى أحب إلى من أن أموت غارياً فى سبيل الله. وكيف لا يتزوج وصاحب الشرع يقول «تناكحوا تناسلوا» فما أرى هذه الأوضاع الا على خلاف الشرع . فأما جماعة من متأخري الصوفية فانهم

تركوا النكاح ليقال زاهد والعوام تعظم الصوفى اذا لم تكن له زوجة فيقولون ما عرف امرأة قط فهذه رهبانية تخالف شرعنا. قال أبو حامد ينبغي أن لا يشغل المرید نفسه بالتزويج فانه يشغله عن السلوك ويأنس بالزوجة ومن أنس بغير الله شغل عن الله تعالى.

قال المصنف رحمه الله: واني لأعجب من كلامه أترأه ما علم أن من قصد عفاف نفسه ووجود ولد أو عفاف زوجته فانه لم يخرج عن جادة السلوك أو يرى الأنس الطبيعي بالزوجة ينافى أنس القلوب بطاعة الله تعالى والله تعالى قد منّ على الخلق بقوله: ﴿وجعل لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾. وفي الحديث الصحيح عن جابر رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال له «هلا تزوجت بكراً تلاعبها وتلاعبك». وما كان بالذى ليدله على ما يقطع أنسه بالله تعالى. أتري رسول الله ﷺ لما كان ينبسط إلى نسائه ويسابق عائشة رضى الله عنها أكان خارجاً عن الأنس بالله. هذه كلها جهالات بالعلم.

فصل

واعلم انه اذا دام ترك النكاح على شبان الصوفية أخرجهم إلى ثلاثة أنواع: النوع الأول المرض بحبس الماء فان المرء اذا طال احتقانه تصاعد الى الدماغ منه منيه. قال أبو بكر محمد بن زكريا الرازى. أعرف قوماً كانوا كثيرى المنى فلما منعوا أنفسهم من الجماع لضرب من التفلسف بردت أبدانهم وعسرت حركاتهم ووقعت عليهم الكآبة بلا سبب وعرضت لهم أعراض المالىخوليا وقلت شهواتهم وهضمهم قال. ورأيت رجلاً ترك الجماع فنقد شهوة الطعام وصار ان أكل القليل لم يستمره وتقايأه فلما عاد إلى عادته من الجماع سكنت عنه هذه الأعراض سريعاً. النوع الثانى الفرار إلى المتروك فان منهم خلقاً كثيراً صابروا على ترك الجماع فاجتمع الماء فأقلقوا جعوا فلا مسوا النساء ولا بسوا من الدنيا أضعاف ما فروا منه فكانوا كمن أطل الجوع ثم أكل ما ترك فى زمن الصبر. النوع الثالث الانحراف إلى صحبة الصبيان فان قوماً منهم أيسوا أنفسهم من النكاح فأقلقهم ما اجتمع عندهم فصاروا يرتاحون إلى صحبة المرد.

فصل

وقد لبس على قوم منهم تزوجوا وقالوا انا لا ننكح شهوة فان أرادوا

أن الأغلب في طلب النكاح إرادة السنة جاز وان زعموا انه لا شهوة لهم
في نفس النكاح فمحال ظاهر .

فصل

وقد حمل الجهل أقواماً فجبوا أنفسهم وزعموا انهم فعلوا ذلك حياء
من الله تعالى وهذه غاية الحماسة لأن الله تعالى شرف الذكر على الأنثى
بهذه الآلة وخلفها لتكون سبباً للتناسل والذي يجب نفسه يقول بلسان
الحال الصواب ضد هذا ثم قطعهم الآلة لا تزيل شهوة النكاح من النفس
فما حصل لهم مقصودهم .

ذكر تلبس إبليس على الصوفية في ترك طلب الأولاد

أخبرنا المحمدا بن ابن ناصر وابن عبد الباقي قالنا نا حمد بن احمد نا أبو
نعيم احمد ابن عبد الله ثنا إسحاق بن احمد ثنا ابراهيم بن يوسف ثنا
احمد بن أبي الحواري قال . سمعت أبا سليمان الدار انى يقول الذى يريد
الولد أحتمق لا للدنيا ولا للآخرة ان أراد أن يأكل أو ينام أو يجمع نغص
عليه وان أراد أن يتعبد شغله .

قال المصنف رحمه الله : قلت : وهذا غلط عظيم وبيانه انه لما كان مراد
الله تعالى من إيجاد الدنيا إتصال دوامها الى أن ينقضى أجلها وكان
الآدمى غير عتمد البقاء فيها الا الى أمد يسير أخلف الله تعالى منه مثله
فحثه على سببه فى ذلك تارة من حيث الطبع بايقاد نار الشهوة وتارة من
باب الشرع بقوله تعالى : ﴿ وَأَنْكَحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ
عِبَادِكُمْ ﴾ وقول الرسول ﷺ «تَنكَّحُوا تَناسَلُوا فانى أباهى بكم الأمم
يوم القيامة ولو بالسقط» وقد طلب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
الأولاد . فقال تعالى حكاية عنهم ﴿ رَبِّ هَبْ لى مِنْ لَدُنْكَ ذُرِيَةً طَيِّبَةً
إِنَّكَ سَمِيعُ الدَّعَاءِ ﴾ ، ﴿ رَبِّ اجْعَلْنى مَقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتى ﴾ إلى غير
ذلك من الآيات . وتسبب الصالحون الى وجودهم ورب جماع حدث منه
ولد مثل الشافعى واحمد بن حنبل فكان خيراً من عبادة ألف سنة . وقد
جاءت الأخبار باثابة المباشعة والانفاق على الأولاد والعيال ومن يموت له
ولد ومن يخلف ولداً بعده فمن أعرض عن طلب الأولاد والتزوج فقد
خالف المسنون والأفضل وحرم أجراً جسيماً ومن فعل ذلك فانما يطلب

الراحة . أخبرنا أحمد بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن السراج نا أبو القاسم الأرجى ثنا ابن خزيمة قال سمعت أبا جهم يقول في الأولاد - لعقوبة شهوة الحلال فما ظنكم بعقوبة شهوة الحرام .

قال المصنف رحمه الله : وهذا غلط فان تسمية المباح عقوبة لا يحسن لأنه لا يباح شيء ثم يكون ما تجد منه عقوبة ولا يصحب إلى شيء إلا وحاصله مثوية .

ذكر تلبس إبليس على الطنوف في الأسياف والسياسة

قد لبس إبليس على خلق كثير منهم فأنخرجهم إلى السياسة لا إلى مكان ممنع ومنه والنا الذي يطلب عظام نواكفهم يخرج على الوحدة ولا يستصحبنا زادا ويدعى لتبليكه الغفل المتواكل فكلام تفوته لمن فضيلة وفريضة وتلقوا أيوى أنه على ذلك على طاعة وألكه يقربنا بذلك من الزلاية وهو من العصاة المخالفين لسنة رسول الله ﷺ . وأما السياسة فمخرج لا إلى مكان مقصود فقد نهى رسول الله ﷺ عن السعي في الأرض في غير أرب سياسة . أخبرنا محمد بن ناصب نا المبارك بن عبد الجبار نا إبراهيم التيمي نا عمر بن محمد نا ابن حبان نا عبد الرحمن السكري قال : سمعت أبا محمد ابن قتيبة يقول : روي محمد بن أبي بكر عن معاوية بن عمرو نا ابن إسحاق نا عن إسماعيل نا جريح نا عن وثيل نا عن طاوس نا رسول الله ﷺ قال : « لا إرماء ولا أخزام ولا رهبانة ولا تهتل ولا سياسة في الإسلام » . نا قال ابن قتيبة الزمام في الأسياف والجزام حلقة من شيعر يجعل في هذا الأسياف المنخرين من الأسياف ما كان عبد بنى إسرائيل يفعلونه من خزم التراب في ردم الأنوف والتيتل التوك . النكاح والسياسة مفارقة الأمصار والذهاب في الأرض . وروي أبو داود في سننه من حديث أبي أمامة نا رجلا نا رسول الله ﷺ أن الله أنزل في السياسة فقال النبي ﷺ « إن سياسة أمتي الجهاد في سبيل الله » .

قال المصنف رحمه الله : وقد ذكرنا فيهما تقديم من حديث ابن مظهر أنه قال يا رسول الله إن نيفسي تجدني بأن أسبح في الأرض . فقال النبي ﷺ له « مهلا يا عثمان فان سياسة أمتي الغزو في سبيل الله والحج والعمرة » . وقد روى إسحاق بن إبراهيم نا هاني نا عن أحمد بن حنبل نا

سئل عن الرجل يسيح يتعبه أحب اليك أو المقيم في الأمصار قال . ما
السياحة من الأسلام في شيء ولا من فعل النبيين ولا الصالحين .

فصل

وأما الخروج على الوحدة فقد نهى الرسول الله ﷺ أن يسافر الرجل
وحده . فأخبرنا عبد الرحمن بن محمد نا احمد بن على بن ثابت نا
محمد بن الطيب الصباغ نا احمد بن سليمان النجاد ثنا يحيى بن جعفر
ابن أبي طالب ثنا على بن عاصم ثنا عبد الرحمن بن يزيد ثنا عمرو بن
شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال «الراكب شيطان والاثنان
شيطانان والثلاثة ركب» . أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن على نا
احمد بن جعفر ثنا عبد الله بن احمد ثنى أبي ثنا أيوب بن النجار عن
طيب بن محمد عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة قال «لعن رسول الله
ﷺ راكب الفلاة وحده» .

فصل

وقد يمشون بالليل أيضاً على الوحدة . وقد نهى النبي ﷺ عن
ذلك . وأخبرنا ابن الحصين نا ابن المذهب نا احمد بن جعفر ثنا عبد الله
بن أحمد ثنى أبي ثنا محمد بن عبيد ثنا عاصم عن أبيه عن ابن عمر
رضى الله عنهما قال قال النبي ﷺ . لو يعلم الناس ما في الوحدة ما
سار أحد وحده بليل أبداً . قال عبد الله وحدثني أبي ثنا من محمد بن أبي
عدى ثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم عن عطاء بن يسار عن
جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ «أقلو الخروج
إذا هدأت الرجل فإن الله تعالى يث في خلقه ما شاء» .

قال المصنف رحمه الله : وفيهم من جعل دابة السفر والسفر لا يراد لنفسه
قال النبي ﷺ «السفر قطعة من العذاب فإذا قضى أحدكم نهمته من سفره
فليعجل إلى أهله ، فمن جعل دابة السفر فقد جمع بين تضييع العمر وتعذيب
النفس وكلاهما مقصود فاسد . أنبأنا عبد المنعم بن عبد الكريم ثنا أبي قال
سمعت محمد بن أبي الطيب العكبي يقول سمعت أبا الحسن المصري يقول
سمعت أبا حمزة الخراساني يقول كنت قد بقيت محرماً في عباء أسافر كل
سنة الف فرسخ تطلع الشمس على وتغرب كلما أحللت أحرمت .

ذكر تليسه عليهم في دخول الفلاة بغير زاد

قال المصنف رحمه الله: قد لبس على خلق كثير منهم فأوهمهم أن التوكل ترك الزاد وقد بينا فساد هذا فيما تقدم إلا أنه قد شاع هذا في جهلة القوم ، وجاء حمقى القصاص يحكون ذلك عنهم على سبيل المدح لهم به فيتضمن ذلك تحريض الناس على مثل ذلك وبأفعال ألك ومدح هؤلاء لهؤلاء فسدت الأحوال وخفيت على العوام طرق الصواب . والاختبار عنهم بذلك كثيرة وأنا أذكر منها نبذة . أنبأنا محمد بن عبد الملك نا أبو بكر نا رضوان بن محمد الدينوري ثنا طاهر بن عبد الله ثنا الفضل ابن الفضل الكندي ثنى أبو بكر محمد بن عبد الواحد بن جعفر الواسطي ثنا محمد بن السفاح عن علي بن سهل المصري قال أخبرني فتح الموصلي قال خرجت حاجاً فلما توسطت البادية إذا أنا بـغلام صغير فقلت يا عجبا بادية بيداء وأرض قفراء، وـغلام صغير فأسرعت فـلحقته فـسلمت عليه ثم قلت يا بنى إنك غـلام صغير لم تجر عليك الأحكام قال يا عم قد مات من كان أصغر سنأ منى فقلت وسع خطاك فإن الطريق بعيد حتى تلحق المنزل . فقال يا عم على المشى وعلى الله البلاغ، أما قرأت قوله تعالى . «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » فقلت له مالى لا أرى معك لا زاداً ولا راحلة . فقال يا عم . زادى يقينى وراحتى رجائى . قلت : سألتك عن الخبز والماء قال يا عم أخبرنى لو أن أخوا من إخوانك أو صديقاً من أصدقائك دعاك إلى منزله أكنت تستحسن أن تحمل معك طعاماً فتأكله فى منزله . فقلت أـرودك فقال اليك عنى يا بطلال هو يطعمنا ويسقينا قال فتح . فما رأيت صغيراً أشد توكلأ منه ولا رأيت كبيراً أشد زهدأ منه .

قال المصنف رحمه الله: بمثل هذه الحكاية تفسد الأمور ويظن أن هذا هو الصواب ويقول الكبير إذ كان الصغير قد فعل هذا فانا أحق بفعله منه . وليس العجب من الصبى بل من الذى لقيه كيف لم يعرفه إن هذا الذى يفعله منكر وأن الذى استدعاك أمرك بالتزود ومن ماله يتزود ولكن مضى على هذا كبار القوم فكيف الصغار . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر احمد ابن على الحافظ نا أبو نعيم الاصفهانى قال سمعت محمد بن الحسن بن على اليعظى يقول حضرت أبا عبد الله الجلاء وقيل له عن هؤلاء الذين يدخلون البادية بلا زاد ولا عدة يزعمون أنهم متوكلون

فيموتون في البرارى . فقال هذا فعل رجال الحق فإن ماتوا فالدية على القاتل
أخبرنا ابن ناصر أنبأنا أحمد بن على بن خلف نا أبو عبد الرحمن السلمى
قال سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت أحمد بن على يقول . قال
رجل لأبى عبد الله بن الجلاء . ما تقول فى الرجل يدخل البادية بلا زاد .
قال هذا من فعل رجال الله ، قال فإن مات قال :الدية على القاتل .

قال المصنف رحمه الله : قلت هذه فتوى جاهل بحكم الشرع إذا لا
خلاف بين فقهاء الإسلام انه لا يجوز دخول البادية بغير زاد وإن من فعل
ذلك فمات بالجوع فانه عاص لله تعالى مستحق لدخول النار . وكذلك إذا
تعرض بما غالبه العطب فإن الله جعل النفوس وديعة عندنا فقال : ﴿ ولا
تقتلوا أنفسكم ﴾ وقد تكلمنا فيما تقدم فى وجوب الاحتراز من المؤذى .
ولو لم يكن المسافر بغير زاد إلا أنه خالف أمر الله فى قوله «وتزودوا» .
أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال :
سمعت أبا احمد الكبير يقول سمعت أبا عبد الله بن خفيف قال خرجت
من شيراز فى السفرة الثالثة فتهدت فى البادية وحدى وأصابنى من الجوع
والعطش ما أسقط من أسناني ثمانية وانثر شعرى كله .

قال المصنف رحمه الله : قلت هذا قد حكى عن نفسه مظاهره طلب
المدح على ما فعل والذم لاحق به : أخبرنا أبو منصور القزاز نا أحمد بن
على بن ثابت نا عبد الكريم ابن هو ازن قال : سمعت أبا عبد الرحمن
السلمى يقول سمعت محمد بن عبد الله الواعظ . وأخبرنا أبو بكر بن
حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا أبو عبد الله بن باكويه واللفظ له ثنا
أبو الفضل يوسف بن على البلخى ثنا محمد بن عبد الله أبو حمزة
الصفوى . قال : انى لا يستحى من الله أن أدخل البادية وأنا شبعان وقد
اعتقدت التوكل لئلا يكون شبعى زاداً تزودته . قال المصنف رحمه
الله . قلت وقد سبق الكلام على مثل هذا وإن هؤلاء القوم ظنوا أن التوكل
ترك الأسباب . ولو كان هكذا لكان رسول الله ﷺ حين تزود لما خرج
إلى الغار قد خرج من التوكل . وكذلك موسى لما طلب الخضر تزود
حوتا . وأهل الكهف حين خرجوا فاستصحبوا دراهم واستخفوا ما معهم
وإنما خفى على هؤلاء معنى التوكل لجهلهم وقد اعتذر لهم أبو حامد .

فقال لا يجوز دخول المفازة بغير زاد إلا بشرطين أحدهما أن يكون الإنسان قد راض نفسه حيث يمكنه الصبر على الطعام اسبوعاً ونحوه والثانى أن يمكنه التقوت بالحشيش ولا تخلوا البادية من أن يلقاه آدمى بعد أسبوع أو ينتهى إلى حلة أو حشيش يرجى به وقته .

قال المصنف رحمه الله : قلت أقبح ما فى هذا القول انه صدر من فقيه فإنه قد لا يلقى أحداً وقد يضل وقد يمرض فلا يصلح له الحشيش وقد يلقى من لا يطعمه ويتعرض بمن لا يضيفه وتفوته الجماعة قطعاً وقد يموت ولا يلبه أحد . ثم قد ذكرنا ما جاء فى الوحدة ثم ما المخرج إلى هذه المحن إن كان يعتمد فيها على عادة أو لقاء شخص والاجتراء بحشيش وأى فضيلة فى هذه الحال حتى يخاطر فيها بالنفس . وأين أمر الإنسان أن يتقوت بحشيش ومن فعل هذا من السلف وكان هؤلاء القوم يجزمون على الله سبحانه هل يرزفهم فى البادية ومن طلب الطعام فى البرية فقد طلب ما لم تجر به العادة الا ترى ، أن قوم موسى عليه السلام لما سألوا من بقلها وقثائها وقولها وعدسها وبصلها أوحى الله إلى موسى ﴿ ان اهبطوا مصرا ﴾ وذلك لأن الذى طلبوه فى المصار فهؤلاء القوم على غاية الخطأ فى مخالفة الشرع والعقل والعمل بمواقفات النفس .

أخبرنا محمد بن ناصر نا المبارك بن عبد الجبار نا عبد العزيز بن على الارجى نا إبراهيم بن محمد بن جعفر الساجى نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر ثنا أبو بكر احمد ابن محمد الخلال نا الحسن بن احمد الكرمانى ثنا أبو بكر ثنا شبابة ثنا ورقاء عن عمرو ابن دينار عن عكرمه عن ابن عباس . قال كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيحجون فيأتون إلى مكة فيسألون الناس فأنزل الله عز وجل ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ . أخبرنا أبو المعمر الانصارى نا يحيى بن عبد الوهاب ابن منده نا أبو طاهر محمد بن احمد بن عبد الرحيم نا محمد بن حسان ثنا أبو بكر احمد ابن هارون المردنجى ثنا عبد الله بن الأزر ثنا أسباط ثنا محمد بن موسى الجرجانى قال سألت محمد بن كثير الصنعانى عن الزهاد الذين لا يتزودون ولا يتتعلون ولا يلبسون الخفاف . فقال سألتنى عن أولاد الشياطين ولم تسألنى عن الزهاد . فقلت له . فأى شئ الزهد : قال التمسك بالسنة والتشبيه بأصحاب النبى ﷺ . أخبرنا محمد

بن ناصر نا أبو الحسين بن عبد الجبار نا عبد العزيز بن علي الأزجي نا ابراهيم ابن محمد الساجي نا أبو بكر عبد العزيز بن جعفر نا أبو بكر أحمد ابن محمد الخلال نا أحمد بن الحسين بن حسان. أن أبا عبد الله أحمد بن حنبل سئل عن الرجل يريد المفازة بغير زاد فأنكره إنكاراً شديداً وقال أف أف لا لا ومد بها صوته إلا بزاد ورققاء قافلة. قال الخلال : وقال أبو بكر المروزي وجاء رجل إلى أبي عبد الله فقال رجل يريد سفراً ايما أحب اليك يحمل معه زاداً أو يتوكل. فقال له أبو عبد الله. يحمل معه زاداً ويتوكل حتى لا يتشرف للناس قال الخلال : وأخبرني إبراهيم بن الخليل أن أحمد بن نصر حدثهم أن رجلاً سأل أبا عبد الله أيخرج الرجل إلى مكة متوكلاً لا يحمل معه شيئاً قال لا يعجبني فمن أين يأكل قال فيتوكل فيعطيه الناس قال فإذا لم يعطوه اليس يتشرف لهم حتى يعطوه لا يعجبني هذا. لم يبلغني أن أحداً من أصحاب النبي ﷺ والتابعين فعل هذا. قال الخلال. وأخبرنا محمد بن علي السمسار أن محمد بن موسى بن ميسس حدثهم أن أبا عبد الله سأل رجلاً فقال أحج بلا زاد فقال لا. اعمل واحترف وأخرج النبي ﷺ زود أصحابه فقال : فهؤلاء الذين يعرفون ويحجون بلا زادهم على الخطأ قال نعم هم على الخطأ قال الخلال وأخبرني محمد بن أحمد بن جامع الرازي قال سمعت الحسين الرازي قال شهدت أحمد بن حنبل وجاءه رجل من أهل خراسان فقال له يا أبا عبد الله معي درهم أحج بهذا الدرهم. فقال له أحمد اذهب إلى باب الكرخ فاشتر بهذا الدرهم حبا واحمل على رأسك حتى يصير عندك ثلثمائة درهم فحج. قال يا أبا عبد الله أما ترى مكاسب الناس قال أحمد لا تنظر إلى هذا فإنه من رغب في هذا يريد أن يفسد على الناس معاشهم قال يا أبا عبد الله أنا متوكل قال فتدخل البادية وحدك أو مع الناس قال لا مع الناس قال كذبت إذن لست بمتوكل فادخل وحدك والا فانت متوكل على جراب الناس.

سياق ما جرى للصوفية في أسفارهم وسياحاتهم

من الأفعال المخالفة للشرع

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر أحمد بن علي ابن ثابت نا محمد بن عبد الباقي نا محمد بن أحمد نا أبو نعيم

الحافظ ثنا أحمد ابن محمد بن مقسم ثنى أبو بدر الخياط الصوفى قال سمعت أبا حمزة يقول :

سافرت سفرة على التوكل فبينما أنا أسير ذات ليلة والنوم فى عيني إذ وقعت فى بئر فرأيتنى قد حصلت فيها فلم أقدر على الخروج لبعد مرتقاها فجلست فيها فبينما أنا جالس إذ وقف على رأس البئر رجلان فقال أحدهما لصاحبه لجوز وتترك هذه البئر فى طريق المسلمين السابلة والمارة، فقال الآخر : فما نضنع قال : فبدرت نفسى أن أناديهما فنوديت تتوكل علينا وتشكو بلاءنا إلى سوانا. فسكت فمضيا ثم رجعا ومعهما شىء فجعلاه على رأسها غطوها به. فقالت لى نفسى أمنت طمها ولكن حصلت فيها مسجوناً. فمكثت يومى وليلتى فلما كان الغد نادانى شىء يهتف بى ولا أراه تمسك بى شديداً فمددت يدى فوقعت على شىء خشن فتمسكت به فعلاها وطرحنى فوق الأرض فاذا هو سبع فلما رأيته لحق نفسى من ذلك ما يلحق من مثله فهتف بى هاتف وهو يقول : يا أبا حمزة استنقذناك من البلاء بالبلاء وكفيناك ما تخاف بما تخاف. أخبرنا محمد بن ناصر نا محمد بن أبى نصر الحميدى نا أبو بكر محمد ابن أحمد الأردستانى ثنا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت محمد بن حسن المحرمى سمعت ابن المالكى يقول : قال أبو حمزة الخراسانى حججت سنة من السنين فيينا أنا أمشى فى الطريق وقعت فى بئر فنارعتنى نفسى إن استغيث فقلت لا والله لا استغيث فما أتممت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال أحدهما للآخر تعال نسد رأس هذا البئر فى هذا الطريق فأتوا بقصب وباريه فهممتم فقلت إلى من هو أقرب إليك فمنها وسكت حتى طموا رأس البئر فإذا بشىء قد جاء فكشف عن رأس البئر ودلى رجله وكان يقول فى هممة له تعلق بى فتعلقت به فأخرجنى فنظرت فإذا هو سبع فهتف بى هاتف وهو يقول يا أبا حمزة أليس ذا حسن لجيناك من التلف بالتلف .

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أحمد بن على بن ثابت نا أبو القاسم رضوان بن محمد ابن الحسن الدينورى قال سمعت أحمد بن محمد بن عبد الله النيسابورى يقول : سمعت أبا عبد الله محمد بن نعيم يحكى عن أبى حمزة الصوفى الدمشقى أنه لما خرج من البئر أنشد يقول :

نهاني حيائي منك أن أكشف الهوى فأغنيتني بالقرب منك عن الكشف
تراءيت لى بالغيب حتى كأنسى تبشرنى بالغيب إنك فى الكف
أراك وى من هيتى لك وحشة وتؤنسنى بالعطف منك وباللطف
وتحىي محباً أنت فى الحب حتفه وذا عجب كون الحياة مع الختف

قال المصنف رحمه الله: قلت اختلفوا فى أبى حمزة هذا الواقع فى
البئر فقال أبو عبد الرحمن السلمى: هو أبو حمزة الخراسانى وكان من
أقران الجنيد. وقد ذكرنا فى رواية أخرى أنه دمشقى. وقال أبو نعيم
الحافظ: هو أبو حمزة البغدادى واسمه محمد بن إبراهيم وذكره الخطيب
فى تاريخه وذكر له هذه الحكاية، وأيهم كان فهو مخطىء فى فعله
مخالف للشرع بسكوته معين بصمته على نفسه وقد كان يجب عليه أن
يصيح ويمنع من طم البئر كما يجب عليه أن يدفع عن نفسه من يقصد
قتله. وقوله لا أستغيث كقول القائل: لا أكل الطعام ولا أشرب الماء
وهذا جهل من فاعله ومخالفة الحكمة فى وضع الدنيا فان الله تعالى
وضع الأشياء على حكمة فوضع للأدمى يداً يدافع بها ولساناً ينطق به
وعقلاً يهديه إلى دفع المضار واجتلاب المصالح. وجعل الأغذية والأدوية
لمصلحة الأدميين فمن أعرض عن استعمال ما خلق له وأرشد إليه فقد
رفض أمر الشرع وعطل حكمة الصانع. فإن قال جاهل فكيف احترز مع
أمر القدر قلنا وكيف لا يحرص مع أمر المقدر وقد قال الله تعالى: ﴿خذوا
حذرکم﴾ وقد اختفى النبى ﷺ فى الغار وقال لسراقة «اخف عنا
واستأجر دليلاً إلى المدينة». ولم يقل اخرج على التوكل وما زال بيدنه مع
الأسباب وبقلبه مع المسبب. وقد أحكمتنا هذا الأصل فيما تقدم. وقول
أبى حمزة فنوديت من باطنى هذا من حديث النفس الجاهلة التى قد
استقر عندها بالجهل أن التوكل ترك التمسك بالأسباب لأن الشرع لا
يطلب من الانسان ما نهاه عنه وهلا نافرته باطنه فى مديده وتعليقه بذلك
المتدلى اليه وتمسكه به فإن ذلك أيضاً نقض لما ادعاه من ترك الأسباب
الذى يسميه التوكل لأنه أى فرق بين قوله أنا فى البئر وبين تمسكه بما
تدلى عليه لا بل هذا أكد لأن الفعل أكد من القول فهلا سكت حتى
يحمل بلا سبب. فإن قال: هذا بعثه الله لى. قلنا: والذى جاز على
البئر من بعثه واللسان المستغيث من خلقه فإنه لو استغاث كان مستعملاً

للاسباب التي خلقها الله تعالى ليتتفع بها للدفع عنه فلم يستمعها وإنما بسكوته عطل الاسباب التي خلقها الله تعالى له ودفع الحكمة فصيح لومه على ترك السبب . وأما تخليصه بالأسد فإن صح هذا فقد يتفق مثله ثم لا ينكر أن الله تعالى يلفظ بعبده وإنما ينكر فعله المخالف للشرع .

أخبرنا أبو منصور القزازنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ثنا عبد العزيز ابن أبي الحسن قال سمعت علي بن عبد الله بن جهضم المكي يقول . ثنا الخلدی قال : قال الجنيد قال لي محمد السمين : كنت في طريق الكوفة بقرب الصحراء التي بين قباء والصخرة التي تفريقنا منها والطريق منقطع فأريت على الطريق جملاً قد سقط ومات وعليه سبعة أو ثمانية من السباع تتناهش لحمه يحمل بعضها على بعض فلما أن رأيتهم كان نفسي اضطربت وكانوا على قارعة الطريق . فقالت لي نفسي تميل يميناً أو شمالاً فأبيت عليها إلا أن آخذ على قارعة الطريق فحملتها على أن مشيت حتى وقفت عليهم بالقرب منهم كأحدهم ثم رجعت إلى نفسي لأنظر كيف فإذا هي الروح معي قائم فأبيت أن أبرح وهذه صفتي فقعدت بينهم ثم نظرت بعد قعودي فإذا الروح معي فأبيت أن أبرح وهذه صفتي فوضعت جنبي فتمت مضطجعاً فتغاشاني النوم فتمت وأنا على تلك الهيئة والسباع في المكان الذي كانوا عليه فمضى بي وقت وأنا نائم فاستيقظت فإذا السباع قد تفرقت ولم يبق منها شيء وإذا الذي كنت أجده قد زال فتمت وأنا على تلك الهيئة فانصرفت .

قال المصنف رحمه الله : قلت فهذا الرجل قد خالف الشرع في تعرضه للسباع ولا يحل لأحد أن يتعرض لسبع أو لحية بل يجب عليه أن يفر مما يؤذيه أو يهلكه . وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال : «إذا وقع الطاعون وأنتم بأرض فلا تقدموا عليه» . وقال ﷺ : «فرّ من المجدوم فرارك من الأسد» . ومر ﷺ بحائط مائل فأسرع . وهذا الرجل قد أراد من طبعه أن لا ينزعج . وهذا شيء ما سلم منه موسى عليه السلام فإنه لما رأى الحية خاف وولى مدبراً . فإن صح ما ذكره وهو بعيد الصحة لأن طباع الآدميين تتساوى . فمن قال لا أخاف السبع بطبعي كذبناه كما لو قال أنا لا أشتهى النظر إلى المستحسن . وكأنه قهر نفسه حتى نام بينهم استسلاماً للهلاك لظنه أن هذا هو التوكل . وهذا خطأ لأنه لو كان هذا هو التوكل

ما نهى عن مقاربة ما يخاف شره . ولعل السباع اشتغلت عنه وشبعت من الجمل والسبع إذا شبع لا يفترس . ولقد كان أبو تراب النخشبى من كبار القوم فلقيته السباع البرية فنهشته فمات . ثم لا ينكر أن يكون الله تعالى لطف به ونجاه بحسن ظنه فيه غير أنا نيين خطأ فعله للعامى الذى إذا سمع هذه الحكاية ظن أنها عزيمة عظيمة ويقين قوى وربما فضل حالته على حالة موسى عليه السلام إذ هرب من الحية . وعلى حالة نبينا ﷺ إذ مر بجدار مائل فهرول . وعلى لبسه ﷺ الدرع فى غزواته كلها وقت الحرب حتى قال ﷺ فى غزوة الخندق «ليس لنبى أن يلبس لامة حربه ثم يتزعاها من غير قتال» . وعلى حالة أبى بكر رضى الله عنه إذ سد خروق الغار اتقاء ذى الحيات : وهيهات أن تعلق مرتبة هذا المخالف للشرع على مرتبة النبيين والصديقين بما يخال له ظنه الفاسد من أن هذا الفعل هو التوكل .

وقد أخبرنا عنه أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا إسماعيل بن أحمد الجبرى ثنا محمد بن الحسين السلمى قال سمعت محمد بن الحسين البغدادى يقول سمعت محمد ابن عبد الله الفرغانى قال سمعت مؤملا المغابى يقول . كنت أصحب محمد بن السمين فسافرت معه ما بين تكريت والموصل فبينما نحن فى برية نسير إذ زار السبع من قريب منا فجزعت وتغيرت وظهر ذلك على وجهى وهممت أن أبادر فأفر فضبطنى وقال يا مؤمل التوكل ههنا ليس فى المسجد الجامع .

قال المصنف رحمه الله : قلت لا أشك فى أن التوكل يظهر أثره فى المتوكل عند الشدائد . ولكن ليس من شروطه الاستسلام للسبع فإنه لا يجوز .

أخبرنا عمر بن ظفر نا ابن السراج نا عبد العزيز بن على الأرجى نا ابن جهضم ثنا إبراهيم بن أحمد بن على العطار . قال له الخواص : حدثنى بعض المشايخ أنه قيل لعلى الرازى . مالنا لا نراك مع أبى طالب الجرجانى . قال : خرجنا فى سياحة فمنا فى موضع فيه سباع فلما نظر إلى رأتى لم أنم طردنى . وقال : لاتصحبنى بعد هذا اليوم .

قال المصنف رحمه الله : لقد تعدى هذا الرجل إذ أراد من صاحبه أن يغير ما طبع عليه وليس ذلك فى قدرته ولا فى وسعه . ولا يطالبه بمثله الشرع وما قدر على هذه الحالة موسى عليه السلام حين هرب من الحية فهذا كله مبتاه على الجهل .

أخبرنا ابن ظفر نا ابن السراج نا الأزجى ثنا بن جهضم . قال سمعت الخلدى يقول : سمعت إبراهيم الخواص يقول . سمعت حسناً أحنا سنان يقول : كنت أسلك طريق مكة فتدخل فى رجلى الشوكة فيمنعنى ما أعتقده من التوكل أن أخرجها من رجلى فأدلك رجلى على الأرض وامشى .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن احمد أنبأنا أبو على الحسن بن محمد ابن الفضل الكرماني نا سهل بن على الحساب نا عبد الله بن على السراج قال سمعت احمد ابن على الوجدى يقول : حج الدينورى اثنتى عشرة حجة حافياً مكشوف الرأس وكان إذا دخل فى رجله شوك يمسح رجله فى الأرض ويمشى ولا يتطاطى إلى الأرض من صحة توكله .

قال المصنف رحمه الله : قلت انظروا إلى ما يصنع الجهل بأهله وليس من طاعة الله تعالى أن يقطع الإنسان تلك البادية حافياً لأنه يؤذى نفسه غاية الأذى . ولا مكشوف الرأس وأى قربة تحصل بهذا ولو لا وجوب كشف الرأس فى مدة الإحرام لم يكن لكشفه معنى . فمن ذا الذى أمره ألا يخرج الشوك من رجله وأى طاعة تقع بهذا ولو أن رجله انتفخت بما يبقى فيها من الشوك وهلك كان قد أعان على نفسه وهل ذلك الرجل بالأرض الا دفع بعض شر الشوك فهلا دفع الباقي بالإخراج . وأين التوكل من هذه الأفعال المخالفة للعقل والشرع لأنهما يقضيان بجلب المنافع للنفس ودفع المضار عنها . ولذلك أجاز الشرع لمن أدركه ضرر فى إحرامه أن يخرق حرمة الإحرام ويلبس ويغضى رأسه ويفدى . ولقد سمعت أبا عبيد يقول : انى لا تبين عقل الرجل بأن يدع الشمس ويمشى فى الظل .

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب ثنا عبد العزيز بن أبى الحسن القرميسينى قال سمعت على بن عبد الله بن جهضم قال سمعت أبا بكر الرقى يقول حدثنى أبو بكر الدقاق قال : خرجت فى وسط السنة الى مكة وأنا حدث السن فى وسطى نصف جل وعلى كتفى نصف جل فرمدت عيني فى الطريق وكنت أمسح دموعى بالجل فأقرح الجل الموضع فكان يخرج الدم مع الدموع فمن شدة الإرادة وقوة سرورى بحالى لم أفرق بين الدموع والدم وذهبت عيني فى تلك الحجة وكانت الشمس اذا أثرت فى بدننى قبلت يدي ووضعتها على عيني سروراً منى بالبلاء . أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا احمد بن احمد الحداد نا أبو نعيم الحافظ

قال سمعت أبا الفضل احمد بن أبي عمران يقول سمعت محمد بن داود الرقي يقول سمعت أبا بكر الدقاق يقول: كان سبب ذهاب بصري أنى خرجت فى وسط السنة أريد مكة وفى وسطى نصف جل وعلى وسطى نصف جل فرمدت إحدى عيني فمسحت الدموع بالجل فقرح المكان وكانت الدموع والدم تسيلان من عيني. أخبرنا محمد بن أبي القاسم أنا أبو محمد التميمي أنا عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا بكر الرازى يقول قلت لأبي بكر الدقاق. وكان بفرد عين ماسبب ذهاب عينك قال كنت أدخل البادية على التوكل فجعلت على نفسى أن لا أكل لأهل المنازل شيئاً تورعا فسالت إحدى عيني على نحدى من الجوع.

قال المصنف رحمة الله: اذا سمع مبتدئ حالة هذا الرجل ظن ان هذه مجاهدات وقد جمعت هذه السفارة التى افتخر فيها فنونا من المعاصى والمخالفات منها خروجه فى تنصيف السنة على الوحدة، ومشيه بلا زاد ولا راحلة، ولباسه الجبل، ومسح عينيه به وظنه أن ذلك يقربه الى الله تعالى وإنما يتقرب الى الله تعالى بما أمر به وشرعه لا بما نهى وكف عنه، فلو أن إنسانا قال أريد أن أضرب نفسى بعصا لأنها عصت أتقرب بذلك الى الله كان عاصيا. وسرور هذا الرجل بهذا خطأ قبيح لأنه إنما يفرح بالبلاء اذا كان بغير تسبب منه لنفسه فلو أن إنسانا كسر رجل نفسه ثم فرح بهذه المصيبة كان نهاية فى حماقة ثم تركه السؤال وقت الاضطراب وحمله على النفس فى شدة المجاعة حتى سالت عينه ثم يسمى هذا تورعا حماقات زهاد أكبرها الجهل والبعد عن العلم. وقد أخبرنا محمد بن أبي القاسم نا حمد بن احمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا سليمان بن احمد ثنا محمد بن العباس بن أيوب الأصفهاني ثنا عبد الرحمن بن يوسف الرقى ثنا مطرف ابن مارن عن سفيان الثورى. قال: من جاع فلم يسأل حتى مات دخل النار.

قال المصنف رحمه الله: فانظر الى كلام الفقهاء ما أحسنه. ووجهه ان الله تعالى قد جعل للجانح مكنة التسبب فاذا عدم الأسباب الظاهرة فله قدرة السؤال التى هى كسب مثله فى تلك الحال فاذا تركه فقد فرط فى حق نفسه التى هى وديعة عنده فاستحق العقاب. وقد روى لنا فى ذهاب عين هذا الرجل ما هو أظرف مما ذكرنا فأخبرنا محمد بن عبد الباقي بن

أحمد ثنا حمد بن احمد الحداد ثنا أبو نعيم قال سمعت أبا أحمد القلانسي يقول قال أبو علي الروزباري يحكى عن أبي بكر الدقاق قال: استضفت حياً من العرب فرأيت جارية حسناء فنظرت اليها فقلعت عيني التي نظرت بها اليها. وقلت مثلك من نظر لله .

قال المصنف رحمه الله قلت : فانظروا الى جهل هذا المسكين بالشرية والبعد عنها لأنه ان كان نظر اليها عن غير تعمد فلا إثم عليه وان تعمد فقد أتى صغيرة قد كان يكفيه منها الندم فضم اليها كبيرة وهى قلع عينه ولم يتب عنها لأنه اعتقد قلعها قربة الى الله سبحانه ومن اعتقد المحذور قربة فقد انتهى خطؤه الى الغاية ولعله سمع تلك الحكاية عن بعض بنى اسرائيل انه نظر الى امرأة فقلع عينه وتلك مع بعد صحبتها ربما جازت فى شريعتهم . فأما شريعتنا فقد حرمت هذا، وكان هؤلاء القوم ابتكروا شريعة سموها بالتصوف وتركوا شريعة نبيهم محمد ﷺ نعوذ بالله من تلبيس إبليس . وقد روى عن بعض عابدات الصوفية مثل هذا. أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامري نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه قال أخبرنى أبو الحسن على بن احمد البصرى غلام شعوانة قال أخبرتنى شعوانة انه كان فى جيرانها امرأة صالحة فخرج ذات يوم الى السوق فرآها بعض الناس فافتتن بها وتبعها الى باب دارها. فقالت له المرأة أى شئ تريد منى قال فتننت بك فقالت: ما الذى استحسنت منى قال عيناك. فدخلت الى دارها فقلعت عينيها وخرجت الى خلف الباب ورمت بها اليه وقالت له خذهما فلا بارك الله فيك .

قال المصنف رحمه الله: فانظروا اخوانى كيف يتلاعب إبليس بالجهلة فان ذلك الرجل أتى صغيرة بالنظر وأتت هى بكبيرة ثم ظنت انها فعلت طاعة وكان ينبغى أنها لا تكلم رجلا أجنبياً. وقد وجد من القوم ضد هذا كما يروى عن ذى النون المصرى وغيره انه قال لقيت امرأة فى البرية فقلت لها وقالت لى وهذا لا يحل له. وقد أنكرت عليه امرأة متيقظة .

فأخبرنا عبد الملك بن عبد الله الطروحي نا محمد بن على بن عمر نا أبو الفضل محمد بن محمد العامى نا أبو سعيد محمد بن احمد بن يوسف ثنى سكر ثنى محمد بن يعقوب العرجى قال سمعت ذى النون يقول : رأيت امرأة بنحو أرض الهجة فنأديتها فقالت وما للرجال أن

يكلّموا النساء لولا نقص عقلك لرميتك بشئ. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد نا أحمد بن علي بن ثابت ثنا عبد العزيز الأرجي ثنا علي ابن عبد الله الهمداني ثنى علي بن اسماعيل الطلائني محمد بن الهيثم قال قال لي أبو جعفر الحداد. دخلت البادية بعض السنين على التوكل فبقيت سبعة عشر يوماً لا أكل فيها شيئاً وضعفت عن المشى فبقيت أياماً أخر لم أذق فيها شيئاً فسقطت على وجهي وغشى عليّ وغلب عليّ من القمل شئ ما رأيت مثله ولا سمعت به فبينما أنا كذلك إذ مر بي ركب فأروني على تلك الحالة فنزل أحدهم عن راحلته فحلق رأسي ولحيتي وشق ثوبي وتركني في الرمضاء وسار فمر بي ركب فحملوني الى حيهم وأنا مغلوب فطرحوني ناحية فجاءتني امرأة فجلست على رأسي وصبت اللبن في حلقي ففتحت عيني قليلاً وقلت لهم أقرب المواضع منكم أين قالوا : جبل الشراة فحملوني الى الشراة.

قال المصنف رحمه الله : قلت لو يحكى أن رجلاً من المجانين أنحل من السلسلة فأخذ سكيناً وجعل يشرح لحم نفسه ويقول أنا ما رأيت مثل هذا الجنون لصدق علي هذا : وإلا فانظروا الى حال هذا المسكين وبما فعل بنفسه ثم يعتقد أن هذا قرية نسأل الله العافية. أخبرنا أحمد بن ناصر نا أحمد بن علي بن خلف نا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا بكر الدارى يقول سمعت أبا الحسين الريحاني يقول سمعت إبراهيم الخواصى يقول : رأيت شيخاً من أهل المعرفة عرج بعد سبعة عشر يوماً على سبب في البرية فنهاه شيخ كان معه فأبى أن يقبل فسقط ولم يرتفع عن حدود الأسباب. قلت هذا قد أراد أن يصبر عن القوت أكثر من هذا وليس الصبر الى هذا الحد وان أطيق بفضيلة. أخبرنا محمد بن أبى القاسم نا رزق الله بن عبد الوهاب نا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين. قال سمعت جدى اسماعيل بن لجيد يقول : دخل إبراهيم الهروى مع شبة البرية. فقال يا شبة اطرح مامعك من العلائق قال فطرحتها كلها وأبقيت ديناراً فخطا خطوات ثم قال : اطرح كل مامعك لاتشغل سرى قال : فأخرجت الدينار ودفعته اليه فطرحه ثم خطا خطوات وقال اطرح مامعك. قلت ليس معى شئ. قال بعد سرى مشتغل ثم ذكرت أن معى دستجة شسوع فقلت ليس معى إلا هذه. قال فأخذها فطرحها ثم قال

امشى فمشينا فما احتجت الى شبع فى البادية إلا وجدته مطروحا بين
يدى فقال لى كذا من عامل الله بالصدق .

قال المصنف رحمه الله : قلت كل هذه الأفعال خطأ ورمى المال حرام والعجب
من يرمى ما يملكه ويأخذ ما لا يدرى من أين هو وهل يحل له أخذه أم لا .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال :
سمعت نصر ابن أبى نصر العطار يقول سمعت على بن محمد المصرى
قال سمعت أبا سعيد الخراز يقول : دخلت البادية مرة بغير زاد فاصابتنى
فاقة فرأيت المرحلة من بعد فسرت بوصولى ثم فكرت فى نفسى أنى
شكيت وأنى توكلت على غيره فأليت أن لا أدخل المرحلة إلا أن حملت
اليها فخفرت لنفسى فى الرمل حفرة وواريت جسدى فيها إلى صدرى
فسمعت صوتا فى نصف الليل عاليا يأهل المرحلة إن لله ولياً حبس نفسه
فى هذا الرمل فالحقوه فجاء جماعة فاخرجونى وحملونى إلى المرحلة .

قال المصنف رحمه الله : قلت لقد تنطع هذا الرجل على طبعه فأراد
منه مالم يوضع عليه لأن طبع ابن آدم أن يهش إلى ما يحب ولا لوم على
العطشان إذا هش إلى الماء ولا على الجائع إذا هش إلى الطعام فكذلك
كل من هش إلى محبوب له وقد كان النبى ﷺ : إذا قدم من سفر
فلاحت له المدينة أسرع السير حبا للوطن . ولما خرج من مكة تلفت اليها
شوقا . وكان بلال يقول لعن الله عتبة وشيبة إذا أخرجونا من مكة ويقول .
ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بواد وحولى إذخر وجيليل

فنعوذ بالله من الاقبال على العمل بغير مقتضى العلم والعقل . ثم
حبسه نفسه عن صلاة الجماعة قبيح . وأى شئ فى هذا من التقرب إلى
الله سبحانه إنما هو محض جهل . أبنا نا ابن ناصر نا جعفر بن احمد
السراج نا عبد العزيز ابن على بن أحمد ثنا أبو الحسن على بن جهضم ثنا
بكر بن محمد . قال كنت عند أبى الخير السيسابورى فبسطنى بمحادثته لى
بذكر باديته إلى ان سألته عن سبب قطع يده . فقال يد جنت فقطعت . ثم
اجتمعت به مع جماعة فسألوه عن ذلك . فقال : سافرت حتى بلغت
اسندرية فأقمت بها اثنتى عشرة سنة وكنت قد بنيت بها كوخا فكنت أجنئ
اليه من ليل إلى ليل وأفطر على ما ينفضه المرابطون وإذا حم الكلاب على
قمامة السفر وأكل من البردى فى الشتاء فنوديت فى سرى ياأبا الخير تزعم

انك لاتشارك الخلق فى اقواتهم وتشير إلى التوكل وأنت فى وسط القوم جالس فقلت : إلهى وسيدى وعزتك لامددت يدى إلى شئ مما تنبته الارض حتى تكون الموصل إلى رزقى من حيث لا أكون فيه فأقمت اثنى عشر يوماً أصلى الفرض وأتفعل ثم عجزت عن النافلة فأقمت اثنى عشر يوماً أصلى الفرض والسنة ثم عجزت عن السنة فأقمت اثنى عشر يوماً أصلى الفرض لاغير ثم عجزت عن القيام فأقمت اثنى عشر يوماً أصلى جالساً لاغير ثم عجزت عن الجلوس فرأيت ان طرحت نفسى ذهب فرضى فلجأت إلى الله بسرى وقلت إلهى وسيدى افترضت على فرضاً تسألنى عنه وقسمت لى رزقاً وضممته لى فتفضل على برزقى ولا تؤاخذنى بما عقدته معك فوعزتك لا جتهدن ان لا حللت عقداً عقدته معك فإذا بين يدى قرصان بينهما شئ فكنت أجده على الدوام من الليل إلى الليل ثم طولبت بالمسير إلى الثغر فسرت حتى دخلت الفرما فوجدت فى الجامع قاصاً يذكر قصة زكريا والمنشار وان الله تعالى أوحى اليه نشر فقال إن صعدت إلى منك انه لأمحونك من ديوان النبوة فصبر حتى قطع شطرين . فقلت لقد كان زكريا صباراً إلهى وسيدى لئن ابتليتنى لأصبرن . وسرت حتى دخلت انطاكية فرأى بعض إخوانى وعلم أنى أريد الشجر فدفع إلى سيفاً وترساً وحرية فدخلت الثغر وكنت حيثئذ أحشم من الله تعالى أن أتوارى وراء السور خيفة من العدو فجعلت مقامى فى غابة أكون فيها بالنهار وأخرج بالليل إلى شاطئ البحر فأغرز الحربة على الساحل وأسند الترس اليها محراباً وأتقلد سيفى وأصلى إلى الغداة فإذا صليت الصبح غدوت إلى الغابة فكنت فيها نهارى اجمع فبدوت فى بعض الأيام فعثرت بشجرة فاستحسننت ثمرها ونسيت عقدى مع الله وقسمى به إنى لا أمد يدى إلى شئ مما تنبت الأرض فمددت يدى فأخذت بعض الثمرة فبينما أنا امضغها ذكرت العقد فرميت بها من فى وجلست ويدي على رأسى فدار بى فرسان وقالوا لى قم فأخرجونى إلى الساحل فإذا أمير وحوله خيل ورجالة وبين يديه جماعة سودان كانوا يقطعون الطريق وقد أخذهم وافترقت الخيل فى طلب من هرب منهم فوجدونى أسود معى سيف وترس وحرية فلما قدمت إلى الأمير قال ايش أنت قلت عبد من عبيد الله فقال للسودان تعرفونه قالوا لا ، قال : بلى هو

رئيسكم وإنما تفدونهم بأنفسكم لأقطعن أيديكم وأرجلكم فقدموهم ولم يزل يقدم رجلا رجلا ويقطع يده ورجله حتى انتهى إلى فقال تقدم مد يدك فمدتها فقطعت ثم قال مد رجلك فمدتها ورفعت رأسي إلى السماء وقلت إلهي وسيدي يدي جنت ورجلي ايش عملت فإذا بفارس قد وقف على الحلقة ورمى بنفسه إلى الأرض وصاح ايش تعملون تريدون أن تنطبق الخضراء على الغبراء . هذا رجل صالح يعرف بأبي الخير فرمى الأمير نفسه وأخذ يدي المقطوعة من الأرض وقبلها وتعلق بي يقبل صدري ويبكي ويقول سألتك بالله أن تجعلني في حل . فقلت قد جعلتك في حل من أول ما قطعها هذه يد قد جنت فقطعت .

قال المصنف رحمه الله: فانظروا رحمكم الله إلى عدم العلم كيف صنع بهذا الرجل وقد كان من أهل الخير ولو كان عنده علم لعلم أن ما فعله حرام عليه وليس لإبليس عون على العباد الزهاد أكثر من الجهل . أخبرنا أبو بكر ابن حبيب نا أبو سعيد بن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت الحسين بن أحمد الفارسي قال سمعت محمد بن داود الدينوري يقول سمعت ابن حديق يقول دخلنا المصيصة مع حاتم الأصم فعقد أنه لا يأكل فيها شيئا إلا حتى يفتح فمه ويوضع في فيه وإلا ما ياكل فقال لأصحابه . تفرقوا وجلس فأقام تسعة أيام لا يأكل فيها شيئا فلما كان في اليوم العاشر جاء إليه إنسان فوضع بين يديه شيئا يؤكل فقال كل فلم يجبه فقال له ثلاثا فلم يجبه فقال هذا مجنون فأصلح لقمته وأشار بها إلى فمه فلم يفتح فمه ولم يتكلم فأخرج مفتاحاً كان معه فقال كل وفتح فمه بالمفتاح ودس اللقمة في فمه فأكل ثم قال له إن أحببت أن ينفعك الله به فأطعم أولئك وأشار إلى أصحابه . أنبأنا محمد بن أبي طاهرنا على بن المحسن التنوخي عن أبيه ثنى محمد بن هلال بن عبد الله ثنى القاضي أحمد بن سيار . قال حدثني رجل من الصوفية قال صحبت شيخا من الصوفية أنا وجماعة في سفر فجرى حديث التوكل والأرزاق وضعف اليقين فيها وقوته فقال الشيخ وحلف على إيماننا عظيمة لا ذقت مأكولا أو يبعث لي بجام فالودج حار لا أكله إلا بعد أن يحلف على . قال وكنا نمشي في الصحراء فقالت له الجماعة إلا أنك غير جاهد ومشى ومشينا فانتبهنا إلى قرية وقد مضى يوم وليلتان لم يطعم فيها شيء ففارقته الجماعة

غيرى فطرح نفسه فى مسجد القرية مستسلما للموت ضعيفا. فاقمت عليه فلما كان فى ليلة اليوم الرابع وقد انطصف الليل وكاد الشيخ يتلف. إذا بباب المسجد قد فتح، إذا بجارية سوداء معها طبق مغطى. فلما رأنا قالت أنتم غرباء أو من أهل القرية فقلت غرباء فكشفت الطبق وإذا بجام فالودج يفور لحرارته فقدمت لنا الطبق وقالت كلوا فقلت له كل فقال لا أفعل فرفعت الجارية يدها فصفعته صفقة عظيمة وقالت والله لئن لم تأكل لأصفعنك هكذا إلى أن تأكل، فقال كل معى فأكلنا حتى فرغ الجام وهمت الجارية بالانصراف فقلت للجارية ماخبرك وخبر هذا الجام؟ فقالت أنا جارية لرئيس هذه القرية، وهو رجل حاد، طلب منا منذ ساعة فالودج فقمنا نصلحه له فطال الأمر عليه فاستعجلنا فقلنا نعم! فعاد فاستعجل فقلنا نعم، فحلف بالطلاق لا أكله هو ولا أحد ممن هو داره ولا أحد من أهل القرية ولا يأكله إلا رجل غريب، فخرجنا نطلب فى المساجد رجلا غربيا فلم نجد إلى أن انتهينا إليكم ولو لم يأكل هذا الشيخ لقتلته ضربا إلى أن يأكل لثلاث تطلق سيدتى من زوجها، قال: فقال الشيخ: كيف تراه إذا أراد أن يرزق.

قال المصنف رحمه الله: ربما سمع هذا جاهل فاعتقده كرامة ومافعله الرجل من أقبح القبائح فانه يجرب على الله ويتألى عليه ويحمل على نفسه من الجوع مالا يجوز له وهذا لايجوز له ولا ينكر أن يكون لطف به إلا أنه فعل ضد الصواب وربما كان إنفاذ ذلك رديئا لأنه يعتقد أنه قد أكرم وإن ذلك منزلة. وكذلك حكاية حاتم التى قبلها فانها إن صحت دلت على جهل بالعلم وفعل لما لايجوز لأنه ظن أن التوكل إنما هو ترك التسبب فلو عمل بمقتضى واقعه لم يمضغ الطعام ولم يبلعه فانه تسبب وهل هذا إلا من تلاعب إبليس بالجهال لقلة علمهم بالشرع ثم أى قرينة فى هذا الفعل البارد وما أظن غالبه إلا من المالىخوليا. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزار نا أحمد ابن على ابن المحسن قال حدثنى أبو إسحاق ابراهيم بن احمد الطبرى قال: قال لى جعفر الخلدى: وقفت بعرفة ستا وخمسين وقفة منها إحدى وعشرون على المذهب. فقلت لأبى إسحق: وأى شئ أراد بقوله - على المذهب - فقال يصعد إلى قنطرة الناشرية فينفض كمية حتى يعلم أنه ليس معه زاد ولا ماء ويلبى ويسبر.

قال المصنف رحمه الله: وهذا مخالف للشرع فان الله تعالى يقول: ﴿وتزودوا﴾. ورسول الله ﷺ قد تزود، ولا يمكن أن يقال إن هذا الآدمي لا يحتاج إلى شيء في مدة أشهر فان احتاج ولم يتزود فعطب اثم وإن سأل الناس أو تعرض لهم لم يف ذلك بدعوى التوكل وإن ادعى أنه يكرم ويرزق بلا سبب فنظره إلى أنه مستحق لذلك محنة ولو تبع أمر الشرع وحمل الزاد كان أصلح له على كل حال. وأنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر قال: أخبرني أبي عن بعض الصوفية؛ أنه قدم عليه من مكة جماعة من المتصوفة فقال لهم من صحبتكم فقالوا حاج اليمن فقال أوه التصوف قد صار إلى هذا أو التوكل قد ذهب. انتم ماجئتم على الطريقة والتصوف وإنما جئتم من مائدة اليمن إلى مائدة الحرم، ثم قال: وحق الأحباب والفتيان لقد كنا أربعة نفر مصطحبين في هذا الطريق نخرج إلى زيارة قبر النبي ﷺ على التجريد وتتعاهد بيننا أن لا نلتفت إلى مخلوق ولا نستند إلى معلوم. فجئنا إلى النبي ﷺ ومكثنا ثلاثة أيام لم يفتح لنا بشيء فخرجنا حتى بلغنا الجحفة ونزلنا وبحدائنا نفر من الأعراب فبعثوا إلينا بسويق فأخذ بعضنا ينظر إلى بعض ويقول: لو كنا من أهل هذا الشأن لم يفتح لنا بشيء حتى ندخل الحرم فشربناه على الماء وكان طعامنا حتى دخلنا مكة.

قلت: اسمعوا إخواني إلى توكل هؤلاء كيف منعهم من التزود المأمور به فأحوجهم إلى أخذ صدقات الناس. ثم ظنهم أن مافعلوه مرتبة جهل بمعرفة المراتب. ومن عجب مابلغني عنهم في أسفارهم ما أخبرنا به محمد بن أبي القاسم البغدادي نا أبو محمد التميمي عن أبي عبد الرحمن السلمى قال: بلغني أن أبا شعيب المقتع وكان قد حج سبعين حجة راجلا أحرم في كل حجة بعمره وحجة من عند صخرة بيت المقدس ودخل بادية تبوك على التوكل فلما كان في حجته الأخيرة رأى كلبا في البادية يلهث عطشا، فقال: من يشتري حجة بشربة ماء، قال: فدفعت إليه إنسان شربة ماء فسقى الكلب ثم قال هذا خير لى من حجى لأن النبي ﷺ قال: «فى كل ذات كبد حراء اجر». أخبرنا عبد الأول بن عيسى نا ابن أبي الكوفاني ثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن مورى الحبوساني نا أبو نصر عبد الله بن على الطوسى المعروف بابن السراج قال: سمعت

الوجهي يقول سمعت أبا علي الروباري يقول : كان في البادية جماعة ومعنا أبو الحسين العطوفى فرما كانت تلحقنا القافلة ويظلم علينا الطريق وكان أبو الحسين يصعد تلا فيصيح صياح الذئب حتى تسمع كلاب الحى فينبحون فيمر على بيوتهم ويحمل إلينا من عندهم معونة، قلت: وإنما ذكرت مثل هذه الأشياء ليتها العاقل فى مبلغ علم هؤلاء وفهمهم للتوكل وغيره ويرى مخالفتهم لأوامر الشرع وليت شعري كيف يصنع من يخرج منهم ولا شئ معه بالوضوء والصلاة وإن تخرق ثوبه ولا إبرة معه فكيف يفعل. وقد كان بعض مشايخهم يأمر المسافر بأخذ العدة قبل السفر. فأخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري قال: سمعت أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا العباس البغدادي يقول: سمعت الفرغاني يقول : كان إبراهيم الخواص مجرداً فى التوكل يدقق فيه وكان لا يفارقه إبره وخبوط وركوة ومقراض فقيل له يا أبا إسحاق لم تجمع هذا وأنت تمنع من كل شئ ، فقال: مثل هذا لا ينقض التوكل لأن لله تعالى علينا فرائض والفقير لا يكون عليه إلا ثوب واحد فرما يتخرق ثوبه وان لم يكن معه إبرة وخبوط تبدو عورته فتفسد عليه صلواته وإن لم يكن معه ركوة تفسد عليه طهارته وإذا رأيت الفقير بلا ركوة ولا إبرة ولا خبوط فاتهمه فى صلاته.

ذكر تلبس إبليس على الصوفية إذا قدموا من السفر

قال المصنف رحمه الله: قلت من مذهب القوم أن المسافر إذا قدم فدخل الرباط وفيه جماعة لم يسلم عليهم حتى يدخل الميضة فإذا توضأ جاء وصلى ركعتين ثم سلم على الشيخ ثم سلم على الجماعة وهذا ما ابتدعه متأخرهم على خلاف الشريعة لأن فقهاء الإسلام أجمعوا على أن من دخل على قوم سن له أن يسلم عليهم سواء كان على طهارة أو لم يكن إلا أن يكونوا أخذوا هذا من مذهب الأطفال فإنه إذا قيل للطفل لم لا تسلم علينا قال ما غسلت وجهي بعد أو لعل الأطفال علموه من هؤلاء المبدعين. أخبرنا ابن الحصين نا ابو علي بن المذهب نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن احمد ثنى أبى ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن همام بن منبه ثنا أبو هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ليسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير» أخرجاه فى الصحيحين

ومن مذهب القوم تغميز القادم من السفر مساء . أنبأنا أبو زرعة طاهر بن محمد عن أبيه . قال باب السنة في تغميزهم القادم من السفر أول ليلة لتعبه واحتج بحديث عمر رضى الله عنه دخلت على النبي ﷺ وغلّام له حبشى يغمز ظهره فقلت ماشأنك يا رسول الله قال إن الناقة قد اقتحمتنى .

قال المصنف رحمه الله : أنظروا إخوانى إلى فقه هذا المحتج فانه كان ينبغى أن يقول باب السنة فى تغميز من رمت به ناقته ، وتكون السنة تغميز الظهر لا القدم ومن أين له أنه كان فى سفر وانه غمز أول ليلة ثم يجعل تغميز النبي ﷺ كما اتفق لأجل ألم ظهره سنة لقد كان ترك استخراج هذا الفقه الدقيق أحسن من ذكره ، ومن مذهبهم عمل دعوة للقادم . قال ابن طاهر : باب اتخاذهم العتيرة للقادم واحتج بحديث عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ سافر سافراً فنذرت جارية من قريش إن الله تعالى رده أن تضرب فى بيت عائشة رضى الله عنها بدف فلما رجع فقال النبي ﷺ إن كنت نذرت قاضى .

قال المصنف رحمه الله : قد بينا أن الدف مباح ولما نذرت هذه المرأة مباحاً أمرها أن تفى فكيف يحتج بهذا على الغناء والرقص عند قدوم المسافر .

ذكر تلبس إبليس على الصوفية إذا مات لهم ميت

له فى ذلك تلبسان الأول . أنهم يقولون لا يبكى على هالك ومن بكى على هالك خرج عن طريق أهل المعارف قال ابن عقيل . وهذه دعوى تزيد على الشرع فهى حديث خرافة وتخرج عن العادات والطباع فهى انحراف عن المزاج المعتدل فينبغى أن يطالب لها بالعلاج بالأدوية المعدلة للمزاج فان الله تعالى أخبر عن نبي كريم فقال : ﴿وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾ وقال : ﴿يا أسفى على يوسف﴾ . وبكى رسول الله ﷺ عند موت ولده وقال «إن العين لتدمع» . وقال «واكرباه» . وقالت فاطمة رضى الله عنها واكرب أبته فلم ينكر وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه متمما يندب أخاه ويقول :

وكنا كندمانى جزيمة حقية من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لىتنى كنت أقول الشعر فأندب أخى زيدا فقال متمم لو مات أخى كما مات أخوك مارثيته ، وكان مالك

مات على الكفر يزيد قتل شهيدا فقال عمر: ما عراني أحد في أخى كمثل تعزيتك، ثم لا تزال الإبل الغليظة الأكباد تحن الى مآلفها من الأعطان والأشخاص وترغوا للفصلان وحمام الطير ترجع. وكل مأخوذ من البلاء فلا بد أن يتضرع ومن لم تحركه المسار والمطربات وتزعجه المخزيات فهو الى الجماد به أقرب. وقد أبان النبي عليه الصلاة والسلام عن العيب في الخروج عن سمت الطبع فقال للذي قال: لم أقبل أحداً من ولدى - وكان له عشرة من الولد - فقال « أو أملك لك ان نزع الله الرحمة من قلبك » وجعل يلتفت الى مكة لما خرج فالمطالب لما يخرج عن الشرائع وينبو عن الطباع جاهل يطالب بجهل. وقد قنع الشرع منا أن لانلطم خدأ ولا نشق جيباً فاما دمة سائلة وقلب حزين فلا عيب في ذلك .

التليس الثانى : انهم يعملون عند موت الميت دعوة ويسمونها عرسا ويغنون فيها ويرقصون ويلعبون ويقولون نفرح للميت إذ وصل الى ربه، والتليس فى هذا عليهم من ثلاثة أوجه أحدها ان المسنون أن يتخذ لأهل الميت طعام لاشتغالهم بالمصيبة عن اعداد الطعام لأنفسهم وليس من السنة أن يتخذ أهل الميت ويطعمونه الى غيرهم والأصل فى أتخاذ الطعام لأجل الميت. ما أخبرنا به أبو الفتح الكروخى نا أبو عامر الأردى وأبو بكر العورجى قال أخبرنا الجراحى ثنا المحبوى ثنا الترمذى ثنا احمد بن منيع وعلى بن حجر قالا حدثنا سفيان بن عيينة عن جعفر بن خالد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال: لما جاء نعى جعفر فقال النبي ﷺ «اصنعوا لآل جعفر طعاما فانه قد جاءهم ما يشغلهم» قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح. والثانى انهم يفرحون للميت ويقولون وصل الى ربه ولا وجه للفرح لانا لانتيقن انه غفر له وما يؤمننا أن نفرح له وهو فى المعذبين. وقد قال عمر بن زر لما مات ابنه لقد شغلنى الحزن لك عن الحزن عليك. أخبرنا عبد الأول نا ابن المظفر نا ابن عيسى نا الفربرى ثنا البخارى ثنا أبو اليمان نا شعيب عن الزهرى ثنى خارجه بن زيد الانصارى عن أم العلاء قالت: لما مات عثمان بن مظعون دخل علينا رسول الله ﷺ فقلت رحمة الله عليك أبا السايب فشهادتى عليك لقد أكرمك الله فقال النبي ﷺ «وما يدريك ان الله أكرمه» والثالث أنهم يرقصون ويلعبون فى تلك الدعوة فيخرجون بهذا عن الطباع السليمة التى

يؤثر عندها الفراق. ثم ان كان ميتهم قد غفر له فما الرقص واللعب بشكرهم وان كان معذبا فأين أثر الحزن.

ذكر تلبس إبليس على الصوفية في ترك التشاغل بالعلم

قال المصنف رحمه الله: اعلم أن أول تلبس إبليس على الناس صدهم عن العلم لأن العلم نور فاذا أطفأ مصابيحهم خبطهم في الظلم كيف شاء. وقد دخل على الصوفية في هذا الفن من أبواب. أحدها انه منع جمهورهم من العلم أصلا وأراهم انه يحتاج الى تعب وكلف فحسن عندهم الراحة فلبسوا المراقع وجلسوا على بساط البطالة. أخبرنا اسماعيل بن احمد السمرقندي نا حمد بن احمد الحداد نا أبو نعيم الأصفهاني ثنا أبو حامد بن حيان ثنا أبو الحسن البغدادي ثنا ابن صاعد قال سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول: أسس التصوف على الكسل. وبيان مقاله الشافعي ان مقصود النفس اما الولايات وأما استجلاب الدنيا بالعلوم يطول ويتعب البدن وهل يحصل المقصود أو لا يحصل. والصوفية قد تعجلوا الولايات فانهم يرون بعين الزهد. واستجلاب الدنيا فإنها اليهم سريعة.

أخبرنا عبد الحق نا المبارك بن عبد الجبار نا أبو الفرج الطنাজيري ثنا أبو حفص بن شاهين قال. ومن الصوفية من ذم العلماء ورأى ان الاشتغال بالعلم بطالة وقالوا ان علومنا بلا واسطة وانما رأوا بعد الطريق في طلب العلم فقصروا الثياب ورقعوا الجباب وحملوا الركاء وأظهروا الزهد.

والثاني انه قنع قوم منهم باليسير منه فقواتهم الفضل الكثير في كثرته فاقتنعوا بأطراف الأحاديث وأوهمهم أن علو الاسناد والجلوس للحديث كله رياسة ودنيا وان للنفس في ذلك لذة. وكشف هذا التلبس انه ما من مقام عال الا وله فضيلة وفيه مخاطرة فان الامارة والقضاء والفتوى كله مخاطرة وللنفس فيه لذة ولكن فضيلة عظيمة كالشوك في جوار الورد فينبغي أن تطلب الفضائل ويتقى مافي ضمنها من الآفات. فأما ما في الطبع من حب الرياسة فانه إنما وضع لتجلب هذه الفضيلة كما وضع حب النكاح ليحصل الولد وبالعلم يتقوم قصد العالم كما قال يزيد بن هرون. طلبنا العلم لغير الله فأبى الا أن يكون لله. ومعناه انه دلنا على الاخلاص ومن طالب نفسه بقطع مافي طبعه لم يمكنه. والثالث انه أوهم قوما منهم ان المقصود العمل وما فهموا أن التشاغل بالعلم من أوفى

الأعمال ثم ان العالم وان قصر سير عمله فانه على الجادة والعباد بغير علم على غير الطريق . والرابع انه ارى خلقا كثيراً منهم أن العالم ما اكتسب من البواطن حتى ان أحدهم يتخايل له وسوسة فيقول حدثني قلبى عن ربي . وكان الشبلى يقول :

إذا طالبونى بعلم الورق برزت عليهم بعلم الخرق

وقد سموا علم الشريعة علم الظاهر وسموا هواجس النفوس العلم الباطن واحتجوا له بما أخبرنا عبد الحق بن عبد الخالق نا الحسين بن على الطناجيري نا أبو حفص بن شاهين ثنا على بن محمد بن جعفر بن احمد بن عنبة العسكرى ثنى دارم بن قبيصة بن بهشل الصنعانى قال سمعت يحيى بن الحسين بن زيد بن على قال سمعت يحيى بن عبد الله بن حسين عن يحيى بن زيد بن على عن أبيه عن جده عن الحسن بن على عن على ابن أبى طالب كرم الله وجهه عن النبى ﷺ انه قال «علم الباطن سر من سر الله عز وجل وحكم من أحكام الله تعالى يقذفه الله عز وجل فى قلوب من يشاء من أوليائه» .

قال المصنف رحمه الله قلت : وهذا حديث لا أصل له عن النبى ﷺ . وفى إسناده مجاهيل لا يعرفون . أنبأنا محمد بن ناصر نا أبو الفضل محمد بن على السهلكى نا أبو على عبد الله بن ابراهيم النيسابورى ثنا أبو الحسن على ابن عبد الله بن جهضم ثنا أبو الفتح احمد بن الحسن ثنا على بن جعفر عن أبى موسى قال : كان فى ناحية أبى يزيد رجل فقيه عالم تلك الناحية فقصد أبا يزيد وقال له قد حكى لى عنك عجائب . فقال أبو يزيد . ومالم تسمع من عجائبي أكثر . فقال له علمك هذا يا أبا يزيد عن من ومن أين ومن من . فقال أبو يزيد علمى من عطاء الله تعالى . ومن حيث قال ﷺ «من عمل بما يعلم ورثه الله علم مالم يعلم» . ومن حيث قال ﷺ «العلم علمان علم ظاهر وهو حجة الله تعالى على خلقه ، وعلم باطن وهو العلم النافع» . وعلمك يا شيخ نقل من لسان عن لسان التعليم وعلمى من الله إلهام من عنده . فقال له الشيخ علمى عن الثقات عن رسول الله ﷺ عن جبريل عن ربه عز وجل . فقال له أبو يزيد . يا شيخ كان للنبي ﷺ علم عن الله لم يطلع عليه جبريل ولا ميكائيل قال نعم : ولكن أريد أن يصح لى علمك الذى تقول

هو من عند الله، قال: نعم أيّنه لك قدر ما يستقر في قلبك معرفته. ثم قال: يا شيخ علمت أن الله تعالى كلم موسى تكليماً وكلم محمداً ﷺ ورآه كفاحاً. وإن حلم الأنبياء وحى. قال نعم قال أما علمت أن كلام الصديقين والأولياء بالهام منه وفوائده من من قلوبهم حتى أنطقهم بالحكمة ونفع بهم الأمة: ومما يؤكد ما قلت ما ألهم الله تعالى أم موسى أن تلقى موسى في التابوت فألقته وألهم الخضر في السفينة والغلام والحائط قوله موسى (وما فعلته عن أمري) وكما قال أبو بكر لعائشة رضي الله عنهما: إن ابنة خارجة حاملة بينت: وألهم عمر رضي الله عنه فنأدى ياسارية الجبل. أنبأنا ابن ناصر أنبأنا أبو الفضل السهلكتي قال سمعت أبا عبد الله الشيرازي يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت إبراهيم سبتية يقول حضرت مجلس أبي يزيد والناس يقولون فلان لقي فلاناً وأخذ من علمه وكتب منه الكثير وفلان لقي فلاناً. فقال أبو يزيد. مساكين أخذوا علمهم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت.

قال المصنف رحمه الله: هذا الفقه في الحكاية الأولى من قلة العلم إذ لو كان عالماً لعلم أن الإلهام للشئ لا يناقض العلم ولا يتسع به عنه ولا ينكر أن الله عز وجل يلهم الإنسان الشئ كما قال النبي ﷺ «إن في الأمم محدثين وإن يكن في أمتي فعمرو». والمراد بالتحديث إلهام الخير إلا أن الملهم لو ألهم ما يخالف العلم لم يجز له أن يعمل عليه: وأما الخضر فقد قيل أنه نبي ولا ينكر للأنبياء الإطلاع بالوحى على العواقب وليس الإلهام من العلم في شئ إنما هو ثمرة العلم والتقوى فيوفق صاحبهما للخير ويلهم الرشد: فأما أن يترك العلم ويقول أنه يعتمد على الإلهام والخواطر فليس هذا بشئ إذ لولا العلم النقلى ما عرفنا ما يقع في النفس أمن الإلهام للخير أو الوسوسة من الشيطان. واعلم أن العلم الإلهامى الملقى في القلوب لا يكفى عن العلم المنقول كما أن العلوم العقلية لا تكفى عن العلوم الشرعية فإن العقلية كالأغذية والشرعية كالأدوية ولا ينوب هذا عن هذا. وأما قوله أخذوا علمهم ميتاً عن ميت. أصلح ما ينسب إليه هذا القائل أنه ما يدري ما في ضمن هذا القول والافهنا طعن على الشريعة أنبأنا ابن حصين نا ابن المذهب نا أبو حفص بن شاهين، قال: من الصوفية من رأى الاشتغال بالعلم بطالة وقالوا نحن علومنا بلا

واسطة. قال وما كان المتقدمون في التصوف إلا رؤساً في القرآن والفقه والحديث والتفسير ولكن هؤلاء أحبوا البطالة. وقال أبو حامد الطوسي اعلم أن ميل أهل التصوف إلى الإلهية دون التعليمية ولذلك لم يتعلموا ولم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون. بل قالوا: الطريق تقديم المجاهدات بمحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والاقبال على الله تعالى بكنه الهمة وذلك بأن يقطع الإنسان همه عن الأهل والمال والولد والعلم ويخلو نفسه في زاوية ويقتصر على الفرائض والرواتب ولا يقرب همه بقراءة قرآن ولا بالتأمل في نفسه ولا يكتب حديثاً ولا غيره ولا يزال يقول الله الله الله إلى أن ينتهي إلى حال يترك تحريك اللسان ثم يمحي عن القلب صورة اللفظ .

قال المصنف رحمه الله: قلت عزيز عليّ أن يصدر هذا الكلام من فقيه فإنه لا يخفى قبحه فإنه على الحقيقة طى لبساط الشريعة التي حثت على تلاوة القرآن وطلب العلم. وعلى هذا المذهب فقد رأيت الفضلاء من علماء الأمصار فإنهم ماسلكوا هذه الطريق وإنما تشاغلوا بالعلم أولاً. وعلى ما قد رتب أبو حامد تخلو النفس بوساوسها وخيالاتها ولا يكون عندها من العلم ما يطرد ذلك فيلعب بها إبليس أي ملعب فيريها الوسوسة محادثة. ومناجاة ولا ننكر أنه إذا طهر القلب انصبت عليه أنوار الهدى فينظر بنور الله إلا أنه ينبغي أن يكون تطهيره بمقتضى العلم لا بما ينافيه فإن الجوع الشديد والسهر وتضييع الزمان في التخيلات أمور ينهى الشرع عنها فلا يستفاد من صاحب الشرع شيء ينسب إلى ما نهى عنه كما لا يستباح الرخص في سفر قد نهى عنه. ثم لا تنافى بين العلم والرياضة بل العلم يعلم كيفية الرياضة ويعين على تصحيحها. وإنما تلاعب الشيطان بأقوام أبعثوا العلم وأقبلوا على الرياضة بما ينهى عنه العلم والعلم بعيد عنهم فتارة يفعلون الفعل المنهى عنه. وتارة يؤثرون ما غيره أولى منه وإنما كان يفتى في هذه الحوادث العلم وقد عزلوه فعوذ بالله من الخذلان. أنبأنا ابن ناصر عن أبي علي بن البنا قال: كان عندنا بسوق السلاح رجل كان يقول القرآن حجاب، والرسول حجاب ليس إلا عبد ورب فافتتن جماعة به فأهملوا العبادات واختفى مخافة القتل. أنبأنا محمد ابن عبد الملك نا أحمد ابن علي بن ثابت نا أبو الحسن محمد بن عبيد الله بن محمد الجبائي

ثنا احمد بن سليمان النجاد ثنا محمد بن عبد الله بن سليمان ثنا هشام بن يونس ثنا المحاربي عن بكر بن حنش عن ضرار بن عمرو قال إن قوما تركوا العلم ومجالسة أهل العلم واتخذوا محاريب فصلوا وصاموا حتى يبس جلد أحدهم على عظمه وخالفوا السنة فهلكوا فوالله الذي لا إله غيره ما عمل عامل قط على جهل إلا كان ما يفسد أكثر مما يصلح .

فصل

وقد فرق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة . وهذا جهل من قائله لأن الشريعة كلها حقائق . فإن كانوا يريدون بذلك الرخصة والعزيمة فكلاهما شريعة . وقد أنكر عليهم جماعة من قدمائهم في إعراضهم عن ظواهر الشرع . وعن أبي الحسن غلام شعوانه بالبصرة يقول سمعت أبا الحسن بن سالم يقول جاء رجل إلى سهل بن عبد الله ويده محبرة وكتاب فقال لسهل جئت أن أكتب شيئاً ينفعني الله به . فقال اكتب ، ان استطعت أن تلقى الله وييدك المحبرة والكتاب فافعل : قال يا أبا محمد أفدني فائدة . فقال : الدنيا كلها جهل إلا ما كان علماء ، والعلم كله حجة إلا ما كان عملاً ، والعمل كله موقوف إلا ما كان منه على الكتاب والسنة . وتقوم السنة على التقوى وعن سهل بن عبد الله أنه قال احفظوا السواد على البياض فما أحد ترك الظاهر الا تزندق وعن سهل ابن عبد الله انه قال ما من طريق إلى الله أفضل من العلم فإن عدلت عن طريق العلم خطوة تهت في الظلام أربعين صباحاً . وعن أبي بكر الدقاق قال . سمعت أبا سعيد الخزاز يقول . كل باطن يخالف ظاهراً فهو باطل . وعن أبي بكر الدقاق انه قال . كنت ماراً في تيه بنى إسرائيل فخطر بيالى أن علم الحقيقة مابين للشريعة فهتف بي هاتف من تحت شجرة كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهي كفر .

قال المصنف رحمه الله : وقد نبه الإمام أبو حامد الغزالي في كتاب الأحياء فقال . من قال ان الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يخالف الظاهر فهو إلى الكفر أقرب منه إلى الايمان . وقال ابن عقيل جعلت الصوفية الشريعة إسماً وقالوا المراد منها الحقيقة قال وهذا قبيح لأن الشريعة وضعها الحق لمصالح الخلق وتعبداتهم فما الحقيقة بعد هذا سوى شئ واقع في النفس من لقاء الشياطين وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فمغرور مخدوع .

ذكر تلبيس إبليس على جماعة من القوم في دفنهم كتب العلم وإلقائها في الماء

قال المصنف رحمه الله: قد كان جماعة منهم تشاغلوا بكتابة العلم ثم لبس عليهم إبليس وقال ما المقصود إلا العمل ودفنوا كتبهم. فقد روى أن أحمد ابن أبي الخوارى رمى كتبه في البحر، وقال: نعم الدليل كنت والاشتغال بالدليل بعد الوصول محال. ولقد طلب أحمد بن أبي الخوارى الحديث ثلاثين سنة فلما بلغ منه الغاية حمل كتبه إلى البحر فغرقها. وقال: يا علم لم أفعل بك هذا تهاونا ولا استخفاً بحقك ولكنى كنت أطلبك لأهتدى بك إلى ربي فلما اهتديت بك استغنيت عنك. أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت أبا الحسن غلام شعوانة بالبصرة يقول سمعت أبا الحسن بن سالم عن أبي عبدالله محمد بن عبد الله الحافظ قال أحمد ابن محمد بن إسماعيل. أبو الحسين بن الخلال كان حسن الفهم له صبر على الحديث وانه كان يتصوف ويرمى بالحديث مدة ثم يرجع ويكتب. ولقد أخبرت انه رمى بجملة من سماعاته القديمة في دجلة. فأول ماسمع على أبي العباس الأصم وطبقته وكتب الكثير. أنبأنا زاهر بن طاهر نا أحمد بن الحسين البيهقي قال. سمعت أبا عمرو بن أبي جعفر يقول سمعت أبا طاهر الجنايدى يقول. لقد كان موسى بن هرون يقرأ علينا فإذا فرغ من الجزء رمى بأصله في دجلة ويقول قد أدبته.

أخبرنا محمد بن ناصر نا أحمد بن على بن خلف نا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا نصر الطوسى يقول. سمعت جماعة من مشايخ الرى يقولون - ورث أبو عبد الله المقرئ عن أبيه خمسين ألف دينار سوى الضياع والعقار فخرج عن جميع ذلك وأنفقها على الفقراء قال: فسألت أبا عبد الله عن ذلك فقال. أحرمت وأنا غلام حدث وخرجت إلى مكة على الوحدة حين لم يبق لى شئ أرجع إليه. وكان اجتهادى أن أزهدي فى الكتب وما جمعت من العلم والحديث أشد على من الخروج إلى مكة والتقطع فى الأسفار والخروج عن ملكى. أخبرنا أبو منصور القزاز نا أحمد بن على بن ثابت نا إسماعيل الخيرى ثنا محمد ابن الحسين السلمى قال سمعت أبا العباس بن الحسين البغدادي يقول سمعت الشبلى يقول. أعرف من لم

يدخل في هذا الشأن حتى أنفق جميع ملكه وغرق في هذه الدجلة سبعين قمطرا مكتوباً بخطه وحفظ وقرأ بكذا وكذا رواية يعنى بذلك نفسه .

قال المصنف رحمه الله: : قد سبق القول بأن العلم نور وان إبليس يحسن للانسان إطفاء النور ليتمكن منه في الظلمة ولا ظلمة كظلمة الجهل . ولما خاف إبليس أن يعاود هؤلاء مطالعة الكتب فرمما استدلوا بذلك على مكايده حسن لهم دفن الكتب وإتلافها وهذا فعل قبيح محذور وجهل بالمقصود بالكتب وبيان هذا أن أصل العلوم القرآن والسنة فلما علم الشرع أن حفظهما يصعب أمر بكتابة المصحف وكتابة الحديث فأما القرآن فان رسول الله ﷺ كان إذا نزلت عليه آية دعى بالكاتب فأثبتها وكانوا يكتبونها في العصب والحجارة وعظام الكتف ثم جمع القرآن بعده في المصحف أبو بكر صونا عليه ثم نسح من ذلك عثمان بن عفان رضى الله عنه وبقيت الصحابة وكل ذلك لحفظ القرآن لئلا يشذ منه شيء . وأما السنة . فإن النبي ﷺ قصر الناس في بداية الإسلام على القرآن وقال لا تكتبوا عني سوى القرآن فلما كثرت الأحاديث ورأى قلة ضبطهم أذن لهم في الكتابة . فروى عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه شكى إلى رسول الله ﷺ قلة الحفظ فقال . ابسط رداءك فبسط رداءه وحدثه النبي عليه الصلاة والسلام وقال ضمه اليك . فقال أبو هريرة فلم أنس بعد ذلك شيئا بما حدثنيه رسول الله ﷺ وفي رواية أنه قال استعن على حفظك يمينك يعنى بالكتابة . وروى عنه ﷺ عبد الله بن عمرو انه قال «قيدوا العلم فقلت يا رسول الله وما تقييده . قال الكتابة» . وروى عنه أيضاً رافع ابن خديج قال قلنا يا رسول الله إنا نسمع منك أشياء أفنكتبها . قال : اكتبوا ولا حرج .

قال المصنف رحمه الله : واعلم أن الصحابة ضبطت ألفاظ رسول الله ﷺ وحركاته وأفعاله واجتمعت الشريعة من رواية هذا ورواية هذا . وقد قال رسول الله ﷺ بلغوا عني : وقال نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها وتأدية الحديث كما يسمع لا يكاد يحصل إلا من الكتابة لأن الحفظ خوان . وقد كان احمد ابن حنبل رضى الله عنه يحدث بالحديث فيقال له : إمله علينا . فيقول لا بل من الكتاب . وقد قال على ابن المديني . أمرنى سيدى احمد بن حنبل أن لا أحدث إلا من الكتاب فاذا كانت الصحابة قد روت السنة وتلقته التابعون وسافر

المحدثون وقطعوا شرق الأرض وغربها لتحصيل كلمة من ههنا وكلمة من ههنا وصححوا ما صححوا وزيفوا ما لم يصح وجرحوا الرواة وعدلوا وهذبوا السنن وصنفوا ثم من يغسل ذلك فيضيع التعب ولا يعرف حكم الله في حادثة فما عوندت الشريعة بمثل هذا. فهل لشريعة من الشرائع قبلنا إسناد الى نبيهم وإنما هذه خصيصة لهذه الأمة. وقد روينا عن الإمام أحمد بن حنبل مع كونه طاف الشرق والغرب في طلب الحديث انه قال لابنه ما كتبت عن فلان؟ فذكر له أن النبي عليه الصلاة والسلام «كان يخرج يوم العيد من طريق ويرجع من أخرى». فقال الامام احمد ابن حنبل إنا لله سنة من سنن رسول الله ﷺ لم تبلغني وهذا قوله مع اكثاره وجمعه فكيف بمن لم يكتب واذا كتب غسل أفترى اذا غسلت الكتب ودفنت على م يعتمد في الفتاوى والحوادث على فلان الزاهد أو فلان الصوفى أو على الخواطر فيما يقع لها نعوذ بالله من الضلال بعد الهدى.

فصل

قال المصنف رحمه الله: ولا تخلو هذه الكتب التى دفنوها أن يكون فيها حق أو باطل أو قد اختلط الحق بالباطل. فان كان فيها باطل فلا لوم على من دفنها وان كان قد اختلط الحق بالباطل ولم يمكن تمييزه كان عذراً في إتلافها فان أقواماً كتبوا عن ثقات وعن كذايين واختلط الأمر عليهم فدفنوا كتبهم. وعلى هذا يحمل ما يروى عن دفن الكتب عن سفیان الثورى وان كان فيها الحق والشرع فلا يحل إتلافها بوجه لكونها ضابطة العلم وأموالا وليسأل من يقصد إتلافها عن مقصوده فان قال تشغلنى عن العبادة. قيل له جوابك من ثلاثة أوجه: أحدها انك لو فهمت لعلمت أن التشاغل بالعلم أوفى العبادات. والثانى أن اليقظة التى وقعت لك لاتدوم فكأنى بك وقد ندمت على ما فعلت بعد الفوات. واعلم أن القلوب لاتبقى على صفائها بل تصدأ فتحتاج إلى جلاء وجلاؤها النظر فى كتب العلم. وقد كان يوسف بن أسباط دفن كتبه ثم لم يصبر على التحديث فحدث من حفظه فخلط، والثالث أننا نقدر تمام يقظتك ودوامها والسغنى عن هذه الكتب فهلا وهبتها لمبتدئ من الطلاب ممن لم يصل الى مقامك أو وقفها على المنتفعين بها أو بعثها وتصدقت بثمانها أما إتلافها فلا يسحل بحال. وقد روى المروزي عن أحمد بن حنبل

انه سئل عن رجل أوصى أن تدفن كتبه فقال ما يعجبني أن يدفن العلم .
وأبانا محمد بن عبد الملك ويحيى بن علي قال أبانا أحمد بن علي بن
ثابت نا عبيد الله ابن عبد العزيز البرادعي نا محمد بن عبد الله السحير ثنا
أبو بكر محمد بن حمد بن النحاس قال : سمعت المروزي يقول :
سمعت احمد بن حنبل يقول لا أعرف لدفن الكتب معنى .

ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في إنكارهم

من تشاغل بالعلم

قال المصنف رحمه الله : لما انقسم هؤلاء بين متكاسل عن طلب العلم
وبين ظان أن العلم هو مايقع في النفوس من ثمرات التعبد وسموا ذلك
العلم : العلم الباطن نهواً عن التشاغل بالعلم الظاهر .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر احمد بن علي نا علي
بن أبي علي البصري ثنا أبو اسحاق ابراهيم بن احمد بن محمد الطبري
قال سمعت جعفر الخلدی يقول : لو تركنى الصوفية لجتكم باسناد الدنيا
لقد مضيت الى عباس الدوري وأنا حدث فكتبت عنه مجلساً واحداً
وخرجت من عنده فلقيني بعض من كنت أصحبه من الصوفية فقال :
إيش هذا معك . فأريته إياه فقال : ويحك تدع علم الخرق وتأخذ علم
الورق . ثم خرق الأوراق فدخل كلامه في قلبي فلم أعد الى عباس .

قال المصنف رحمه الله : وبلغني عن أبي سعيد الكندي قال كنت أنزل
رباط الصوفية وأطلب الحديث في خفية بحيث لا يعلمون فسقطت الدواة
يوماً من كمي فقال لي بعض الصوفية استر عورتك .

أخبرنا محمد بن ناصر أبو القاسم هبة الله بن عبد الله الواسطي نا أبو
بكر الخطيب نا أبو الفتح بن أبي الفوارس نا الحسين بن احمد الصفار قال :
كان بيدي محررة فقال لي الشبلي غيب سوادك عني يكفيني سواد قلبي .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا ابن باكويه قال
سمعت عبد الله العزال المذكور قال سمعت علي بن مهدي يقول : وقفت
ببغداد على حلقة الشبلي فنظر إليّ ومعى محررة فأنشأ يقول :

تسربلت للحرب ثوب الغسوق وجبت البلاد لوجد القلق
ففيك هتكت قناع الغسوق وعنك نطقت لى من نطق

إذا خاطبوني بعلم السورق برزت عليهم بعلم الخسرق

قال المصنف رحمه الله: قلت من أكبر المعاندة لله عز وجل الصد عن سبيل الله وأوضح سبيل الله العلم لأنه دليل على الله وبيان لأحكام الله وشرعه وإيضاح لما يحبه ويكرهه فالمنع منه معاداة لله ولشرعه ولكن الناهين عن ذلك ماتفطنوا لما فعلوا. أخبرنا ابن حبيب قال نا ابن أبي صادق نا ابن باكويه قال سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول: اشتغلوا بتعلم العلم ولا يغرنكم كلام الصوفية فاني كنت أخبئ محبرتي في جيب مرقعتي والكاغد في حزة سراويلي وكنت أذهب خفية الى أهل العلم فاذا علموا بي خاصمونى. وقالوا لا تفلح ثم احتاجوا إلى بعد ذلك. وقد كان الامام احمد ابن حنبل يرى المحابر بأيدي طلبة العلم فيقول: هذه سرج الاسلام. وكان هو يحمل المحبرة على كبر سنه فقال له رجل الى متى يا أبا عبد الله فقال: المحبرة الى المقبرة وقال فى قوله عليه الصلاة والسلام «لا تزال طائفة من أمتى منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة» . فقال احمد: ان لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم. وقال أيضاً ان لم يكن أصحاب الحديث الابدال فمن يكون. وقيل له ان رجلا قال فى أصحاب الحديث انهم كانوا قوم سوء فقال احمد: هو رديق وقد قال الامام الشافعى رحمه الله: اذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث فكأنى رأيت رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ . وقال يوسف بن أسباط بطلبة الحديث يدفع الله البلاء عن أهل الأرض .

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب ثنا عبد العزيز بن على ثنا ابن جهضم ثنا محمد بن جعفر ثنا احمد بن محمد بن مسروق قال: رأيت كأن القيامة قد قامت والخلق مجتمعون إذ نادى مناد. الصلاة جامعة فاصطف الناس صفوفاً فأتانى مالك فتأملت فادا بين عينيه مكتوب جبريل أمين الله. فقلت أين النبى ﷺ فقال مشغول بنصب الموائد لاخوانه الصوفية. فقلت وأنا من الصوفية فليل نعم. ولكن شغلك كثرة الحديث.

قال المصنف رحمه الله: معاذ الله أن ينكر جبريل التشاغل بالعلم وفى إسناد هذه الحكاية ابن جهضم وكان كذاباً ولعلها عمله. وأما ابن مسروق فأخبرنى القزاز نا أبو بكر الخطيب حدثنى على بن محمد بن نصر قال سمعت حمزة بن يوسف قال سمعت الدارقطنى يقول أبو العباس بن

مسروق ليس بالقوى يأتى بالمعضلات .

ذكر تلبس إبليس على الصوفية فى كلامهم فى العلم

قال المصنف رحمه الله: اعلم أن هؤلاء القوم لما تركوا العلم وانفردوا بالرياضيات على مقتضى آرائهم لم يصبروا عن الكلام فى العلوم فتكلموا بواقعاتهم فوقعت الأغاليط القبيحة منهم فتارة يتكلمون فى تفسير القرآن وتارة فى الحديث وتارة فى الفقه وغير ذلك ويسوقون العلوم الى مقتضى علمهم الذى انفردوا به والله سبحانه لا يخلى الزمان من أقوام قوام بشرعه يردون على المتخرصين ويبينون غلط الغالطين:

ذكر نبذة من كلامهم فى القرآن

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أبو بكر احمد بن على ابن ثابت نا أبو القاسم عبد الواحد بن عثمان البجلي قال سمعت جعفر ابن محمد الخلدى قال حضرت شيخنا الجنيد وقد سأله كيسان عن قوله عز وجل ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ فقال الجنيد لا تنس العمل به، وسأله عن قوله تعالى ﴿ودرسوا ما فيه﴾ فقال له الجنيد تركوا العمل به، فقال لا يفضض الله فاك قلت: أما قوله - لا تنس العمل به - فتفسير لا وجه له والغلط فيه ظاهر. لأنه فسره على أنه نهى وليس كذلك إنما هو خبر لا نهى وتقديره - فما تنس - إذ لو كان نهياً كان مجزوماً فتفسيره على خلاف إجماع العلماء وكذلك قوله ﴿ودرسوا ما فيه﴾ إنما هو من الدرس الذى هو التلاوة من قوله عز وجل ﴿وبما كنتم تدرسون﴾. لا من دروس الشيء الذى هو املاكه. أخبرنا محمد ابن عبد الباقي نا حمد ابن احمد ثنا أبو نعيم الحافظ قال سمعت احمد بن محمد ابن مقسم يقول حضرت أبا بكر الشبلبي. وسئل عن قوله عز وجل. ﴿إن فى ذلك للذكرى لمن كان له قلب﴾. فقال: لمن كان الله قلبه. وأخبرنا عمر بن ظفر نا جعفر ابن احمد نا عبد العزيز بن على نا ابن جهضم ثنا محمد بن جرير قال سمعت أبا العباس بن عطاء وقد سئل عن قوله: ﴿فنجيناك من الغم﴾. قال نجيناك من الغم بقومك وفتناك بنا عن من سوانا .

قال المصنف رحمه الله: وهذه جرأة عظيمة على كتاب الله عز وجل ونسبة الكلیم إلى الافتتان بمحبة الله سبحانه. وجعل محبته تفتن غاية فى

القباحة . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أحمد بن علي الحافظ نا أبو حازم عمر ابن إبراهيم العبدري قال سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الرازي يقول سمعت أبا العباس بن عطاء يقول في قوله عز وجل : ﴿ وَأَمَا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرِبِينَ فُرُوحًا وَرِيحَانًا وَجَنَّةٍ نَعِيمٍ ﴾ فقال الروح النظر إلى وجه الله عز وجل . والريحان الاستماع لكلامه . وجنة نعيم : هو أن لا يحجب فيها عن الله عز وجل . قلت : هذا كلام بالواقع على خلاف أقوال المفسرين وقد جمع أبو عبد الرحمن النسلمى في تفسير القرآن من كلامهم الذى أكثره هذيان لا يحل نحو مجلدين سماها حقائق التفسير فقال فى فاتحة الكتاب عنهم أنهم قالوا إنما سميت فاتحة الكتاب لأنها أوائل ما فاتحناك به من خطابنا فإن تأدبت بذلك والا حرمت لطائف ما بعد .

قال المصنف رحمه الله : وهذا قبيح لأنه لا يختلف المفسرون أن الفاتحة ليست من أول ما نزل : وقال فى قول الإنسان (أمين) أى قاصدون نحوك .

قال المصنف رحمه الله : وهذا قبيح لأنه ليس من أم لأنه لو كان كذلك لكانت الميم مشددة . وقال فى قوله : ﴿ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى ﴾ قال قال أبو عثمان : غرقى فى الذنوب . وقال الواسطى : غرقى فى رؤية أفعالهم . وقال الجنيد أسارى فى أسباب الدنيا تفدوهم إلى قطع العلائق . قلت . وإنما الآية على وجه الإنكار ومعناها إذا أسرتموهم فديتموهم وإذا حاربتموهم قبلتموهم وهؤلاء قد فسروها على ما يوجب المدح . وقال محمد بن على . ﴿ يحب التوابين ﴾ من توبتهم وقال النورى : ﴿ يقبض ويبسط ﴾ . أى يقبضك باياه ويبسطك لاياه . وقال فى قوله : ﴿ ومن دخله كان آمناً ﴾ أى من هو اجس نفسه ووساوس الشيطان . وهذا غاية فى القبح لأن لفظ الآية لفظ الخبر ومعناه الأمر وتقديرها من دخل الحرم فأمته . وهؤلاء قد فسروها على الخبر ثم لا يصح لهم لأنه كم من داخل إلى الحرم ما أمن من الهواجس ولا الوسوس وذكر فى قوله ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ﴾ : قال أبو تراب هى الدعوى الفاسدة ﴿ والجار ذى القربى ﴾ . قال سهل هو القلب ﴿ والجار الجنب ﴾ النفس ﴿ وابن السبيل ﴾ الجوارح . وقال فى قوله : ﴿ وهم بها ﴾ . قال أبو بكر الوراق الهمان لها ويوسف ما هم بها . قلت : هذا خلاف لصريح القرآن وقوله

﴿ ما هذا بشراً ﴾ . قال محمد بن علي ما هذا بأهل أن يدعى إلى المباشرة . وقال الزنجاني الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات أفئدتهم والمطر بكاؤهم . وقال في قوله ﴿ ولله المكر جميعاً ﴾ قال الحسين لا مكر أبين فيه من مكر الحق بعباده حيث أوهمهم ان لهم سبيلا اليه بحال . أو للحدث اقتران مع القدم .

قال المصنف رحمه الله : ومن تأمل معنى هذا علم أنه كفر محض لأنه يشير إلى أنه كالهزة واللعب . ولكن الحسين هذا هو الخلاج وهذا يليق بذلك . وقال في قوله ﴿ لعمرك ﴾ أي بعمارتك شرك بمشاهدتنا . قلت . وجميع الكتاب من هذا الجنس ولقد هممت أن أثبت منه هاهنا كثيراً فرأيت أن الزمان يضيع في كتابة شيء بين الكفر والخطأ والهديان . وهو من جنس ما حكينا عن الباطنية ، فمن أراد أن يعرف جنس ما في الكتاب فهذا أنموذجه . ومن أراد الزيادة فليتنظر في ذلك الكتاب . وذكر أبو نصر السراج في كتاب اللمع قال : للصوفية استنباط منها قوله : ﴿ ادعوا إلى الله على بصيرة ﴾ قال الواسطي : معناه لا أرى نفسي . وقال الشبلي : لو اطلعت على الكل مما سوانا لوليت منهم فراراً إلينا . قلت : هذا لا يحل لأن الله تعالى إنما أراد أهل الكهف . وهذا السراج يسمى هذه الأقوال في كتابه مستنبطات . وقد ذكر أبو حامد الطوسي في كتاب ذم المال في قوله عز وجل : ﴿ واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام ﴾ قال : إنما عنى الذهب والفضة إذ رتبة البهية أجل من أن يخشى عليها أن تعبد الآلهة والأصنام ، وإنما عنى بعبادته حبه والاعتزاز به .

قال المصنف رحمه الله : وهذا شيء لم يقله أحد من المفسرين ، وقد قال شعيب ﴿ وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا ﴾ ومعلوم أن ميل الأنبياء إلى الشرك أمر ممتنع لأجل العصمة لا أنه مستحيل ، ثم قد ذكر مع نفسه من يتصور في حقه الإشراك والكفر فجار أن يدخل نفسه معهم ، فقال « واجنبنى وبنى » ومعلوم أن العرب أولاده وقد عبد أكثرهم الأصنام . أخبرنا عبد الحق بن عبد الخالق نا المبارك بن عبد الجبار نا الحسين ابن علي الطنাজيري نا أبو حفص بن شاهين قال : وقد تكلمت طائفة من الصوفية في نفس القرآن بما لا يجوز فقالت في قوله : ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لأولى الأبواب ﴾

فقال هم لآيات لي ، فأضافوا إلى الله تعالى ما جعله لأولى الألباب «
وهذا تبديل للقرآن وقالوا: ﴿ولسليمان الريح﴾ قالوا: ولي سليمان .

وأخبرنا ابن ناصرنا أحمد بن علي بن خلف ثنا أبو عبد الرحمن
السلمي قال: قال أبو حمزة الخراساني: قد يقطع بأقوام في الجنة
فيقال: ﴿كلوا والشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ فشغلهم عنه
بالأكل والشرب ولا مكر فوق هذا ولا حسرة أعظم منه .

قال المصنف رحمه الله: أنظروا وفقكم الله إلى هذه الحماقة وتسمية
المعتم به مكرأ، وإضافة المكر بهذا إلى الله سبحانه وتعالى . وعلى مقتضى
قول هذا أن الأنبياء لا يأكلون ولا يشربون بل يكونون مشغولين بالله عز
وجل . فما أجراً هذا القائل على مثل هذه الالفاظ القباح . وهل يجوز أن
يوصف الله عز وجل بالمكر على ما نعقله من معنى المكر . وإنما معنى
مكره وخداعه أنه مجازي الماكرين والخادعين . وإنى لأتعجب من هؤلاء
وقد كانوا يتورعون من اللقمة والكلمة كيف انبسطوا في تفسير القرآن إلى
ما هذه حده . وقد أخبرنا علي بن عبيد الله وأحمد بن الحسن وعبد
الرحمن ابن محمد قالوا: حدثنا عبد الصمد بن المأمون نا علي بن عمر
الحرابي ثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي ثنا بشر بن الوليد ثنا
سهيل أخو حزم ثنا أبو عمران الجوني عن جندب قال: قال رسول
الله ﷺ: « من قال في القرآن برأيه فقد أخطأ » . أخبرنا هبة الله بن
محمد نا الحسن بن علي نا أبو بكر بن حمدان ثنا عبد الله ابن أحمد ثنا
أبي ثنا وكيع عن الثوري عن عبد الأعلى عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس رضي الله عنهما . قال: قال رسول الله ﷺ « من قال في القرآن
برأيه فليتبوأ مقعده من النار » .

قال المصنف رحمه الله: وقد رويت لنا حكاية عن بعضهم فيما يتعلق
بالمكر إنى لأقشعر من ذكرها لكنى أنه بذكرها على قبح ما يتخايله هؤلاء
الجهلة . أخبرنا أبو بكر ابن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا أبو عبد
الله ابن باكويه قال: أخبرنا أبو عبد الله ابن خفيف قال سمعت رويما
يقول: اجتمع ليلة بالشام جماعة من المشايخ فقالوا ما شهدنا مثل هذه
الليلة وطيبها فتعالوا نستذاكر مسألة لثلا تذهب ليلتنا فقالوا: نتكلم في
المحبة فانها عمدة القوم فتكلم كل واحد من حيث هو . وكان في القوم

عمرو ابن عثمان المكي فوقع عليه البول ولم يكن من عادته فقام وخرج إلى صحن الدار فإذا ليلة مقمرة فوجد قطعة رق مكتوب فأخذه وحمله اليهم وقال: يا قوم اسكنوا فان هذا جوابكم. أنظروا ما في هذه الرسالة فاذا فيها مكتوب مكار مكار وكلكم تدعون حبه وأحرم البعض وافترقوا فما جمعهم إلا الموسم .

قال المصنف رحمه الله: قلت هذه بعيدة الصحة وابن خفيف لا يوثق به وإن صححت فان شيطاناً ألقى ذلك الرق، وإن كانوا قد ظنوا أنها رسالة من الله بظنونهم الفاسدة. وقد بينا أن معنى المكر منه المجازاة على المكر. فأما أن يقال عنه مكار ففوق الجهل وفوق حماقة .

وقد أخبرنا ابن ظفر نا ابن السراج نا الأرجى ثنا ابن جهضم ثنا الخلدی قال سمعت رويما يقول: إن الله غيب أشياء في أشياء غيب مكره في علمه. وغيب خداعه في لطفه وغيب عقوباته في باب كراماته. قلت: وهذا تخليط من ذلك الجنس وجرأة. أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو الفضل السهلکی قال سمعت محمد بن إبراهيم يقول سمعت خالي يقول قال الحسن بن علويه. خرج أبو يزيد لزيارة أخ له فلما وصل إلى نهر جيحون التقى له حافتا النهر. فقال سيدي. ايش هذا المكر الخفي. وعزتک ما عبدتک لهذا ثم رجع ولم يعبر قال السهلکی. وسمعت محمد بن احمد المذکر يذكران أبا يزيد قال من عرف الله عز وجل صار للجنة بوابا وصارت الجنة عليه وبالا .

قلت: وهذه جرأة عظيمة في إضافة المكر إلى الله عز وجل وجعل الجنة التي هي نهاية المطالب وبالا وإذا كانت وبالا لعارفين فكيف تكون لغيرهم. وكل هذا منبعه من قلة العلم وسوء المههم. أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبي صادق نا ابن باكويه ثنا أبو الفرج الورياني ثنا احمد بن الحسن بن محمد ثنى محمد بن جعفر الوراق ثنا احمد بن العباس المهلبی قال سمعت طيفور وهو أبو يزيد يقول العارفون في زيارة الله تعالى في الآخرة على طبقتين طبقة تزوره متى شاءت واني شاءت وطبقة تزوره مرة واحدة ثم لا تزوره بعدها أبداً فقيل له كيف ذلك قال. إذا رآه العارفون أول مرة جعل لهم سوقاً ما فيه شراء ولا بيع إلا الصور من الرجال والنساء فمن دخل منهم السوق لم يرجع الى زيارة الله أبداً قال وقال أبو يزيد. في الدنيا يخدعك

بالسوق وفي الآخرة يخذعك بالسوق فأنت أبدأ عبد السوق .

قال المصنف رحمه الله : تسمية ثواب الجنة خديعة وسبباً للانقطاع عن الله عز وجل قبيح وإنما يجعل لهم السوق ثواباً لا خديعة فإذا أذن لهم في أخذ ما في السوق ثم عوقبوا بمنع الزيارة فقد صارت المثوبة عقوبة . ومن أين له أن من اختار شيئاً من ذلك السوق لم يعد إلى زيارة الله تبارك وتعالى ولا يراه أبدأ نعوذ بالله من هذا التخليط والتحكم في العلم والاخبار عن هذه المغيبات التي لا يعلمها إلا نبي فمن أين له علمها وكيف يكون كما قال أبو هريرة راوى الحديث لسعيد بن المسيب : جمعني الله وإياك في سوق الجنة أفترأه طلب ترك العقوبة بالبعد عن الله عز وجل لكن بعد هؤلاء عن العلم واقتناعهم بواقعاتهم الفاسدة أوجب هذا التخليط وليعلم أن الخواطر والواقعات إنما هي ثمرات علمه فمن كان عالماً كانت خواطره صحيحة لأنها ثمرات علمه ومن كان جاهلاً فثمرات الجهل كلها حظه . ورأيت بخط ابن عقيل : جاز أبو يزيد على مقابر اليهود فقال ما هؤلاء حتى تعذبهم كف عظام جرت عليهم القضايا أعف عنهم .

قال المصنف رحمه الله : وهذا قلة علم وهو أن قوله - كف عظام - احتقار للآدمي فإن المؤمن إذا مات كان كف عظام : وقوله - جرت عليهم القضايا - فكذلك جرى على فرعون ، وقوله ، أعف عنهم ، جهل بالشريعة لأن الله عز وجل أخبر أنه لا يغفر أن يشرك به لمن مات كافراً فلو قبلت شفاعته في كافر لقبول سؤال إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه في أبيه ، ومحمد ﷺ في أمه فنعوذ بالله من قلة العلم .

أنبأنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى نا أبو بكر احمد بن أبي نصر الكوفاني ثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن قورى الحويباني نا أبو نصر عبد الله بن علي الطوسي المعروف بالسراج قال كان ابن سالم يقول عبر أبو يزيد على مقبرة اليهود . فقال : معذورين . ومر بقبر المسلمين . فقال مغرورين . قال المصنف رحمه الله . وفسره السراج فقال كأنه لما نظر إلى ما سبق لهم من الشقاوة . من غير فعل كان موجوداً في الارل وان الله عز وجل جعل نصيبهم السخط فذلك عذر .

قال المصنف رحمه الله : وتفسير السراج قبيح لأنه يوجب أن لا يعاقب فرعون ولا غيره .

ومن كلامهم فى الحديث وغيره . أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر الخطيب نا الأزهرى نا أحمد بن إبراهيم بن الحسن ثنا عبد الله بن أحمد ابن حنبل قال جاء أبو تراب النخشبى الى أبى فجعل أبى يقول: فلان ضعيف وفلان ثقة فقال أبو تراب . يا شيخ لا تغتب العلماء فالتفت أبى إليه وقال له . ويحك هذه نصيحة ليست هذه غيبة . أنبأنا يحيى بن على المدبر نا أحمد بن على ابن ثابت نا رضوان بن محمد بن الحسن الدينورى قال سمعت أحمد بن محمد بن عبد الله النهيسابورى يقول سمعت أبا الحسن على بن محمد البخارى يقول سمعت محمد بن الفضل العباسى يقول . كنا عند عبد الرحمن بن أبى حاتم وهو يقرأ علينا كتاب الجرح والتعديل فقال اظهر أحوال أهل العلم من كان منهم ثقة أو غير ثقة . فقال له يوسف بن الحسين . استحيت إليك يا أبا محمد كم من هؤلاء القوم قد حطوا رواحلهم فى الجنة منذ مائة سنة أو مائتى سنة وأنت تذكرهم وتغتائبهم على أديم الأرض . فبكى عبد الرحمن وقال يا أبا يعقوب لو سمعت هذه الكلمة قبل تصنيفى هذا الكتاب لم أصنفه . قلت عفا الله عن ابن أبى حاتم فانه لو كان فقيهاً لرد عليه كما رد الإمام أحمد على أبى تراب . ولولا الجرح والتعديل من أين كان يعرف الصحيح من الباطل ثم كون القوم فى الجنة لا يمنع أن نذكرهم بما فيهم وتسمية ذلك غيبة حديث سوء . ثم من لا يدرى الجرح والتعديل كيف هو يزكى كلامه . وينبغى ليوسف أن يشتغل بالعجائب التى تحكى عن مثل هذا .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت عبد الله ابن يزيد الارببلى يقول سمعت أبا العباس بن عطاء يقول من عرف الله أمسك عن رفع حوائجه إليه لما علم أنه العالم بأحواله . قلت هذا سد لباب السؤال والدعاء وهو جهل بالعلم .

أخبرنا محمد بن عبد الملك بن خيرون نا أحمد بن الحسن الشاهد قال قرىء على محمد بن الحسن الاهوارى وأنا أسمع أبا بكر الديف الصوفى وقال سمعت الشبلى وقد سأله شاب يا أبا بكر لم تقول الله ولا تقول لا إله إلا الله ، فقال الشبلى . استحى أن أوجه إثباتاً بعد نفى . فقال الشاب أريد حجة أقوى من هذه . فقال اخشى أنى أؤخذ فى كلمة الوجود ولا أصل إلى كلمة الاقرار .

قال المصنف رحمه الله: أنظروا إلى هذا العلم الدقيق فإن رسول الله ﷺ كان يأمر بقول لا إله إلا الله ويحث عليها. وفي الصحيحين عنه أنه كان يقول في كل دبر صلاة لا إله إلا الله وحده لا شريك له وكان يقول إذا قام لصلاة الليل لا إله إلا أنت وذكر الثواب العظيم لمن يقول لا إله إلا الله فانظروا إلى هذا التعاطى على الشريعة واختيار ما لم يختره رسول الله ﷺ .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي ثنا أبو علي الحسن بن محمد بن الفضل نا سهل ابن علي الحساب نا عبد الله بن علي السراج قال بلغني أن أبا الحسن النورى شهدوا عليه أنه سمع أذان المؤذن فقال طعنه سم الموت وسمع نباح كلب فقال ليك وسعديك فقيل له فى ذلك فقال. ان الرجل المؤذن أغار عليه أن يذكر الله وهو غافل ويأخذ عليه الأجرة ولولاها ما أذن فلذلك قلت طعنه سم الموت والكلب يذكر الله عز وجل بلا رياء فانه قد قال ﴿وان من شيء إلا يسبح بحمده﴾ .

قال المصنف رحمه الله: انظروا اخوانى عصمنا الله وإياكم من الزلل إلى هذا الفقه الدقيق والاستنباط الطريف .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه ثنا أبو يعقوب الخراط نا النورى أنه رأى رجل قابضا على لحية نفسه إلى الخليفة فطلبت وأخذت فلما دخلت عليه قال بلغني أنه نبج كلب فقلت ليك ونادى المؤذن فقلت طعنه قال نعم قال الله عز وجل ﴿وان من شيء إلا يسبح بحمده﴾ فقلت ليك لأنه ذكر الله. فأما المؤذن فانه يذكر الله وهو متلوث بالمعاصى غافل عن الله تعالى قال وقولك للرجل. نح يدك عن لحية الله. قلت نعم. أليس العبد لله ولحيته لله وكل ما فى الدنيا والآخرة له. قلت عدم العلم أوقع هؤلاء فى هذا التخبيط وما الذى أحوجه إلى أن يوهم أن صفة الملك صفة الذات .

أخبرنا ابن حبيب قال ابن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت احمد ابن محمد ابن عبد العزيز قال سمعت الشبلبي يقول: وقد سئل عن المعركة. فقال. ويحك ما عرف الله من قال الله. والله لو عرفوه ما قالوه. قال ابن باكويه وسمعت أبا القاسم أحمد بن يوسف البرادانى يقول سمعت الشبلبي يقول يوماً لرجل يسأله. ما اسمك؟ قال آدم. قال

وبلك. أتدرى ما صنع آدم؟ باع ربه بلقمه. ثم كان يقول سبحان من عذرنى بالسوداء قال ابن باكويه وسمعت بكران بن احمد الجبلى يقول. كان للشبلى جليس فأعلمه أنه يريد التوبة فقال. بع مالك، واقض دينك، وطلق امرأتك. ففعل. فقال: أيتم أولادك بأن تؤيسهم من التعلق بك فقال قد فعلت فجاء بكسر قد جمعها. فقال اطرحها بين يدي الفقراء وكل معهم.

أبانا أبو المظفر عبد المنعم بن عبد الكريم نا أبى. قال: سمعت بعض الفقراء يقول سمعت أبا الحسن الخرقانى يقول لا إله إلا الله من داخل القلب محمد رسول الله من القرط

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق ثنا ابن باكويه قال أخبرنا احمد ابن محمد الحلقى قال. رأى الشبلى فى الحمام غلاماً شاباً بلا مئزر. فقال له يا غلام ألا تغطى عورتك. فقال له: اسكت يا بطل: ان كنت على الحق فلا تشهد إلا الحق، وإن كنت على الباطل فلا تشهد إلا الباطل. لأن الحق مشتغل بالحق، والباطل مشتغل بالباطل.

أبانا أبو بكر محمد بن أبى طاهر نا على بن المحسن التنوخى عن أبيه ثنى أبو القاسم عبد الرحيم بن جعفر السيرا فى الفقيه. قال حضرت بشيراز عند قاضيها أبى سعيد بشر ابن الحسن الداودى - وقد ارتفع اليه صوفى وصوفية - قال وأمر الصوفية هناك مفرط جداً حتى يقال ان عددهم الوف فاستعدت الصوفية على زوجها إلى القاضي فلما حضرا قالت له: أيها القاضي، ان هذا زوجى ويريد أن يطلقنى وليس له ذلك فان رأيت أن تمنعه. قال. فأخذ القاضي أبو سعيد يتعجب - وحنق على مذاهب الصوفية - ثم قال لها. وكيف ليس له ذلك قالت: لأنه تزوج بى ومعناه قائم بى والآن هو يذكران معناه قد انقضى منى وأنا معنای قائم فيه ما أنقضى فيجب عليه أن يصير حتى ينقضى معنای منه كما انقضى معناه منى فقال لى أبو سعيد: كيف ترى هذا الفقه: ثم أصلح بينهما وخرجا من غير طلاق. وقد ذكر أبو حامد الطوسى فى كتاب الأحياء ان بعضهم قال: للربوبية سرلو أظهر بطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم. وللعلماء بالله سر لو أظهروه لبطلت الأحكام.

قلت: فانظروا إخوانى إلى هذا التخليط القبيح والادعاء على الشريعة

أن ظاهرها يخالف باطنها قال أبو حامد: ضاع لبعض الصوفية ولد صغير فقيل له: لو سألت الله أن يرده عليك فقال: اعتراضى عليه فيما يقضى أشد على من ذهب ولدى .

قلت: لقد طال تعجبي من أبي حامد كيف يحكى هذه الأشياء فى معرض الاستحسان والرضى عن قائلها وهو يدري أن الدعاء والسؤال ليس باعتراض وقال أحمد الغزالي: دخل يهودى الى أبى سعيد بن أبى الخير الصوفى . فقال له أريد أن أسلم على يدك فقال: لا ترد فاجتمع الناس وقالوا: يا شيخ تمنعه من الاسلام فقال له: تريد بلائد قال: نعم . قال له برئت من نفسك ومالك قال: نعم قال: هذا الاسلام عندى احمלוه الآن الى الشيخ أبى حامد يعلم لا لا المنافقين . يعنى لا إله إلا الله قلت: وهذا الكلام أظهر عيباً من أن يعاب فانه فى غاية القبح . ومما يقارب هذه الحكاية فى دفع من أراد الاسلام . ما أخبرنا به أبو منصور القزاز نا أبو بكر بن ثابت أخبرنى محمد بن احمد بن يعقوب نا محمد بن نعيم الضبى قال سمعت أبا على الحسين بن محمد بن احمد الماسرخسى يحكى عن جده وغيره من أهل بيته قال كان الحسن والحسين ابنا عيسى بن ماسرخس أخوين يركبان فيتحير الناس من حسنهما وزيهما فاتفقا على أن يسلما فقصدا حفص بن عبد الرحمن ليسلما على يده فقال لهما حفص أنتما من أجل النصرارى وعبدالله بن المبارك خارج فى هذه السنة الحج واذا أسلمتما على يده كان ذلك أعظم عند المسلمين فانه شيخ أهل المشرق والمغرب فانصرفا فمرض الحسين ومات على نصرانيته قبل قدوم ابن المبارك فلما قدم أسلم الحسن قلت: وهذه المحنة إنما جلبها الجهل فليعرف قدر العلم لأنه لو كان عنده حظ من علم لقال أسلما الآن ولا يجوز تأخير ذلك لحظة وأعجب من هذا أبو سعيد الذى قال لليهودى ما قال لأنه يريد الإسلام . وذكر أبو نصر السراج فى كتاب اللمع لمع المتصوفة قال: كان سهل بن عبد الله اذا مرض أحد من أصحاب يقول له: إذا أردت أن تشتكى فقل أوه فهو اسم من أسماء الله تعالى يستريح اليه المؤمن ولا تقل أفرج فانه اسم من أسماء الشيطان . فهذه نبذة من كلام القوم وفقههم بهت على علمهم وسوء فهمهم وكثرة خطئهم . وقد سمعت أبا عبد الله حسين بن على المقرئ يقول سمعت أبا محمد عبد الله

ابن عطاء الهروى يقول سمعت عبد الرحمن ابن محمد بن المظفر يقول سمعت أبا عبد الرحمن بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن الحسين السلامى يقول سمعت على بن محمد المصرى يقول سمعت أيوب ابن سليمان يقول سمعت محمد بن محمد بن ادريس الشافعى يقول سمعت أبى يقول . صحبت الصوفية عشرة سنين ما استفدت منه إلا هذين الحرفين : الوقت سيف ، وأفضل العصمة أن لا تقدر .

ذكر تلبس إبليس فى الشطح والدعاوى

قال المصنف رحمه الله : اعلم أن العلم يورث الخوف واحتقار النفس وطول الصمت وإذا اعتبرت علماء السلف رأيت الخوف غالباً عليهم والدعاوى بعيدة عنهم كما قال أبو بكر : ليتنى كنت شعرة فى صدر مؤمن . وقال عمر عند موته الويل لعمر ان لم يغفر له وقال ابن مسعود : ليتنى اذا مت لا أبعث وقالت عائشة رضى الله عنها : ليتنى كنت نسياً منسياً . وقال سفيان الثورى لحماذ بن سلمة عند الموت ترجو أن يغفر لمثلنى .

قال المصنف رحمه الله : وإنما صدر مثل هذا عن هؤلاء السادة لقوة علمهم بالله وقوة العلم به تورث الخوف والخشية . قال الله عز وجل ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ وقال ﷺ أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية ولما بعد عن العلم أقوام من الصوفية لاحظوا أعمالهم واتفق لبعضهم من اللطف ما يشبه الكرامات فانبسطوا بالدعاوى .

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا أبو الفضل محمد بن على السهلكى قال : سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله الشيرازى يقول ثنا أبو بكر عمر بن يمن ثنا أبو عمر الرهاوى ثنا احمد بن محمد الجزرى قال سمعت أبا موسى الدئلى يقول سمعت أبا يزيد البسطامى يقول : وددت ان قد قامت القيامة حتى أنصب خيمتى على جهنم فسأله رجل ولم ذاك يا أبا يزيد فقال : انى أعلم أن جهنم اذا رأتنى تخمد فأكون رحمة للخلق . أخبرنا أبو بكر بن حبيب العامرى نا أبو سعد بن أبى صادق ثنا ابن باكويه نى ابراهيم بن محمد نى حسن بن علوية نى طيفور بن عيسى نى أبو موسى الشبللى قال : سمعت أبا يزيد يقول : إذا كان يوم القيامة وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فأسأله أن يدخلنى النار فقبل له لم : قال حنى تعلم الخلائق أن بره ولطفه فى النار مع أوليائه .

قال المصنف رحمه الله: هذا الكلام من أقبح الأقوال لأنه يتضمن تحقير ما عظم الله عز وجل أمره من النار فإنه عز وجل بالغ في وصفها فقال: ﴿واتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة﴾ وقال: ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً﴾ إلى غير ذلك من الآيات. وقد أخبرنا عبد الأول نا ابن المظفر نا ابن أعين ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا اسماعيل ثنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ إن ناركم هذه ما يوقد بن آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم. قالوا له الصحابة والله إن كانت لكافية يا رسول الله. قال فأنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها أخرجاه في الصحيحين وفي أفراد مسلم من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها. أخبرنا محمد بن ناصر نا جعفر بن أحمد نا أبو علي التميمي نا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ثنى أبي ثنا بهز بن أسد ثنا جعفر بن سليمان ثنا علي بن زيد عن مطرف عن كعب قال قال عمر ابن الخطاب: يا كعب خوفنا فقال يا أمير المؤمنين اعمل عمل رجل لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبياً لآذرتك عملك مما ترى فأطرق عمر رضى الله عنه ملياً ثم أفاق قال: زدنا يا كعب قلت: يا أمير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها. فأطرق عمر ملياً ثم أفاق فقال: زدنا يا كعب قلت: يا أمير المؤمنين إن جهنم لتزفر يوم القيامة زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مصطفى إلا خر جاثياً على ركبتيه ويقول رب نفسي نفسي لا أسألك اليوم غير نفسي. أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن أحمد نا أحمد ابن أحمد الحداد ثنا أبو نعيم الحافظ ثنا أبي ثنا أحمد بن محمد بن الحسن البغدادي ثنا إبراهيم بن عبد الله الجنيد ثنا عبد الله ابن محمد بن عائشة ثنا سالم الخواص عن فرات ابن السائب عن زاذان قال: سمعت كعب الأحبار يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ونزلت الملائكة وصارت صفوفاً فيقول يا جبرائيل اتنى بجهنم فيأتى بها جبريل فتقاد بسبعين ألف زمام حتى إذا كانت من الخلائق على قدر مائة عام زفرت زفرة طارت لها أفئدة الخلائق ثم زفرت ثابئة فلا يبقى ملك

مقرب ولا نبى مرسل إلا جثى على ركبتيه ثم تزفر الثالثة فتبلغ القلوب الحناجر وتذهل العقول فيفزغ كل امرئ الى عمله حتى أن ابراهيم الخليل يقول بخلتى لا أسألك الا نفسى . ويقول موسى بمناجاتى لا أسألك الا نفسى . وان عيسى ليقول بما أكرمتنى لا أسألك الا نفسى لا أسألك مريم التى ولدتنى . قلت وقد روينا أن النبى ﷺ قال يا جبرائيل مالى أرى ميكائيل لا يضحك فقال: ما ضحك ميكائيل مذ خلقت النار وما جفت لى عين مذ خلقت جهنم مخافة أن أعصى الله فيجعلنى فيها وبكى عبد الله بن رواحة يوماً فقالت: امرأته مالك تبكى قال أنبت انى وارد ولم أنبا أنى صادر .

قال المصنف رحمه الله: فاذا كانت هذه حالة الملائكة والأنبياء والصحابة وهم المطهرون من الأدناس وهذا انزعاجهم لأجل النار فكيف هانت عند هذا المدعى ثم انه يقطع لنفسه بما لا يدرى به من الولاية والنجاة وهل قطع بالنجاة الا لقوم مخصوصين من الصحابة . وقد قال ﷺ «من قال انى فى الجنة فهو فى النار» . وهذا محمد بن واسع يقول عند موته يا أخوتاه أتدرون أين يذهب بى يذهب بى والله الذى لا إله إلا هو الى النار أو يعفو عنى . قلت وهذا ان صح عن هذا المدعى فهذا غاية من تلبس إبليس . وقد كان ابن عقيل يقول: قد حكى عن أبى يزيد انه قال . وما النار والله لئن رأيتها لأطفأنها بطرف مرقعتى أو نحو هذا قال . ومن قال هذا كائن من كان فهو زنديق يجب قتله فان الاهوان للشىء ثمرة الجحود لأن من يؤمن بالجن يقشعر فى الظلمة ومن لا يؤمن لا يتزعج وربما قال يا جن خذونى . ومثل هذا القائل ينبغى أن يقرب الى وجهه شمعة فاذا انزعج قيل له هذه جذوة من نار . أنبأنا محمد بن ناصر نا أبو الفضل السهلكى قال سمعت أبا عبد الله الشيرازى يقول ثنا أبو اسحاق ابراهيم بن محمد قال سمعت الحسن بن علوية يقول: سمعت طيفور الصغير يقول سمعت عمى خادم أبى يزيد يقول . سمعت أبا يزيد يقول سبحانى سبحانى ما أعظم شأنى . ثم قال: حسى من نفسى حسى: قلت هذا إن صح عنه فربما يكون الراوى لم يفهم لأنه يحتمل أن يكون قد ذكر تمجيد الحق نفسه فقال فيه «سبحانى» حكاية عن الله لا عن نفسه . وقد تأوله له الجنيد بشىء إن لم يرجع إلى ما قلته

قليس بشيء فأنبأنا ابن ناصر نا السهلكى نا محمد بن القاسم الفارسى
 سمعت الحسن بن على المذكر سمعت جعفر الخلدى يقول: قيل للجنيذ
 إن أبا يزيد يقول سبحانى سبحانى أنا ربى الأعلى: فقال الجنيذ. إن
 الرجل مستهلك فى شهود الجلال فنطق بما استهلكه، أذهله الحق عن
 رؤيته إياه فلم يشهد إلا الحق فنعته. قلت وهذا من الخرافات. أنبأت
 الحسن عن محمد ابن الفضل الكرمانى ناسهل بن على الخشاب، وأنبأت
 أبو الوقت عبد الأول نا احمد ابن أبى نصر الكوفانى نا الحسن بن محمد
 بن فوزى نا عبد الله ابن على السراج قال سمعت احمد بن سالم البصرى
 بالبصرة يقول فى مجلسه يوماً فرعون لم يقل ما قال أبو يزيد لأن فرعون
 قال ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ والرب يسمى به المخلوق يقال رب الدر. وقال
 أبو يزيد سبحانى سبحانى لا يجوز إلا لله. فقلت قد صح عندك هذا عن
 أبى يزيد فقال قد قال ذلك. فقلت يحتمل أن يكون لهذا الكلام مقدمات
 يحكى بأن الله يقول سبحانى لأننا لو سمعنا رجلاً يقول «لا إله إلا أنا»
 علمنا أنه يقرأ. وقد سألت جماعة من أهل بسطام من بيت أبى يزيد عن
 هذا فقالوا لا تعرف هذا. أنبأنا ابن ناصر نا أبو الفضل السهلكى قال
 سمعت أبا عبد الله الشيرازى يقول سمعت عامر بن احمد قال سمعت
 الكتانى يقول حدثنى أبو موسى الدثيلى قال سمعت أبا يزيد يقول. كنت
 أطوف حول البيت أطلبه فلما وصلت إليه رأيت البيت يطوف حولى. قال
 الشيرازى. وحدثنا إبراهيم بن محمد قال سمعت الحسن بن علويه يقول
 سمعت طيفور الصغير يقول سمعت أبا يزيد يقول حججت أول حجة
 فرأيت البيت: وحججت الثانية فرأيت صاحب البيت ولم أر البيت.
 وحججت الثالثة فلم أر البيت ولا صاحب البيت. قال الشيرازى
 وسمعت محمد بن دادويه يقول سمعت عبد الله بن سهل يقول سمعت
 أبا موسى الدثيلى يقول سمعت أبا يزيد «وسئل عن اللوح المحفوظ». قال
 : أنا اللوح المحفوظ. قال الشيرازى وسمعت المظفر بن عيسى المراغى.
 يقول سمعت سيرين يقول سمعت أبا موسى الدثيلى. يقول قلت لأبى
 يزيد بلغنى أن ثلاثة قلوبهم على قلب جبريل قال أنا أولئك الثلاثة فقلت
 كيف. قال قلبى واحد. وهمى واحد. وروحى واحد. قلت وبلغنى أن
 واحداً قلبه على قلب إسرافيل. قال وأنا ذلك الواحد ومثلى مثل بحر

مصطلم لا أول له ولا آخر: قال السهلکی وقرأ رجل عند أبي يزيد ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ فقال أبو يزيد وحياته إن بطشى أشد من بطشه. وقيل لأبي يزيد بلغنا إنك من السبعة. قال: أناكل السبعة. وقيل له. إن الخلق كلها تحت لواء سيدنا محمد ﷺ فقال. والله إن لوائي أعظم من لواء محمد. لوائي من نور تحته الجن والإنس كلهم مع النبيين، وقال أبو يزيد. سبحاني سبحاني ما أعظم سلطاني ليس مثلي في السماء يوجد ولا مثلي صفة في الأرض تعرف أنا هو وهو أنا وهو هو. أخبرنا المحمدان بن ناصر وابن عبد الباقي قالوا نا حمد ابن احمد نا أبو نعيم الحافظ ثنا احمد ابن أبي عمران ثنا منصور بن عبد الله. قال سمعت أبي يقول قيل لأبي يزيد إنك من الابدال السبعة الذين هم أوتاد الأرض، فقال: أناكل السبعة. أنبأنا ابن ناصر نا أبو الفضل السهلکی قال سمعت أبا الحسين محمد بن القاسم الفارسی قال سمعت أبا نصر بن محمد بن إسماعيل البخاری يقول سمعت أبا الحسين علي بن محمد الجرجانی يقول سمعت الحسن بن علي بن سلام يقول دخل أبو يزيد مدينة فتبعه منها خلق كثير فالتفت اليهم فقال «إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني» فقالوا: جن أبو يزيد فتركوه، قال: الفارسی وسمعت أبا بكر احمد، ابن مجمل النيسابوری قال: سمعت أبا بكر احمد بن إسرائيل قال سمعت خالي علي ابن الحسين يقول سمعت الحسن بن علي بن حياة يقول سمعت عمي وهو أبو عمران موسى بن عيسى بن أخى أبي يزيد قال سمعت أبي يقول قال أبو يزيد: رفع بي مرة حتى قمت بين يديه فقال لى. يا أبا يزيد إن خلقي يحبون أن يروك قلت يا عزيزى وأنا أحب أن يرونى. فقال يا أبا يزيد إني أريد أريكمهم. فقلت يا عزيزى إن كانوا يحبون أن يرونى وأنت تريد ذلك وأنا لا أقدر على مخالفتك. قربنى بوجدانيتك، وألبسنى ربانيتك، وارفعنى إلى أحديتك. حتى إذا رآنى خلقتك. قالوا رأيناك فيكون أنت ذاك ولا أكون أنا هناك ففعل بى ذلك وأقامنى وزينى ورفعنى. ثم قال اخرج إلى خلقي فخطوت من عنده خطوة إلى الخلق خارجاً فلما كان من الخطوة الثانية غشى على فنادى ردوا حبيبي فإنه لا يصبر عنى ساعة. أنبأنا ابن ناصر نا السهلکی. قال سمعت محمد بن إبراهيم الواعظ. يقول سمعت محمد بن محمد الفقيه

يقول سمعت احمد بن محمد الصوفى يقول سمعت ابا موسى يقول
حكى عن ابي يزيد أنه قال أراد موسى عليه الصلاة والسلام أن يرى الله
تعالى . وأنا ما أردت أن أرى الله تعالى هو أراد أن يرانى . أخبرنا أبو بكر
ابن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق الحيرى ثنا أبو عبد الله ابن باكويه ثنا
أبو الطيب بن الفرغانى قال سمعت الجنيد بن محمد يقول . دخل على
أمس رجل من أهل بسطام فذكر أنه سمع ابا يزيد البسطامى يقول : اللهم
ان كان فى سباق علمك أنك تعذب أحداً من خلقك بالنار فعظم خلقى
حتى لا تسع معى غيرى .

قال المصنف رحمه الله : أما ما تقدم من دعاويه فما يخفى قبورها . وأما
هذا القول فخطأ من ثلاثة أوجه . أحدها أنه قال ان كان فى سابق علمك
وقد علمنا قطعاً انه لا بد من تعذيب خلق بالنار وقد سمي الله عز وجل
منهم خلقاً . كفرعون وأبى لهب فكيف يجوز أن يقال بعد القطع واليقين
إن كان والثانى قوله تعظم خلقى فلو قال لا دفع عن المؤمنين ولكنه قال
حتى لا تسع غيرى فاشفق على الكفار أيضاً وهذا تعاط على رحمة الله
عز وجل . والثالث أن يكون جاهلاً بقدر هذه النار أو واثقاً من نفسه
بالصبر وكلا الأمرين معدوم عنده قلت : ثم قال والله لقد تكلمت أمس
مع الخضر فى هذه المسألة وكانت الملائكة يستحسنون قولى . والله عز
وجل يسمع كلامى فلم يعب على ولو عاب على لاخرسنى . قلت لولا
أن هذا الرجل قد نسب إلى التغير لكان ينبغى أن يرد عليه . وأين
الخضرومن أين له أن الملائكة تستحسن قوله . وكم من قول معيب لم
يعاجل صاحبه بالعقوبة وقد بلغت عن ميمون عبده قال بلغت عن سمون
المحب أنه كان يسمى نفسه الكذاب بسبب آياته التى قال فيها .

وليس لى فى شواك حظ فكيفما ما شئت فامتحنى

فابتلى بحبس البول فلم يقر له قرار فكان بعد ذلك يطوف على المكاتب
وييده قارورة يقطر منها بوله ويقول للصبيان ادعوا لعمكم الكذاب .

قال المصنف رحمه الله : إنه ليقشعر جلودى من هذه أتراه على ما
يتقاوى وإنما هذه ثمرة الجهل بالله سبحانه وتعالى ولو عرفه لم يسأله إلا
العافية . وقد قال من عرف الله كل لسانه . أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو
سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه قال : سمعت محمد بن داود الجورجاني

يقول سمعت أبا العباس بن عطاء يقول: كنت أرد هذه الكرامات حتى حدثني الثقة عن أبي الحسين النورى وسأله فقال كذا كان. قال: كنا فى سميرية فى دجلة فقالوا لأبى الحسين أخرج لنا من دجله سمكة فيها ثلاثة أرطال وثلاث أواقى فحرك شفثيه. فاذا سمكة فيها ثلاث أرطال وثلاث أواقى ظهرت من الماء حتى وقعت فى السميريه. فقيل لأبى الحسين: سألناك بالله إلا أخبرتنا بماذا دعوت فقال: قلت وعزتك لئن لم تخرج من الماء حوتاً فيها ثلاث أرطال وثلاث أواقى لأغرقن نفسى فى دجلة.

أخبرنا أبو منصور القزاز نا أبو بكر ابن ثابت قال أخبرنى عبد الصمد ابن محمد الخطيب ثنا الحسن بن الحسين الهمداني قال سمعت جعفرأ الخلدى سمعت الجنيد يقول سمعت النورى يقول: كنت بالرقّة فجاءنى المريدون الذين كانوا بها. وقالوا نخرج ونصطاد السمك. فقالوا لى يا أبا الحسين هات من عبادتك واجتهادك وما أنت عليه من الاجتهاد سمكة يكون فيها ثلاثة أرطال لا تزيد ولا تنقص. فقلت لمولاي إن لم تخرج إلى الساعة سمكة فيها ما قد ذكروا لأرمين بنفسى فى الفرات. فأخرجت سمكة فوزنتها فإذا فيها ثلاثة أرطال لا زيادة ولا نقصان. قال الجنيد: فقلت له يا أبا الحسين لو لم تخرج كنت ترمى بنفسك قال نعم.

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا ابن باكويه نا أبو يعقوب الخراط. قال قال لى أبو الحسين النورى كان فى نفسى من هذه الكرامات شىء وأخذت من الصبيان قصبة وقمت بين زورقين وقلت وعزتك لئن لم تخرج لى سمكة فيها ثلاثة أرطال لا تزيد ولا تنقص لأأكل شيئاً. قال فبلغ ذلك الجنيد فقال: كان حكمه أن تخرج له أفعى تلدغه. أخبرنا ابن حبيب نا بن أبى صادق نا ابن باكويه قال سمعت الحسين بن احمد الفارسى يقول سمعت الرقى يقول سمعت على بن محمد بن أبان قال سمعت أبا سعيد الخزاز يقول: أكبر ذنبى إليه معرفتى إياه.

قال المصنف رحمه الله: هذا ان حمل على معنى انى لما عرفته لم أعمل بمقتضى معرفته فعظم ذنبى كما يعظم جرم من علم وعصى وإلا فهو قبيح. أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبى صادق نا ابن باكويه ثنى احمد الخلفاى قال سمعت الشبلى يقول: أحبك الخلق لنعمائك وأنا أحبك لبلائك.

أخبرنا محمد بن أبي القاسم أنبأنا الحسن بن محمد ابن الفضل الكرماني
 نا سهل بن علي الخشاب. وأخبرنا أبو الوقت نا احمد بن أبي نصر نا
 الحسن بن محمد بن فوري قالنا نا عبد الله ابن علي السراج قال سمعت أبا
 عبد الله احمد بن محمد الهمداني يقول. دخلت على الشبلي فلما قمت
 لأخرج كان يقول لي ولن معي الى أن خرجنا من الدار مروا أنا معكم
 حيث ماكنتم وأنتم في رعايتي وكلاءتي. نا محمد بن ناصر نا أبو عبد الله
 الحميدي نا أبو بكر محمد بن احمد الاردستاني نا أبو عبد الرحمن السلمي
 قال سمعت منصور بن عبد الله يقول. دخل قوم على الشبلي في مرض
 موته الذي مات فيه. فقالوا كيف تجددك يا أبا بكر فأنشأ يقول:

ان سلطان حبه قال لا أقبل الرشا
 فسلوه فديته ما لقتلي تحرشا

قال ابن عقيل وقد حكى عن الشبلي أنه قال أن الله سبحانه وتعالى
 قال: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ . والله لارضى محمد ﷺ
 وفي النار من أمته أحد. ثم قال: إن محمداً يشفع في أمته وأشفع بعده
 في النار حتى لا يبقى فيها أحد قال ابن عقيل والدعوى الأولى على النبي
 ﷺ كاذبة فإن النبي ﷺ يرضى بعذاب الفجار. كيف وقد لعن في
 الخمر عشرة. فدعوى أنه لا يرضى بتعذيب الله عز وجل للفجار دعوى
 باطلة وإقدام على جهل بحكم الشرع . ودعواه بأنه من أهل الشفاعة في
 الكل وأنه يزيد على محمد ﷺ كفر لأن الإنسان متى قطع لنفسه بأنه
 من أهل الجنة كان من أهل النار فكيف وهو يشهد لنفسه بأنه على مقام
 يزيد على مقام النبوة بل يزيد على مقام المحمود وهو الشفاعة العظمى.
 قال ابن عقيل والذي يمكنني في حق أهل البدع لساني وقلبي ولو اتسعت
 قدرتي في السيف لرويت الثرى من دماء خلق.

أخبرتنا شهدة بنت أحمد قالت أخبرنا جعفر بن احمد ثنا أبو طاهر
 محمد ابن علي العلاف سمعت أبا الحسين بن سمعون سمعت أبا عبد
 الله العلقمي صاحب أبا العباس ابن عطاء سمعت أبا العباس بن عطاء
 يقول. قرأت القرآن فما رأيت الله عز وجل ذكر عبداً فأننى عليه حتى
 ابتلاه. فسألت الله تعالى أن يتلينى فما مضت الأيام والليالي حتى خرج
 من داري نيف وعشرون ميتاً مارجع منهم أحد. قال وذهب ماله، وذهب

عقله، وذهب ولده وأهله. فمكث بحكم الغلبة سبع سنين أو نحوها.
وكان أول شيء قاله بعد صحوه من غلبته

حقاً أقول لقد كلفتني شططا حملى هواك وصبرى ان ذا عجب

قلت: قلة علم هذا الرجل أثمر ان سأل البلاء. وفى سؤال البلاء
معنى التقاوى وذاك من أقبح القبائح. و- الشطط- الجور ولايجوز أن
ينسب إلى الله تعالى. وأحسن ما حمل عليه حاله أن يكون قال هذا البيت
فى زمان التغير، أخبرنا محمد بن ناصر أنبأنا احمد بن على بن خلف نا
محمد بن الحسين السلمى سمعت أبا الحسن على بن ابراهيم الحصرى.
يقول، دعونى وبلائى أستم أولاد آدم الذى خلقه الله بيده، ونفخ فيه من
روحه، وأسجد له ملائكته، وأمره بأمره فخالقه. إذا كان أول الدن دردى
كيف يكون آخره. قال وقال الحصرى كنت زماناً إذا قرأت القرآن لا
أستعيز من الشيطان وأقول الشيطان حتى يحضر كلام الحق.

قال المصنف رحمه الله: قلت أما القول الأول بأنه يتسلط على الأنبياء
جرأة قبيحة وسوء أدب. وأما الثانى فمخالف لما أمر الله عز وجل به فإنه
قال «إذا قرأت القرآن فاستعد بالله» أخبرنا أبو بكر بن ابى طاهر نا عباد
ابن ابراهيم النسفى ثنا محمد بن الحسين السلمى قال وجدت فى كتاب
أبى بخطه سمعت أبا العباس أحمد بن محمد الدينورى يقول. قد نقضوا
اركان التصوف وهدموا سبيلها وغيروا معانيها بأسامى أحدثوها سموأ
الطبع زيادة، وسوء الأدب إخلاصا، والخروج عن الحق شطحا، والتلذذ
بالمذموم طيبة وسوء الخلق صولة، والبخل جلادة، واتباع الهوى ابتلاء،
والرجوع الى الدنيا وصولا والسؤال عملا. وبدأ اللسان ملامة وما هذا
طريق القوم. وقال ابن عقيل عبرت الصوفية عن الحرام بعبارات غيروا لها
الأسماء مع حصول المعنى فقالوا فى الاجتماع على الطيبة والغناء
والخنكرة، أوقات. وقالوا فى المردان شب وفى المعشوقة أخت. وفى المحبة
مريدة وفى الرقص والطرب وجد، وفى مناخ اللهود والبطالة رباط.
وهذا التغير للأسماء لايباح.

بيان جملة مروية على الصوفية من الأفعال المنكرة

قلت: قد سبق ذكر أفعال كثيرة لهم كلها منكرة وإنما نذكر ههنا من

امهات الأفعال وعجائبها. أخبرنا محمد بن عبد الباقي بن احمد أنبأنا أبو علي الحسن بن محمد بن الفضل الكرماني نا أبو الحسن سهل بن علي الخشاب نا أبو نصر عبد الله بن علي السراج. قال ذكر عن أبي الكريتي - وكان أستاذ الجنيد - انه أصابته جنابة. وكان عليه مرقعة تخينة. فجاء إلى شاطئ الدجلة والبرد شديد فحرنت نفسه عن الدخول في الماء لشدة البرد فطرح نفسه في الماء مع المرقعة ولم يزل يغوص ثم خرج. وقال : عقدت أن لا أنزعها عن بدني حتى تجف علي قلم تجف عليه شهراً.

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أحمد بن علي بن ثابت ثنا عبد العزيز ابن علي ثنا علي بن عبد الله الهمداني ثنا الخلدی ثنی جنید قال سمعت أبا جعفر ابن الكريتي يقول أصبت ليلة جنابة فاحتجت أن أغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت في نفسي تأخراً وتقصيراً وحدثتني نفسي لو تركت حتى تصبح ويسخن لك الماء . أو تدخل حماماً. والا اعبا علي نفسك. فقلت واعجبا أنا أعامل الله تعالى في طول عمري. يجب له علي حق لا أجد المسارعة اليه. وأجد الوقوف والتباطؤ والتأخر. آليت لا أغتسل الا في نهر. وآليت لا أغتسل الا في نهر. وآليت لا أغتسل الا في مرقعتي هذه. وآليت لا أعصرنها وآليت لا جففنها في شمس أو كما قال. قلت قد سبق في ذكر المرقعات وصف هذه المرقعة لابن الكريتي وأنه وزن أحد كميتها فكان فيه أحد عشر رطلا وإنما ذكر هذا للناس ليبين أني فعلت الحسن الجميل. وحكوه عنه ليبين فضله وذلك جهل محض لأن هذا الرجل عصي الله سبحانه وتعالى بما فعل. وإنما يعجب هذا الفعل العوام الحمقى لا العلماء. ولا يجوز لأحد أن يعاقب نفسه فقد جمع هذا المسكين لنفسه فنونا من التعذيب: إلقاؤها في الماء البارد، وكونه في مرقعة لا يمكنه الحركة فيها كما يريد. ولعله قد يقى من مغابنه ما لم يصل اليه الماء لكثافة هذه المرقعة، وبقائها عليه مبتلة شهراً وذلك يمنعه لذة النوم. وكل هذا الفعل خطأ واثم وربما كان ذلك سبباً لمرضه أو قتله.

أخبرنا المحمّدان بن ناصر وابن عبد الباقي قال أخبرنا حمد بن احمد ابن عبد الله الأصبهاني، قال: كانت أم علي زوجة احمد بن حضرويه قد أحلت زوجها احمد من صداقها علي أن يزورها أبا يزيد البسطامي فحملها اليه فدخلت عليه وقعدت بين يديه مسفرة عن وجهها. فلما قال

لها أحمد: رأيت منك عجباً. أسفرت عن وجهك بين يدي أبي يزيد: قالت لأنى لما نظرت اليه فقدت حظوظ نفسي. وكلما نظرت اليك رجعت إلى حظوظ نفسي. فلما أراد أحمد الخروج من عند أبي يزيد قال له أوصني. قال تعلم الفتوة من زوجتك. أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبي صادق نا بن باكويه سمعت أبا بكر الفارزي «وفار قرية بطرسوس» سمعت أبا بكر السباك سمعت يوسف ابن الحسين يقول: كان بين أحمد بن أبي الحواري وبين أبي سليمان عقد أن لا يخالفه في شيء يؤمره به فجاءه يوماً وهو يتكلم في المجلس فقال ان التنور قد سجرناه فما تأمرنا فما أجابه فأعاد مرة أو مرتين فقال له في الثالثة اذهب واقعد فيه ففعل ذلك. فقال أبو سليمان الحقوه فإن بيني وبينه عقداً أن لا يخالفني في شيء أمره به فقام وقاموا معه فجاءوا إلى التنور فوجدوه قاعداً في وسطه فأخذ بيده وأقامه فما أصابه خدش.

قال المصنف رحمه الله: هذه الحكاية بعبدة الصحة ولو صححت كان دخوله النار معصية. وفي الصحيحين من حديث علي رضي الله عنه قال بعث رسول الله ﷺ سرية واستعمل عليها رجلاً من الأنصار فلما خرجوا وجد عليهم في شيء فقال لهم أليس قد أمركم رسول الله ﷺ أن تطيعوني قالوا بلى قال فاجمعوا حطباً فجمعوا ثم دعا بنار فأضرمها ثم قال عزمت عليكم لتدخلنّها قال فهم القوم ان يدخلوا فقال لهم شاب إنما فررتم إلى رسول الله ﷺ من النار فلا عجلوا حتى تلقوا النبي ﷺ فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوها فرجعوا إلى النبي ﷺ فأنخروه فقال لهم رسول الله ﷺ «لو دخلتموها ماخرجتم منها أبداً إنما الطاعة في المعروف». أخبرنا عبدالرحمن بن محمد القزاز نا أحمد ابن علي بن ثابت نا أبو نعيم الحافظ أخبرني الحسن بن جعفر ابن علي أخبرني عبد الله بن ابراهيم الجزري قال: قال أبو الخير الدثيلي كنت جالساً عند خير النساج فأتته امرأة وقالت له اعطيني المنديل الذي دفعته اليك قال نعم فدفعه إليها قالت كم الأجرة قال درهمان قالت مامعي الساعة شيء وأنا قد ترددت اليك مراراً فلم أراك وأنا آتيك به غداً إن شاء الله تعالى فقال لها خير ان آتيني بهما ولم تجدني فارمي بهما في دجلة فإنني إذا جئت أخذتهما فقالت المرأة كيف تأخذ من دجلة فقال لها خير هذا التفتيش فضول منك

افعلى ماأمرتك . قالت ان شاء الله فمرت المرأة قال أبو الحسين فجئت من الغد وكان خير غائبا واذا المرأة قد جاءت ومعها خرقة فيها درهمان فلم تجده فرمت بالخرقة فى دجلة واذا بسرطان قد تعلق بالخرقة وغاصه وبعد ساعة جاء خير وفتح باب حانوته وجلس على الشط يتوضأ واذا بسرطان قد خرجت من الماء تسعى نحوه والخرقة على ظهرها فلما قربت من الشيخ أخذها . فقلت له رأيت كذا وكذا فقال أحب أن لا تبوح به فى حياتى فأجبتة إلى ذلك .

قال المصنف رحمه الله : صحة مثل هذا تبعد، ولو صح لم يخرج هذا الفعل من مخالفة الشرع لأن الشرع قد أمر بحفظ المال وهذا إضاعة . وفى الصحيح أن النبى ﷺ «نهى عن إضاعة المال» . ولا تلتفت إلى قول من يزعم أن هذا كرامة لأن الله عز وجل لا يكرم مخالفا لشرعه . أخبرنا أبو منصور القزار نا أبو بكر بن ثابت نا أبو نعيم الحافظ سمعت أبا الفرج الوريانى سمعت على بن عبد الرحيم يقول : دخلت على النورى ذات يوم قرأيت رجلية متفخختين فسألته عن أمره . فقال طالبستى نفسى بأكل الثمر فجعلت أدافعها فتأبى علىّ فخرجت فاشتريت . فلما ان أكلت قلت لها قومى فصلى فأبت علىّ فقلت لله على ان قعدت إلى الأرض أربعين يوماً إلا فى التشهد فما قعدت قلت من سمع هذا من الجهال يقول ماأحسن هذه المجاهدة ولايدرى أن هذا الفعل لايجل لأنه حمل على النفس مالا يجوز ومنعها حقها من الراحة وقد حكى أبو حامد الغزالى فى كتاب الأحياء قال كان بعض الشيوخ فى بداية إرادته يكسل عن القيام فالزم نفسه القيام على رأسه طول الليل لتسمح نفسه بالقيام عن طوع قال وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورماه فى البحر إذا خاف من تفرقة على الناس رعونة الجود ورياء البذل : قال وكان بعضهم يستأجر من يشتمه على ملاء من الناس لعود نفسه الحلم قال وكان آخر يركب البحر فى الشتاء عند اضطراب الموج ليصير شجاعاً .

قال المصنف رحمه الله : أعجب من جميع هؤلاء عندى أبو حامد كيف حكى هذه الأشياء ولم ينكرها . وكيف ينكرها وقد أتى بها فى معرض التعليم وقال قبل أن يورد هذه الحكايات : ينبغى للشيخ أن ينظر إلى حالة المبتدئ فان رأى معه مالا فاضلا عن قدر حاجته أخذه وصرفه

فى الخير وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت اليه . وان رأى الكبرياء قد غلب عليه أمره أن يخرج إلى السوق للكفد ويكلفه السؤال والمواظبة على ذلك . وان رأى الغالب عليه البطالة استخدمه فى بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ ومواضع الدخان ، وان رأى شره الطعام غالباً عليه ألزمه الصوم . وان رآه عزياً ولم تنكسر شهوته بالصوم أمره إن يفطر ليلة على الماء دون الخبز وليلة على الخبز دون الماء ويمنعه اللحم رأساً .

قلت : وأنى لأتعجب من أبى جامد كيف يأمر بهذه الأشياء التى تخالف الشريعة وكيف يحل القيام على الرأس طول الليل فينعكس الدم إلى وجهه ويورثه ذلك مرضاً شديداً وكيف يحل رمى المال فى البحر . وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال . وهل يحل سب مسلم بلا سبب . وهل يجوز للمسلم أن يستأجر على ذلك وكيف يجوز ركوب البحر زمان اضطرابه وذلك زمان قد سقط فيه الخطاب بأداء الحج . وكيف يحل السؤال لمن يقدر أن يكتسب . فما أرخص ماباع أبو حامد الغزالي الفقه بالتصوف .

أبناؤنا ابن ناصر نا أبو الفضل السهلكى نا أبو على عبد الله بن ابراهيم النيسابورى ثنا أبو الحسن على بن جهضم ثنا أبو صالح الدامغانى عن الحسن ابن على الدامغانى . قال : كان رجل من أهل بسطام لا ينقطع عن مجلس أبى يزيد لا يفارقه . فقال له ذات يوم . يا أستاذ . أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر وأقوم الليل وقد تركت الشهوات ولست أجد فى قلبى من هذا الذى تذكره شيئاً البتة . فقال له أبو يزيد لو صمت ثلاثمائة سنة وقمت ثلاثمائة سنة وأنت على ما آراك لا تجد من هذا العلم ررة . قال ولم يا أستاذ . قال : لأنك محجوب بنفسك فقال له : أفلهذا دواء حتى ينكشف هذا الحجاب قال : نعم ولكنك لم تقبل قال : بلى أقبل واعمل ماتقول . قال أبو يزيد أذهب الساعة إلى الحجام واحلق رأسك ولحيتك وانزع عنك هذا اللباس وابرز بعباءة وعلق فى عنقك مخللة وأملأها جوراً واجمع حولك صبياناً وقل بأعلا صوتك يا صبيان . من يصفعنى صفقة أعطيه جورة وادخل إلى سوقك الذى تعظم فيه . فقال يا أبا يزيد سبحان الله تقول لى مثل هذا ويحسن أن أفعل هذا . فقال أبو يزيد قولك سبحان الله شرك . قال وكيف قال لأنك عظمت نفسك فسبحتها . فقال يا أبا يزيد هذا ليس أقدر عليه ولا أفعله ولكن دلنى على غيره حتى أفعله . فقال أبو

يزيد ابتدر هذا قبل كل شئ حتى تسقط جاهك وتذل نفسك ثم بعد ذلك أعرفك ما يصلح لك قال: لا أطيق هذا. قال: انك لاتقبل.

قال المصنف رحمه الله: قلت ليس فى شرعنا بحمد الله من هذا شئ بل فيه تحريم ذلك والمنع منه وقد قال نبينا عليه الصلاة والسلام «ليس للمؤمن أن يذل نفسه». ولقد فاتت الجمعة حذيفة فرأى الناس راجعين فاستتر لثلا يرى بعين النقص فى قصة الصلاة. وهل طالب الشرع أحداً بمحو أثر النفس وقد قال ﷺ «من أتى شيئاً من هذه القاذورات فليستر بستر الله». كل هذا للإبقاء على جاه النفس. ولو أمر بهلول الصبيان أن يصفعوه لكان قبيحا فنعود بالله من هذه العقول الناقصة التى تطالب المبتدئ بما لا يرضاه الشرع فينفر.

وقد حكى أبو حامد الغزالي فى كتاب الأحياء عن يحيى بن معاذ انه قال قلت لأبى يزيد هل سألت الله تعالى المعرفة يقال عزت عليه أن يعرفها سواه. فقلت هذا إقرار بالجهل فإن كان يشير إلى معرفة الله تعالى فى الجملة وأنه موجود وموصوف بصفات وهذا لا يسمع أحداً من المسلمين جهله وان تخايل له أن معرفته هى اطلاع على حقيقة ذاته وكنهها فهذا جهل به.

وحكى أبو حامد: أن ابا تراب النخشبى قال لمريد له. لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من رؤية الله سبعين مرة، قلت. وهذا فوق الجنون بدرجات .

وحكى أبو حامد الغزالي عن ابن الكرينى انه قال نزلت فى محلة فعرفت فيها بالصلاح فنشب فى قلبى فدخلت الحمام وعينت على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتى وخرجت فجعلت أمشى قليلا فلحقونى فتزعوا مرقعتى وأخذوا الثياب وصفعونى فصرت بعد ذلك أعرف بلص الحمام فسكنت نفسى. قال أبو حامد. فهكذا كانوا يرضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من النظر إلى الخلق ثم من النظر إلى النفس وأرباب الأحوال ربما عاجلوا أنفسهم بما لا يفتى به الفقيه مهما رأوا صلاح قلوبهم ثم يتداركون ما فرط منهم من صورة التقصير كما فعل هذا فى الحمام. قلت سبحان من أخرج أبا حامد من دائرة الفقه بتصنيفه كتاب

الاحياء فليته لم يحك فيه مثل هذا الذى لا يحل : والعجب منه أنه يحكيه ويستحسنه ويسمى أصحابه أرباب أحوال وأى حالة أقبح وأشد من حال من يخالف الشرع ويرى المصلحة فى النهى عنه وكيف يجوز أن يطلب صلاح القلوب بفعل المعاصى وقد عدم فى الشريعة ما يصلح به قلبه حتى يستعمل ما لا يحل فيها وهذا من جنس ما فعله الامراء الجهلة من قطع من لا يجب قطعه وقتل من لا يجوز قتله ويسمونه سياسة ومضمون ذلك الشريعة ماتفى بالسياسة . وكيف يحل للمسلم أن يعرض نفسه لأن يقال عنه سارق وهل يجوز أن يقصد وهن دينه ومحو ذلك عند شهداء الله فى الأرض ولو أن رجلا وقف مع امرأته فى طريق يكلمها ويلمسها ليقول عنه من لا يعلم هذا فاسق لكان عاصيا بذلك، ثم كيف يجوز التصرف فى مال الغير بغير إذنه . ثم فى نص مذهب احمد والشافعى أن من سرق من الحمام ثياباً عليها حافظ وجب قطع يده ثم من أرباب الأحوال حتى يعملوا بواقعاتهم كلا والله إن لنا شريعة لو رام أبو بكر الصديق أن يخرج عنها إلى العمل برأيه لم يقبل منه . فعجبنى من هذا الفقيه المستلب عن الفقه بالتصوف أكثر من تعجبنى من هذا المستلب الثياب .

أخبرنا أبو بكر بن حبيب نا أبو سعد بن أبى صادق نا بن باكويه قال : سمعت محمد بن احمد النجارى يقول . كان على بن بابويه من الصوفية فاشترى يوما من الأيام قطعة لحم فأحب أن يحمله إلى البيت فاستحيا من أهل السوق فعلق اللحم فى عنقه وحمله إلى بيته .

قلت : واعجبا من قوم طالبوا أنفسهم بمحو أثر الطبع وذلك أمر لا يمكن ولا هو مراد الشرع . وقد ركز فى الطباع إن الإنسان لا يجب أن يرى إلا متجملا فى ثيابه وأنه يستحى من العرى وكشف الرأس والشرع لا ينكر عليه هذا . وما فعله هذا الرجل من الإهانة لنفسه بين الناس أمر قبيح فى الشرع والقفل فهو إسقاط مروءة لارياضة كما لو حمل نعليه على رأسه .

وقد جاء فى الحديث «الأكلى فى السوق دناءة» . فان الله قد أكرم آدمى وجعل لكثير من الناس من يخدمه . فليس من الدين إذلال الرجل نفسه بين الناس . وقد تسمى قوم من الصوفية بالملامتية فاقترحوا الذنوب فقالوا مقصودنا أن نسقط من أعين الناس فنسلم من آفات الجاه والمرائين . وهؤلاء مثلهم كمثلى رجل زنى بامرأة فأحببها . فقيل له : لم تعزل . فقال

بلغنى أن العزل مكروه فقيل له وما بلغك أن الزنا حرام . وهؤلاء الجهلة قد أسقطوا جاههم عند الله سبحانه ونسوا أن المسلمين شهداء الله فى الأرض . أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبى صادق نا بن باكويه قال سمعت أبا احمد الصغير سمعت أبا عبد الله بن خفيف سمعت أبا الحسن المدينى . يقول خرجت مرة من بغداد إلى نهر الناشرية وكان فى إحدى قرى ذلك النهر رجل يميل إلى أصحابنا فينا أنا أمشى على شاطئ النهر رأيت مرقعة مطروحة ونعلا وخريقة فجمعتهما وقلت هذه لفقير . ومشيت قليلا فسمعت همهمة وتخبيطا فى الماء . فنظرت فإذا بأبى الحسن النورى قدلقى نفسه فى الماء والطين وهو يتخبط ويعمل بنفسه كل بلاء ، فلما رأته علمت أن الشياى له فنزلت إليه فنظر إلى ، وقال يا أبا الحسن أما ترى ما يعمل بى . قد أمانى موتات وقال لى مالك منا الا الذكر الذى لسائر الناس . وأخذ يبكى ويقول ترى ما يفعل بى . فما زلت أرفق به حتى غسلته من الطين وألبسته المرقعة وحملته إلى دار ذلك الرجل . فأقمنا عنده إلى العصر ثم خرجنا إلى المسجد فلما كان وقت المغرب رأيت الناس يهربون ويغلقون الأبواب ويصعدون السطوح فسألناهم فقالوا : السباع تدخل القرية بالليل . وكان حوالى القرية أجمة عظيمة وقد قطع منها القصب وبقيت أصوله كالسكاكين . فلما سمع النورى هذا الحديث قام فرمى بنفسه فى الأجمة على أصول القصب المقطوع ويصيح ويقول . اين أنت ياسبع . فما شككنا أن الأسد قد أفرسه أو قد هلك فى أصول القصب . فلما كان قريب الصبح . جاء فطرح نفسه وقد هلكت رجلاه فأخذنا بالمتقاش ما قدرنا عليه فبقى أربعين يوما لا يمشى على رجله . فسألته أى شئ كان ذلك الحال . قال : لما ذكروا السبع وجدت فى نفسى فزعا فقلت لأطرحنك إلى ما تفزعين منه .

قلت : لا يخفى على عاقل تخبيط هذا الرجل قبل أن يسقع فى الماء والطين . وكيف يجوز للانسان أن يلقى نفسه فى ماء وطين وهل هذا إلا فعل المجانين وأين الهيبة والتعظيم من قوله : ترى ما يفعل بى وما وجه هذا الانبساط وينبغى أن تجف الألسن فى أفواهاها هيبة . ثم ما الذى يريده غير الذكر ولقد خرج عن الشريعة بخروجه إلى السبع ومشيه على القصب المقطوع . وهل يجوز فى الشرع أن يلقى الإنسان نفسه إلى سبع .

أترى إراد منها أن يغير ما طبعت عليه من خوف السباع ليس هذا فهو طوقها ولا طلبه الشرع منها. ولقد سمع هذا الرجل بعض أصحابه يقول مثل هذا القول فأجابه بأجود جواب.

أخبرنا محمد بن عبد الله بن حبيب نا على بن أبي صادق نا ابن باكويه نا يعقوب الخواطر نا ابو احمد المغازي قال: رأيت النورى وقد جعل نفسه إلى أسفل ورجليه إلى فوق وهو يقول: من الخلق أو حشنتى، ومن النفس والمال والدنيا افقرتنى. ويقول مامعك إلا علم وذکر قال فقلت له إن رضيت وإلا فانطح برأسك الحائط. أخبرنا محمد بن أبي القاسم أنبأنا الحسن بن محمد بن الفضل الكرماني نا سهل بن على الخشاب نا عبد الله بن على السراج قال سمعت أبا عمرو بن علوان يقول حمل أبو الحسن النورى ثلاثمائة دينار ثمن عقار بيع له: وجلس على قنطرة وجعل يرمى واحداً واحداً منها إلى الماء ويقول. جئتى- تريدى أن تخدعيني منك بمثل هذا. قال السراج. فقال بعض الناس لو نفقها فى سبيل الله كان خيراً له فقلت. إن كانت تلك الدنانير تشغله عن الله طرفة عين كان الواجب أن يرميها فى الماء دفعة واحدة حتى يكون أسرع لخلاصة من فتنها كما قال الله عز وجل: ﴿ فطفق مسحاً بالسوق والأعناق ﴾. قلت: لقد أبان هؤلاء القوم عن جهل بالشرع وعدم عقل. وقد بينا فيما تقدم أن الشرع أمر بحفظ المال وأن لا يسلم إلا الى رشيد، وجعله قواماً للآدمى، والعقل يشهد بأنه إنما خلق للمصالح: فاذا رمى به الانسان فقد أفسد ما هو سبب صلاحه و جهل حكمة الواضع، واعتذار السراج له أقبح من فعله. لأنه ان كان خاف فتنته فينبغى أن يرميه الى فقير ويتخلص، ومن جهل هؤلاء حملهم تفسير القرآن على رأيهم الفاسد لأنه يحتج بمسح السوق والأعناق، ويظن بذلك جواز الفساد والفساد لا يجوز فى شريعة، وإنما مسح بيده عليها وقال أنت فى سبيل الله وقد سبق بيان هذا، وقال أبونصر السراج فى كتاب اللمع قال أبو جعفر الدراج، خرج أستاذى يوماً يتطهر فأخذت كتفه ففتشته فوجدت فيه شيئاً من الفضة مقدار أربعة دراهم وكان ليلاً وبات لم يأكل شيئاً. فلما رجع قلت له، فى كتفك كذا وكذا درهما ونحن جياع، فقال أخذته؟ رده، ثم قال لى بعد ذلك: خذه واشتر به شيئاً، فقلت له، بحق معبودك ما أمر هذه القطع

فقال: لم يرزقني الله من الدنيا شيئاً غيرها فأردت أن أوصي أن تدفن معي فإذا كان يوم القيامة رددتها الى الله وأقول هذا الذي أعطيتني من الدنيا. أخبرنا ابن حبيب نا ابن أبي صادق نا ابن باكويه ثنا عبد الواحد بن بكر قال سمعت أبا بكر الجوال سمعت أبا عبد الله الحصري يقول، مكث أبو جعفر الحداد عشرين سنة يعمل كل يوم بدينار وينفقه على الفقراء ويصوم ويخرج بين العشائين فيتصدق من الأبواب ما يفطر عليه .

قال المصنف رحمه الله: قلت لو علم هذا الرجل أن المسألة لا تجوز لمن يقدر على الاكتساب لم يفعل، ولو قدرنا جوارها، فأين أنفة النفس من ذل الطلب، أخبرنا هبة الله بن محمد نا الحسن بن علي التميمي نا احمد ابن جعفر ثنا عبد الله بن احمد بن جنبل ثنى أبي ثنا اسماعيل ثنا معمر عن عبد الله بن مسلم أخى الزهرى عن حمزة بن عبد الله بن عمر عن أبيه. قال قال رسول الله ﷺ. لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقي الله عزوجل وما على وجهه مزعة لحم، قال احمد وحدثنا حفص بن غياث عن هشام عن أبيه عن الزبير ابن العوام قال: قال رسول الله ﷺ لأن يأخذ الرجل حبلاً فيحتطب ثم يجيء فيضعه في السوق فيبيعه ثم يستغنى به فينفقه على نفسه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه.

قلت: انفرد به البخارى واتفقا على الذى قبله، وفى حديث عبد الله ابن عمرو عن النبى ﷺ انه قال: لا تحمل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى - والمرة - القوة، وأصلها من شدة فتل الحبل يقال أمررت الحبل اذا أحكمت قتله. فمعنى المره فى الحديث شدة أمر الخلق وصحة البدن التى يكون معها احتمال الكل والتعب. قال الشافعى رضى الله عنه. لا تحمل الصدقة لمن يجد قوة يقدر بها على الكسب. أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزار نا أبو بكر ابن ثابت أنبأنا أبو سعد المالىنى قال سمعت أبا بكر محمد بن عبد الواحد الهاشمى سمعت أبا الحسن يونس بن أبى بكر الشبلى يقول قام أبى ليلة فترك فرد رجل على السطح والأخرى على الدار. فسمعته يقول لئن أطرفت لأرمين بك إلى الدار فما زال على تلك الحال حتى أصبح فلما أصبح قال لى: يا بنى ما سمعت الليلة ذاكراً لله عز وجل إلا ديكا يساوى دانقين .

قال المصنف رحمه الله: هذا الرجل قد جمع بين شيئين لا يجوزان.

أحدهما: مخاطرته بنفسه فلو غلبه النوم فوقه كان معيناً على نفسه ولا شك انه لو رمى بنفسه كان قد أتى معصية عظيمة فتعرضه للوقوع معصية، والثانى. انه منع عينه حظها من النوم. وقد قال عليه السلام ان لجسدك عليك حقاً وان لزوجتك عليك حقاً. وان لعينك عليك حقاً وقال: اذا نعس أحدكم فليرقد ومر بحبل قد مدته رينب فاذا فترت أمسكت به فأمر بحبله. وقال ليصل أحدكم نشاطه فاذا كسل أو فتر فليقعد وقد تقدمت هذه الأحاديث فى كتابنا هذا أخبرنا محمد بن ناصر نا أبو عبد الله الحميدى نا أبو بكر الأردستانى ثنا أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت أبا العباس البغدادي يقول: كنا نصحب أبا الحسن بن أبى بكر الشبلى ونحن أحداث، فأضافنا ليلة فقلنا بشرط أن لا تدخل علينا أباك، فقال لا يدخل. قد دخلنا داره فلما أكلنا اذا نحن بالشبلى وبين كل أصبعين من أصابعه شمعة - ثمان شموع - فجاء وقعد وسطنا فاحتشمنا منه، فقال يا سادة عدونى فيما بينكم طشت شموع، ثم قال أين غلامى أبو العباس فتقدم اليه فقال غنى الصوت الذى كنت تغنى :

ولما بلغ الحيرة حا دى جملى حارا
فقلت احطط بها رحلى ولا نحفل بمن سرا

فغنيته فتغير وألقى الشموع من يده وخرج. أخبرنا ابن ناصر ثنا هبة الله ابن عبد الله الواسطى نا أبو بكر احمد بن على الحافظ نا محمد بن احمد بن أبى الفوارس نا الحسين بن احمد بن عبد الرحمن الصفار قال خرج الشبلى يوم عيد وقد حلق اشفار عينيه وحاجبيه وتعصب بعصابة وهو يقول :

للناس فطر وعيد انى فريد وحيد

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد نا احمد بن على بن ثابت نا التنوخى ثنا أبو الحسن على بن محمد بن أبى صابر الدلال قال: وقفت على الشبلى فى قبة الشعراء فى جامع المنصور والناس مجتمعون عليه فوقف عليه فى الحلقة غلام جميل لم يكن ببغداد فى ذلك الوقت أحسن وجها منه يعرف بابن مسلم فقال له: تنح فلم يبرح فقال له الثانية تنح يا شيطان عنا فلم يبرح فقال له فى الثالثة تنح وإلا والله خرقت كل ما عليك وكانت عليه ثياب فى غاية الحسن تساوى جملة كثيرة فانصرف الفتى فقال الشبلى :

طرحوا اللحم للبيزة
 ثم لاموا البيزة إذ
 لو أرادوا صلاحنا
 على ذروتى عدن
 خلعوا منهم الرسن
 ستروا وجهك الحسن

قال ابن عقيل من قال هذا فقد أخطأ طريق الشرع . لأنه يقول ما خلق الله عز وجل هذا الانسان إلا للافتتان به . وليس كذلك وإنما خلقه للاعتبار والامتحان فان الشمس خلقت لتضىء لا لتعبد . وباسناد عن احمد بن محمد النهاوندى يقول مات للشبلى ابن ولد كان اسمه علياً فجزت أمه شعرها عليه ، وكان للشبلى حية كبيرة فأمر بحلقها جميعها ف قيل له : يا أستاذ ما حملك على هذا فقال . جرت هذه شعرها على مفقود ، ألا أحلق أنا لحيتى على موجود . وباسناد عن عبد الله بن علي السراج قال : ربما كان الشبلى يلبس ثياباً مثمرة ثم ينزعها ويضعها فوق النار ، قال : وذكر عنه أنه أخذ قطعة عنبر فوضعها على النار يبخر بها ذنب الحمار وقال بعضهم : دخلت عليه فرأيت بين يديه اللوز والسبكر يحرقه بالنار قال السراج : إنما أحرقه بالنار لأنه كان يشغله عن ذكر الله . قلت : اعتذار السراج عنه أعجب من فعله ، قال السراج وحكى عنه أنه باع عقاراً ففرق ثمنه وكان له عيال فلم يدفع اليهم شيئاً ، وسمع قارئاً يقرأ «احسثوا فيها» فقال ليتنى كنت واحداً منهم ، قلت وهذا الرجل ظن ان الذى يكلمهم هو الله تعالى والله لا يكلمهم ثم لو كلمهم كلام إهانة فأى شيء هذا حتى يطلب ، قال السراج ، وقال الشبلى يوماً فى مجلسه إن الله عبداً لو بزقوا على جهنم لأطفؤوها ، قلت ، وهذا من جنس ما ذكرناه عن أبى يزيد وكلاها من إناء واحد . وباسناد عن أبى على الدقاق يقول : بلغنى أن الشبلى اكتحل بكذا وكذا من الملح ليعتاد السهر ولا يأخذه النوم .

قال المصنف رحمه الله : وهذا فعل قبيح لا حل لمسلم أن يؤذى نفسه وهو سبب للعمى ولا تجوز إدامة السهر لأن فيه إسقاط حق النفس والظاهر أن دوام السهر والتقلل من الطعام أخرجه إلى هذه الأحوال والأفعال . وباسناد عن أبى عبد الله الرازى قال ، كسانى رجل صوفياً فرأيت على رأس الشبلى قلنوسة تليق بذلك الصوف فتمنيته فى نفسى ، فلما قام الشبلى من مجلسه التفت إلى فتبعته ، وكان عادته إذا أراد أن

أتبعه يلتفت إلى فلما دخل داره فقال انزع الصوف فنزعتة فلفه وطرح القلنوسة عليه ودعى بنار فأحرقهما، قلت، وقد حكى أبو حامد الغزالي أن الشبلي أخذ خمسين ديناراً فرماها في دجلة وقال، ما أعزك أحد إلا أذاله الله، وأنا أتعجب من أبي حامد أكثر من تعجبي من الشبلي لأنه ذكر ذلك على وجه المدح لا على وجه الإنكار فأين أثر الفقه . وبإسناد عن حسين بن عبد الله القزويني قالى . حدثنى من كان مجالسا لبنان أنه قال : تعذر على قوتى يوماً ولحقنى ضرورة فرأيت قطعة ذهب مطرحة فى الطريق فأردت أخذها فقلت لقطعة فتركتها، ثم ذكرت الحديث الذى يروى «لو أن الدنيا كانت دماً عبيطاً لكان قوت المسلم منها حلالاً» فأخذتها وتركتها فى فمى ومشيت غير بعيد فإذا أنا بحلقة فيها صبيان وأحدهم يتكلم عليهم، فقال له واحد، متى يجد العبد حقيقة الصدق، فقال إذا رمى القطعة من الشدق فأخرجتها من فمى ورمىها .

قال المصنف رحمه الله : لا يختلف الفقهاء أن رميه إياها لا يجوز، والعجب أنه رماها بقول صبي لا يدرى ما قال ، وقد حكى أبو حامد الغزالي أن شقيقا البلخي جاء إلى أبو القاسم الزاهد وفى طرف كسائه شئٌ مصرور فقال له أى شئ معك قال لوزات دفعها إلى أخ لى وقال أحب أن تفطر عليها فقال يا شقيق وأنت تحدث نفسك أن تبقى إلى الليل لا كلمتك أبداً فأغلق الباب فى وجهى ودخل .

قال المصنف رحمه الله : أنظروا إلى هذا الفقه الدقيق كيف هجر مسلماً على فعل جائز بل مندوب لأن الإنسان مأمور أن يستعد لنفسه بما يفطر عليه واستعداد الشئ قبل مجيئ وقت حزم ولذلك قال الله عز وجل : «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» وقد أدخر رسول الله ﷺ لأزواجه قوت سنة وجاء عمر رضى الله عنه بنصف ماله وأدخر الباقي ولم ينكر عليه فالجهل بالعلم أفسد هؤلاء الزهاد . وبإسناد أحمد بن إسحاق العماني قال رأيت بالهند شيخاً وكان يعرف بالصابر قد أتى عليه مائة سنة قد غمض إحدى عينيه فقلت له يا صابر ما بلغ من صبرك قال إنى هويت النظر إلى رينة الدنيا فلم أحب أن أشتفى منها فغمضت عيني منذ ثمانين سنة فلم أفتحها، وقد حكى لنا عن آخر، انه قير أحد عينيه وقال النظر إلى الدنيا بعينين إسراف قلت كان قصده أن ينظر إلى الدنيا

بفرد عين ونحن نسأل الله سلامة العقول. وقد حكى يوسف بن أيوب الهمداني عن شيخه عبد الله الجوني انه كان يقول هذه الدولة ما أخرجتها من المحراب بل من موضع الخلاء وقال كنت أخدم في الخلاء فبينما أنا يوماً أكنسه وأنظفه قالت لى نفسى أذهبت عمرك فى هذا فقلت انت تأنفين من خدمة عباد الله فوسعت رأس الهثر ورميت نفسى فيها وجعلت أدخل النجاسة فى فمى فجاؤا وأخرجونى وغسلو بى قلت أنظروا إلى هذا المسكين كيف اعتقد جمع الأصحاب خلفه دولة واعتقد أن تلك الدولة انما حصلت بالقاء نفسه فى النجاسة وإدخالها فى فيه وقد نال بذلك فضيلة أثيب عليها بكثرة الأصحاب وهذا الذى فعله معصية توجب العقوبة، وفى الجملة لما فقد هؤلاء العلم كثر تخييطهم. وبإسناد عن محمد بن على الكتاني يقول دخل الحسين بن منصور مكة فى ابتداء أمره فجهدنا حتى أخذنا مرقعته قال السوسى أخذنا منها قملة فورناها فإذا فيها نصف دائق من كثرة رياضته وشدة مجاهدته قلت أنظروا إلى هذا الجاهل بالنظافة التى حث عليها الشرع وأباح حلق الشعر المحظور على المحرم لأجل تأذية من القمل وجبر الحظر بالفدية وأجهل من هذا من أعتقد هذا رياضته .

وبإسناد عن أبى عبد الله بن ملقح يقول كان عندنا فقير صوفى فى الجامع فجاع مرة جوعاً شديداً فقال يا رب إما أن تطعمنى إما أن ترمينى بشرف المسجد فجاء غراب فجلس على الشرف فوقعت عليه من تحت رجله آجرة فجرى دمه وكان يمسح الدم، ويقول، إيش تبالى بقتل العالم، قلت، قتل الله هذا ولا أحياء فى مقابلته هذا الاستنباط، هلا قام إلى الكسب أو إلى الكدية. وبإسناد عن غلام خليل قال: رأيت فقيراً يعدو ويلتفت ويقول ! أشهدكم على الله هو ذا يقتلنى، وسقط ميتاً .

فصل

وفى الصوفية قوم يسمون الملائنية اقتحموا الذنوب وقالوا مقصودنا أن نسقط من أعين الناس فنسلم من الجاه وهؤلاء قد أسقطوا جاههم عند الله لمخالفة الشرع قال وفى القوم طائفة يظهرون من أنفسهم أقبح ما هم فيه ويكتمون أحسن ما هم عليه وفعلهم هذا من أقبح الأشياء ولقد قال رسول الله ﷺ : من أتى شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله . وقال فى حق ما عزه لا سترته بثوبك يا هذا، واجتاز على رسول الله

عَلَيْهِ السَّلَامُ بعض الصحابة وهو يتكلم مع صفية زوجته فقال له أنها صفية وقد علم الناس التجافى عن ما يوجب سوء الظن فان المؤمنين شهداء الله فى الأرض وخرج حذيفة إلى الجمعة ففاته فرأى الناس وهم راجعون فاستتر لثلا يسوء ظن الناس به وقد قدمنا هذه. وقال أبو بكر الصديق لرجل قال له إنى لمست امرأة وقبلتها، فقال تب إلى الله ولا تحدث أحداً بذلك وجاء رجل إلى النبي ﷺ وقال إنى أتيت من أجنبية ما دون الزنا يا رسول الله قال: ألم تصل معنا قال بلى يا رسول الله قال ألم تعلم أن الصلاتين تكفر ما بينهما وقال رجل لبعض الصحابة إنى فعلت كذا وكذا من الذنوب فقال لقد ستر الله عليك لو سترت على نفسك، فهؤلاء قد خالفوا الشريعة وأرادوا قطع ما جبلت عليه النفوس.

فصل

وقد اندس فى الصوفية أهل الإباحة فتشبهوا بهم حفظاً لدمائهم وهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول، كفار فمنهم قوم لا يقرون بالله سبحانه وتعالى ومنهم من يقر به ولكن يجحد النبوة ويرى أن ما جاء به الأنبياء محال وهؤلاء لما أرادوا أمراح أنفسهم فى شهواتها لم يجدوا شيئاً يحققون به دماءهم ويستترون به وينالون فيه أغراض النفوس، كمذهب التصوف فدخلوا فيه ظاهراً وهم فى الباطن كفره وليس لهؤلاء إلا السيف لعنهم الله، والقسم الثانى قوم يقرون بالإسلام إلا أنهم ينقسمون قسمين: القسم الأول يقلدون فى أفعالهم لشيونهم من غير اتباع دليل ولا شبهة فهم يفعلون ما يأمرونهم به وما رأوهم عليه، القسم الثالث قوم عرضت لهم شبهات فعملوا بمقتضاها. والأصل الذى نشأت منه شبهاتهم أنهم لما هموا بالنظر فى مذاهب الناس لبس عليهم إبليس فأراهم أن الشبهة تعارض الحجج وأن التمييز يعسر وأن المقصود أجل من أن ينال بالعلم وإنما الظفر به رزق يساق إلى العبد لا بالطلب فسد عليهم باب النجاة الذى هو طلب العلم فصاروا يبغضون إسم العلم كما يبغض الرافضى اسم أبى بكر وعمرو يقولون العلم حجاب والعلماء محجوبون عن المقصود بالعلم فإن أنكر عليهم عالم قالوا لا تبعهم هذا موافق لنا فى الباطن وإنما يظهر ضد ما نحن فيه للعوام الضعاف العقول فان جد فى خلافهم قالوا: هذا أبله مقيد بقيود الشريعة محجوب عن المقصود ثم

عملوا على شبهات وقعت لهم ولو فطنوا لعلموا أن عملهم بمقتضى شبهاتهم علم، فقد بطل إنكارهم العلم، وأنا أذكر شبهاتهم وأكشفها إن شاء الله تعالى وهى ست شبهات:

الشبهة الأولى: أنهم قالوا إذا كانت الأمور مقدره فى القدم وأن أقواما خصوا بالسعادة، وأقواما بالشقاوة، والسعيد لا يشقى، والشقى لا يسعد والأعمال لا تراد لذاتها بل لاجتلاب السعادة ودفع الشقاوة، وقد سبقنا وجود الأعمال فلا وجه لاتعاب النفس فى عمل ولا نكفها عن ملذوذ لأن المكتوب فى القدر واقع لا محالة.

والجواب عن هذه الشبهة، أن يقال لهم هذا رد لجميع الشرائع وابطال لجميع أحكام الكتب وتبكيث للأنبياء كلهم فيما جاءوا به لأنه إذا قال فى القرآن ان أقيموا الصلاة قال القائل لماذا ان كنت سعيداً فمصيرى الى السعادة وان كنت شقياً فمصيرى الى الشقاوة فما تنفعنى إقامة الصلاة وكذلك اذا قال ولا تقربوا الزنا يقول القائل لماذا أمنع نفسى ملذوذها والسعادة والشقاوة مقضيتان قد فرغ منهما، وكان لفرعون أن يقول لموسى حين قال له (هل لك الى أن تزكى) مثل هذا الكلام ثم يترقى الى الخالق فيقول، ما فائدة ارسالك الرسل وسيجزى ما قدرته. وما يفضى الى رد الكتب وتجهيل الرسل محال باطل، ولهذا كان رد الرسول ﷺ على أصحابه حين قالوا ألا نتكل، فقال (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) واعلم ان للأدمى كسباً هو اختياره فعليه يقع الثواب والعقاب، فإذا خالف تبين لنا ان الله عز وجل قضى فى السابق بأن يخالفه وإنما يعاقبه على خلافه لا على قضائه. ولهذا يقتل القاتل ولا يعتذر له بالقدر، وإنما ردهم الرسول عن ملاحظة القدر الى العمل لأن الأمر والنهى حال ظاهر والمقدر من ذلك أمر باطن وليس لنا أن نترك ما عرفناه من تكليف ما لانعلمه من المقضى وقول «فكل ميسر لما خلق له» إشارة إلى أسباب القدر، فانه من قضى له بالعلم يسر له طلبه وحبه وفهمه، ومن حكم له بالجهل نزع حب العلم من قبله، وكذلك من قضى له بولد يسر له النكاح، ومن لم يقض له بولد لم يسر له.

الشبهة الثانية: أنهم قالوا إن الله عز وجل مستغن عن أعمالنا غير متأثر بها معصية كانت أو طاعة فلا ينبغي أن نتعب أنفسنا فى غير فائدة.

وجواب هذه الشبهة أن نجيب أولاً - بالجواب الأول، ونقول هذا رد

على الشرع فيما أمر به فكأننا قلنا للرسول وللمرسل لا فائدة فيما أمرتنا به ثم نتكلم عن الشبهة فنقول من يتوهم أن الله عز وجل وعلا ينتفع بطاعة أو يتضرر بمعصية أو ينال بذلك غرضاً فما عرف الله جلا جلاله لأنه مقدس عن الاعراض والاعراض ومن انتفاع أو ضرر وإنما نفع الأعمال تعود على أنفسنا كما قال عز وجل ﴿ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه﴾ وإنما يأمر الطبيب المريض بالحمية لمصلحة المريض لا لمصلحة الطبيب وكما أن للبدن مصالِح من الأغذية ومضار فلأنفس مصالِح من العلم والجهل والاعتقاد والعمل فالشرع كالطبيب فهو أعرف بما يأمر به من المصالح، هذا مذهب من علل وأكثر العلماء قالوا أفعاله لا تعلق، وجواب آخر، وهو انه إذا كان غنياً عن أعمالنا كان غنياً عن معرفتنا له وقد أوجب علينا معرفته، فكذلك أوجب طاعته، فينبغي أن ننظر إلى أمره لا إلى الغرض بأمره .

الشبهة الثالثة: قالوا قد ثبت سعه رحمه الله سبحانه وتعالى وهي لا تعجز عنا فلا وجه لحرمان نفوسنا مرادها .

فالجواب كالجواب الأول، لأن هذا القول يتضمن إطراح ما جاء به الرسل من الوعيد وتهوين ما شددت في التحذير منه في ذلك وبالغت في ذكر عقابه ومما يكشف التلييس في هذا ان الله عز وجل كما وصف نفسه بالرحمة وصفها بشديد العقاب ونحن نرى الأولياء والأنبياء يبتلون بالأمراض والجوع ويأخذون بالزلل وكيف وقد خافه من قطع له بالنجاة، فالخليل يقول يوم القيامة نفسى نفسى، والكليم يقول نفسى نفسى، وهذا عمر رضى الله عنه يقول السويل لعمران لم يغفر له واعلم أن من رجا الرحمة تعرض لأسبابها فمن أسبابها التوبة من الزلل كما أن من رجا أن يحصد زرع، وقد قال الله عز وجل: ﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله﴾ يعنى أن الرجاء بهؤلاء يليق وأما المصرود على الذنوب وهم يرجون الرحمة فرجاؤهم بعيد، وقد قال عليه الصلاة والسلام «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى». وقد قال معروف الكرخى: رجاؤك لرحمة من لا تطيعه خذلان وحمق. واعلم أنه ليس فى الأفعال التى تصدر من الحق سبحانه وتعالى ما يوجب أن يؤمن عقابه إنما

فى أفعاله ما يمنع اليأس من رحمته وكما لا يحسن اليأس لما يظهر من لطفه فى خلقه لا يحسن الطمع لما يبدو من أخذانه وانتقامه فان من قطع أشرف عضو بربع دينار لا يؤمن أن يكون عقابه غداً هكذا .

الشبهة الرابعة: ان قوما منهم وقع لهم ان المراد رياضة النفوس لتخلص من أكارها المرديّة فلما راضوها مدة ورأوا تعذر الصفاء قالوا مالنا نتعب أنفسنا فى أمر لا يحصل لبشر فتركوا العمل . وكشف هذا التلبس انهم ظنوا ان المراد قمع ما فى البواطن من الصفات البشرية مثل قمع الشهوة والغضب وغير ذلك، وليس هذا مراد الشرع ولا يتصور إزالة ما فى الطبع بالرياضة وإنما خلقت الشهوات لفائدة إذ لولا شهوة الطعام هلك الانسان ولولا شهوة النكاح انقطع النسل . ولولا الغضب لم يدفع الانسان عن نفسه ما يؤذيه وكذلك حب المال مركور فى الطباع لأنه يوصل الى الشهوات، وإنما المراد من الرياضة كف النفس عما يؤذى من جميع ذلك وردّها إلى الاعتدال فيه، وقد مدح الله عز وجل من نهى النفس عن الهوى وإنما تنتهى عما تطلبه ولو كان طلبه قد زال عن طبعها ما احتاج الانسان إلى نهىها، وقد قال الله عز وجل: ﴿والكاظمين الغيظ﴾ وما قال والفاقدين الغيظ، والكَظْم رد الغيظ يقال كظم البعير على جرتة اذا ردها فى حلقه فمدح من رد النفس عن العمل بمقتضى هيجان الغيظ فمن ادعى أن الرياضة تغير الطماع ادعى المحال وإنما المقصود بالرياضة كسر شهوة النفس والغضب لا إزالة أصلها والمرتاح كالطبيب العاقل عند حضور الطعام يتناول ما يصلحه ويكف عما يؤذيه وعادم الرياضة كالصبي الجاهل يأكل ما يشتهى ولا يبالي بما جنى .

الشبهة الخامسة: ان قوما منهم داموا على الرياضة مدة فرأوا أنهم قد تجوهروا فقالوا لا نبالي الآن ما عملنا وإنما الأوامر والنواهي رسوم للعوام ولو تجوهروا لسقطت عنهم قالوا وحاصل النبوة ترجع الى الحكمة والمصلحة والمراد منها ضبط العوام ولسنا من العوام فندخل فى حرج التكليف لأننا قد تجوهرنا وعرفنا الحكمة وهؤلاء قد رأوا ان من أثر جوهرهم ارتفاع الحمية عنهم حتى انهم قالوا أن رتبة الكمال لا تحصل إلا لمن رأى أهله مع أجنبي فلم يقشعر جلده فان أقشعر جلده فهو ملتفت الى حظ نفسه ولم يكمل بعد إذ لو كمل لما انت نفسه فسموا الغيرة نفساً

وسموا ذهاب الحمية الذى هو وصف المخانيث كمال الإيمان . وقد ذكر ابن جرير فى تاريخه إلى الريوندية كانوا يستجلون الحرمات فيدعو الرجل منهم الجماعة الى بيته فيطعمهم ويسقيهم ويحملهم على امرأته .

وكشف هذه الشبهة انه مادامت الأشباح قائمة فلا سبيل الى ترك الرسوم الظاهرة من التعبد فان هذه الرسوم وضعت لمصالح الناس ، وقد يغلب صفاء القلب على كدر الطبع إلا أن الكدر يرسب مع الدوام على الخير ويركد فأقل شىء يحركه كالمدرة تقع فى الماء الذى تحته حماة وما مثل هذا الطبع إلا كالماء يجرى بسفينة النفس والعقل مداد ولو أن المداد مد عشرين فرسخاً ثم أهمل عادت السفينة تنحدر ومن ادعى تغير طبعه كذب ومن قال انى لا أنظر إلى المستحسنات بشهوة لم يصدق ، كيف وهؤلاء لو فاتتهم لقمة أو شتمهم شاتم تغيروا فأين تأثير العقل والهوى يقودهم ، وقد رأينا أقواماً منهم يصفحون النساء وقد كان رسول الله ﷺ وهو المعصوم لا يصفح المرأة وبلغنا عن جماعة منهم أنهم يؤاخون النساء ويخلون بهن ثم يدعون السلامة وقد رأوا أنهم يسلمون من الفاحشة وهيئات فأين السلامة من إثم الخلوة المحرمة والنظر الممنوع منه وأين الخلاص من جولان الفكر الرديء وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ولو خلا عظمان نخران لهم أحدهما بالآخر ، يشير إلى الشيخ والعجوز . وباسناد عن ابن شاهين قال ومن الصوفية قوماً أباحوا الفروج بادعاء الاخوة فيقول أحدهم للمرأة تؤاخيني على ترك الاعتراض فيما بيننا قلت وقد روى لنا أبو عبد الله محمد بن على الترمذى الحكيم فى كتاب رياضة النفوس قال روى لنا أن سهل بن على المروزى كان يقول لامرأة أخيه وهى معه فى الدار استترى منى زماناً ثم قال لها كونى كيف شئت قال الترمذى ، وكان ذلك منه حين وجد شهوته قلت ، أما موت الشهوة هذا لا يتصور مع حياة الادمى وإنما يضعف والانسان قد يضعف عن الجماع ولكنه يشتهى اللمس والنظر ، ثم يقدر أن جميع ذلك ارتفع عنه أليس نهى الشرع عن النظر والنظر باق وهو عام وقد أخبرنا ابن ناصر باسناد عن أبى عبد الرحمن السلمى قال قيل لأبى نصر النصر اباذى أن بعض الناس يجالس النسوان ويقول أنا معصوم فى رؤيتهن فقال ما دامت الأشباح قائمة فان الأمر والنهى باق والتحليل والتحرير مخاطب به ولن يجترىء

على الشبهات إلا من يتعرض للمحرمات وقد قال أبو على الروزباري وسئل عمن يقول وصلت إلى درجة لا تؤثر في اختلاف الأحوال فقال قد وصل ولكن إلى سقر. وبإسناد عن الجريري يقول سمعت أبا القاسم الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة فقال الرجل أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله عز وجل فقال الجنيد أن هذا قول قوم تكلموا باسقاط الأعمال وهذه عندي عظيمة والذي يسرق ويزني أحسن حالا من الذي يقول هذا، وأن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله واليه رجعوا فيها، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بي دونها لأنه أوكد في معرفتي به وأقوى في حالي. وبإسناد عن أبي محمد المرتعش يقول سمعت أبا الحسين النوري يقول من رأته يدعى مع الله عز وجل حالة تخرجه عن حد علم شرعي فلا تقربنه ومن رأته يدعى حالة باطنه لا يدل عليها ويشهد لها حفظ ظاهر فاتهمه على دينه.

الشبهة السادسة: أن أقواماً بالغوا في الرياضة فرأوا ما يشبه نوع كرامات أو منامات صالحة أو فتح عليهم كلمات لطيفة أثمرها الفكر والخلوة فاعتقدوا أنهم قد وصلوا إلى المقصود وقد وصلنا فما يضرنا شيء ومن وصل إلى الكعبة انقطع عن السير فتركوا الأعمال إلا أنهم يزينون ظواهرهم بالمرقعة والسجادة والرقص والوجد ويتكلمون بعبارات الصوفية في المعرفة والوجد والشوق وجوابهم هو جواب الذين قبلهم.

قال ابن عقيل اعلم أن الناس شردوا على الله عز وجل وبعثوا عن وضع الشرع إلى أوضاعهم المخترعة. فمنهم من عبد سواه تعظيماً له عن العبادة وجعلوا تلك وسائل على زعمهم ومنهم من وحد إلا أنه أسقط العبادات وقال - هذه أشياء نصبت للعوام لعدم المعارف وهذا نوع شرك لأن الله عز وجل لما عرف أن معرفته ذات قعر بعيد وحو عال وبعيد أن يتقى من لم يعرف خوف النار لأن الخلق قد عرفوا قدر لدعها وقال لأهل المعرفة ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ وعلم أن المتعبدات أكثرها تقتضى الإنس بالأمثال ووضع الجهات والأمكنة والأبنية والحجارة للإنس والاستقبال فإبان عن حقائق الإيمان به فقال. ﴿وليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله﴾ وقال ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها﴾ فعلم أن المعول على المقاصد ولا يكفي مجرد المعارف من غير امتثال كما تعول عليه الملحدة الباطنية وشطاح الصوفية .

وبإسناد عن أبى القاسم بن على بن المحسن التنوخى عن أبيه . قال : أخبرنى جماعة من أهل العلم أن بشيراز رجل يعرف بابن خفيف البغدادي شيخ الصوفية هناك يجتمعون إليه ويتكلم على الخطرات والوساوس ويحضر حلقاته ألوف من الناس وأنه فاره فهم حاذق . فاستغوى الضعفاء من الناس إلى هذا المذهب قال : فمات رجل منهم من أصحابه وخلف زوجة صوفية فاجتمع النساء الصوفيات وهن خلق كثير ولم يختلط بقاتهن غير هن : فلما فرغوا من دفنه دخل ابن خفيف وخواص أصحابه وهم عدد كثير إلى الدار وأخذ يعزى المرأة بكلام الصوفية إلى أن قالت . قد تعزيت . فقال لها ههنا غير . فقالت لا غير قال فما معنى إلزام النفوس آفات الغموم ، وتعذيبها بعذاب الهموم ، ولأى معنى نترك الامتزاج لتلتقى الأنوار ، وتصفو الأرواح ويقع الاخلافات وتنز البركات . قال فقلن النساء إذا شئت . قال فاختلفت جماعة الرجال بجماعة النساء طول ليلتهم فلما كان سحر خرجوا . قال المحسن . قوله ههنا غير أى ههنا غير موافق المذهب . فقالت لا غير أى ليس مخالف وقوله نترك الامتزاج كناية عن المازجة فى الوطاء وقوله لتلتقى الأنوار عندهم أن فى كل جسم نوراً الهياً . وقوله الاخلافات أى يكون لكن خلف ممن مات أو غاب من أزواجكن . قال المحسن وهذا عندى عظيم ولولا أن جماعة يخبرونى يبعدون عن الكذب ما حكيت له لعظمه عندى واستبعاد مثله أن يجرى فى دار الإسلام ، قال : وبلغنى أن هذا ومثله شاع حتى بلغ عضد الدولة فقبض على جماعة منهم وضربهم بالسياط وشرد جموعهم فكفوا .

فصل

ولما قل علم الصوفية بالشرع فصدر منهم من الأفعال والأقوال ما لا يحل مثل ما قد ذكرنا ثم تشبه بهم من ليس منهم وتسمى باسمهم وصدر عنهم مثل ما قد حكينا وكان الصالح منهم نادراً ذمهم خلق من العلماء وعابوهم حتى عابهم مشائخهم

وبإسناد عن عبد الملك بن زياد النصيبى . قال : كنا عند مالك فذكرت له صوفيين فى بلادنا . فقلت له : يلبسون فواخر ثياب اليمن ويفعلون كذا قال ويحك ومسلمين هم . قال فضحك حتى استلقى قال فقال لى بعض جلسائه :

يا هذا ما رأينا أعظم فتنة على هذا الشيخ منك ما رأيناه ضاحكا قط .

وياسناد عن يونس بن عبد الأعلى قال سمعت الشافعي يقول: لو أن رجلا تصوف أول النهار لا يأتي الظهر حتى يصير أحرق. وعنه أيضاً أنه قال: مالزم أحد الصوفية أربعين يوماً فعاد عقله إليه أبداً وأنشد الشافعي:
ودعوا الذين إذا أتوك تنسكوا وإذا خلوا كانوا ذئاب حفاف

وياسناد عن حاتم قال حدثنا أحمد بن أبي الخوارى. قال: قال أبو سليمان ما رأيت صوفياً فيه خير إلا واحداً عبد الله بن مرروق. قال وأنا أرق لهم.

وياسناد عن يونس بن عبد الأعلى يقول: ما رأيت صوفياً عاقلاً إلا إدريس الخولاني. قال السلمى. هو مصرى من قدماء مشايخهم قبل ذى النون .

وياسناد عن يونس بن عبد الأعلى: يقول صحبت الصوفية ثلاثين سنة ما رأيت فيهم عاقلاً الا مسلم الخواص. وياسناد عن أحمد بن أبي الخوارى يقول حدثنا وكيع قال سمعت سفیان يقول سمعت عاصماً يقول: مازلنا نعرف الصوفية بالحماق إلا أنهم يستترون بالحديث. وياسناد عن سفیان عن عاصم يقول: قال لى وكيع لم تركت حديث هشام. قلت صحبت قوماً من الصوفية وكنت بهم معجباً. فقالوا: إن لم تمح حديث هشام قاطعناك فأطعتهم: قال إن فيهم حمقاً. وياسناد عن يحيى بن يحيى قال الخوارج أحب إلى من الصوفية. وياسناد عن يحيى بن معاذ يقول اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس العلماء الغافلين، والفقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين. وقد ذكرنا فى أول ردنا على الصوفية من هذا الكتاب. إن الفقهاء بمصر أنكروا على ذى النون ما كان يتكلم به ويبسطام على أبى يزيد وأخرجوه، وأخرجوا أبى سليمان الدارانى، وهرب من أيديهم أحمد بن أبى الخوارى وسهل التستري. وذلك لأن السلف كانوا ينفرون من أدنى بدعة ويهجرون عليها تمسكا بالسنة ولقد حدثنى أبو الفتح بن السامرى. قال: جلس الفقهاء فى بعض الأربطة للعزاء بفقيه مات فأقبل الشيخ أبو الخطاب الكلوذانى الفقيه متوكئاً على يدى حتى وقف بباب الرباط وقال: يعز على لورأتى بعض أصحابنا ومشايخنا القدماء وأنا أدخل هذا الرباط. قلت: على هذا كان أشياخنا.

فاما فى زماننا هذا فقد اصطلح الذئب والغنم . قال ابن عقيل : نقلته من خطه وأنا اذم الصوفية لوجوه يوجب الشرع ذم فعلها، منها أنهم اتخذوا مناخ البطالة وهى الأربطة فانقطعوا إليها عن الجماعات فى المساجد فلا هى مساجد ولا بيوت ولا خانات وصمدوا فيها للبطالة عن أعمال المعاش وبدنوا أنفسهم بدن البهائم للأكل والشرب والرقص والغناء، وعولوا على الترقيع المعتمد به التحسين تلميعاً والمشاوذ بألوان مخصوصة أوقع فى نفوس العوام والنسوة. من تلميع السقلاطون بألوان الحرير، واستمالوا النسوة والمردان بتصنع الصور واللباس فما دخلوا بيتاً فيه نسوة فخرجوا إلا عن فساد قلوب النسوة على أزواجهن ثم يقبلون الطعام والنفقات من الظلمة والفجار وغاصبى الأموال كالعداد والأجناد وأرباب المكوس، ويستصحبون المردان فى السماعات يجلبونهم فى الجموع مع ضوء الشموع، ويخالطون النسوة الأجانب ينصبون لذلك حجة إلباسهن الخرقة، ويستحلون بل يوجبون اقتسام ثياب من طرب فسقط ثوبه، ويسمون الطرب وجداً، والدعوة وقتاً، واقتسام ثياب الناس حكماً، ولا يخرجون عن بيت دعوا إليه إلا عن إلزام دعوة أخرى يقولون أنها وجبت واعتقاد ذلك كفر وفعله فسوق. ويعتقدون أن الغناء بالقضبان قرينة وقد سمعنا عنهم أن الدعاء عند حدو الحادى وعند حضور المخذة مجاب اعتقاداً منهم أنه قرينة وهذا كفر أيضاً لأن من اعتقد المكروه والحرام قرينة كان بهذا الاعتقاد كافراً والناس بين تحريمه وكرهيته ويسلمون أنفسهم إلى شيوخهم فان عولوا إلى مرتبة شيخه قيل الشيخ لا يعترض عليه. فحد من حل رسن ذلك الشيخ وانحطاطه فى سلك الأقوال المتضمنة للكفر والضلال المسمى شطحاً وفى الأفعال المعلومة كونها فى الشريعة فسقاً. فان قبل أمرداً قيل رحمة، وإن خلا بأجنبية قيل بنته وقد لبست الخرقة، وإن قسم ثوباً على غير أربابه من غير رضا مالكة قيل حكم الخرقة. وليس لنا شيخ نسلم إليه حاله إذ ليس لنا شيخ غير داخل فى التكليف وأن المجانين والصبيان يضرب على أيديهم وكذلك البهائم. والضرب بدل من الخطاب، ولو كان لنا شيخ يسلم إليه حاله لكان ذلك الشيخ أبا بكر الصديق رضى الله عنه. وقد قال إن اعوججت قومونى ولم يقل فسلموا إلى. ثم أنظر إلى الرسول صلوات الله عليه كيف اعترضوا عليه فهذا عمر يقول: ما بالنا نقصر وقد أمنا^(١) وآخر يقول: تنهانا عن الوصال وتواصل؟ وآخر

يقول: أمرتنا بالفسخ ولم تفسخ! ثم إن الله تعالى تقول له الملائكة: ﴿أجعل فيها﴾. ويقول موسى: ﴿أتهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾، وإنما هذه الكلمة جعلها الصوفية ترفيها لقلوب المتقدمين، وسلطنة سلكوها على الأتباع والمريدين كما قال تعالى ﴿فاستخف قومه فأطاعوه﴾ ولعل هذه الكلمة من القائلين منهم بأن العبد إذا عرف لم يضره ما فعل. وهذه نهاية الزندقة لأن الفقهاء أجمعوا على أنه لا حالة ينتهي إليها العارف إلا ويضيق عليه التكليف كأحوال الأنبياء يضايقون في الصغائر. فالله الله في الإصغاء إلى هؤلاء الفرغ الخالين من الإثبات. وإنما هم زنادقة جمعوا بين مدارع العمال مرقعات وصوف، وبين أعمال الخلاء الملحدة أكل وشرب ورقص وسماع وإهمال لأحكام الشرع. ولم تتجاسر الزنادقة أن ترفض الشريعة حتى جاءت المتصوفة فجاءوا بوضع أهل الخلاعة. فأول ما وضعوا أسماء وقالوا حقيقة وشريعة. وهذا قبيح لأن الشريعة ما وضعه الحق لمصالح الخلق. فما الحقيقة بعدها سوى ما وقع في النفوس من إلقاء الشياطين. وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فمغرور مخدوع. وإن سمعوا أحداً يروى حديثاً قالوا مساكين أخذوا علمهم مينا عن ميت. وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت فمن قال حدثنى أبى عن جدى قلت حدثنى قلبى عن ربي فهلوكوا وأهلكوا بهذه الخرافات لقلوب الأغمار وأنفقت عليهم لأجلها الأموال. لأن الفقهاء كالأطباء والنفقة فى ثمن الدواء صعبة والنفقة على هؤلاء كالنفقة على المغنيات. وبغضهم الفقهاء أكبر الزندقة لأن الفقهاء يحظرونهم بفتاويهم عن ضلالهم وفسقهم. والحق يثقل كما تثقل الزكاة. وما أخف البذل على المغنيات. وإعطاء الشعراء على المدائح. وكذلك بغضهم لأصحاب الحديث وقد أبدلوا إزالة العقل بالخمير «بشئ سموه الحشيش والمعجون والغناء المحرم» سموه الماع والوجد والتعرض بالوجد المزيل للعقل حرام كفى الله الشريعة شر هذه الطائفة الجامعة بين دهمثة فى اللبس وطيبة فى العيش وخداع بالفاظ معسولة ليس تحتها سوى إهمال التكليف وهجران الشرع ولذلك خفوا على القلوب ولا دلالة على أنهم أرباب باطل أوضح من محبة طباع الدنيا لهم كمحبتهم أرباب اللهو والمغنيات.

قال ابن عقيل فان قال قائل هم أهل نظافة ومحاريب وحسن سمت

وأخلاق قال فقلت لهم لو لم يضعوا طريقة يجتذون بها قلوب أمثالكم لم يدم لهم عيش والذي وصفتهم به رهبانية النصرانية ولو رأيت نظافة أهل التطفيل على الموائد ومخانيث بغداد ودمائة المغنيات لعلمت أن طريقهم طريقة الفكاهة والخداع وهل يخدع الناس إلا بطريقة أو لسان فاذا لم يكن للقوم قدم في العلم ولا طريقة فبم ذا يجتذبون به قلوب أرباب الأموال . واعلم أن حمل التكليف صعب ولا أسهل على أهل الخلاعة من مفارقة الجماعة ولا أصعب عليهم من حجر ومنع صدر عن أوامر الشرع ونواهيه وما على الشريعة أضر من المتكلمين والمتصوفين فهؤلاء يفسدون عقائد الناس بتوهيمات شبهاث العقول وهؤلاء يفسدون الأعمال ويهدمون قوانين الأديان يحبون البطالات وسماع الأصوات وما كان السلف كذلك بل كانوا في باب العقائد عبيد تسليم وفي باب الآخر أرباب جد . قال : ونصيحتي إلى إخواني أن لا يقرع أفكار قلوبهم كلام المتكلمين ولا تصغى مسامعهم إلى خرافات المتصوفين بل الشغل بالمعاش أولى من بطالة الصوفية والوقوف على الظواهر أحسن من توغل المتحلة وقد خبرت طريقة الفريقين فغاية هؤلاء الشك وغاية هؤلاء الشطح .

قال ابن عقيل : والمتكلمون عندي خير من الصوفية لأن المتكلمين قد يزيلون الشك والصوفية يوهمون التشبيه . فأكثر كلامهم يشير إلى إسقاط السفارة والنبوات . فاذا قالوا عن أصحاب الحديث قالوا : أخذوا علمهم ميتاً عن ميت . فقد طعنوا في النبوات وعولوا على الواقع . ومتى أزرى على طريق سقط الأخذ به . ومن قال حدثني قلبى عن ربي فقد صرح انه غنى عن الرسول ، ومن صرح بذلك فقد كفر . فهذه كلمة مدسوسة في الشريعة تحتها هذه الزندقة ومن رأينا يزرى على النقل علمنا انه قد عطل أمر الشرع . وما يؤمن هذا القائل : حدثني قلبى عن ربي أن يكون ذلك من إلقاء الشياطين فقد قال الله عز وجل : ﴿وان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم﴾ . وهذا هو الظاهر لأنه ترك الدليل المعصوم وعول على ما يلقي في قلبه الذى لم تثبت حراسته من الوسوس وهؤلاء يسمون ما يقربهم مخاطراً . قال والخوارج على الشريعة كثير إلا أن الله عز وجل يؤيدها بالنقلة الحفاظ الداين عن الشريعة حفظاً لأصلها ، وبالفقهاء لمعانيها : وهم سلاطين العلماء لا يتركون لكذاب رأساً ترتفع .

قال ابن عقيل : والناس يقولون إذا أحب الله خراب بيت تاجر عاشر الصوفية قال وأنا أقول وخراب دينه لأن الصوفية قد أجازوا لبس النساء الخرقه من الرجال الأجانب فاذا حضروا السماع والطرب فرما جرى فى خلال ذلك مغازلات واستخلاء بعض الاشخاص ببعض فصارت الدعوة عرساً للشخصين فلا يخرج إلا وقد تعلق قلب شخص بشخص ومال طبع إلى طبع وتغيير المرأة على زوجها فإن طابت نفس الزوج سمي بالذيوث وإن حبسها طلبت الفرقة إلى من تلبس منه المرقعة والاختلاط بمن لا يضيق الخناق ولا يحجر على الطباع . ويقال : تابت فلانة وألبسها الشيخ الخرقه وقد صارت من بناته . ولم يقنعوا أن يقولوا هذا لعب وخطأ حتى قالوا هذا من مقامات الرجال وجرت على هذه السنون وبرد حكم الكتاب والسنة فى القلوب . هذا لله من كلام ابن عقيل رضى الله عنه فلقد كان ناقدًا مجيدًا متلمحًا فقيهاً أنشدنا أبو على عبيد الله الزاغوني قال أنشدنا أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي وأبو منصور محمد بن محمد بن عبد العزيز العكري قالوا أنشدنا أبو بكر السعبرى لنفسه فى الصوفية .

أخبرنا محمد بن ناصر الحافظ نا أبا الحسين بن عبد الجبار الصير فى نا أبو عبد الله محمد بن على الصورى قال أنشدنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر التجيبى قال أنشدنا الحسن بن على بن سيار :
قال الصورى وأنشدنى بعض شيوخنا :
أنشدنا محمد بن ناصر قال أنشدنا أبو زكريا التبريزى لأبى العلاء المعرى :

زعموا بأنهم صفاو المليكهم كذبوك ما صافوا ولكن صافوا
شجر الخلاف قلوبهم ويح لها غرضى خلاف الحق لا الصفصاف
أنشدنا ابن ناصر أنشدنا أبو بكر قال أنشدنا أبو اسحاق الشيرازى الفقيه لبعضهم :

أرى جيل التصوف شر جيل فقل لهم واهون بالحلــول
أفال الله حين عشقتموه كلوا أكل البهائم وارقصو لــسى

الباب الحادى عشر

فى ذكر تلبس إبليس على المتدينين بما يشبه الكرامات

قد بينا فيما تقدم أن إبليس انما يتمكن من الإنسان على قدر قلة العلم فكلما قل علم الإنسان كثر تمكن إبليس منه وكلما كثر العلم قل تمكنه منه. ومن العباد من يرى ضوءاً أو نوراً فى السماء فان كان رمضان قال: رأيت ليلة القدر وان كان فى غيره قال قد فتحت لى ابواب السماء. وقد يتفق له الشئ الذى يطلبه فيظن ذلك كرامة وربما كان اتفاقاً وربما كان اختباراً وربما كان من خدع إبليس.

والعاقل لا يساكن شيئاً من هذا ولو كان كرامة. وقد ذكرنا فى باب الزهاد عن مالك ابن دينار وحبيب العجمى أنهما قالوا: ان الشيطان يلعب بالقراء كما يلعب الصبيان بالجور ولقد استعوى بعض ضعفاء الزهاد بأن أراه ما يشبه الكرامة حتى ادعى النبوة فروى عن عبد الوهاب بن لجة الحوطى قال: ثنا محمد بن المبارك ثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن حسان. قال: كان الحارث الكذاب من أهل دمشق وكان مولى لأبى الجلاس وكان له أب بالغوطة تعرض له إبليس وكان متعبداً زاهداً لو لبس جبة من ذهب لرأيت عليه زهادة وكان إذا أخذ فى التحميد لم يصغ السامعون إلى كلام أحسن من كلامه قال: فكتب الى أبيه ياأبتاه أعجل على فإنى قد رأيت أشياء أتخوف منها أن تكون من الشياطين قال: فزاده أبوه غيماً وكتب إليه. يابنى أقبل على ما أمرت به إن الله يقول: ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفك أثيم﴾ ولست بأفك ولا أثيم فامض لما أمرت به. وكان يجرى إلى أهل المساجد رجلاً رجلاً فيذكر لهم أمره ويأخذ عليهم العهود والمواثيق ان هو رأى يرضى قبل والاکتم عليه: وكان يريهم الأعاجيب. كان يأتى إلى رخامة فى المسجد فينقرها بيده فتسبح. وكان يطعمهم فاكهة الصيف فى الشتاء ويقول: أخرجوا حتى أريكم الملائكة فيخرجهم إلى دير المران فيريهم رجلاً على خيل، فتبعه بشر كثير وفشى الأمر وكثر أصحابه حتى وصل خبره إلى القاسم ابن مخيمرة فقال له إنى نبي فقال له القاسم كذبت ياعدو الله فقال

له أبو إدريس بثس ما صنعت إذ لم تلن له حتى تأخذه . الآن يفر وقام من
 مجلسه حتى دخل على عبد الملك فأعلمه بأمره فبعث عبد الملك في طلبه
 فلم يقدر عليه . وخرج عبد الملك حتى نزل العنيزة فاتهم عامة عسكره
 بالحارث أن يكونوا يرون رأيه وخرج الحارث حتى أتى بيت المقدس
 واختفى وكان أصحابه يخرجون يلتمسون الرجال يدخلونهم عليه وكان
 رجل من أهل البصرة قد أتى بيت المقدس فأدخل على الحارث فأخذ في
 التحميد وأخبره بأمره وأنه نبي مبعوث مرسل . فقال . إن كلامك لحسن
 ولكن لى فى هذا نظر . قال فانظر . فخرج البصرى ثم عاد اليه فرد عليه
 كلامه فقال إن كلامك لحسن وقد وقع فى قلبى وقد آمنت بك وهذا هو
 الدين المستقيم . فأمر أن لا يحجب عنه متى أراد الدخول فأقبل البصرى
 يتردد اليه ويعرف مداخله ومخارجه وأين يهرب حتى صار من أخبر الناس
 به . ثم قال له . أئذن لى فقال إلى أين قال إلى البصرة فأكون أول داع لك
 بها . قال فأذن له فخرج مسرعا إلى عبد الملك وهو بالصنيرة فلما دنا من
 سراقه صاح النصيحة النصيحة . فقال أهل العسكر . وما نصيحتك قال
 نصيحة لأمر المؤمنين فأمر الخليفة عبد الملك أن يأذنوا له بالدخول عليه
 فدخل وعنده أصحابه قال فصاح النصيحة قال وما نصيحتك قال . اخلنى
 لا يكن عندك أحد فأخرج من فى البيت وقال له ادنى قال أدن فدنا وعبد
 الملك على السرير قال ما عندك قال الحارث فلما ذكر الحارث طرح
 عبد الملك نفسه من أعلى السرير إلى الأرض ثم قال أين هو قال : يا أمير
 المؤمنين هو ببيت المقدس قد عرفت مداخله ومخارجه وقص عليه قصته
 وكيف صنع به فقال أنت صاحبه وأنت أمير بيت المقدس وأميرنا ههنا
 فمرنى بما شئت . قال : يا أمير المؤمنين ابعث معى قوما لا يفهمون الكلام
 فأمر أربعين رجلا من فرغانة فقال انطقوا مع هذا فما أمركم به من شئ
 فأطيعوه ، قال : وكتب إلى صاحب بيت المقدس أن فلانا هو الأمير عليك
 حتى يخرج فأطعه فيما أمرك به . فلما قدم بيت المقدس أعطاه الكتاب
 فقال مرنى بما شئت . فقال : اجمع لى كل شمعة تقدر عليها ببيت
 المقدس وأدفع كل شمعة إلى رجل ورتبهم على أركة بيت المقدس وزواياه
 فإذا قلت . أسرجوا أسرجوا جميعا فرتبهم فى أركة بيت المقدس وزواياها
 بالشمع وتقدم البصرى إلى منزل الحارث فأتى الباب فقال للحاجب

أستأذن لى على نبى الله قال فى هذه الساعة ما يؤذن عليه حتى يصبح . قال أعلمه أنى ما رجعت الا شوقا اليه قبل أن أصل فدخل عليه وأعلمه بكلامه فأمره بفتح الباب . قال : ثم صاح البصرى اسرجوا الشموع فأسرجت حتى كان كأنها النهار ثم قال من مر بكم فأضبطوه كائنا من كان ودخل هو إلى الموضع الذى يعرفه فطلبه فلم يجده فقال أصحاب الحارث : هيهات تريدون تقتلون نبى الله قد رفع إلى السماء . قال فطلبه فى شق قد هياه سرباً فأدخل البصرى يده فى ذلك السرب فاذا هو بثوبه فاجتره فأخرجه إلى خارج ثم قال للفرغانيين اربطوه فربطوه فيينما هم يسرون به على البريد اذ قال : أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله . فقال رجل من الفرغانيين أولئك العجم هذا كرامتنا فهات كرامتك انت وساروا به حتى أتوا به عبد الملك فلما سمع به أمر بخشبة فنصبت فصلبه وأمر بحربة وأمر رجلا فطعنه فلما صار إلى ضلع من أضلاعه فانكفأت الحربة عنه فجعل الناس يصيحون ويقولون . الأنبياء لايجوز فيهم السلاح . فلما رأى ذلك رجل من المسلمين تناول الحربة ثم مشى اليه وأقبل بتجسس حتى وافى بين ضلعين فطعنه بها فأنقذها فقتله . قال الوليد : بلغنى أن خالد بن يزيد بن معاوية دخل على عبد الملك بن مروان فقال لو حضرتك ماأمرتك بقتله . قال ولم . قال إنما كان به المذهب فلو جوعته ذهب عنه . وروى أبو الربيع عن شيخ أدرك القدماء قال لما حمل الحارث على البريد وجعلت فى عنقه جامعة من حديد وجمعت يده إلى عنقه فأشرف على عقبة بيت المقدس تلى هذه الآية ﴿ قل ان ضللت فإنما أضل على نفسى وان اهتديت فيما يوحى إلى ربي ﴾ . فتقلقت الجامعة ثم سقطت من يده ورقبته إلى الأرض فوثب الحرس الذين كانوا معه فأعادوها عليه ثم ساروا به فلما أشرفوا على عقبة أخرى قرأ آية فسقطت من رقبته ويده على الأرض فأعادوها عليه فلما قدموا على عبد الملك حبسه وأم رجلا من أهل الفقه والعلم أن يعظوه ويخوفوه الله ويعلموه أن هذا من الشيطان فأبى أن يقبل منهم فصلب . وجاء رجل بحربة فطعنه فائتنت فتكلم الناس وقالوا ماينبغى لمثل هذا أن يقتل ثم أتاه حرسى برمح دقيق فطعنه بين ضلعين من أضلاعه ثم هزه وأنفذه . وسمعت من قال قال عبد الملك للذى ضربه بالحربة لما اثنت أذكرت الله حين طعنته قال نسيت قال فاذا ذكر الله ثم اطعنه

فذكر الله ثم طعنه فأنفذهما.

فصل

وكم اغتر قوم بما يشبه الكرامات فقد روينا باسناد عن حسن عن أبي عمران قال : قال لي فرقد. يا أبا عمران قد أصبحت اليوم وأنا مهتم بضريرتي وهي ستة دراهم وقد أهل الهلال وليست عندي فدعوت فينما أنا أمشي على شط الفرات إذا أنا بستة دراهم فأخذتها فوزنتها فإذا هي ستة لا تزيد ولا تنقص. فقال تصدق بها فانها ليست لك. قلت. أبو عمران هو ابراهيم النخعي فقيه أهل الكوفة. فانظروا الى كلام الفقهاء وبعد الاغترار عنهم. وكيف أخبره انها لقطعة ولم يلتفت الى ما يشبه الكرامة. وإنما لم يأمره بتعريفها لأن مذهب الكوفيين أنه لا يجب التعريف لما دون الدينار. وكأنه إنما أمره بالتصدق بها لثلا يظن أنه قد أكرم بأخذها وإنفاقها. وباسناد عن ابراهيم الخراساني أنه قال احتجت يوماً إلى الوضوء فإذا أنا بكوز من جوهر وسواك من فضة رأسه ألين من الخبز فاستكتت بالسواك وتوضأت بالماء وتركتهما وانصرفت. قلت في هذه الحكاية من لا يوثق بروايته فان صحت دلت على قلة علم هذا الرجل إذ لو كان يفهم الفقه علم أن استعمال السواك الفضة لا يجوز ولكن قل علمه فاستعمله. وان ظن أنه كرامة والله تعالى لا يكرم بما يمنع من استعماله شرعاً إلا أن أظهر له ذلك على سبيل الامتحان وذكر محمد بن أبي الفضل الهمداني المؤرخ قال حدثني أبي قال كان السرمقاني المقرئ يقرأ على ابن العلاف وكان يأوي إلى المسجد بدرب الزعفراني واتفق أن ابن العلاف رآه ذات يوم في وقت مجاعة وقد نزل إلى دجلة وأخذ منه أوراق الخس مما يرمى به أصحابه وجعل يأكله فشق ذلك عليه وأتى إلى رئيس الرؤساء فأخبره بحاله فتقدم إلى غلام بالقرب إلى المسجد الذي يأوي إليه السرمقاني أن يعمل لبابه مفتاحاً من غير أن يعلمه ففعل وتقدم إليه أن يحمل كل يوم ثلاثة أرطال خبزاً سميداً ومعها دجاجة وحلوى سكرأ ففعل الغلام ذلك وكان يحمله على الدوام. فأتى السرمقاني في أول يوم فرأى ذلك مطروحاً في القبلة ورأى الباب مغلقاً فتعجب. وقال في نفسه: هذا من الجنة ويجب كتمانها وأن لا أتحدث به فإن من شرط الكرامة كتمانها وأنشدني:

من أطلعوه على سر فباح به لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا

فلما استوت حالته وأخصب جسمه سأله ابن العلاف عن سبب ذلك وهو عارف به وقصد المزاح معه . فأخذ يورى ولا يصرح ، ويكنى ولا يفصح . ولم يزل ابن العلاف يستخبره حتى أخبره أن الذى يجده فى المسجد كرامة إذ لا طريق لمخلوق عليه . فقال له ابن العلاف . يجب أن تدعو لابن المسلمة فإنه هو الذى فعل ذلك فنغص عيشه بأخباره وبانت عليه شواهد الانكسار .

فصل

ولما علم العقلاء شدة تلبس إبليس حذروا من أشياء ظاهرها الكرامة وخافوا أن تكون من تلبسه . روينا بإسناد عن أبى الطيب يقول : سمعت زهرون يقول : كلمنى الطير وذاك أنى كنت فى البادية فتهدت قرأيت طائرا أبيض فقال لى يا زهرون أنت تائه . فقلت : يا شيطان غرغيرى . فقال لى : أنت تائه فقلت : يا شيطان غرغيرى . فوثب فى الثالثة وصار على كتفى . وقال : ماأنا بشيطان أنت تائه أرسلت اليك ثم غاب عنى . وبإسناد عن محمد ابن عبد الله القرشى قال حدثنى محمد بن يحيى بن عمرو قال حدثتنى زلفى قالت : قلت لرابعة العدوية ياعمة لم لاتأذنين للناس يدخلون عليك قالت وماأرجو من الناس إن أتونى حكوا عنى ما لم أفعل . قال القرشى . وزادنى غير أبى حاتم . أنها قالت . يبلغنى أنهم يقولون إنى أجد الدراهم تحت مصلاى ، ويطبخ لى القدر بغير نار . ولو رأيت مثل هذا فزعت منه : قالت فقلت لها إن الناس يكثرون فىك القول . يقولون إن رابعة تصيب فى منزلها الطعام والشراب فهل تجدين شيئا فيه . قالت : يابنت أختى لو وجدت فى منزلى شيئا مامسسته ولا وضعت يدى عليه . قال القرشى وحدثنى محمد بن إدريس قال قال محمد ابن عمرو . وحدثتنى زلفى عن رابعة إنها أصبحت يوما صائمة فى يوم بارد قالت فنارعتنى نفسى إلى شئ من الطعام السخن أفطر عليه وكان عندى شحم فقلت . لو كان عندى بصل أو كراث عابجته فإذا عصفور قد جاء فسقط على المثقب فى منقاره بصلة . فلما رأته أضربت عما أردت ونخفت أن يكون من الشيطان . وبالإسناد عن محمد بن يزيد . قال كانوا يرون لو هيب أنه من أهل الجنة فإذا أخبر بها اشتد بكأؤه . قال قد خشيت أن يكون هذا من الشيطان وبالإسناد عن أبى عثمان النيسابورى يقول خرجنا جماعة

مع أستاذة أبي حفص النيسابورى إلى خارج نيسابور فجلسنا فتكلم الشيخ علينا قطابت أنفسنا ثم بصرنا فإذا بأهل قد نزل من الجبل حتى برك بين يدي الشيخ فأبكاه ذلك بكاء شديدا. فلما سكن سألناه فقلت يا أستاذ تكلمت علينا قطابت قلوبنا، فلما جاء هذا لاوحش وبرك بين يدك أزعجك وأبكاك. فقال: نعم رأيت اجتماعكم حولي وقد طابت قلوبكم فوق في قلبي لو أن شاه ذبحها ودعوتكم عليها. فما نحكم هذا الخاطر حتى جاء هذا الوحش فبرك بين يدي فخيّل لي أنى مثل فرعون الذي سأل ربه أن يجرى له النيل فأجراه. قلت فما يؤمننى أن يكون الله تعالى يعطينى كل حظ لي في الدنيا وأبقى في الآخرة فقيرا لاشئ لي. فهذا الذي أزعجنى.

فصل

وقد لبس إبليس على قوم من المتأخرين فوضعوا حكايات في كرامات الأولياء ليثيّدوا بزعمهم أمر القوم والحق لا يحتاج إلى تشييد بباطل فكشف الله تعالى أمرهم بعلماء النقل. أخبرنا محمد بن ناصر انبأنا الحسن بن أحمد الفقيه قال نا محمد ابن محمد الحافظ قال نا عبيد الله بن محمد الفقيه قال أحمد عبد الله بن الحسن الأدمى قال حدثنى أبى قال: قال سهل بن عبد الله قال عمرو بن واصل. كذا في الرواية والصواب قال عمرو بن واصل قال سهل بن عبد الله صحبت رجلا من الأولياء في طريق مكة فنالته فاقة ثلاثة أيام فعدل إلى مسجد فى أصل جبل وإذا فيه بئر عليها بكرة وحبل ودلو ومطهرة. وعند البئر شجرة رمان ليس فيها حمل. فأقام فى المسجد إلى المغرب فلما دخل الوقت إذا بأربعين رجلا عليهم المسوح وفى أرجلهم نعال الخوص قد دخلوا المسجد فسلموا وأذن أحدهم وأقام الصلاة وتقدم فصلى بهم. فلما فرغ من صلاته تقدم إلى الشجرة فإذا فيها أربعون رمانة غضة طرية فأخذ كل واحد منهم رمانة وانصرف. قال وبت على فاقتي فلما كان فى الوقت الذى أخذوا فيه الرمان أقبلوا أجمعين فلما صلوا وأخذوا الرمان قلت يا قوم أنا أخوكم فى الاسلام وبنى فاقة شديدة فلا كلمتمونى ولا واسيتمونى فقال رئيسهم إنا لانكلم محجوبا بما معه فامض واطرح مامعك وراء هذا الجبل فى الوادى وارجع إلينا حتى تنال ماننال قال فرقيت الجبل فلم تسمع نفسى برمى

مامعى فدفتته ورجعت. فقال لى. رميت مامعك. قلت نعم. قال:
فرايت شيئاً قلت. لا، قال مارميت شيئاً إذن فارجع فأرم به فى الوادى
فرجعت ففعلت. فإذا قد غشيني مثل الدرع نور الولاية فرجعت فإذا فى
الشجرة رمانة فأكلتها واستقللت بها من الجوع والعطش ولم ألبث دون
المضى إلى مكة فإذا أنا بالأربعين بين رزم والمقام فأقبلوا إلىى بأجمعهم
يسألونى عن حالى ويسلمون علىى. فقلت: قد غنيت عنكم وعن
كلامكم آخرأ كما أغناكم الله عن كلامى أولاً فما فى لغير الله موضع.

قال المصنف رحمة الله: عمرو بن واصل ضعفه ابن أبى حاتم.
والآدمى وأبوه مجهولان. ويدل على أنها حكاية موضوعة قولهم اطرح
مامعك لأن الأولياء لا يخالفون الشرع والشرع قد نهى عن إضاعة المال.
وقوله غشيني نور الولاية فهذه حكاية مصنوعة وحديث فارغ ومثل هذه
الحكاية لا يغتر بها من شم رائحة العلم إنما يغتر بها الجهال الذين لا بصيرة
لهم. أخبرنا محمد بن ناصر قال نا السهلكى قال: سمعت محمد بن
على الواعظ. قال: وفيما أفادنى بعض الصوفية حاكيا عن الجنيد قال
قال: أبو موسى الديلى، دخلت على أبى يزيد فإذا بين يديه ماء واقف
يضطرب فقال لى تعال ثم قال إن رجلا سألنى عن الحياء فتكلمت عليه
بشئ من علم الحياء فدار دورانا حتى صار كذا كما ترى وذاب قال الجنيد
وقال أحمد بن حضرويه، بقى منه قطعة كقطعة جوهر فاتخذت منه فصا
فكلما تكلمت بكلام القوم أو سمعت من كلام القوم يذوب ذلك الفص
حتى لم يبق منه شئ، قل وهذه من المحالة القبيحة التى وضعوها الجهال
ولولا أن الجهالة يروونها مسندة فيظنونها شيئاً لكان الاضراب عن ذكرها
أولى. أبنا أبو بكر ابن حبيب قال نا ابن أبى صادق قال ثنا ابن باكويه
قال ثنا أبو حنيفة البغدادى قال ثنا عبد العزيز البغدادى قال كنت أنظر فى
حكايات الصوفية فصعدت يوماً السطح فسمعت قائلاً يقول: ﴿ وهو
يتولى الصالحين ﴾ فالتفت فلم أر شيئاً فطرحت نفسى من السطح فوقفت
فى الهواء.

قال المصنف رحمه الله: هذا كذب محال لا يشك فيه عاقل فلو قدرنا
صحته فإن طرح نفسه من السطح حرام وظنه أن الله يتولى من فعل المنهى
عنه فقد قال تعالى: ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ فكيف يكون

صالحا وهو يخالف ربه وعلى تقدير ذلك فمن أخبره أنه منهم وقد تقدم قول عيسى صلوات الله عليه للشيطان لما قال له الق نفسك . قال إن الله يختبر عباده وليس للعبد أن يختبر ربه .

فصل

وقد اندس فى الصوفية أقوام وتشبهوا بهم وشطحوا فى الكرامات وادعائها وأظهروا للعوام مخاريق صادوا بها قلوبهم وقد روينا عن الحلّاج أنه كان يدفن شيئا من الخبز والشواء والحلوى فى موضع من البرية ويطلع بعض أصحابه على ذلك فإذا أصبح قال لأصحابه إن رأيتم أن نخرج على وجه السياحة فيقوم ويمشى والناس معه فاذا جاءوا إلى ذلك المكان قال له صاحبه الذى أطلعه على ذلك نشتهى الآن كذا وكذا فيتركهم الحلّاج وينزوى عنهم إلى ذلك المكان فيصلى ركعين ويأتيهم بذلك . وكان يمد يده إلى الهواء وي طرح الذهب فى أيدي الناس ويمخرق . وقد قال له بعض الحاضرين يوما . هذه الدراهم معروفة ولكن أو من بك إذا أعطيتنى درهما عليه إسمك واسم أبيك وما زال يمخرق ألى وقت صلبه .

حدثنا أبو منصور القزاز قال نا أبو بكر بن ثابت نا عبد الله بن احمد ابن عمار الصيرفى ثنا أبو عمرو بن حيوة . قال : لما أخرج حسين الحلّاج المقتل مضيت فى جملة الناس فلم أرل أراحم حتى رأيتنه . فقال لأصحابه . لا يهولنكم هذا فأنى عائد اليكم بعد ثلاثين يوما . وكان اعتقاد الحلّاج اعتقاداً قبيحاً . وقد بينا فى أول هذا الكتاب شيئاً من اعتقاده وتخليطه وبيننا أنه قتل بفتوى فقهاء عصره . وقد كان فى المتأخرين من يطلى بدهن الطلق ويقعد فى التنور ويظهر أن هذا كرامة . قال ابن عقيل . وكان ابن الشباس وأبوه قبله لهم طيور سوابق وأصدقاء فى جميع البلاد فيتنزل بهم قوم فيرفع طائرا فى الحال إلى قريتهم يخبر بخبر من له هناك بنزولهم ويستعلمه من أحوالهم وما تجدد هناك بعدهم قبل أن يجتمع عليهم ويستعلم حالهم فيكتب ذلك اليه الجواب ثم يجتمع بهم فيخبرهم بتلك الحوادث ويحدثهم بأحوالهم حديث من هو معهم ومعاشرهم فى بلادهم ثم يحدثهم بما تجدد بعدهم وفى يومه ذلك فيقول الساعة تجدد كذا وكذا فيدهشون ويرجعون إلى رستاقهم فيجدون الأمر على ما قال ويتكرر هذا منه فيصير عندهم كالقطعى على أنه يعلم العيب . قال ، وما كان يفعل

أنه يأخذ طير عصفور ويشد في رجله تلفكا ويجعل في التلفك بطاقة صغيرة ويشد في رجل حمامة تلفكا ويشد في طرف التلفك كتابا أكبر من ذلك ويجعله بين يديه ويجعل العصفور بيد ويأخذ غلاما له في السطح والحمامة بيد آخر فيه مافي تلك البطاقة الصغيرة ويطلق الطائر العصفور فينظر الناس الكتاب وهو طائر في الهواء فيروح الحمام إلى تلك القرية فيأخذه صديقه الذي هناك ثم يخبره بجميع أمور القرية وأصحابها فلما يتكامل مجلسه بالناس يشير وينادي يبارش كأنه يخاطب شيطانا اسمه بارش ويقول خذ هذا الكتاب إلى قرية فلان فقد جرت بينهم خصومة فاجتهد في اصلاح ذات بينهم ويرفع صوته بذلك فيسرح غلامه المترصد العصفور الذي في يده فيرفع الكتاب نحو السماء بحضرة الجماعة يرونه عيانا من غير أن يرون التلفك فاذا ارتفع الكتاب جذبته الغلام المقيد بالعصفور وقطع التلفك حتى لا يرى ويرسل العصفور إلى تلك القرية ليصلح الأمر وكذلك يفعل بالحمامة ثم يقول لغلامه هات الكتاب فيلقيه الغلام الذي في السطح الذي قد جاءه خبر ما في القرية التي هؤلاء منها ثم يكتب كتابا إلى دهقان تلك القرية فيشد به بلفكا ويجعله في رجل عصفور كما قدمنا ويطلقه حتى يعلو سطح المكان فيأخذه ذلك الغلام فيشده في رجل طير حمام فيروح الى تلك القرية بذلك الكتاب فيصلح بين الناس الذين قد أتاه خبرهم بالمشاجرة فتخرج الجماعة الذين من تلك القرية فيجدون كتاب الشيخ قد وصل لهم وقد اجتمع دهاقين القرية وأصلحوا بينهم فيجئ ذلك فيخبرهم فلا يشكون في ذلك أنه يعلم الغيب ويتحقق هذا في قلوب العوام.

قال ابن عقيل : وإنما أوردت مثل هذا ليعلم أنه قد ارتفع القوم الى التلاعب بالدين فأى بقاء للشريعة مع هذا الحال . قلت : وابن الشباس هذا كان يكنى أبا عبد الله والشباس هو أبوه كان يكنى ابا الحسن واسم الشباس على بن الحسين بن محمد البغدادي توفي بالبصرة سنة أربع وأربعين وأربع مائة وكان الشباس وأبوه وعمه مستقرين بالبصرة . وكانت مذاهبهم تخفى على الناس إلا أن الأغلب أنهم كانوا من الشيعة الامامية والعلاة الباطنية وقد ذكرت في التاريخ عن ابن الشباس ان بعض أصحابه اكتشفت له نار بخيائته وزخارفه وكانت تخفى على الناس إلى أن كشفها

بعض أصحابه من الشيعة الإمامية الباطنية للناس فلما كشفها للناس وبينها فكان مما حدث به عنه أنه قال: حضرنا يوماً عنده فأخرج جدياً مشوياً فأمرنا بأكله وأن نكسر عظمه ولانهدمها فلما فرغنا أمر بردها إلى التنور وترك على التنور طبقاً ثم رفعه بعد ساعة فوجدنا جدياً حياً يرعى حشيشاً ولم نر للنار أثراً ولا للرماد ولا للعظام خيراً. قال فتلطفت حتى عرفت ذلك وذلك أن التنور يفضى إلى سرداب وبينهما طبق نحاس بلولب فإذا أراد إزالة النار عنه فركه فينزل عليه فيسده وينفتح السرداب وإذا أراد أن يظهر النار أعاد الطبق إلى قم السرداب فتري للناس.

قال المصنف رحمه الله: وقد رأينا في زماننا من يشير إلى الملائكة ويقول: هؤلاء ضيف مكرمون يوهم أن الملائكة قد حضرت ويقول لهم تقدموا إلى. وأخذ رجل في زماننا ابريقاً جديداً فترك فيه عسلاً فتشرب في الخزف طعم العسل واستصحب الابريق في سفره فكان إذا عرف به الماء من النهر وسقى أصحابه وجدوا طعم العسل وما في هؤلاء من يعرف الله ولا يخاف في الله لومة لائم نعوذ بالله من الخذلان.

.....

الباب الثاني عشر

فى ذكر تلبس إبليس على العوام

قد بينا أن إبليس إنما يقوى تلبسه على قدر قوة الجهل وقد أفتن فيما فتن به العوام وحضر ما فتنهم ولبس عليهم فيه لا يمكن ذكره لكثرتة وإنما نذكر من الأمهات ما يستدل به على جنسه والله الموفق. فمن ذلك أنه يأتى الى العامى فيحمله على التفكير فى ذات الله عز وجل وصفاته فيتشكك. وقد أخبر رسول الله ﷺ عن ذلك فيما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال. قال رسول الله ﷺ «تسألون حتى تقولوا هذا الله خلقنا فمن خلق الله» قال أبو هريرة: فوالله انى لجالس يوماً إذ قال لى رجل من أهل العراق هذا الله خلقنا فمن خلق الله. قال أبو هريرة. فجعلت أصبغى فى أذنى ثم صحت - صدق رسول الله - الله الواحد الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

وبإسناد عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «ان الشيطان يأتى أحدكم فيقول من خلقك، فيقول: الله، فيقول: من خلق السموات والأرض، فيقول: الله. فيقول: من خلق الله، فاذا وجد أحدكم شيئاً من ذلك فليقل أمنت بالله ورسوله».

قال المصنف رحمه الله: وإنما وقعت هذه المحنة لغلبة الحس وهو أنه مارأى شيئاً إلا مفعولاً. وليقل لهذا العامى ألس تعلم أنه خلق الزمان لافى الزمان والمكان لا فى المكان فاذا كانت هذه الأرض وما فيها لا فى مكان ولا تحتها شئ وحسك ينفر من هذا لأنه ما ألف شيئاً إلا فى مكان فلا يطلب بالحس من لا يعرف بالحس. وشاور عقلك فانه سليم المشاورة. وتارة يلبس إبليس على العوام عند سماع صفات الله عز وجل فيحملونها على مقتضى الحس فيعتقدون التشبيه. وتارة يلبس عليهم من جهة العصبية للمذاهب فترى العامى يلاعن ويقا تل فى أمر لا يعرف حقيقته. فمنهم من يخص بعصبيته أبا بكر رضى الله عنه. ومنهم من يخص علياً. وكم قد جرى فى هذا من الحروب وقد جرى فى هذا بين أهل الكوخ وأهل باب البصرة على مر السنين من القتل وإحراق المحال

ما يطول ذكره وترى كثيرا ممن يخاصم في هذا يلبس الحرير ويشرب الخمر ويقتل النفس و أبوبكر وعلى بريثان منهم . وقد يحس العامى فى نفسه نوع فهم فيسول له ابليس مخاصمة ربه فمنهم من يقول لربه كيف قضى وعاقب . ومنهم من يقول لم ضيق رزق المتقى وأوسع على العاصى . ومنهم طائفة تشكر على النعم فاذا جاء البلاء اعترض وكفر . ومنهم من يقول أى حكمة فى هدم هذه الأجساد يعذبها بالفناء يعد بنائها . ومنهم من يستبعد البعث . ومن هؤلاء من يختل عليه مقصوده أو يبتلى ببلاء فيكفر ويقول أنا ما أريد أصلى . وربما غلب فاجر نصرانى مؤمنا فقتله أو ضربه فيقول العوام قد غلب الصليب . ولماذا نصلى إذا كان الأمر كذلك . وكل هذه الآفات تمكن بها منهم إبليس لبعدهم عن العلم والعلماء فلو أنهم استفهموا أهل العلم لأخبروهم ان الله عز وجل حكيم ومالك فلا يبقى مع هذا اعتراض .

فصل

ومن العوام من يرضى عن عقل نفسه فلا يبالى بمخالفة العلماء فمتى خالفت فتواهم غرضه أخذ يرد عليهم ويقدم فيهم . وقد كان ابن عقيل يقول : قد عشت هذه السنين فلو أدخلت يدي فى صنعة صانع لقال أفسدتها على ، فلو قلت أنا رجل عالم لقال بارك الله لك فى علمك ليس هذا من شغلك . هذا وشغله أمر حسى لو تعاطيته فهمته ، والذي أنا فيه من الأمور أمر عقلى فإذا أفتيته لم يقبل .

فصل

ومن تلبسه عليهم تقديمهم المتزهدين على العلماء فلو رأوا جبة صوف على أجهل الناس عظموه خصوصا إذا طأطأ رأسه وتخشع لهم ويقولون ، أين هذا من فلان العالم ذاك طالب الدنيا وهذا زاهد لا يأكل عنبه ولا رطبه ولا يتزوج قط جهلا منهم بفضل العلم على الزاهد وإشاراً للمتزهدين على شريعة محمد بن عبد الله ﷺ ومن نعمة الله سبحانه وتعالى على هؤلاء أنهم لم يدركوا رسول الله ﷺ إذ لو رأوه يكثر التزويج ويصطفى السبايا ويأكل لحم الدجاج ويحب الحلوى والعسل لم يعظم فى صدورهم .

فصل

ومن تليسه عليهم قدحهم فى العلماء بتناول المباحات وذلك من أقبح الجهل . وأكثر ميلهم إلى الغرباء فهم يؤثرون الغريب على أهل بلدهم ممن قد خبروا أمره وعرفوا عقيدته فيميلون إلى الغريب ولعله من الباطنية . وإنما ينبغي تسليم النفوس إلى من خبرت معرفته قال الله عز وجل : ﴿ فَإِن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ﴾ ومن الله سبحانه فى ارسال محمد ﷺ إلى الخلق بأنهم يعرفون حاله فقال عز وجل : ﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم ﴾ . وقال : ﴿ يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ .

فصل

وقد يخرج بالعوام تعظيم المتزهدين إلى قبول دعاويهم وان خرقوا الشريعة وخرجوا عن حدودها . فترى المتتمس يقول للعامى : أنت فعلت بالأمس كذا وسيجرى عليك كذا فيصدقه . ويقول : هذا يتكلم على خاطر ولا يعلم أن ادعاء الغيب كفر . ثم يرون من هؤلاء المتتمسين أموراً لا تحل كمؤاخاه النساء والخلوة بهن ولا ينكرون ذلك تسليماً لهم أحوالهم .

فصل

ومن تليسه على العوام اطلاقهم أنفسهم فى المعاصى فاذا وبخوا تكلموا كلام الزنادقة . فمنهم من يقول : لا أترك نقداً لنسيئه . ولو فهموا لعلموا أن هذا ليس بنقد لأنه محرم وإنما يخير بين النقد والنسيئة المباحين فمثلهم كمثل محموم جاهل يأكل العسل فاذا عوتب قال الشهوة نقد والعافية نسيئة . ثم لو علموا حقيقة الايمان لعلموا أن تلك النسيئة وعد صادق لا يخلف . ولو عملوا عمل التجار الذين يخاطرون بكثير من المال لما يرجونه من الربح القليل لعلموا أن ما تركوه قليل وما يرجونه كثير . ولو أنهم ميزوا بين ما أثروا وما أفاتوا أنفسهم لرأوا تعجيل ماتعجلوا إذ فاتهم الربح الدائم وأوقعهم فى العذاب الذى هو الخسران المبين الذى لا يتلافى . ومنهم من يقول الرب كريم والعفو واسع والرجاء من الدين فيسمون تمنيههم واغترارهم رجاء وهذا الذى أهلك عامة المذنبين . قال أبو عمرو بن العلاء : بلغنى أن الفرزدق جلس إلى قوم يتذكرون رحمة الله فكان أوسعهم فى الرجاء صدرا فقالوا له : لم تقذف المحصنات فقال : أخبرونى

لو أذنبت إلى ولديّ ما أذنبته إلى ربي عز وجل أتراهما كانا يطيبان نفساً أن يقدفاني في تنور مملوءاً جمراً. قالوا لا إنما كانا يرحمانك. قال: فأنى أوثق برحمة ربي منهما. قلت: وهذا هو الجهل المحض لأن رحمة الله عز وجل ليست برقة طبع ولو كانت كذلك لما ذبح عصفور ولا أميت طفل ولا أدخل أحد إلى جهنم. وبإسناد عن عباد قال: الأصمعي كنت مع أبي نواس بمكة فإذا أنا بسلام أمير يستلم الحجر الأسود. فقال لي أبو نواس. والله لا أبرح حتى أقبله عند الحجر الأسود. فقلت: ويلك اتق الله عز وجل فإنك ببلد حرام وعند بيته الحرام فقال: مامنه يد. ثم دنا من الحجر فجاء الغلام يستلمه فبادر أبو نواس فوضع خده على خد الغلام فقبله وأنا أنظر فقلت ويلك أفي حرم الله عز وجل فقال دع ذا عنك فإن ربي رحيم ثم أنشد يقول:

وغاشقان التف خداهما عند استلام الحجر الأسود
فاشتفيا من غير أن يائما كأنما كانا على موعد

قلت. انظروا إلى هذه الجرأة التي نظر فيها إلى الرحمة ونسى شدة العقاب بانتهاك تلك الحرمة. وقد ذكرنا في أول الكتاب هذا أن رجلاً زنى بامرأة في الكعبة فمسخا حجرين. ولقد دخلوا على أبي نواس في مرض موته فقالوا له تب إلى الله عز وجل فقال إياي تخوفون حدثني حماد بن سلمة عن يزيد الرقاشي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ لكل نبي شفاعة وإنى اختبأت شفاعة لأهل الكبائر من أمي. أفترى لا أكون أنا منهم.

قال المصنف رحمه الله: وخطأ هذا الرجل من وجهين. أحدهما أنه نظر إلى جانب الرحمة ولم ينظر إلى جانب العقاب. والثاني أنه نسي أن الرحمة إنما تكون فسائب كما قال عز وجل: ﴿وإني لغفار لمن تاب﴾ وقال: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون﴾ وهذا التلبس هو الذي يهلك عامة العوام وقد كشفناه في ذكر أهل الإباحة.

فصل

ومن العوام من يقول هؤلاء العلماء يحافظون على الحدود فلان يفعل كذا وفلان يفعل كذا فأمرى أنا قريب وكشف هذا التلبس أن الجاهل والعالم في باب التكليف سواء فغلبه الهوى للعالم لا يكون عذراً

وقال: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون﴾ وهذا التلييس هو الذي يهلك عامة العوام وقد كشفناه في ذكر أهل الإباحة.

فصل

ومن العوام من يقول هؤلاء العلماء يحافظون على الحدود فلان يفعل كذا وفلان يفعل كذا فأمرى أنا قريب وكشف هذا التلييس أن الجاهل والعالم في باب التكليف سواء فغلبه الهوى للعالم لا يكون عذراً للجاهل. وبعضهم يقول: ما قدر ذنبي حتى أعاقب. ومن أنا حتى أؤاخذ، وذنبي لا يضره وطاعتي لا تنفعه وعفوه أعظم من جرمي كما قال قائلهم:

من أنا عند الله حتى إذ أذنبت لا يغفر لي ذنبي

وهذه حماقة عظيمة كأنهم اعتقدوا أنه لا يؤاخذ إلا ضداً أو ندأ. ثم ما علموا أنه بالمخالفة قد صاروا في مقام معاند، وسمع بن عقيل رحمه الله رجلاً يقول، من أنا حتى يعاقبني الله، فقال: له أنت الذي لو أمات الله جميع الخلائق وبقيت أنت لكان قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس﴾ خطاباً لك. ومنهم من يقول، سأتوب وأصلح، وكم من ساكن الأمل من أبله فاخطفه الموت قبله، وليس من الحزم تعجيل الخطأ وانتظار الصواب وربما لم تنهياً التوبة وربما لم تصح وربما لم تقبل ثم لو قبلت بقي الحياء من الجناية أبداً. فمرارة خاطر المعصية حتى تذهب أسهل من معاناة التوبة حتى تقبل. ومنهم من يتوب ثم ينقض فيلج عليه إبليس بالمكائد لعلمه بضعف عزمه. وبإسناد عن الحسن أنه قال: إذا نظر اليك الشيطان وراك على غير طاعة الله تعالى فنعاك وإذا رآك مداوماً على طاعة الله ملك ورفضك وإذا رآك مرة هكذا ومرة هكذا طمع فيك.

فصل

ومن تلييسه عليهم أن يكون لأحبهم نسب معروف فيغتر بنسبه فيقول: أنا من أولاد أبو بكر. وهذا يقول. أنا من أولاد علي. وهذا يقول: أنا شريف من أولاد الحسن أو الحسين أو يقول. أنا قريب النسب من فلان العالم أو من فلان الزاهد وهؤلاء يبنون أمرهم على أمرين.

أحدهما: أنهم يقلون من أحب إنساناً أحب أولاده وأهله.

والثاني: أن هؤلاء: لهم شفاعاة وأحق من شفعاوا فيه أهلهم

وأولادهم. وكلا الأمرين غلط أما المحبة فليست محبة الله عز وجل كمحبة الآدميين وإنما يحب من أطاعه فإن أهل الكتاب من أولاد يعقوب ولم ينتفعوا بأبائهم ولو كانت محبة الأب تسرى لسرى إلى البعض أيضاً. وأما الشفاعة فقد قال الله تعالى: ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ ولما أراد نوح حمل ابنه في السفينة قيل له ﴿ إنه ليس من أهلك ﴾ ولم يشفع إبراهيم في أبيه ولا نبينا في أمة وقد قال ﷺ لفاطمة رضى الله عنها. «لا اغنى عنك من الله شيئاً». ومن ظن أنه ينجو بنجاة أبيه كان كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه.

فصل

ومن تليسه عليهم أن يعتمد أحدهم على نخلة خير ولايالي بما فعل بعدها. فمنهم من يقول: أنا من أهل السنة وأهل السنة على خير ثم لايتحاشى عن المعاصى. وكشف هذا التلبيس أن يقال له إن الاعتقاد فرض والكف عن المعاصى فرض آخر فلا يكفى أحدهما عن صاحبه. وكذلك تقول الروافض: نحن يدفع عنا موالاة أهل البيت وكذبوا فإنه إنما يدفع التقوى. ومنهم من يقول أنا الأزم الجماعة وأفعل الخير وهذا يدفع عنى وجوابه كجواب الأول.

فصل

ومن هذا الفن تليسه على العيارين فى أخذ أموال الناس فانهم يسمون بالفتيان ويقولون: الفتى لايزنى ولايكذب ويحفظ الحرم ولايهتك ستر امرأة ومع هذا لايتحاسون من أخذ أموال الناس وينسون ثقلى الأكباد على الأموال ويسمون طريقتهم الفتوة. وربما حلف أحدهم بحق الفتوة فلم يأكل ولم يشرب ويجعلون إلباس السراويل للداخل فى مذهبهم كاللباس الصوفية للمريد المرقعة وربما يسمع أحد هؤلاء عن أخته أو اخته كلمة وزر لا تصح وربما كانت من محرض فقتلها ويدعون أن هذه فتوة. وربما اسخرأحدهم بالصبر على الضرب. وبإسناد عن عبد الله بن أحمد بن حنبل أنه كان يقول: كنت كثيراً أسمع والدى أحمد بن حنبل يقول: رحم الله أبا الهيثم فقلت من أبو الهيثم؟ فقال أبو الهيثم الحداد: لما مددت يدي إلى العقاب وأخرجت للسياط إذا أنا بانسان يجذب ثوبى من ورائى ويقول لى: تعرفنى قلت لا، قال أنا أبو الهيثم العيار اللص الطرار

مكتوب في ديوان أمير المؤمنين إنى ضربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق وصبرت في ذلك على طاعة الشيطان لأجل الدنيا فاصبر أنت في طاعة الرحمن لأجل الدين، قلت: أبو الهيثم هذا يقال له خالد الحداد. وكان يضرب المثل بصبره. وقال له المتوكل ما بلغ من جلدك قال املا لي جرابي عقارب ثم أدخل يدي فيه وأنه ليؤلمني ما يؤلمك وأجد لآخر سوط من الألم ما أجد لأول سوط ولو وضعت في فمي خرقة وأنا أضرب لاحتقرت من حرارة ما يخرج من جوفى ولكنى وطنت نفسى على الصبر، فقال له الفتح ويحك مع هذا اللسان والعقل ما يدعوك إلى ما أنت عليه من الباطل. فقال أحب الرياسة. فقال المتوكل نحن خليدية. وقال الفتح أنا خليدي. وقال رجل لخالد: يا خالد ما أنتم لحوم ودماء فيؤلمكم الضرب. فقال بلى يؤلمنا ولكن معنا عزيمة صبر ليست لكم. وقال داود بن علي لما قدم بخالد اشتبهت أن أراه فمضيت إليه فوجدته جالسا غير متمكن لذهاب لحم إليته من الضرب وإذا حوله فتیان فجعلوا يقولون: ضرب فلان، وفعل بفلان كذا، فقال لهم. لا تتحدثون عن غيركم افعلوا أنتم حتى يتحدث عنكم غيركم.

قال المصنف رحمه الله: فانظروا إلى الشيطان كيف يتلاعب بهؤلاء فيصبرون على شدة الألم ليحصل لهم الذكر ولو صبروا على يسير التقوى لحصل لهم الأجر والعجب أنهم يظنون تحالهم مرتبة وفضيلة مع ارتكاب العظائم.

فصل

ومن العوام من يعتمد على نافلة ويضيع فرائض. مثل أن يحضر المسجد قبل الأذان ويتنفل فإذا صلى مأموماً سابق الإمام. ومنهم من لا يحضر في أوقات الفرائض ويزاحم ليلة الرغائب. ومنهم من يتعبد ويكفي وهو مصر على الفواحش لا يتركها. فإن قيل له قال: سيئة وحسنة والله غفور رحيم وجمهورهم يتعبد برأيه فيفسد أكثر مما يصلح. ورأيت رجلا منهم قد حفظ القرآن وتزهد ثم حب نفسه وهذا من أفحش الفواحش.

فصل

وقد لبس إبليس على خلق كثير من العوام يحضرون مجالس الذكر ويبكون ويكتفون بذلك ظنا منهم أن المقصود الحضور والبكاء لأنهم يسمعون فضل الحضور في مجالس الذكر. ولو علموا أن المقصود إنما هو

العمل وإذا لم يعمل بما يسمع كان زيادة في الحجة عليه . واني لأعرف خلقاً يحضرون المجلس منذ سنين ويبيكون ويخشعون ولا يتغير أحدهم عما قد اعتاده من المعاملة في الريا والغش في البيع والجهل بأركان الصلاة والغيبة للمسلمين والعقوق للوالدين وهؤلاء قد لبس عليهم إبليس فأراهم أن حضور المجلس والبكاء يدفع عنه ما يلبس من الذنوب . وأرى بعضهم ان مجالسة العلماء والصالحين يدفع عنكم . وشغل آخرين بالتسويق بالتوبة فطال عليهم مطالهم . وأقام قوما منهم للتفرج فيما يسمعونه وأهملوا العمل به .

فصل

وقد لبس إبليس على أصحاب الأموال من أربعة أوجه . أحدها : من جهة كسبها فلا يباليون كيف حصيبت وقد فشا الريا في أكثر معاملاتهم وأبسوه حتى أن جمهور معاملاتهم خارجة عن الإجماع وقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال «ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء من أين أخذ المال من حلال أو حرام» . والثاني : من جهة البخل بها فمنهم من لا يخرج الزكاة أصلاً إنكالا على العفو . ومنهم من يخرج بعضها ثم يغلبه البخل فينظر أن المخرج يدفع عنه . ومنهم من يحتال لإسقاطها مثل أن يهب المال قبل الجول ثم يسترده . ومنهم من يحتال بإعطاء الفقير ثوبا يقومه عليه بعشرة دنانير وهو يساوي دينارين ويظن ذلك الجهل أنه قد تخلص . ومنهم من يخرج الردي مكان الجيد ومنهم من يعطى الزكاة لمن يستخدمه طول السنة فهي على الحقيقة أجره . ومنهم من يخرج الزكاة كما ينبغي فيقول له إبليس «ما بقى عليك فيمنعه أن يتنفل بصدقة حبا للمال فيفوته أجر المصدقين ويكون المال زرق غيره» .

وياسناد عن الضحاك عن ابن عباس قال : أول ما ضرب الدرهم أخذه إبليس فقبله ووضع على عينه وسرته وقال بك أطنى وبك أكفر . رضيت من ابن آدم بحبه الدينار من أن يعبدني . وعن الأعمش عن شقيق عبد الله قال : إن الشيطان يرد الإنسان بكل ريثة فإذا أعياه اضطجع في ماله فيمنعه أن ينفق منه شيئا . والثالث من حيث التكثير بالأموال فإن الغنى يرى نفسه خيراً من الفقير وهذا جهل لأن الفضل بفضائل النفس اللارمة لها لا بجمع حجارة خارجة عنها كما قال الشاعر .

غنى النفس لمن يعقل خير من غنى المال
وفضل النفس فى الأنفس ليس الفضل فى الحال

والرابع فى إنفاقها. فمنهم من ينفقها على وجه التبذير والإسراف، وتارة فى البنیان الزائد على مقدار الحاجة وتزويق الحيطان وزخرفة البيوت وعمل الصور. وتارة فى اللبس الخارج بصاحبه إلى الكبر والخلاء، وتارة فى المطاعم الخارجة إلى السرف. وهذه الأفعال لا يسلم صاحبها من فعل محرم أو مكروه وهو مسئول عن جميع ذلك.

وياسناد عن أنس بن مالك قال: رسول الله ﷺ: يا ابن آدم لا تزول قدماك يوم القيامة بين يدي الله عز وجل حتى تسأل عن أربع عمرك فيما أفنيت وجسدك فيما أبليت ومالك من أين اكتسبته وأين أنفقت. ومنهم من ينفق فى بناء المساجد والقناطر إلا أنه يقصد الرياء والسبحة ويقاء الذكر فيكتب اسمه على بابى ولو كان عمله لله عز وجل لا يكتبي بعلمه سبحانه وتعالى ولو كلف أن يبنى جائط من غير أن يكتب اسمه عليه لم يفعل. ومن هذا الجنس إخراجهم الشمع فى رمضان فى الأنوار طلباً للسمعة وبساجدهم طول السنة مظلمة لأن إخراجهم قليلاً من دهن كل ليلة لا يؤثر فى المدح ما يؤثر فى إخراج شمعة فى رمضان ولقد كان أغناء الفقراء بثلث الشمع أولى ولربما خرجت الأضيواء الكثيرة السرف الممنوع منه غير أن الرياء يعمل عمله. وقد كان أحمد ابن حنبل يخرج إلى المسجد وفى يده سراج فيضعه ويصلى. ومنهم من إذا تصدق أعطى الفقير والناس يرونه فيجتمع بين قصده مدحهم وبين إذلال الفقير. وفيهم من يجعل منه الدنانير الخفاف فيكون فى الدينار قيراطان ونحو ذلك وربما كانت رديئة فيتصدق بها بين الجمع مكشوفة ليقال قد أعطى فلان فلاناً ديناراً وبالعكس من هذا كان جماعة الصالحين المتقدمين يجعلون فى القرطاس الصغير ديناراً ثقيلاً يزيد وزنه على دينار ونصف ويسلمونه إلى الفقير فى سر فاذا رأى قرطاساً صغيراً ظنه قطعه فاذا لمسه وجد تدوير دينار فقرح فاذا فتحه ظنه قليل الوزن فاذا رآه ثقيلاً ظنه يقارب الدينار فاذا وزنه فراه رائداً على الدينار اشتد فرحه فالثواب يتضاعف للمعطى عند كل مرتبة. ومنهم من يتصدق على الأجانب ويترك بر الأقارب وهم أولى وياسناد عن سليمان بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول

«الصدقة على المسكين صدقة والصدقة على ذوى الرحم اثنتان صدقة وصلة». ومنهم من يعلم فضيلة التصدق على القرابة إلا ان يكون بينهما عداوة دنيوية فيمتنع من مواساته مع علمه بفقره ولو واساه كان له أجر الصدقة والقرابة ومجاهدة الهوى. وقد روى عن أبى أيوب الأنصارى قال: قال رسول الله ﷺ «إن أفضل الصدقة الصدقة على ذى الرحم الكاشح».

قال المصنف رحمه الله: وإنما قبلت هذا الصدقة وفضلت لمخالفة الهوى فإن من تصدق على ذى قرابة بحبة فقد اتفق على هواه. ومنهم من يتصدق ويضيق على أهله فى النفقة. وقد روى عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ «أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى وأبدأ بمن تقول». وبإستناد عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «تصدقوا فقال رجل عندي دينار فقال تصدق به على نفسك. قال عندي دينار آخر قال تصدق به على زوجتك. قال عندي دينار آخر قال تصدق به على ولدك. قال عندي دينار آخر قال تصدق به على خادمك. قال عندي دينار آخر قال أن أبصر به». ومنهم من ينفق فى الحج ويلبس عليه إبليس بأن الحج قرينة وإنما مراده الرياء والفرجة ومدح الناس. قال رجل لبشر الحافى. أعددت ألفى درهم للحج. فقال: أحججت؟ قال نعم، قال: اقضى دين مدين قال: ما تميل نفسى إلا الى الحج قال مرادك أن تركب وتجئ ويقال فلان حاجى. ومنهم من ينفق على الأوقات والرقص ويرمى الثياب على المغنى. ويلبس عليه إبليس بأنك تجمع الفقراء وتطعمهم وقد بينا أن ذلك مما يوجب فساد القلوب ومنهم من إذا جهز ابنته صاغ لها دست الفضة ويرى الأمر فى ذلك قرينة وربما كانت له ختمة فتقدم مجامر الفضة ويحضر هناك قوم من العلماء فلا هو يستعظم مافعل ولا هم ينكرون اتباعا للعادة. ومنهم من يجوز فى وصيته ويحرم الوارث ويرى أنه ماله يتصرف فيه كيف شاء وينسى أنه بالمرض قد تعلقت حقوق الوارثين به. وبإستناد عن أبى أمامة قال قال رسول الله ﷺ «من حاف عند الوصية قذف فى الوباء والوباء واد فى جهنم. وعن الأعمش عن خيثمة قال: قال رسول الله ﷺ «ان الشيطان يقول ما غلبنى عليه ابن آدم فلن يغلبنى على ثلاث أمره بأخذ المال من غير حقه وأمره بالثفاقه فى غير حقه ومنعه من حقه».

فصل

وقد لبس إبليس على الفقراء فمنهم من يظهر الفقر وهو غنى فان

اضاف إلى هذا السؤال والأخذ من الناس فانما يستكثر من نار جهنم .
اخبرنا ابن الحصين باسناد عن محمد بن فضيل عن عمارة عن أبي زرعة
عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال «من سأل الناس أموالهم
تكثرأ فانما يسأل جمرا فليستقل منه أو ليستكثر». وإن لم يقبل هذا الرجل
من الناس شيئا وكان مقصوده بإظهار الفقر أن يقال رجل زاهد فقد رأى .
وإن كتم نعمة الله عنده ليظهر عليه الفقر لئلا ينفق ففى ضمن بخله
الشكوى من الله .

وقد ذكرنا فيما تقدم أن رسول الله ﷺ رأى رجلا بادي الهيئة فقال
«هل لك من مال . قال نعم . قال فلتر نعمة الله عليك». وإن كان فقيرا
محققا فالمستحب له كتمان الفقر وإظهار التجميل فقد كان فى السلف من
يحمل مفتاحا يوهم أن له داراً ولا بيت إلا فى المساجد .

فصل

ومن تلبس إبليس على الفقراء أنه يرى نفسه خيراً من الغنى إذ قد زهد
فيما رغب ذلك الغنى فيه وهذا غلظ وإن الخيرية ليست بالوجود والعدم
وانما هى بأمر وراء ذلك .

فصل

وقد لبس إبليس على جمهور العوام بالجرىان مع العادات وذلك من
أكثر أسباب هلاكهم . فمن ذلك أنهم يقلدون الآباء والأسلاف فى
اعتقادهم على ما نشئوا عليه من العادة فترى الرجل منهم يعيش خمسين
سنة على ما كان عليه أبوه ولا ينظر أكان على صواب أم على خطأ . ومن
هذا تقليد اليهود والنصارى والجاهلية أسلافهم وكذلك المسلمون يجرون
فى صلاتهم وعباداتهم مع العادة فترى لرجل يعيش سنين يصلى على
صورة مارأى الناس يصلون ولعله لا يقيم الفاتحة ولا يدرى ما الواجبات
ولا سهل عليه أن يعرف ذلك هواناً بالدين ولو أنه أراد تجارة لسأل قبل
سفره عما ينفق فى ذلك البلد، ثم ترى أحدهم يركع قبل الإمام ويسجد
قبل الإمام ولا يعلم أنه إذا ركع قبله خالفه فى ركن فإذا رفع قبله فقد
خالفه فى ركنين فبطلت صلاته وقد رأيت جماعة يسلمون عند تسليم
الإمام وقد بقى عليهم من التشهد الواجب شئ وذاك أمر لا يحمله الإمام

فتكون صلاته باطلة. وربما يترك أحدهم فريضة وزاد في نافلة. وربما أهمل غسل بعض العضو كالعقب وربما كان في يده خاتم قى حصر الأصبع فلا يديره وقت الوضوء ولا يصل الماء إلى ماتحته فلا يصح وضوؤه وأما بيعهم وشراؤهم فأكثر عقودهم فاسدة ولا يتعرفون حكم الشرع فيها ولا يخف على أحدهم أن يقلد فقيها في رخصته استقلالا منهم للدخول تحت حكم الشريعة. وقل أن يبيعوا شيئا إلا وفيه غش ويغطيه عيب. والجلاء يغطي عيوب الذهب الرديء حتى أن المرأة تضع الغزل في الانداء وتنديه ليثقل وزنه.

ومن جريانهم مع العادة أن أحدهم يتوانى في صلاته المفروضة في رمضان ويفطر على الحرام ويغتاب الناس، وربما لو ضرب بالحشب لم يفطر في العادة لأن في العادة استبشاع الفطر. ومنهم من يدخل في الربا بالاستتجار فيقول معى عشرون دينارا لا أملك غيرها فإن أنفقتها ذهبت وأنا أستاجر بها دارا وأكل أجره الدار ظناً منه إن هذا الأمر قريب. ومنهم من يرهن الدار على شئ ويؤدى ويقول هذا موضع ضرورة وربما كانت له دار أخرى وفي بيته آلات لو باعها لاستغنى عن الرهن والاستتجار ولكنه يخاف على جاهه أن يقال قد باع داره أو أنه يستعمل الخنزير مكان الصفر. ومما جروا فيه على العادات اعتمادهم على قول الكاهن والمنجم والعراف وقد شاع ذلك بين الناس واستمرت به عادات الأكابر فقل أن ترى أحداً منهم يسافر أو يفصل ثوباً أو يحتجم إلا سأل المنجم وعمل بقوله ولا تخلو دورهم من تقويم وكم من دار لهم ليس فيها مصحف. وفي الصحيح عن النبي ﷺ انه سأل عن الكهان فقال: ليسوا بشيء. فقالوا يا رسول الله إنهم يحدثون أحياناً بالشئ يكون حقاً. فقال رسول الله ﷺ. تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فينقرها في أذن وليه نقر الدجاجة فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة.

وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة». وروى أبو داود من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد برىء مما أنزل على محمد ﷺ». ومن جريانهم مع العادات كثرة الإيمان الحائثة التي أكثرها ظهاروهم لا يعلمون فأكثر قولهم في

الإيمان حرام على أن بعت، ومن عاداتهم لبس الحرير والتختم بالذهب، وربما تورع أحدهم عن لبس الحرير ثم لبسه في وقت كالخطيب يوم الجمعة، ومن عاداتهم إهمال انكار المنكر حتى أن الرجل يرى أخاه أو قريبه يشرب الخمر ويلبس الحرير فلا ينكر عليه ولا يتغير بل يخالطه مخالطة حبيب ومن عاداتهم أن يبني الرجل على باب داره مصطبة يضيق بها طريق المارة وقد يجتمع على باب داره ماء مطر ويكثر فيجب عليه إزالته وقد أثم بكونه كان سبياً لأذى المسلمين، ومن عاداتهم دخول الحمام بلا مئزر وفيهم من إذا دخل بمئزر رمى به على فخذه فيرى جوانب البيته ويسلم نفسه إلى المدلك فيرى بعض عورته ويمسها بيده لأن العورة من السرة إلى الركبة ثم ينظر هؤلاء إلى عورات الناس ولا يكاد يغض ولا ينكر. ومن عاداتهم ترك القيام بحق الزوجة وربما اضطروها إلى أن تسقط مهرها وينظن الزوج أنه قد تخلص بما قد اسقطته عنه. وقد يميل الرجل إلى إحدى زوجتيه دون الأخرى فيجوز في القسم متهاونا بذلك ظناً أن الأمر فيه قريب. فقد روى أبو هريرة، رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال «من كانت له امرأتان يميل إلى إحداهما على الأخرى جاء يوم القيامة يجر إحدى شقيه ساقطاً أو مائلاً». ومن عاداتهم اثبات الفلوس عند الحاكم ويعتقد الذي قد حكم له بالفلس أنه قد سقطت عنه بذلك الحقوق وقد يؤسر ولا يؤدي حقاً. ومنهم من لا يقوم من دكانه بحجة الفلوس إلا وقد جمع مالا من أموال المعاملين فأضربه ينفقه في مدة استتاره وعنده إن الأمر في ذلك قريب. ومما جرى فيه على العادات أن الرجل يستأجر ليعمل طول النهار فيضيع كثيراً من الزمان إما بالتثبط في العمل أو بالبطالة أو بإصلاح آلات العمل مثل أن يحد لنجار الفأس والشقاق المنشار ومثل هذا خيانة إلا أن يكون ذلك يسيراً قد جرت العادة بمثله. وقد يفوت أكثرهم الصلاة ويقول أنا في إجارة رجل ولا يدري أن أوقات الصلاة لا تدخل في عقد الإجارة. وقلة نصحبهم في أعمالهم كثيرة ومما جرى فيه على العادة دفن الميت في التابوت وهذا فعل مكروه وأما الكفن فلا يتباهى فيه بالمغالاة ينبغي أن يكون وسطاً. ويدفنون معه جملة من الثبات وهذا حرام لأنه إضاعة المال ويقيمون البنوح على الميت، وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «إن النائحة إذا لم تتب قبل موتها نقام يوم القيامة

وعليها سربال من قطران ودرع من جرب». ومن عاداتهم اللطم وتمزيق الثياب وخصوصاً النساء. وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: ليس منا من شق الجيوب ولطم الخدود ودعى بدعوى الجاهلية». وربما رأوا المصاب قد شق ثوبه فلم ينكروا عليه لا بل ربما أنكروا ترك شق الثوب وقالوا ما أثرت عنده المصيبة ومن عاداتهم يلبسون بعد الميت الدون من الثياب ويبقون على ذلك شهراً أو سنة وربما لم يناموا هذه المدة في سطح. ومن عاداتهم زيارة المقابر في ليلة النصف من شعبان وإيقاد الدار عندها وأخذ تراب القبر المعظم. قال ابن عقيل لما التكاليف على الجهال والضغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم قال وهم كفار عندي بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وإكرامها بما نهى الشرع عنه من إيقاد النيران وتقبيلها ونخيلفها وخطاب الموتى بالألواح وكتب الرقاع فيها يا مولاي أفعل بي كذا وكذا وأخذ التراب تبركا وإفاضة الطيب على القبور وشد الرحال إليها وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى ولا تجد في هؤلاء من يحقق مسألة في زكاة فيسال عن حكم يلزمه: والويل عندهم لمن لم يقبل مشهد الكهف ولم يتمسح بأجرة مسجد المأمونية يوم الأربعاء ولم يقل الحمالون على جنازته أبو بكر الصديق أو محمد وعلى. ولم يكن معها نياحة. ولم يعقد على أبيه أزجاً بالحصى والآجر ولم يشق ثوبه إلى ذيله ولم يرق ماء الورد على القبر ويدفن معه ثيابه.

فصل

وأما تلبيس إبليس على النساء فكثير جداً وقد أفردت كتاباً للنساء ذكرت فيه ما يتعلق بهن من جميع العبادات وغيرها وأنا أذكر ههنا كلمات من تلبس إبليس عليهن فمن ذلك أن المرأة تطهر من الحيض بعد الزوال فتغتسل بعد العصر فتصلي العصر وحدها وقد وجبت عليها الظهر وهي لا تعلم وفيهن من يؤخر الغسل يومين وتحتج بغسل ثيابها وغسلهم ودخول الحمام: وقد تؤخر غسل الجنابة في الليل إلى أن تطلع الشمس. فإذا دخلت الحمام لم تتر بئزر وتقول ما دخل إلى إلا القيمة. وربما قالت أنا وأختي وأمي وجاريتي وهن نساء مثلى فممن أستتر وهذا كله حرام. فإن تأخير الغسل بغير عذر لا يجوز ولا يحل للمرأة أن تنظر من

المرأة ما يبس سرتها وركبتها ولو كانت ابنتها وأمها إلا أن تكون البنت صغيرة فإذا بلغت سبع سنين استترت واستتر منها وقد تصلى المرأة قاعدة وهي تقدر على القيام فالصلاة حينئذ باطلة . وقد تحتج بنجاسة في ثوبها من بول طفلها وهي تقدر على غسله ولو أرادت الخروج إلى الطريق لتهيأت واستعارت وإنما هات عندها أمر الصلاة وقد لا تعرف من واجبات الصلاة شيئاً ولا تسأل . وقد ينكشف من الحرة ما يبطل صلاتها وتستهيئ به . وقد تستهيئ المرأة بإسقاط الحبل ولا تدري أنها إذا أسقطت ما قد نفخ فيه الروح فقد قتلت مسلماً وقد تستهيئ بالكفارة الواجبة عليها عند ذلك الفعل فإنه يجب عليها أن تتوب وتؤدي دينه إلى ورثته وهي غرة عبداً أو أمة قيمتها نصف عشر دية أبية أو عشر دية الأم ولا ترث الأم من ذلك شيئاً ثم تعتق رقبة فإن لم تجد صامت شهرين متتابعين . وقد تسيء الزوجة عشرتها مع الزوج وربما كلمته بالمكروه وتقول هذا أبو أولادي وما بيننا هذا وتخرج بغير إذنه وتقول ما خرجت في معصية ولا تعلم أن خروجها بغير إذنه معصية . ثم نفس خروجها لا يؤمن منه فتنة . وفيهن من تلامز القبور وتحمّد لا على الزوج وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : لا يحل لامرأة تؤمن بالله ورسوله أن تحمّد على ميت إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً . ومنهم من يدعوها زوجها إلى فراشه فتأبى وتظن هذا الخلاف ليس بمعصية وهي منهية عنه لما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فباتت وهو عليها ساخط لعتتها الملائكة حتى تصبح» أخرجاه في الصحيحين . وقد تفرط المرأة في مال زوجها ولا يحل لها أن تخرج من بيته شيئاً إلا أن يأذن لها أو تعلم رصاه . وقد تعطى من ينجم لها بالحصى ويسحر ومن تعمل لها نسخة محبة وعقد لسان وكل هذا حرام ، وقد تستجير ثقب آذان الأطفال وهو حراء فإن أفلحت وحضرت مجلس الواعظ فربما لبست خرقة من يد الشيخ السوفى وتصافحه فصارت من بنات المنبر فخرجت إلى عجائب ، وينبغي أن تكف عنان العلم اقتصاراً على هذه النبذة فإن هذا الأمر يطول ولو بسطنا لنبذ المذكورة في هذا الكتاب أو شيدنا ردنا على من ردنا عليه بالأحاديث والآثار واجتمعت مجلدات ، وإنما ذكرنا اليسير ليدل على الكثير وقد اقتنعنا في ذكر فاحش القبيح من أفعال الغالطين

بنفس حكايته دون تعاطى رده لأن الأمر فيه ظاهر والله يعصمنا من الزلل
ويوفقنا لصالح القول والعمل بمنه وكرمه .

.....

الباب الثالث عشر

فى ذكر تلبس إبليس على جميع الناس بطول الأمل

قال المصنف رحمه الله: كم قد خطر على قلب يهودى ونصرانى حب الإسلام فلا يزال إبليس يشبطه ويقول لا تعجل وتمهل فى النظر فيسوفه حتى يموت على كفره وكذلك يسوف العاصى بالتوبة فيجعل له غرضه من الشهوات ويعنيه الإنابة كما قال الشاعر:

لا تعجل الذنب لما تشتهى وتأمل التوبة من قابل

وكم من عازم على الجد سوفه، وكم ساع إلى فضيلة ثبطه فلربما عزم الفقيه على إعادة درسه فقال استرح ساعة أو انتبه العابد فى الليل يصلى فقال له عليك وقت. ولا يزال يحجب الكسل ويسوف العمل ويسند الأمر إلى طول الأمل فينبغى للحازم أن يعمل على الحزم والحزم تدارك الوقت وترك التسوف والاعراض عن الأمل فإن المخوف لا يؤمن والفوات لا يعث وسبب كل تقصير فى خير، أو ميل أن شر طول الأمل فإن الإنسان لا يزال يحدث نفسه بالتزوع عن الشر والاقبال على الخير إلا أن يعد نفسه بذلك ولا ريب أنه من الأمل أن يمشى بالنهار سار سيراً فاتراً ومن أمل أن يصبح عمل فى الليل عملاً ضعيفاً ومن صور الموت عاجلاً جده، وقد قال عليه السلام «صل صلاة مودع». وقال بعض السلف: أنذركم سوف فإنها أكبر جنود إبليس: ومثل العامل على الحزم والساكن لطول الأمل كمل قوم فى سفر فدخلوا قرية فمضى الحازم فاشترى ما يصلح لتمام سفره وحبس متأهباً للرحيل: وقال المفرط سأتأهب فربما أقمنا شهراً، فضرب بو، الرحيل فى الحال فاغتبط المحترز واغتبط الآسف المفرط فهذا مثل الناس فى الدنيا منهم المستعد المستيقظ فإذا جاء ملك الموت لم يندم ومنهم المعروف المسوف يتجرع مرير الندم وقت الرحلة فإذا كان فى الطبع حب التوانى وطول الأمل ثم جاء إبليس يحث على العمل بمقتضى ما فى الطبع صعبت المجاهدة إلا أنه من انتبه لنفسه علم أنه فى صف حرب وأن عدوه لا يفتر عنه فإن افتر فى الظاهر بطن له مكيدة وأقام له كميناً ونحن سأل الله عز وجل السلامة من كيد العدو وقتن الشيطان وشر النفوس والدنيا انه قريب مجيب جعلنا الله من أولئك المؤمنين.

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٦	(الباب الاول) فى الأمر بلزوم السنة والجماعة
١٢	(الباب الثانى) فى ذم البدع والمبتدعين
١٦	تعريف السنة وتعريف البدعة
١٨	بيان انقسام أهل البدع
١٩	انقسام الحرورية
٢٠	انقسام الجهمية
٢٠	تنقسام المرجئة
٢٠	انقسام الرافضة
٢١	انقسام الجبرية
٢٢	(الباب الثالث) فى تحذير من فتن ابليس ومكايده وما ورد فى ذلك ..
٣٢	ذكر الاعلام بأن مع كل إسان شيطان
٣٣	بيان أن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم
٣٣	ذكر التعود من الشيطان الرجيم
٣٦	(الباب الرابع) فى معنى التلبيس والغرور
٣٨	(الباب الخامس) فى ذكر تليسه فى العقائد والديانات
٣٨	ذكر تليسه على السوفسطائية وتقرير مذهبهم والرد عليهم بما يقنع ..
٤٠	ذكر تليسه على الدهرية
٤١	ذكر تليسه على الطبائعين
٤٢	ذكر تليسه على الثنوية
٤٤	ذكر تليسيه على الفلاسفة
٤٨	تليسه على أصحاب الهياكل
٥٠	تليسيه على عباد الأصنام وتوليتهم

الصفحة	الموضوع
٦٠	تلييسه على الجاهلية بمذاهب شتى
٦٣	تلييسه على جاحدى النبوات
٦٧	مذاهب البراهمة فى إنكار النبوات وقد ألقى إبليس اليهم ست شبهات ذكر
٦٨	تلييسه على اليهود
٧٠	ذكر تلييسه على النصارى فى التثليث
٧١	من تلييس إبليس على اليهود والنصارى
٧١	ذكر تلييسه على الصائفة وحكاية مذهبهم
٧٣	ذكر تلييسه على المجوس فى قولهم بالثنوية
٧٥	ذكر تلييسه على المنجمين القائلين بالفلك
٧٦	ذكر تلييسه على جاحدى البعث وبيان شبههم والرد عليه
٧٧	ذكر تلييسه على القائلين بالتناسخ
٧٩	ذكر تلييسه على أمتنا المقلدين فى العقائد والديانات
٨٨	ذكر تلييسه على الحوارج وخبر ذى الخويصرة
٩٥	ذكر تلييسه على الرافضة فى عقائدهم
١٠٠	ذكر تلييسه على الباطنية وذكر فرقهم مفصلة وهى ثمانية
١٠١	منهم الاسماعيلية وخبر زعيمهم
١٠٢	ومنهم القرامطة وأخبارهم
١٠٤	ومنهم الخرمية والتعليمية
١١١	(الباب السادس) فى تلييسه على العلماء تلييسه على القراء
١١٣	ذكر تلييسه على أصحاب الحديث
١١٧	ذكر تلييسه على الفقهاء لجهلهم بالكتاب والسنة
	إدخالهم أوضاع الفلاسفة فى جدلهم واعتمادهم على ذلك
١١٨	الأوضاع المناظرة وآدابها والمراد منها
١٢٣	ذكر تلييسه على الوعاظ والقصاص وآفاتهم
١٢٥	ذكر تلييسه على أهل اللغة والادب بأنهم على شئ من العلم

الصفحة	الموضوع
١٢٨	ذكر تليسه على الشعراء
١٣٠	ذكر تليسه على الكاملين من العلماء
١٣٢	(الباب السابع) فى تليسه على الولاة والسلاطين
١٣٥	(الباب الثامن) فى تليسه على العباد فى العبادات
١٣٥	ذكر تليسه عليهم فى الاستطابة، والحدث
١٣٦	ذكر تليسه عليهم فى الوضوء
١٣٧	ذكر تليسه عليهم فى الاذان بادخال زيادات لم تشرع اتخذت الآن دينًا
١٣٨	ذكر تليسه عليهم فى الصلاة والوسوسة فى النية والتكبير
١٤٣	ذكر تليسه عليهم فى قراءة القرآن
١٤٤	ذكر تليسه عليهم فى الصوم . والسنة فى نقله
١٤٦	ذكر تليسه عليهم فى الحج
١٤٧	ذكر تليسه على الغزاة من وجوه
١٤٩	ذكر تليسه على الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر
	(الباب التاسع) فى تليسه على الزهاد والعباد وتمهيد المؤلف
١٥١	لهذا الباب بما يعجب المطلع عليه
١٦٣	(الباب العاشر) فى تليسه على الصوفية
١٧٦	ذكر تليسه على الصوفية فى الطهارة
١٧٧	ذكر تليسه على الصوفية فى الصلاة
١٧٧	تليسه عليهم فى المساكن وبناء الأربطة
١٧٨	تليسه عليهم فى الخروج عن الاموال والتجرد عنها
١٨٩	ذكر تليسه عليهم فى لباسهم المرقعات والقوط
٢١٠	ذكر تليسه عليهم فى المطعم والمشرب وتقسفهم
٢١٠	ذكر طرف مما فعله قداماؤهم
٢٢٢	ذكر تليسه عليهم فى ذكر أحاديث تبين خطئهم وأفعالهم
٢٢٥	ذكر تليسه عليهم فى السماع والرقص والوجد

الصفحة	الموضوع
٢٣٣	ذكر الادلة على كراهية الغناء والنوح والمنع منهما
٢٥٢	ذكر تلييسه عليهم في الوجد ونقد ذلك
٢٦٧	ذكر تلييسه عليهم في صحبة الاحداث
٢٨٠	ذكر تلييسه عليهم في ادعاء التوكل وقطع الاسباب
٢٨٩	ذكر تلييسه عليهم في ترك التداوى
٢٩٠	ذكر تلييسه عليهم في ترك الجمعة والجماعة بالوحدة والعزلة
٢٩١	ذكر تلييسه عليهم في التخشع ومطأطة الرأس واقامة الناموس
٢٩٤	ذكر تلييسه عليهم في ترك النكاح
٢٩٨	الاضرار التي تعترى ترك طلب الاولاد
٢٩٩	تلييسه عليهم في الاسفار والسياحة
٣٠١	ذكر تلييسه عليهم في دخول الفلاة بغير زاد
٣١٨	ذكر تلييسه عليهم فيما يفعلونه اذا قدموا من السفر
٣١٩	ذكر تلييسه عليهم إذا مات لهم ميت
٣٢١	ذكر تلييسه عليهم في تركهم التشاغل بالعلم
٣٢٦	ذكر تلييسه على جماعة باعدامهم كتب العلم بالدفن والقائها بالماء
٣٢٩	إنكارهم على من تشاغل بالعلم
٣٣١	تلييسه عليهم في كلامهم في العلم ونبذة من كلامهم في القرآن
٣٤١	ذكر تلييسه عليهم في الشطح والدعاوى
٣٧٥	(الباب الحادى عشر) في تلييسه على المتدينين بما يشه الكرامات
٣٨٥	(الباب الثانى عشر) تلييسه على العوام
٤٠١	(الباب الثالث عشر) في تلييسه على الناس أجمعين بطول الأمل
٤٠٣	الفهرس



